



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



عليه
صلى
عليه
وآله
وسلم

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

هادي المدرسي

أخلاقيات الإمام علي أمير المؤمنين (ع)

قراءة في تعاملات الإمام من موقع المؤمن
الصادق والمعارض المخلص، والحاكم العادل

الجزء ٣-١

دار الفکر

بیت المقدس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اخلاقيات الامام على اميرالمومنين عليه السلام

كاتب:

هادى مدرسى

نشرت فى الطباعة:

دار العلوم

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٥	اخلاقيات الامام على امير المومنين عليه السلام
١٥	اشاره
١٥	المجلد ١
١٥	اشاره
٢١	المقدمه
٢٣	أخلاقيات المؤمن
٢٣	اشاره
٢٥	التقوى و الإخلاص
٥٤	الالتزام بالأخلاق الفاضله
٨٤	اليقين
١٠٠	الزهد
١٠٠	اشاره
١٠٢	موجبات الزهد
١٠٢	اشاره
١٠٢	أول موجبات الزهد: النظر إلى الآخرة، و الاهتمام
١٠٢	و ثانى موجبات الزهد: تذكر الموت، و ما فيه من البلى
١٠٣	و ثالث موجبات الزهد: معرفه نواقص الدنيا،
١٠٥	و رابع موجبات الزهد: الانشغال بإصلاح النفس
١٠٧	نتائج الزهد فى الآخرة و الدنيا
١١٠	و لقد كان لزهده عليه السلام سته أبعاد..
١١٠	اشاره
١١٠	ففى البعد الأول، و هو الزهد للبساطه فى الحياه
١١٧	أما البعد الثانى فى زهد الإمام، فهو الزهد لترويض

١٢٧	البعد الثالث لزهد الإمام، هو الزهد للتأسي بالفقراء
١٣١	البعد الرابع من زهد الإمام، زهد للعطاء للآخرين..
١٣٣	البعد الخامس من زهد الإمام: زهده لرفض الترف
١٤٥	البعد السادس لزهد الإمام: هو زهده للالتزام بالعدل -
١٥١	التواضع
١٦٤	المبادره
١٧٣	الوفاء
١٧٩	التضحيه
١٨٥	العطاء
١٩٩	الشجاعه
٢٢٨	قضاء حوائج الناس
٢٤٤	الإيثار
٢٥١	الحلم
٢٥٩	العمل اليدوى
٢٦٥	التوازن بين الدنيا و الآخره
٢٨١	الدعابه
٢٨٥	أخلاقيات المعارضه
٣١٧	الفهرس
٣١٩	المجلد ٢
٣١٩	اشاره
٣١٩	اشاره
٣٢٧	اعتماد الشورى فى الحكم
٣٣٢	حقوق متبادله:
٣٣٨	اساسات حكم الشورى
٣٣٨	الأول - تأمين الحزبيات:
٣٣٨	توضيح

- ٣٤٠ الحريات السياسييه
- ٣٤٠ أولا - حريه إبداء الرأى:
- ٣٤٢ ثانيا - حزيه الاجتماع والتنظيم:
- ٣٤٣ ثالثا - حريه المعارضه:
- ٣٤٤ الثانى - حاكميه الناس:
- ٣٧٧ الثالث - قداسه القانون:
- ٣٨١ الرابع - احترام حقوق الإنسان:
- ٣٨٣ الاعتراف بحق المعارضه -
- ٤١٢ الالتزام بالعدل
- ٤٢٨ مفردات العدل
- ٤٢٨ اشاره
- ٤٢٩ أولا: التزام العدل فى تقسيم أموال العامه و هو يعنى أمرين:
- ٤٣٥ ثانيا - إنصاف المظلومين
- ٤٣٧ ثالثا - الامتناع عن التعدى و البغى:
- ٤٣٨ رابعا - الامتناع عن الكبر، و التكبر، و الترفع عن الناس:
- ٤٤٤ خامسا - التشدد مع المسؤولين لمصلحه العامه:
- ٤٤٤ سادسا - الاهتمام بحاجات الناس، و طلبات الولاه:
- ٤٤٧ سابعا - مساعده الجميع، و اللطف بهم:
- ٤٥٠ ثامنا - المساواه، و عدم التمييز:
- ٤٤٩ تاسعا - مجازاه المسىء، و الإحسان إلى المحسنين:
- ٤٧١ عاشرا - الاهتمام بعامه الناس دون الخاصه منهم:
- ٤٧٢ الحادى عشر - التزام الحق فى جيايه الضرائب:
- ٤٧٣ التشدد مع النفس
- ٤٧٩ التشدد مع الأقرباء
- ٤٨٨ التشدد مع المسؤولين
- ٥٠٨ مواجهه المتكبرين بالحزم

٥١٥	الاحتياط في إراقه الدماء
٥٢٤	إنصاف العدو
٥٥٠	العفو مع الاقتدار
٥٦٤	الرفق في جبايه الخراج
٥٧٢	الاهتمام الشخصي بالأيتام
٥٧٧	اعتماد لغه الرحمه في القضاء
٥٧٩	لا حكم على من لا يعرف الحكم
٥٨١	إلغاء الحدّ مع الاضطرار
٥٨٣	إتاره الوجدان و الضمير للتراجع عن الرجل
٥٨٧	اعتماد الحقائق العلميه في المسائل القضائيه
٥٩٠	التشدّد مع المحتالين و الذين يؤذون الناس
٥٩٤	الاقتصاص من الباطل
٥٩٧	ثلاث نساء و ثلاث قضايا
٥٩٧	اشاره
٥٩٨	ثلاث نماذج من موافقه مع المرأه
٥٩٨	اشاره
٥٩٨	مع شاكيه
٦٠١	أما مع الأرملة:
٦٠٣	أما الزانيه:
٦٠٩	التدقيق في الشهود للاحتياط في إجراء الحدود
٦٢٠	التوبه في البيت أفضل من إقامة الحدّ على المملأ
٦٢٤	العفو عن القائل لنجاته بريئاً باعترافه
٦٢٩	التوسل باللاشعور للكشف عن الحقيقه
٦٣١	التوسل بعاطفه الأمومه لمعرفة الحقيقه
٦٣٣	تشريعات لأصحاب الحيوانات
٦٣٥	أحكام صائبه و أخلاقيات رفيعه

٦٣٥	نماذج من الاحكام الصائبه و الاخلاقيات الرفيعه
٦٥١	الفهرس
٦٥٤	المجلد ٣
٦٥٤	اشاره
٦٥٤	اشاره
٦٦٠	وثائق هامه
٦٦٠	اشاره
٦٦٢	قالوا فى الإمام..
٦٦٤	قال الله تعالى عنه
٦٦٥	قال فيه رسول الله
٦٦٩	قال على عليه السلام عن نفسه
٦٧٢	قال فيه معاصروه
٦٧٥	قال فيه العلماء و المفكرّون
٦٨٣	قال فيه المتأخرون
٧١٤	دستور الإمام عليه السلام لحكام العدل
٧١٤	اشاره
٧١٦	١ - الأهداف الأربعة لتعيين الولاة:
٧١٦	٢ - التقوى يجب أن يكون محور عمل الوالى:
٧١٨	٣ - الاهتمام بترويض النفس و كسر الشهوات:
٧١٨	٤ - التظّره التاريخيه: واجب الوالى:
٧١٨	٥ - العمل الصّالح ذخيره أعمال الحكام:
٧١٨	٦ - ضروره السيطرة على الهوى و الشخ:
٧١٩	٧ - الزحمه للرعيه هى الأصل فى التعامل معهم:
٧١٩	٨ - الخطأ و الزلل أمر طبيعى فى البشر:
٧١٩	٩ - العفو و الصفح عطاء الوالى للناس:
٧١٩	١٠ - الامتناع عن العفو و الصفح يعنى الحرب مع الله:

- ١١ - الامتناع عن الانتقام واستخدام العنف: ٧٢٠
- ١٢ - تجنب الزهو والكبر: ٧٢٠
- ١٣ - تحريم التشبه بالله في عظمته: ٧٢٠
- ١٤ - واجب الإنصاف من النفس والأقارب: ٧٢٠
- ١٥ - الظلم يجعل الوالى فى مواجهه مع ربه: ٧٢١
- ١٦ - الاستمرار فى الظلم يؤدى إلى تغيير نعم الله: ٧٢١
- ١٧ - الحق، و العدل، و المصلحه العامه ميزان العمل الصالح للولاه: ٧٢١
- ١٨ - المقربون من الولاه آفات الحكام: ٧٢١
- ١٩ - التوصيه بالجماهير و أكثرية الناس: ٧٢٢
- ٢٠ - إبعاد من يكشف عن عيوب الناس: ٧٢٢
- ٢١ - فك حلقات الحقد و العنف: ٧٢٢
- ٢٢ - عدم قبول كلام السعاه: ٧٢٢
- ٢٣ - الامتناع عن مشوره البخلاء و الجبناء و أهل الحرص: ٧٢٣
- ٢٤ - إبعاد وزراء حكّام الجور السابقين: ٧٢٣
- ٢٥ - ضروره اتخاذ أهل الفكر و الوعى للاستشاره و الوزاره: ٧٢٣
- ٢٦ - تقريب من يذكّر بالله و يقول الحق: ٧٢٤
- ٢٧ - أهل الورع و الصدق هم أهل المشاوره: ٧٢٤
- ٢٨ - لا يكونن المحسن و المسىء عندك سواء: ٧٢٤
- ٢٩ - الإحسان إلى الرعيه، و التخفيف عنهم و ترك إكراههم: ٧٢٤
- ٣٠ - أحق الناس بحسن الظنّ من حسن بلائك عنده: ٧٢٥
- ٣١ - إبقاء العادات الحسنه على حالها: ٧٢٥
- ٣٢ - الإكتار من مناقشه العلماء و الحكماء و التحدث معهم حول أمور الحكم: ٧٢٥
- ٣٣ - الرعيه طبقات و لا بد من وضع كل واحده موضعها: ٧٢٦
- ٣٤ - الطبقات العامه: ٧٢٦
- ٣٥ - التجار، و طبقه الفقيره: ٧٢٦
- ٣٦ - مواقع طبقات الرعيه محدده فى الكتاب و السنّه: ٧٢٦

- ٣٧ - موقع الجنود، و تأمين حاجاتهم: ٧٢٧
- ٣٨ - موقع القضاء و الكتاب و العمال: ٧٢٧
- ٣٩ - موقع التجار و الصناعيين: ٧٢٧
- ٤٠ - موقع الفقراء و المساكين: ٧٢٧
- ٤١ - مسؤوليه الحاكم تجاه طبقات المجتمع: ٧٢٨
- ٤٢ - الجنديه اختياريه، و لا بد من توفر شروط معينه في الجندى: ٧٢٨
- ٤٣ - الاهتمام بأصول الأفراد، و إحسابهم في التعيين: ٧٢٨
- ٤٤ - ضروره تفقد حال الجنود في الأمور الصغيره و الكبيره: ٧٢٩
- ٤٥ - شروط تعيين الضباط و رؤساء الجند: ٧٢٩
- ٤٦ - ضروره العطف على الجنود لتأمين العدل و موده الرعيه: ٧٢٩
- ٤٧ - الاهتمام بسلامه صدور الجنود، و كيفيه ذلك: ٧٣٠
- ٤٨ - تعديد بطولات الجنود، و حسن الذكر لمن يستحق: ٧٣٠
- ٤٩ - التقدير العادل لمواقف كل جندى بقطع النظر عن أصله: ٧٣٠
- ٥٠ - الرجوع إلى كتاب الله و سنه رسوله في المشتبهات: ٧٣١
- ٥١ - شروط تعيين القضاء: ٧٣١
- ٥٢ - الشروط التي يجب توفرها في شخصيه القاضى: ٧٣١
- ٥٣ - مراقبه أمور القضاء و احترامهم: ٧٣٢
- ٥٤ - شروط تعيين الولاة: ٧٣٢
- ٥٥ - شروط اختيار الولاة و المسؤولين: ٧٣٢
- ٥٦ - العطاء للولاة و المسؤولين: ٧٣٣
- ٥٧ - ضروره تفقد أمورهم، و مراقبه أعمالهم: ٧٣٣
- ٥٨ - التشدد مع المسؤولين: ٧٣٣
- ٥٩ - تفقد أمور الخراج و الضرائب: ٧٣٣
- ٦٠ - عمار الأرض و صلاح أهله أهم من الخراج و الضريبه: ٧٣٤
- ٦١ - ظروف التخفيف في الخراج: ٧٣٤
- ٦٢ - التخفيف في الضرائب مطلوب على كل حال: ٧٣٤

- ٦٣ - النتائج الحسنه لتبادل الثَّقه مع أهل الضَّرائب: ٧٣٥
- ٦٤ - الخراب نتيجه شخ الحَكَّام و ثقل الضرائب: ٧٣٥
- ٦٥ - شروط استخدام الكتَّاب و الموظفين عند الحاكم: ٧٣٥
- ٦٦ - ضروره الامتحان و الاختبار للموظفين: ٧٣٦
- ٦٧ - ثقته العامه بالأفراد ميزان صلاحيتهم للتوظيف عند الحاكم: ٧٣٦
- ٦٨ - تعيين كبار المسؤولين: ٧٣٦
- ٦٩ - مسؤوليه الحاكم فى موارد تغافله: ٧٣٦
- ٧٠ - الاهتمام بالتجار و ذوى الصناعات و الطبقة الوسطى: ٧٣٧
- ٧١ - الشخ و الاحتكار و التسلط على الأسعار: مضره للعامه و عيب على الولاة: ٧٣٧
- ٧٢ - ضروره المنع من الاحتكار و أخذ منافع الطرفین بعين الاعتبار: ٧٣٧
- ٧٣ - الاهتمام الكبير بالطبقات السفلى و أهل الحاجه: ٧٣٨
- ٧٤ - تعيين حصه أساسيه للمساكين و أهل البؤسى من بيت المال و المحاصيل: ٧٣٨
- ٧٥ - لا عذر للحاكم فى الانشغال عن ذوى الحاجات: ٧٣٨
- ٧٦ - ضروره البحث المستمر عن ذوى الحاجه مقن لا تقتحمه العيون: ٧٣٩
- ٧٧ - أهل الحاجه و الأيتام و المسنين هم الأحوج إلى الإنصاف و الرعايه: ٧٣٩
- ٧٨ - لتحتمل الحق، لا بد من الصبر: ٧٣٩
- ٧٩ - تعيين أوقات معينه لذوى الحاجه: ٧٤٠
- ٨٠ - لا بد من الأخذ لحق الضعيف: ٧٤٠
- ٨١ - تحتمل ذوى الحاجه، و طلباتهم و كلامهم: ٧٤٠
- ٨٢ - إجابته الولاة واجب شخسى على الحاكم: ٧٤٠
- ٨٣ - رفع حاجات الناس أولاً بأول: ٧٤١
- ٨٤ - عدم تأخير أعمال كل يوم: ٧٤١
- ٨٥ - أفضل الأوقات للعباده و الانقطاع إلى الله: ٧٤١
- ٨٦ - العطاء لله بإقامه الفرائض: ٧٤١
- ٨٧ - إقامه صلاه الجماعه بلا تضييع و لا تغيير: ٧٤٢
- ٨٨ - صلاه أضعفهم: تلك هى القاعده: ٧٤٢

- ٧٤٢ ٨٩ - حرمة الاحتجاب عن الناس:
- ٧٤٢ ٩٠ - الوالى بشر و لن يعرف ما يغيب عنه:
- ٧٤٣ ٩١ - أكثر حاجات الناس لا تكلفك شيئاً:
- ٧٤٣ ٩٢ - الحذر من خاصة الوالى، و المقربين منه:
- ٧٤٣ ٩٣ - الالتزام بالعدل مع الجميع:
- ٧٤٤ ٩٤ - ضروره رفع سوء الظن من قبل الناس:
- ٧٤٤ ٩٥ - قبول الصلح مع العدو إذا جنح إليه:
- ٧٤٤ ٩٦ - الحذر الدائم من العدو حتى بعد الصلح:
- ٧٤٤ ٩٧ - الالتزام بالمعاهدات حتى مع الأعداء:
- ٧٤٥ ٩٨ - الوفاء بالعهود يستوى فيه المسلمون و غيرهم:
- ٧٤٥ ٩٩ - العهود فى ذمه الله فلا يجوز فيه الخداع و الإدغال:
- ٧٤٥ ١٠٠ - لا مطالبه بتغيير العهود بلا سبب:
- ٧٤٦ ١٠١ - الاحتياط المطلق فى قضيه الدماء:
- ٧٤٦ ١٠٢ - لا يجوز تثبيت الحكم بإراقه الدماء:
- ٧٤٦ ١٠٣ - لا عذر للحاكم فى قتل العمدة، و فى الخطأ لا بد من تحمّل النتائج:
- ٧٤٧ ١٠٤ - الإعجاب و الزهو حائل الشيطان للحكام:
- ٧٤٧ ١٠٥ - ليس من حق الحاكم المنّ على الرعيه و الابتعاد عن الأخلاق:
- ٧٤٧ ١٠٦ - الحذر من الانسياق وراء الغضب:
- ٧٤٨ ١٠٧ - ضروره وضع كل أمر موضعه بلا استبطاء أو عجله:
- ٧٤٨ ١٠٨ - الاستئثار بأمر الناس ظلم فاضح:
- ٧٤٨ ١٠٩ - الأخذ بعادات الحكومات العادله و سنّه رسول الله و التقيّد بالشرع و الالتزام بالأخلاق و الأصول واجب الحاكم:
- ٧٤٩ ١١٠ - الدعاء للاستمرار فيما فيه حسن الثناء و جميل الأثر:
- ٧٥٠ دعاء و مناجاه
- ٧٥٠ اشاره
- ٧٥٧ مناجاه
- ٧٦٢ وصايا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم للإمام عليه السلام

٧٨٦	وصيه الإمام الأخيره
٧٩٢	الفهارس
٧٩٢	فهرست الآيات
٨٠٩	فهارس كتاب أخلاقيات أمير المؤمنين
٨٠٩	اشاره
٨١٢	(٢) الكتب و المصاحف
٨١٤	(٣) الأعلام
٨٢٨	(٤) النساء
٨٣١	(٥) القبائل و الأقوام و الأحزاب
٨٣٧	(٦) الألقاب
٨٣٩	(٧) المدن و البقاع و الأماكن
٨٤٤	(٨) المعاهدات و الاتفاقيات
٨٤٥	(٩) المعارك و الحروب
٨٤٦	(١٠) أسماء الآله
٨٤٧	(١٢) المصادر و المراجع
٨٦١	الفهرس
٨٧٢	تعريف مركز

اخلاقيات الامام على امير المومنين عليه السلام

اشاره

پديد آوران: مدرسى، هادى (نويسنده)

اخلاقيات الامام على امير المومنين (عليه السلام)

عنوان هاى ديگر: قراءه فى تعاملات الإمام من موقع المؤمن الصادق و المعارض المخلص، و الحاكم العادل

ناشر: دار العلوم

مكان نشر: بيروت - لبنان

سال نشر: ۱۴۳۱ ق يا ۲۰۱۰ م

چاپ: ۱

موضوع: اخلاق اسلامى

على بن ابيطالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - اخلاق

على بن ابيطالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - خطبه ها

زبان: عربى

تعداد جلد: ۳ ج

كد كنگره: ۳۷/۴ BP / م ۴ الف ۳

ص: ۱

المجلد ۱

اشاره

اخلاقيات الامام على امير المؤمنين (عليه السلام)

ص: ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
(٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

ص: ٥

الحمد لله رب العالمين و الصلاة على محمد سيد المرسلين و على أهل بيته الطيبين الطاهرين.

- على أى منهج نسير فى الحياه؟

و ما هو النموذج الأفضل لنظامنا؟

- من هو القدوة فى ذلك؟

و ما هو الميزان؟

تلك هى بعض الأسئلة التى يحاول هذا الكتاب الإجابة عليها، من خلال استعراض مواقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و كلماته و حكمه. باعتبارها منهجا متكاملا للحياه، و نموذجا فريدا للاقتداء..

ذلك أنّ هذا الكتاب ليس سردا تاريخيا لحياه الإمام، و لا محاوله لتسليط الضوء على أبعاد شخصيته الكريمة، و تراثه المجيد، لأنه لا- يتحدث عن الماضى برجاله و تاريخه للهروب من الحاضر و التراجع إلى الوراء، بل يتحدث عن الماضى لإعادته إلى الحاضر، و الانطلاق به إلى المستقبل..

إنه محاوله لتصوّر الإمام حاضرا بيننا، يمشى معنا فى الأسواق، و يتعامل مع الناس، و يصدر تعليماته لهم و يبين رؤاه، لكى نتبين على ضوءها مواقع أقدامنا، و واجبات أمتنا فى الوقت الحاضر..

و لقد أتمدت فى تأليف هذا الكتاب، على الاستفاده من كلمات الإمام و استشراف بصائره حول كل موضوع، و ذكر مواقفه عليه السلام، ليس من خلال سياقها التاريخى، لأن الجوهر الذى انصب التأليف عليه كان توضيح الجانب الأخلاقى فى حياه الإمام الفرديه، و الاجتماعيه و السياسيه باعتباره النموذج الصالح للعبد المؤمن، و الحاكم العادل، و المعارض الحكيم.. و آثرت أن أذكر النص التاريخى من غير تدخل فيه أو تصرف، مع ذكر المصدر، و ثبت الصفحات..

و قسّمت الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أخلاقيات المؤمن.

القسم الثانى: أخلاقيات المعارضه.

القسم الثالث: أخلاقيات الحاكم.

و من الله أستمد التوفيق، إنه من وراء القصد.

هادى المدرسى

١٠/٦/١٤١٠ هـ - ١٧/١/١٩٩٠ م

ص: ٨

تتمحور حياة الناس عادة حول إحدى محاور ثلاثه:

الأول: محور الإيمان بالله، و ما يتعلق به من قضايا العباده و الأخلاق، و الالتزام بالأحكام..

الثاني: محور «قضية» معينه ترتبط بقيمه من القيم، أو مصلحة من المصالح العامه.

الثالث: محور الذات، و ما يتعلّق بها من الشهوات و الملذات و المصالح.

و غالبية الناس عادة هم من الذين تدور حياتهم حول المحور الثالث، ذلك لأنه زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١).

ص: ١١

١- سورة آل عمران، الآية: ١٤.

وقله هم الذين يتحملون قضيه معينه، و يناضلون من أجلها كتحرير بلدانهم، أو تحقيق العدالة فيها، أو الاستقلال لها أو ما شابه.

أما الأقلون فهم المؤمنون الذين تدور حياتهم حول الإيمان بالله.. و من ثم العمل من أجل الآخرة.

و هؤلاء هم الذين قال عنهم ربنا: وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ (١)...

و هم المتقون الذين يشفقون من أمر ربهم، و هم «أهل الفضائل» (٢).

و يميزهم عن غيرهم أن «منطقهم الصواب، و ملبسهم الاقتصاد و مشيهم التواضع، غصوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، و وقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم. نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالتى نزلت فى الرخاء، و لولا الأجل اللذى كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفه عين، شوقا إلى الثواب، و خوفا من العقاب. عظم الخالق فى أنفسهم فصغر ما دون ذلك فى أعينهم» (٣).

أما فيما يرتبط بالحياه الدنيا، فهم لا ينسون نصيبهم منها،

ص: ١٢

١- سوره سبأ، الآيه: ١٣.

٢- نهج البلاغه: الخطب ١٩٣.

٣- المصدر السابق.

و لكن قلوبهم متعلقه بالآخره «فهم و الجنه كمن قد رآها فهم فيها منعمون، و هم و النار كمن قد رآها فهم فيها معذبون.

قلوبهم محزون و شرورهم مأمونه، و أجسادهم نحيفه، و حاجاتهم خفيفه، و أنفسهم عفيفه»(١).

«صبروا أياما قصيره، أعقبتم راحه طويله، تجاره مريحه يسيرها لهم ربهم. أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، و أسرتهم ففدوا أنفسهم منها»(٢).

تلك هي من أقوى ميزات أهل التقوى، فالدنيا التي يريدونها أصحاب الملذات و المصالح، و يركضون وراءها، أرادتهم و لكنهم لم يريدوها و قصدتهم و لكنهم رفضوها، لأنهم أرادوا الآخره و ما فيها من النعيم المقيم. و حينما أسرتهم الدنيا، فدوا أنفسهم بمجاهده النفس و العباده و الطاعه و الخشوع..

«أما الليل فصافون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتلون تراتيلا يحزنون به أنفسهم و يستشيرون به دواء دائهم»(٣).

غير أن تلاوتهم للقرآن ليست تلاوه ألفاظ، بل تلاوه تفاعل و تأمل و عمل «فإذا مرّوا بآيه فيها تشويق ركنوا إليها

ص: ١٣

١- المصدر السابق.

٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق.

طمعا و تطلعت نفوسهم إليها شوقا، و ظنوا أنها نصب أعينهم.

و إذا مرّوا بآيه فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، و ظنوا أن زفير جهنم و شهيقها فى أصول آذانهم»(١).

إن العباده بالنسبه إليهم عمل مستقلّ، و ليس مقدمه لحاجه أخرى، فلا يراؤون بعبادتهم، و لا يتظاهرون بها.. «فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجباههم، و أكفّهم، و ركبهم، و أطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله تعالى فى فكاك رقابهم»(٢).

و لا يعنى ذلك أنهم يعبدون الله تعالى بالصلاه وحدها، بل يعبدونه بكل وجودهم، بالنشاط، و الجهاد، و العلم و الحلم و كثره العمل، فهم فى الليل - حيث الآخرون يغطون فى النوم - يعبدون ربهم «و أمّا فى النهار فحلما، علماء، أبرار، أتقياء.

قد براهم الخوف برى القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، و ما بالقوم من مرض. و يقول لقد خولطوا، و لقد خالطهم أمر عظيم، لا يرضون من أعمالهم القليل، و لا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، و من أعمالهم مشفقون»(٣).

ص: ١٤

١- المصدر السابق.

٢- المصدر السابق.

٣- نهج البلاغه: الخطب ١٩٣.

و لذلك فإنهم متواضعون جدا، بعيدون عن الزهو والخيلاء: «إذا زكّى أحد منهم خاف مما يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسى من غيرى، و ربّى أعلم بى منّى بنفسى. اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون، و اجعلنى أفضل مما يظنون و اغفر لى ما لا يعلمون»(١).

و لا شك أن رجالا من هذا الطراز يتمتعون بصفات شخصيه عاليه إذ «من علامه أحدهم أنك ترى له قوه فى دين، و حزم فى لين، و إيمانا فى يقين، و حرصا فى علم، و علما فى حلم، و قصدا فى غنى، و خشوعا فى عبادته، و تجمّلا فى فاقه، و صبرا فى شدّه، و طلبا فى حلال، و نشاطا فى هدى، و تحرّجا عن طمع، يعمل الأعمال الصالحه و هو على وجل، يمسى و همّه الشكر، و يصبح و همّه الذكر. بيت حذرا، و يصبح فرحا، حذرا لما حذر من الغفله، و فرحا بما أصاب من الفضل و الرّحمه»(٢).

و هؤلاء أشدّاء مع النفس، فلا يسلسون القياد لذواتهم فيما تحب أو تكره. فإن أحدهم «إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب»(٣).

ص: ١٥

١- نهج البلاغه: الخطب ١٩٣.

٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق.

و هم لهذا زهّاد في أمور الدنيا، حريصون على أعمال الآخرة، فترى أحدهم «قره عينه فيما لا يزول، و زهادته فيما لا يبقى، يمزج الحلم بالعلم، و القول بالعمل، تراه قريبا أمله، قليلا زلله، خاشعا قلبه، قانعه نفسه منزورا أكله، سهلا أمره، حريزا دينه، ميتة شهوته مكظوما غيظه»(١).

أ ترى أن من كان الإيمان بالله محور حياته، هل يؤدي أحدا؟ و هل يترك عملا صالحا؟ و هل يتعامل بالأحقاد؟

لا- شك أن مثل هذا النموذج «الخير منه مأمول، و الشرّ منه مأمون، إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين، و إن كان في الذاكرين، لم يكتب في الغافلين. يعفو عمّن ظلمه، و يعطي من حرمه، و يصل من قطعه، بعيدا فحشه، لينا قوله، غائبا منكره، حاضرا معروفه، مقبلا خيره، مدبرا شرّه، في الزلازل وقور، و في المكاره صبور، و في الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، و لا يأثم فيمن يحب، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه، لا- يضيع ما استحفظ و لا ينسى ما ذكر، و لا يناز بالألقاب و لا يضار بالجار، و لا- يشمت بالمصائب و لا يدخل في الباطل، و لا يخرج من الحق، إن صمت لم يغمّه صمته، و إن ضحك لم يعل صوته، و إن بغى عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له،

ص: ١٤

١- المصدر السابق.

نفسه منه فى عناء و الناس منه فى راحه، أتعب نفسه لآخرته و أراح الناس من نفسه، بعده عمّن تباعد عنه زهد و نراهه، و دنوّه ممّن دنا منه لين و رحمه، ليس تباعده بكبر و عظمه و لا دنوّه بمكر و خديعه..»(١).

و حياه على أمير المؤمنين عليه السّلام تطبيق دقيق لهذه المواصفات: محورها رضا الله، و هدفها عبادته، و مفرداتها العمل الصالح فى كل مواقفه.

و لا- شك أن من لا يفهم «تقوى الإمام» يحتار فى تفسير كثير من مواقفه، و قد يتساءل كما تساءل بعض معاصريه: هل للإمام علم بأصول السياسه أو كما قال بعضهم: «إن ابن أبى طالب رجل شجاع و لكن لا علم له بالحرب»(٢).

إن كثيرا من الخطط الممكنه، و الخطوات التى نصحه البعض بها لإحراز الانتصار كانت فى الحقيقه تصطدم بإيمان الإمام عليه السّلام، و التزامه بالأخلاق، و تعهده للرساله، و زهده فى الحياه الدنيا.

إن نقاد التاريخ ربما نظروا إلى المسائل من خلال عينيّ السياسى، و ليس من خلال عينيّ المؤمن.. لأن البوصله فى قلب السياسى ربما تتجه نحو النجاح بأى ثمن، و لكن بوصله

ص: ١٧

١- نهج البلاغه: الخطب ١٩٣.

٢- الكامل - للمبرد: ج ١، ص ١٣.

المؤمن تتجّه نحو الإيمان و الالتزام بالقيم، و الحفاظ على التقوى.

و من هنا فإنّ العباده عند الإمام - و هو رئيس دوله - لم تصبح «فرعا» بل بقيت «أصلا» و الخشوع لله لم يتحوّل إلى قضيه هامشيه، لانشغاله بأمر الدوله مثلا.. فأى شىء أهم من عباده الله، و كسب رضاه؟

لقد أوصى الإمام «محمد بن أبى بكر» حين ولّاه مصر، بقوله: «لا تسخط الله برضى أحد من خلقه، فإن فى الله خلفا من غيره، و ليس من الله خلف فى غيره».

و أضاف: «صلّ الصلاه لوقتها المؤقت لها، و لا- تعجل وقتها لفراغ، و لا تؤخرها عن وقتها لاشتغال، و اعلم أن كل شىء من عملك تبع لصلاتك»(١).

حقا كان الإمام ممّن قال عنهم ربنا رجالٌ لا تُلهيهم تجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيْتَاءِ الزَّكَاةِ (٢).

فلقد «كان أمير المؤمنين أعبد الناس و أكثرهم صلاه و صوما، و منه تعلّم الناس صلاه الليل و ملازمه الأوراد و قيام النافله، و ما ظنك برجل يبلغ من محافظته على عبادته أن يبسط له قطع ما بين الصّفين ليله الهرير فيصلّى عليه، و يؤدّى ورده

ص: ١٨

١- نهج البلاغه، باب الكتب.

٢- سوره النور، الآيه: ٣٧.

بينما السهام تقع بين يديه تمرّ على صماخيه يمينا و شمالا فلا يرتاع لذلك، و لا يقوم حتّى يفرغ من وظيفته.

«و ما ظنّك برجل كانت جبهته كثفنه البعير لطول سجوده، و أنت إذا تأملت دعواته و مناجاته، و وقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه و إجلاله، و ما يتضمّنه من الخضوع لهيبته و الخشوع لعزّته و الاستحذاء له، عرفت ما ينطوى عليه من الإخلاص، و فهمت من أيّ قلب خرجت و على أيّ لسان جرت»(١).

و حينما قال له أحدهم ليله الهرير: «يا أمير المؤمنين..

ألا تؤجلها، أي الصلاة؟».

قال: «ويلك! و على م نقاتلهم؟».

إن التقوى عند الإمام هي المحور، لا السياسة.. و الصلاة عنده الأهم لا الزعامه.. و الخشوع عنده الأساس لا الانتصار.. و هو إذ يقاتل مناوئيه فلكى يؤمنوا بالله، و يعبدوه، لا لكى يتأمر عليهم.. كما كان مناوئوه يفعلون!

كان الإمام يرى «الصلاة قربان كل تقى»(٢) و «معراج كل مؤمن» و لذلك فإنه كان يكثر منها.. و هو العارف بحقيقه الصلاة..

ص: ١٩

١- ابن أبي الحديد - شرح النهج: ج ١، ص ٢٦٥.

٢- الخصال - للصدوق: ج ٢، ص ١٦٢.

كان يعلم أن العبادة ليست مظهرًا، إنما قيمتها بمقدار ما تضيء في القلب من نور التقوى و كان يقول: «ليست الصلاة قيامك و قعودك و إنما الصلاة إخلاصك»(١).

و لإخلاصه و إيمانه و تقواه، كان إذا حضر وقت الصلاة، يتلون وجهه عليه السلام و يتزلزل فيقال له: ما لك؟

فيقول: «جاء وقت أمانه عرضها الله تعالى على السماوات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها، و حملها الإنسان في ضعفه، فلا أدري أحسن إذا ما حملت أم لا؟»(٢).

يقول حفيده الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «صلى أمير المؤمنين عليه السلام الفجر، ثم لم يزل في موضعه حتى صارت الشمس على قدر رمح، و أقبل على الناس بوجهه فقال: «و الله لقد أدركت أقواما يبيتون لربهم سجدا و قياما يخالفون بين جباههم و ركبهم، كأنّ زفير النار في آذانهم، إذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر»!

ثم قام، فما رئي ضاحكا حتى قبض(٣).

و كما كان يقيم الصلاة، فإنه كان يطلب من المؤمنين أن يتعاهدوا أمرها. و كان يقول عليه السلام: «تعاهدوا أمر الصلاة،

ص: ٢٠

١- علي إمام المتقين: ج ١، ص ٥١.

٢- بحار الانوار: ج ٤١، ص ١٧.

٣- الكافي: ج ٣، ص ٢٣٦.

و حافظوا عليها و استكثروا منها، و تقرّبوا بها فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً (١) أ لا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا ما سئلككم في سقر (٤٢) قالوا لم نك من المصلين (٢) و إنها لتحت الذنوب حتّ الورق و تطلقها إطلاق الربق، و شبهها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالحمة تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في اليوم و الليله خمس مرات، فما عسى أن يبقى عليه من الدرن؟ و قد عرف حقها رجال من المؤمنين العذّين لا تشغلهم عنها زينه متاع، و لا قرّه عين من ولد و لا مال. يقول الله سبحانه: رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة (٣). و كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نصبا بالصلاه بعد التبشير له بالجنه لقول الله سبحانه: و أمر أهلك بالصلاه و اضطبر عليها (٤). فكان يأمر بها أهله، و يصبر عليها نفسه (٥).

فلا- الإمارة، و لا- الزعامه، و لا- الحروب، و لا الأموال، و لا النساء و لا الأولاد شغلت عليا عليه السلام عن الصلاه، و العباده، و البكاء من خشية جبار السموات و الأرضين.

ص: ٢١

١- سورة النساء، الآية: ١٠٣.

٢- سورة المدثر، الآيتان: ٤٢، ٤٣.

٣- سورة النور، الآية: ٣٧.

٤- سورة طه، الآية: ١٣٢.

٥- نهج البلاغه: الخطب ١٩٩.

و قد روى فى ذلك أن ضرار بن ضميره دخل على معاويه، فقال له معاويه: صف لى علياً؟

فقال: أو تعينى من ذلك؟

فقال: لا أعفيك!

فقال: «كان و الله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فضلاً و يحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، و تنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا و زهرتها، و يستأنس بالليل و وحشته.. كان و الله غزير العبره، طويل الفكره، يقلب كفيه، و يخاطبه نفسه، و يناجى ربه، يعجبه من اللباس ما خشن، و من الطعام ما جشب.. كان و الله فينا كأحدنا يدنينا إذا أتينا، و يجينا إذا سألناه و كان مع دنوه منّا و قربنا منه لا- نكلّمه لهيبته، و لا- نرفع عيننا لعظمته، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، و يحب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله، و لا ييأس الفقير من عدله».

فقال معاويه: زدنى فى صفته.

فقال ضرار: «رحم الله عليا عليه السلام كان و الله طويل السهاد، قليل الرقاد، يتلو كتاب الله أناء الليل و أطراف النهار، و يوجد الله بمهجته، و يبوء إليه بعبرته لا تغلق له الستور، و لا يدخر عنّا البدور، و لا يستلين الانتكاء، و لا يستخس الجفاء، فأشهد

بالله لقد رأيتَه في بعض مواقفه و قد أرخى الليل سدوله، و غارت نجومه و هو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تمللم السليم و يبكي بكاء الحزين، فكأنني الآن أسمعُه و هو يقول:

«يا دنيا أبا تعرّضت؟ أم إلى تشوّقت؟ هيهات هيهات غزى غيرى لا حاجه لى فيك، قد طلّقتك ثلاثا لا رجعه لى فيها، فعمرك قصير و خطرک يسير و أملكك حقير، آه، آه، من قلّه الزّاد و بعد السّفر، و وحشه الطّريق و عظيم المورد».

فسالت دموع معاويه على لحيته فنشفها بكمّه، ثم قال:

«كان و الله أبو الحسن كذلك، فكيف صبرك عنه يا ضرار؟»

قال ضرار: «صبر من ذبح واحدها على صدرها، فهي لا ترقى عبرتها و لا تسكن حسرتها، ثم قام و خرج و هو باك»^(١).

ثم إن العباده لم تكن عند الإمام مجرد خشيه من النار، أو رغبه في الجنه، بل كانت عباده من يعرف حق مولاه، و عظمه سيده، و يريد أن يؤدّي ذلك الحق.. و هو القائل:

«إنّ قوما عبدوا الله رغبه فتلك عبادته التجار، و إنّ قوما

ص: ٢٣

١- إرشاد القلوب: ص ١٣-١٤.

عبدوا الله رهبة فتلك عباده العبيد، و إن قوما عبدوا الله شكرا فتلك عباده الأحرار»(١).

و القائل: «إلهي.. ما عبدتك إذ عبدتك خوفا من نارك، و لا طمعا في جنتك، بل وجدتک أهلا للعبادة فعبدتك».

و لقد كان الإمام يتمتع بذلك الإخلاص الذي لا يوصف، لأنه كان موقرا في قلبه، ساريا في خلجات روحه، شاغلا لثبه..

و كيف يمكن أن نزن مدى إخلاص الإمام لربه؟ و كيف يمكننا الإحاطة ببحر حبه؟

لقد قال مره: «عباد الله.. إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه، و إن أغشهم لنفسه أعصاهم لربه، و المغبون من غبن نفسه و المغبوط من سلم له دينه. و اعلموا أن يسير الرياء شرك»(٢).

فلم يكن الإمام يعمل للناس، و لا يعبد الله لرياء..!

و كان كما قال عن «المؤمن لا يمسي و لا يصبح إلا و نفسه ظنون عنده»(٣).

و لذلك كان يعمل لله، و يعطى لله، و هو مع ذلك لا يرى ما فعله كافيا.. فقد روى أنه:

ص: ٢٤

١- محاضرات الأدباء: ج ١، ص ١٤.

٢- المحاسن - للبرقي: ص ٢٣٣.

٣- نهج البلاغه: الخطب ١٧٦.

«قيل لعلّي عليه السلام: كم تتصدق؟ كم تخرج من مالك؟ ألا تمسك؟

فقال: «إني والله لو أعلم أن الله تعالى قبل منّي فرضاً واحداً لأمسكت، ولكنني والله لا أدرى أقبل سبحانه منّي شيئاً، أم لا» (١).

و مع كل ما أثر عنه من العبادة، و الجهاد، و الطاعة، و العمل الصالح، و الزهد و التقوى، فهو لم يزل يتهم نفسه، و يخشى أن لا تقبل عبادته..

و هذا لعمري هو الإخلاص بعينه، و الخضوع للحق بعينه، و الصدق مع الله بعينه..

و الحق أن من يعرف الله حقّ قدره، لا يتوانى عن عبادته، و أن من يخشى الله في سرّه تتجافى جنوبه عن المضاجع لمناجاته.. و هكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام. فقد روى عن حبه العرنى قال: «رأيت علياً عليه السلام ليلة في «رحبه القصر» واضعاً يده على الحائط شبيه الواله، و هو يقول: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ الْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَضْرِيْفِ الرِّيَّاحِ وَ السَّحَابِ

ص: ٢٥

١- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١٣٨.

الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١).. و أخذ يقرأ هذه الآيه و يكررها، و يمرّ شبه الطائر عقله!

فقال لى: «يا حبه: أ راقد أنت أم راقم؟

قلت: بل راقم.. يا أمير المؤمنين، أنت هكذا فكيف نحن؟

فأرخى عينيه و بكى، ثم قال: «يا حبه.. إن الله أقرب إلّى و إليك من جبل الوريد، يا حبه إنه لن يحجبني و لا إياك عن الله شىء»..

ثم قال: «إن طال بكاؤك فى هذا الليل مخافه من الله تعالى، قرّت عيناك غدا بين يدى الله عزّ و جلّ. إنّه ليس قطره قطرت من عين رجل من خشيه الله إلاّ أطفأت بحارا من النيران، و إنه ليس من رجل أعظم منزله عند الله من رجل بكى من خشيه الله، و أحبّ فى الله، و أبغض فى الله، إنه من أحبّ فى الله لم يستأثر على محبته، و من أبغض فى الله لم ينل ببغضه إلاّ خيرا».

ثم جعل يمرّ و هو يقول: «ليت شعرى فى غفلاتى أ معرض أنت عنّى أم ناظر إلّى؟ و ليت شعرى فى طول منامى و قلّه شكرى فى نعمك علىّ، ما حالى؟» (٢).

ص: ٢٤

١- سورة البقره، الآيه: ١٦٤.

٢- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٢٣-٢٢.

و لقد كانت عباده الإمام متميزه عند صحابه رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم، فبمقدار ما كان يقينه بالله عظيما كان اجتهاده فى عبادته شديدا. و كان يعبد الله كأنه يراه، و يخشاه و كأنه فى حفرة، و يتهيبه و كأنه معه.. لقد كان كما قال لأصحابه: «لا يرجون أحد منكم إلا ربّه، و لا يخافن إلا ذنبه»^(١) أو كما قال:

«من أصلح سريره أصلح الله علانيته»^(٢). فقد انشغل بإصلاح سريره، و رجا ربه، و خاف ذنبه فكان أكثر الناس عباده و خشوعا لله تعالى..

و قد روى فى ذلك عروه بن الزبير قال: «كنا جلوسا فى مجلس فى مسجد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم فتذاكرنا أعمال أهل بدر و بيعه الرضوان.

فقال أبو الدرداء: «يا قوم ألا أخبركم بأقلّ القوم مالا و أكثرهم ورعا و أشدهم اجتهادا فى العبادة؟

قالوا: من؟

قال: أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام.

قال عروه: «فو الله إن كان فى جماعه أهل المجلس إلا معرض عنه بوجهه، ثم انتدب له رجل من الأنصار فقال له: يا عويمر لقد تكلمت بكلمه ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها.

ص: ٢٧

١- حليه الأولياء: ج ١، ص ٧٥.

٢- نهج البلاغه: الحكم، ٤٢٣.

فقال أبو الدرداء: «يا قوم إنني قائل ما رأيت، و ليقل كل قوم منكم ما رأوا، شهدت علي بن أبي طالب عليه السلام بشويحطات النجار، و قد اعتزل عن مواليه و اختفى ممن يليه، و استتر بمغيلات النخل، فافتقدته و بعد علي مكانه، فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين و نغمه شجي و هو يقول: «إلهي، كم من موبقه حلمت عن مقابلتها بنقمتك؟، و كم من جريره تكرمت عن كشفها بكرمك؟ إلهي إن طال في عصيانك عمري و عظم في الصحف ذنبي فما أنا مؤمّل غير غفرانك، و لا أنا براج غير رضوانك».

فشغلني الصوت و اقتفيت الأثر، فإذا هو علي عليه السلام بعينه، فاستترت له و أخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فرغ إلى الدعاء و البكاء و البثّ و الشكوى، فكان ممّا به الله ناجاه أن قال: «إلهي، أفكر في عفوك فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي».

ثم قال: «آه إن أنا قرأت في الصّحف سيئه أنا ناسيها و أنت محصيها!، فتقول: خذوه فَعَلُّوه (١) فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، و لا تنفعه قبيلته، يرحمه الملاء إذا أذن فيه بالنداء.

ص: ٢٨

ثم قال: «آه.. من نار تنضج الأكباد و الكلى، آه.. من نار نزاعه للشوى، آه من غمره من ملهبات لظى».

ثم أنعم في البكاء فلم أسمع له حسًا ولا حركة، فقلت:

غلب عليه النوم لطول السهر، أوقفه لصلاه الفجر، فأتيته فإذا هو كالخشبه الملقاه، فحرّكته فلم يتحرّك، و زويته فلم ينزرو، فقلت:
إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ (١) مات و الله على بن أبى طالب:

فأتيت منزله مبادرا أنعاه إليهم، فقالت زوجته: يا أبا الدرداء ما كان من شأنه و من قصّته؟ فأخبرتها الخبر.

فقلت: هي و الله يا أبا الدرداء الغشيه التي تأخذه من خشيه الله.

ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق، و نظر إليّ و أنا أبكى، فقال: ممّا بكأوك يا أبا الدرداء؟

فقلت: ممّا أراه تنزله بنفسك.

فقال: «يا أبا الدرداء فكيف و لو رأيتنى، و دعى بى إلى الحساب، و أيقن أهل الجرائم بالعذاب، و احتوشتنى ملائكه غلاظ و زبانيه فظاظ، فوقفتم بين يدى الملك الجبار، قد

ص: ٢٩

أسلمنى الأحبار، ورحمنى أهل الدنيا، لكنك أشدّ رحمه لى بين يدى من لا تخفى عليه خافيه».

فقال أبو الدرداء: فو الله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١).

و لقد كانت تقوى الإمام عليه السّلام منذ صغره تقوى العارف بالله، و الخاشع لجبروته، فقد روى أنه حينما وقف يصلى مع رسول الله علنا، و هو ابن عشر سنوات، قال له بعض المشركين: هل استشرت أباك حينما عبدت الله؟

فأجاب عليه السّلام: «و هل استشار الله أبى حينما خلقتى»؟.

و حينما كان لا يزال شابا، و من أصغر صحابه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جلس مع رسول الله و بعض الصحابه فى المسجد، و كان أحدهم يقرأ القرآن حتى بلغ الآية: وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً (٢) قال الرسول و هو يحاور صحابته: «قولوا آمّن قولكم: ما أول نعمه رغبتكم الله تعالى فيها و بلاكم بها»؟ فذكروا نعمه الله أنعم عليهم بها من العافيه، و المال و الذريه و الأزواج، فقبل منهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

ص: ٣٠

١- أمالى الصدوق: ص ٤٨-٤٩.

٢- سوره لقمان، الآية: ٢٠.

ما قالوه، و لم يستزد واحدا منهم إلا عليا عليه السلام. فقد التفت النبي إلى علي بن أبي طالب، و كان أصغرهم سنا و قال:
«يا أبا الحسن قل، فقد قال أصحابك».

فقال: «و كيف لي بالقول فداك أبي و أمي و إنما هداانا الله بك»!؟.

قال: «و مع ذلك فهات، قل ما أول نعمه بلاك الله عزّ و جلّ و أنعم عليك بها؟

قال: «أن خلقتني جلّ ثناؤه و لم أك شيئا مذكورا». و لم يكتف الرسول بهذا الجواب بل قال: «صدقت فما الثانيه؟»

قال: «أن أحيتني إذ خلقتني فجعلني حيا لا ميتا».

قال: «صدقت فما الثالثه؟»

قال: «أن أنشأني - فله الحمد - في أحسن صورته و أعدل تركيب».

قال: «صدقت فما الرابعه؟»

قال: «أن جعلني متفكرا راغبا، لا ساهيا».

قال: «صدقت فما الخامسه؟»

قال: «أن جعل لي مشاعر أدرك بها ما ابتغيت و جعل لي سراجا منيرا (أي عقلا يكشف الحق و الباطل و الحسن و القبح)».

قال: «صدقت فما السادسة»؟

قال: «أن هَدَانِي لِدِينِهِ وَ لَمْ يَضَلَّنِي عَنْ سَبِيلِهِ».

قال: «صدقت فما السابعة»؟

قال: «أن جعل لي مردًا في حياهِ لا انقطاع لَهَا».

قال: «صدقت فما الثامنة»؟

قال: «أن جعلني ملكا مالكا لا مملوكا».

قال: «صدقت فما التاسعة»؟

قال: «أن سَخَّرَ لِي سَمَاءَهُ وَ أَرْضَهُ وَ مَا فِيهِمَا وَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ خَلْقِهِ».

و قال: «صدقت فما العاشرة»؟

فأطرق عليّ قليلا ثم قال في دعابه: «أن خلقتني ذكرا و لم يخلقني أنثى». فضحكوا حتى بدت نواجذهم.

قال الرسول: «و ما بعد هذا»؟

قال: «كثرت نعم الله يا نبي الله فطابت، وَ إِنَّ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا (١)».

فتبسّم رسول الله في رضا عنه و قال: «ليهنك الحكمة، ليهنك العلم يا أبا الحسن. أنت وارث علمي و الممين لأمتي ما اختلفت فيه بعدى. من أحبك لدينك و أخذ بسبيلك فهو

ص: ٣٢

١- سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

ممن هدى إلى صراط مستقيم. و من رغب عن هداك و أبغضك لقي الله يوم القيامة لا خلاق له»(١).

و فى الحقيقة فإن التقوى عن الإمام، كانت محور حياته، و منها تشعبت صفاته العظيمة، و أخلاقه الكريمة، و لو أردنا أن نشبهه تقواه بشيء فلا بد أن نقول إن حياة الإمام كانت مثل شجره باسقه، جذورها التقوى، و جذعها الإخلاص، و أغصانها الأعمال الصالحة، و ثمارها الأخلاق الفاضله..

و كما قال «التقى رئيس الأخلاق»(٢) فإن تقواه كانت منبع أخلاقه، و ما من موقف وقفه فى عمره الكريم كله إلا و كان للتقوى فيه أثر واضح.. و كان فى ذلك ينافس أنبياء الله العظام، فى الوقت الذى كان الآخرون يتنافسون فيما بينهم على الدنيا و زينتها و زبرجها..

و لذلك «كان إذا بدهه أمران ينظر أيهما أقرب إلى الهوى فيخالفه»(٣) و لقد «أحيا عقله، و أمات نفسه حتى دق جليله، و لطف غليظه»(٤).

ص: ٣٣

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٥٢-٥٣.

٢- مجمع الأمثال: ج ٢، ص ٤٥٤.

٣- الأدب الكبير - لابن المقفع: ص ١٤٥.

٤- غرر الحكم: ٢٣٣.

كان يرى التقوى هي المنار، و هي المنجاه، و هي الوسيله، و هي الهدف.. فكان يقول: «أوصيكم عباد الله، بتقوى الله، التي هي الزاد، و بها المعاذ: زاد مبلغ و معاذ منجح. دعا إليها أسمع داع، و وعاءها خير واع، فأسمع داعيها، و فاز واعياها»^(١).

فالتقوى الحرز هنا، و الحرز يوم القيامة. كان عليه السلام يقول: «عباد الله! أوصيكم بتقوى الله، فإنها حق الله عليكم، و الموجه على الله حَقَّكم، و أن تستعينوا بها على الله. فإن التقوى في اليوم الحرز و الجنه، و في غد الطريق إلى الجنه»^(٢).

و هكذا فإن «التقوى» هي وصيته الرئيسي و الأساسيه التي يبدأ بها أكثر خطبه، و رسائله، و نصائحه..

و لربما كان ينصح أحد ولده بوصايا كثيره، ثم يقول له:

«و اعلم يا بنى، إن أحبَّ ما أنت آخذ به، من وصيتي: تقوى الله.. و ابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانه باللهك، و الرغبة إليه في توفيقك»^(٣).

و كان يرى التقوى عملا يوميا، يجب أن يلتزم به المؤمن في سره و علانيته، و في إيمانه و عمله، و في كل صغيره و كبيره

ص: ٣٤

١- نهج البلاغه: الخطب ١٤٤.

٢- نهج البلاغه: الخطب ١٩١.

٣- نهج البلاغه: الكتب ٣١.

من أعماله. و كان يقول لبعض أصحابه: «أتق الله فيما لديك» (١) و يقول: «أتق الله في كل صباح و مساء» (٢).

و يطالب المؤمن، و لو ببعض التقوى، و يقول: «أتق الله ببعض التقى، و إن قل، و اجعل بينك و بين الله سترا و إن رقب» (٣).

فالتقوى شيء عظيم، و أمر جليل، حتى أنه «لا يقلّ عمل مع التقوى، و كيف يقل ما يتقبل» (٤)؟.

فلا بدّ من الحفاظ على هذه الجواهر الثمينه، و التي بها تحرز الجنّه، و عليها الحساب يوم نلقى الله.. لأنها جوهر العبادات، و لباب الطاعات، و رادعه الموبقات، و ماحيه السيئات..

يقول الإمام عليه السلام: «أيقظوا بها (التقوى) نومكم، و اقطعوا بها يومكم، و أشعروها قلوبكم، و أرحضوا بها ذنوبكم، و داووا بها الأسقام، و بادروا بها الحمام» (٥).

و قد يسأل البعض ما هي التقوى؟

ص: ٣٥

١- الطراز - لليمانى: ج ٢، ص ١٢٣.

٢- كتاب صفين: ص ١٢١.

٣- غرر الحكم و درر الكلم ٦٣.

٤- حليه الأولياء: ج ١، ص ٧٥.

٥- نهج البلاغه: الخطب ١٩١.

و الجواب: أن نرى الله تعالى حاضرا في كل مكان، و شاهدا في كل موقع، فلا نعمل ما لا يرضاه، و لا نرتكب ما نهى عنه، و لا نترك ما أوجبه.. و نصلح سرائرنا كما نحاول أن نصلح علانيتنا..

يقول الإمام عليه السلام: «أتقوا معاصي الله في الخلوات، فإن الشاهد هو الحاكم»^(١).

و يقول: «طوبى لمن ذلّ (لله) في نفسه، و طاب كسبه، و صلحت سريرته»^(٢).

و يقول: «و لا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم»^(٣).

إذن، فإن «من لم يختلف سرّه و علانيته، و فعله و مقالته فقد أدّى الأمانه، و أخلص العباده»^(٤).

فإصلاح السريره، و إخلاص التّيه، و تطهير الدوافع، و تركيه النفس، هي الخطوه الأولى في التقوى، و المدخل إلى إصلاح العمل، لأن «من أصلح ما بينه و بين الله، أصلح الله ما بينه، و بين الناس»^(٥)، «و من أصلح أمر آخرته، أصلح الله له

ص: ٣٦

١- نهج البلاغه: الحكم ٣٢٤.

٢- روضه الواعظين: ٤٩٠.

٣- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٩٨.

٤- دعائم الإسلام: ج ١، ص ٢٥٢.

٥- المحاسن - للبرقي: ج ١، ص ٢٩.

أمر دنياه (١) لأن وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (٢) من الفتن، و نورا من الظلم» (٣).

و لكن مجرد إصلاح السيريه لا- يكفى، بل لا- بدّ من العمل بمقتضى التقوى، فالطاعة فى الواجبات و المحرّمات، جزء من التقوى.. و الصبر فى الحق جزء آخر.

يقول الإمام عليه السّلام: «استتموا نعمه الله عليكم بالصبر على طاعه الله، و المحافظه على ما استحفظكم من كتابه» (٤).

و يقول: «عوّد نفسك التصبّر على المكروه، و نعم الخلق و التصبّر فى الحق» (٥).

و كذلك الجهاد فى سبيل الله، فإن «الجهاد باب من أبواب الجنه فتحه الله لخاصّه أوليائه، و هو لباس التقوى» (٦) «و جاهد فى الله حق جهاده، و خض الغمرات للحق» (٧).

و كما الجهاد، كذلك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و مواجهه الظالمين، من أعداء الداخل و الخارج،

ص: ٣٧

١- تذكره الخواص: ص ١٣٣.

٢- سوره الطلاق، الآية: ٢.

٣- تفسير البرهان: ج ١، ص ٩.

٤- تحف العقول: ص ١٣٠.

٥- نهج البلاغه: الكتب ٣١.

٦- مقاتل الطالبين: ص ٢٧.

٧- العقد الفريد: ج ٣، ص ١٥٦.

يقول الإمام عليه السّلام: «ما أعمال البرّ كلها و الجهاد في سبيل الله، عند الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر، إلا كنفته في بحر لجّي» (١) «و أفضل من ذلك كلّ كلمه عدل عند إمام جائر» (٢).

و على أيه حال «فإنّ التقوى دار حصن عزيز، و الفجور دار حصن ذليل، لا يمنع أهله، و لا يحرز من لجأ إليه، و بالتقوى تقطع حمّه الخطايا، و باليقين تدرّك الغايه القصوى» (٣).

إن من يفكر بشكل صحيح، لا يملك إلا أن يتقى الله، و يعمل من أجله، لأن الله قهر عباده بالموت و الفناء، و الناس مجموعون لربّهم، و هم مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير و إن شرا فشرّ.. و ليس غير التقوى ما ينفع هناك.. لقد روى أن الإمام عليه السّلام في رجوعه من صفّين، مرّ بالقبور بظاهر الكوفه فوقف يخاطبها، بقوله:

«يا أهل الديار الموحشه، و المحال المفقره، و القبور المظلمه»..

«يا أهل التربه، يا أهل الغربه، يا أهل الوحده، يا أهل الوحشه»..

«أنتم لنا فرط سابق، و نحن لكم تبع لا حق.. أمّا الدور

ص: ٣٨

١- البدايه و النهايه: ج ١٢، ص ١٥٠.

٢- غرر الحكم و درر الكلم: ٤٩.

٣- النهايه: ج ٢، ص ٥١٠.

فقد سكنت، و أمّا الأزواج فقد نكحت، و أما الأموال فقد قسمت، هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟

ثم إن الإمام التفت إلى أصحابه و قال: «أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم، إنّ خير الزاد التقوى»^(١).

و لقد حمل الإمام هذا الزاد معه، فكانت التقوى نورا في قلبه، و عملا صالحا في جوارحه، و أخلاقا كريمة في مواقفه، و علما و حكمه في بيانه، و جهادا في يده، و زهدا في دنياه، و صبورا على البلاء، و شكرا في الرخاء.

و لذلك فحينما دنا أجله، و كانت لحظاته الأخيرة من الدنيا، رأوه ينظر إلى زاوية من الغرفة، و يقول: «و عليكم السّلام يا ملائكة ربّي..» ثم يتوجّه لمن حوله و يقول: «لمثل هذا فليعمل العاملون» و يغمض جفنيه، و يسلم نفسه لبارئها، بعد أن صبر أياما قليلا، ليعقبها راحة طويلة في ملك دائم، و نعيم قائم..

ص: ٣٩

١- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١١٤.

إن حدود الشخصيه العظيمة ترسمها الأخلاق. فسمو الذات إنما هو بسمو المعنى، و علو المكانه هي في تلك الأصول الأخلاقيه التي يلتزم بها الرجال، و هي المقياس في تقييم أعمالهم و أفعالهم.

و من دون الأخلاق، فإن أكبر الانتصارات في التاريخ يمكن أن تتحوّل إلى هزائم إذا كان أصحابها يتوسلون للنيل بها إلى الغدر و الخيانه و المكر و الخداع. لأنه «ما ظفر من ظفر الإثم به، و الغالب بالشر مغلوب»^(١).

فقيمه الإنسان بإنسانيته..

و قيمه العمل بمحتواه.

و قيمه الدين بالترفع عن الدنيا.

و ميزان البطوله هو الأخلاق.

ص: ٤٠

ف «الخلق وعاء الدين» (١) و هو «عنوان صحيفه المؤمن» (٢).

و «ما يوضع فى ميزان امرىء يوم القيامه أفضل من حسن الخلق» (٣).

و «حسن الخلق رأس كل برّ» (٤) و هو «من أفضل القسم و أحسن الشيم» (٥).

من هنا فإنه «لا قرين كحسن الخلق» (٦) و «لا عيش أهنا من حسن الخلق» (٧).

لأن «من حسنت خليقته طابت عشيرته» (٨) و على كل حال فإن «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً» (٩) «فالأخلاق من ثمار العقل» (١٠).

صحيح أن فى داخل كل إنسان كوامن خيره، تدعوه إلى

ص: ٤١

١- كتر العمال: خ ٥١٣٧.

٢- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٩٢.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٩٩.

٤- غرر الحكم و درر الكلم.

٥- المصدر السابق.

٦- بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ٣٠٦.

٧- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٨٩.

٨- غرر الحكم و درر الكلم.

٩- الكافي: ج ٢، ص ٩٩.

١٠- غرر الحكم و درر الكلم.

الالتزام بالأخلاق، و العمل الصالح، و كوامن شريره تدعوه إلى الفساد و الشرّ و مناوئه الصالحين، غير أن العقل و العلم و الدين إذا كانت فى امرىء فإنها تثير كوامنه الخيره، و تقمع كوامنه الشريره، فيكون ملتزما بالأخلاق.

يقول الإمام على عليه السّلام: «رأس العلم: التمييز بين الأخلاق، و إظهار محمودها و قمع مذمومها»^(١) و يقول: «ابذل فى المكارم جهدك تخلص من المآثم و تحرز المكارم»^(٢)

و يقول: «عليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعه، و إياكم و الأخلاق الدنيئه فإنها تضع الشريف و تهدم المجد»^(٣).

و بمقدار ما تكون الأخلاق الحسنه مطلوبه، فإن «سوء الخلق» مذموم حيث إن «الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخلّ العسل»^(٤). ف «سوء الخلق شر قرين»^(٥) و هو «نكد العيش و عذاب النفس»^(٦) كما أنّه «ذنب لا يغفر»^(٧) لأن

ص: ٤٢

- ١- غرر الحكم و درر الكلم.
- ٢- ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٤٧.
- ٣- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٥٣.
- ٤- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٢٩٧.
- ٥- غرر الحكم و درر الكلم.
- ٦- المصدر السابق.
- ٧- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٢٩٧.

«صاحب الخلق السيئ إذا تاب من ذنب، وقع في أعظم من الذنب الذي تاب منه»^(١).

ولهذا فقد سئل الإمام على عليه السلام عن أدوم الناس غما، فقال عليه السلام: «أسوأهم خلقا»^(٢) لأن «من ساء خلقه عذب نفسه»^(٣) و «من ضاقت ساحته، قلت راحته»^(٤) و «ملّه أهله»^(٥) و هو حتما «كثير الطيش منغص العيش»^(٦).

و قد يتساءل البعض ما هي الأخلاق الحسنه، و ما هي الأخلاق السيئه؟

و الجواب أن الأخلاق الحسنه و التي قد يعبر عنها بمكارم الأخلاق هي في بعض مفرداتها: «صدق البأس، و صدق اللسان، و أداء الأمانه و صلّه الرّحم. و إقراء الضّيف، و إطعام السائل، و المكافأه على الصنائع. و التذمم للجار، و التذمم للصاحب. و رأسهن الحياء»^(٧) و «الصبر. و الشكر. و الحلم.

ص: ٤٣

١- مستدرک الوسائل: ج ٢، ص ٣٣٨.

٢- المصدر السابق.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٢٤٦.

٤- غرر الحكم و درر الكلم.

٥- المصدر السابق.

٦- المصدر السابق.

٧- كنز العمال: ج ٣، ص ٤.

و السخاء، و الغيره. و الشجاعه. و المروءه»(١) و «الصفح عن الناس. و مواساه الرجل أخاه في ماله»(٢) و «العدل.

و الورع»(٣) و «تجنّب الحرام»(٤) و «الإيثار»(٥) و «قضاء اللوازم»(٦) و «العفو عمّن ظلمك، و صله من قطعك، و إعطاء من حرمك، و قول الحق و لو على نفسك»(٧).

و إذا كانت تلك هي الأخلاق الحسنه، فإن أضرارها تكون هي الأخلاق السيئه..

و ما يميّز الصادقين عن غيرهم هو مقدار ترفّعهم عن شرار صفات الرجال، و تمسّيّتهم بخيار صفاتهم. أمّا الكاذبون فهم من يتوسّل لنيل مقاصده بكل ما يستطيع، من غير أن يلزم نفسه بحدود، أو يلزمها بأخلاق.. معتبرا النجاح، لا الالتزام، ميزان العمل..

و لقد كان الإمام على عليه السلام إلى جانب إيمانه و حكمته، و علمه، و بلاغته في القمه من الناحيه الخلقية، و ذلك من

ص: ٤٤

١- بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ٣٦٨.

٢- بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ٣٧٣.

٣- كنز العمال: خ ٤٣٥٤٢.

٤- غرر الحكم و درر الكلم.

٥- المصدر السابق.

٦- المصدر السابق.

٧- بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ٣٦٨.

أسباب تميّزه على مناوئيه على مرّ التاريخ.. فقد كان صوره حيّيه للمروءه، و الصدق، و الوفاء، و كرم النفس، و الصراحه، و الشجاعه و العطف، و النبل، و الصّبر، و نكران الذات..

و على العكس كان مناوئوه الذين كانوا نموذجاً للإثراء، و الأنايه و الملق، و الدجل، و المكر، و الانحدار فى الأخلاق..

و بالرغم من أن العصر الذى عاش فيه، كان عصر حب الدنيا و الإقبال عليها، و عصر الذهب و الفضه، و المداوره، و المؤامره و الزيف و الحيف، فإن الإمام رفض أن ينتصر على حساب أخلاقه، و كان يقول لمن كان يوصيه بخلاف ذلك:

«أ تأمرونى أن أطلب النصر بالجور، و الله لا أطور به ما سمر سمير و ما أمّ نجم فى السماء نجماً»^(١).

فالإمام على عليه السّلام - كما يقول أحدهم - «لا يرضى الدينه فى دينه أو دنياه، يعرف طريق الغدر و لا يسلكه، الخدعه عنده لا تجوز إلّا فى الحرب و لا يمارسها، أما فى زمن السلم فهى لون من الخيانه و الكذب، و مسلك زرى لا يجمل بالإنسان التقى..

هو قدوه: له قيمه العليا و مثله الساميه التى يتمسك بها و لا

ص: ٤٥

١- نهج البلاغه: الخطب ١٢٦.

يتنازل عنها لأنه تربى عليها، ولأنها وحدها هي الجديرة - في رأيه - بإصلاح الناس..

يعرف ما يرضى الناس - كما قال لهم - ولكنه لا يأتيه، لأنه يرى فيه ظلما لآخرين، وإغضابا لله!

الإمام عليّ رجل دوله بصير بسياسه أمور الرعيه، ولكنه يريد أن يقيم سياسته على دعائم من مكارم الأخلاق، و لا يضره ما يعانى و هو يشقّ الطريق الوعر إلى الحقيقه، ليقوم العدل، و يحقق للناس المساواه، و يدفع الظلم، و لو أنه عدل عن نهجه السوى لحظه، لتهدمت قيم نبيله، و انهارت مثل عليا».

«الإمام عليّ يرى أن صلاح الغايه لا يتم إلا بصلاح الوسيله، و غايته مصلحه الأمه، و صلاحها.

و لأن يخسر أمنه، و راحتة، خير من أن يهدر قيمه.. و لأن يهدى به الله رجلا واحدا، خير له من الدنيا و ما فيها!!

الإمام علي استقى من منبع النبوه، و تربى بخلق النبوه، فكان ربانى هذه الأمه»(١).

ذات مره سأل معاويه أحد رؤساء العرب: «لم أحببت عليا؟

ص: ٤٦

١- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٣٣٠.

فقال - «لثلاث خصال: حلمه إذا غضب، و صدقه إذا قال، و عدله إذا حكم».

و هكذا كان الإمام كريم النفس، عظيم الصدق، كثير الوفاء، فلم تكن القضايا التافهه - بما فيها الدنيا و ما فيها - لتسلبه قدره على ضبط النفس، و العمل بالحلم، و العفو..

لقد جاءته فرصه ذهبية للتخلص من أحد ألد أعدائه، و هو عمرو بن العاص، الذى كان المخطط الأول لمعاويه، و لكنه عليه السلام فوّتها على نفسه لحيائه..

و خلاصه ذلك أن عليا عليه السلام بعد أن كثر القتل و القتال فى الناس فى صفين علا- فوق التل، و نادى بأعلى صوته: يا معاويه، فأجابه معاويه، فقال الإمام: «علام يقتتل الناس؟ ابرز إلى ودع الناس فيكون الأمر لمن غلب»!.

فقال عمرو بن العاص لمعاويه: «أنصفك الرجل».

فضحك معاويه و قال: «طمعت فيها (الخلافة) يا عمرو؟» - و يقصد أنه إن هو بارز عليا فهو مقتول لا محاله، فعند ذاك يحصل عمرو على مطعمه فى الخلافة.

فقال عمرو: «و الله.. ما أراه يجمل بك، إلا أن تبارزه».

فقال معاويه: «و الله ما أراك إلا مازحا. نلقاه بجمعنا»

يريد بذلك أن عليا لا يجرؤ الأفراد على مبارزته، بل الجماعات.

و بعد أن تكثر دعوه الإمام لمعاويه بالمبارزه، و إحجامه عن الإجابة و مجادلته مع عمرو بن العاص الذى كان يصرّ على معاويه أن يبارز الإمام، أخذت عمرا العزّه بالإثم فقال فى إحداها: «أ تجبن عن عليّ، و تتهمنى فى نصيحتى إليك؟، و الله لأبارزنه و لو متّ ألف موته».

و بارز عمرو عليا، فما هى إلاّ لحظات حتى طعنه عليّ فصرعه، ثم و مض سيفه كشعله من النار فوق هامته فأدرك عمرو أنه هالك فكشف عن عورته و هو يتخيط على الأرض - فصرف الإمام وجهه عنه، و تركه يسرع هاربا. و كان الإمام لا ينظر إلى عوره أحد حياء أو تكزما.

فقال بعض أصحاب الإمام: «أفلت الرجل يا أمير المؤمنين..» فقال عليه السلام: «تلقأنى بعورته، فصرفت وجهى عنه»^(١)!

و روى عمرو ما حدث له مع الإمام، فقال له معاويه:

«احمد الله، و عورتك!» ثم قال شعرا يزرى بعمرو، فقال عمرو: «ما أشدّ تعظيمك عليا فى أمرى هذا. و هل هو إلاّ

ص: ٤٨

١- على و عصره: ج ٤، ص ٢٥٨.

رجل لقيه ابن عمه فصرعه! فترى أن السماء قاطره لذلك دما»؟.

قال معاوية: «لا.. و لكنّها معقبه لك خزيا»..

و بالرغم من أن مصرع عمرو بن العاص - لو كان يتم - كان ربما يغير معادله الحرب كلها لمصلحه الإمام لما كان يستببه من الذعر فى جيش الشام، بالإضافة إلى أن ذلك كان يعنى القضاء على الساعد الأيمن لمعاوية، و صاحب الحيله الأولى فى أصحابه، فإن الإمام التزم بكرم النفس، و لم يلتزم بإحراز النصر..

ثم إنه شاع خبر الطريقه التى تخلّص بها عمرو من سيف ذى الفقار فاتبعها أشخاص آخرون من قادة جيش معاوية منهم «بسر بن أرطاه» و هو من أقوى فرسان معاوية، حيث إنه تقدّم لعلى عليه السلام و كان الإمام فى الدروع و الزرود لا يتبين منه إلا عيناه فلم يعرف «بسر» أنه على عليه السلام فتصدّى له، فلما تلقى أول ضربه منه، فى الصراع، أدرك من ثقل الضربه أنها لعلى! فقد أوقعته من على ظهر فرسه، فما كان من «بسر» - وقد أدرك خطوره الموقف - إلا أن قلّمد عمرو، و كشف عن عورته. و كان موقف علىّ منه كما كان مع عمرو، فكشح بوجهه عنه و تركه يفلت هاربا..

ص: ٤٩

إنه كريم النفس، و هو إذ يفعل ما يفعل فهو لا يتكلف ذلك لأنه ملتزم بالأخلاق و لا يرضى لنفسه إلا أن يلتزم بها..

أو ليس هو القائل: لو كُنّا لا نرجو جنّه، و لا نخشى نارا، و لا ثوابا و لا عقابا، لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فإنها مما تدلّ على سبيل النجاح»(١)؟

و أين تظهر مكارم أخلاق الرجل؟ أ ليس حينما تتناقض مصالحه مع مبادئه، و قيمه مع رغبته؟

ثم إن الإمام كان يعفو، و يصفح عن عدوّ و يعرف سلفا أنه لو كان هو المنتصر لم يكن ليصفح عنه أو يعف، أو يرحم!

من ذلك أنه عليه السّلام حينما صرع عمرو بن عبد ودّ العامري في معركة الخندق رفض أن يسلبه درعه، بعد أن قال له عمرو - و الإمام على صدره ينوى قتله :-

«لا تكشف سواه ابن عمك و لا تسلبه سلبه».

فقال له الإمام: «ذاك أهون عليّ!»

و حينما عاد إلى رسول الله منتصرا، قال له عمر بن الخطاب: «هلاّ سلبت درعه، فإنها تسوى ثلاثه آلاف، و ليس للعرب مثلها؟!»

فقال الإمام: «إني استحييت أن أكشف ابن عمي».

ص: ٥٠

و لكرم النفس هذا روى أنه حينما جاءت أخت عمرو و رآته غير مسلوب، قالت: «إنما قتله كريم»(١).

و لقد قال الإمام فيما ينسب إليه من الشعر عن عفته في سلب عمرو:

و عفت عن أثوابه لو إننى كنت المقطر بزنى أثوابى

هذا و كان الإمام يوصى قنبرا خادمه بقوله: «يا قنبر لا تعرّ فرائسى» و يقصد بذلك أن لا تسلب قتلاى(٢).

لقد كان عليه السلام عظيما في شخصيته، و لم يكن يستمد شخصيته من مظاهر القوه الفارغه من البطش و التنكيل، و ما شابه ذلك. و لم يكن ممن يغريه سلطانه، و قوته الجسديه، أن يأخذ أحدا بأكثر مما يستحق، أو أن تسمح له سلطاته الواسعه تجاوز مفرده واحده من مفردات الأخلاق الرفيعه.. بل كان يردّ البذاءه الشخصيه بالعمو و الصفح، و الردّ الجميل.

من ذلك ما روى أنه بعد ثلاثه شهور من مبايعه الناس له، و طلب الإمام من معاويه الدخول في الطاعه، و لزوم الجماعه، و معاويه لا- يردّ على رسائل الإمام أرسل معاويه رجلا من بنى عبس و معه كتاب، فلما فضه علىّ وجده خاليا من الكتابه! فقال للرسول: «ما وراءك»!؟

ص: ٥١

١- مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣١٩.

٢- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٧٣.

قال: «و أنا آمن»؟

قال الإمام: «إن الرسل لا تقتل».

قال: «تركت قوما لا يرضون إلا بالقود».

قال الإمام: «ممن»؟

قال العبسي: «من خيط رقبتك! و تركت ستين ألف شيخ كلهم يبكي تحت قميص عثمان، و هو منصوب لهم قد ألبسوه منبر دمشق!»

قال الإمام: «أمنى يطلبون دم عثمان؟ أ لست موتورا بتره عثمان؟ اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان! نجا و الله قتله عثمان إلا أن يشاء الله، فإنه إذا أراد أمرا أصابه. أخرج».

قال العبسي: «و أنا آمن»؟

قال الإمام: «و أنت آمن».

و حاول بعض أصحاب الإمام أن يفتكوا بالعبسي، فأنقذه الإمام و حماه... ثم أمر بعض أصحابه أن يحسنوا إليه، فما زالوا به حتى انضم إليهم و هجر معاويه، و كشف لهم خطه معاويه للقتال، و للزحف على المدينة، و ما يدور بين معاويه و بين خصوم الإمام من مراسلات... (١)

ص: ٥٢

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢٤٤.

إن كرم النفس عند الإمام و التزامه بالأخلاق الحسنه كانت تدعوه إلى الصفح و العفو حتى لألد أعدائه و الحرب لا تزال قائمه..

و من ذلك ما روى عن إطلاق سراح أسرى جيش الشام، من غير فديه، أو عقاب. بالرغم من أن خصمه معاويه أو شك أن يقتل الأسرى من جيش الإمام عليه السلام ذلك أن هذا الأخير كان قد أسر بعض أصحاب الإمام، فقال عمرو لمعاويه: «اقتلهم»، و هم معاويه بذلك.

فقال له أحد الأسرى، و هو من قبيله الأزد: «لا تقتلنى فإنك خالى».

قال معاويه: «من أين أنا خالك و لم يكن بيننا و بين أزد مصاهره؟» قال الأزدى: «إن أخبرتك فهو أمانى عندك»؟

قال معاويه: «نعم».

قال: «أليست أختك أم حبيبه بنت أبى سفيان زوجة النبى»؟

قال: «بلى».

قال: «أليست هى أم المؤمنين؟ فأنا ابنها، و أنت أخوها، فأنت خالى».

فأعجب معاويه بدهاء الأزدى، و سرّ بحسن حيلته،

ص: ٥٣

و صَفَّق طربا، و قال: «ما له! لله أبوه! أما كان في هؤلاء الأسرى من يفتن لها غيره»؟ و أطلقه.

فأشار عمرو عليه أن يقتل الأسرى الآخرين.

و إن معاوية ليوشك أن يقتل الأسرى من أصحاب علي، إذ بأصحاب معاوية الذين كان قد أسرهم عليّ يعودون، فيشيدون بحسن المعاملة التي لقوها، و يحملون إلى معاوية و من معه فتوى الإمام: «إن أسير أهل القبلة لا يفادي، و لا يقتل».

فأطلق معاوية الأسرى من أصحاب علي، و هو يقول لعمرو مؤنبا: «يا عمرو، لو أظعنك في هؤلاء الأسرى لوقعنا في قبيح من الأمر»^(١).

كان الإمام يقاتل أعداءه، و لكنه كان خصما يلتزم بمبادئ الشرف و الفروسيه و لا يتجاوز حدود ما أنزل الله، فلم يكن ينطلق من البغضاء و الشحنة بل من مبدأ مقاومه الظلم و العدوان.

فمع أنه كان يقاتل أعداءه، فإنه لم يكن يسمح لأصحابه بأن يشتموهم و يلعنوهم.. فللعدو احترامه، بالرغم من أنه يجوز قتله..

ص: ٥٤

١- المصدر السابق: ج ٢، ص ٩٩.

فقد روى «أن الإمام عليا خرج إلى الناس فوجدهم يشتمون و يلعنون معاويه و من تبعه، فزجرهم الإمام:

فقال الأشر: «ألستا محقّين»؟

قال: «بلى».

قال حجر بن عدى: «أ ليسوا مبطلين»؟

قال: «بلى».

فقال الناس: «فلم تمنعنا عن شتمهم»؟

قال: «إنى أكره لكم أن تكونوا سبّابين، و لكنكم لو وصفتم أعمالهم و ذكّرتهم حالهم، كان أصوب فى القول و أبلغ فى العذر. فإن قلتهم مكان سبّكم إياهم: «اللهم احقن دماءنا و دماءهم، و أصلح ذات بيننا و بينهم، و اهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق منهم من جهله، و يرعوى عن الغى و العدوان من لهج به» كان هذا أحبّ إليّ، و خيرا لكم».

فقال الأشر و حجر بن عدى: «يا أمير المؤمنين نقبل عظمتك. و نتأدّب بأدبك»(1).

و من ذلك أيضا ما روى أن أصحابه سألوه عن الخوارج:

«أ مشركون هم يا أمير المؤمنين».

قال: «من الشرك فزوا».

قالوا: «أ منافقون»؟

ص: ٥٥

قال: «إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً»!

قالوا: «فمن هم يا أمير المؤمنين؟»

قال: «إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم على بغيهم. فاذكروا عنى إذا لقيتموهم من بعدى أنهم طلبوا الحق فأخطأوه، أما القاسطون فقد طلبوا الباطل فأصابوه»! (١).

فهو يقاتلهم، ولكنه يأبى أن يتهمهم بما ليس فيهم!

ثم إن القتال عنده له أصوله أيضاً، فليس الغدر قتالاً، ولا المباغته من دون الأعداء جائزة عنده، بل لا بد من الالتزام بالأصول الأخلاقية. و من هنا فإن الإمام حينما أرسل الأشر في مقدمه الجيش إلى مناوئيه أوصاه قائلاً:

إِيَّاكَ أَنْ تَبْدَأَ بِقِتَالِ الْإِنْسَانِ أَنْ يَبْدَأُوكَ، حَتَّى تَلْقَاهُمْ فَتَدْعُوهُمْ وَتَسْمَعَ مِنْهُمْ، وَ لَا يَحْمِلُكَ بِغَضِّهِمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دَعَائِهِمْ وَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَ اجْعَلْ عَلَى مِيمَتِكَ زِيَادًا وَ عَلَى مَيْسِرَتِكَ شَرِيحًا، وَ لَا تَدْنُ مِنْهُمْ دَنْوً مَن يَرِيدُ أَنْ يَنْشِبَ الْحَزْبُ، وَ لَا تَتْبَاعِدَ عَنْهُمْ تَبَاعِدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ. حَتَّى أَقْدِمَ إِلَيْكَ حَيْثُ الْمَسِيرُ فِي إِثْرِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى» (٢).

ص: ٥٦

١- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٢٠٢.

٢- المصدر السابق: ج ٢، ص ٢٦.

و أوصى معطل بن قيس الرياحى حين أنفذه إلى الشام فى ثلاثة آلاف كمقدمه لجيشه، قائلاً:

«اتق الله الذى لا- بدّ لك من لقائه، و لا- منتهى لك دونه، و لا تقاتلن إلا من قاتلك... فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطاً، و لا- تدن من القوم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب، و لا- تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس، حتى يأتيك أمرى، و لا يحملنك شنائهم على قتالهم قبل دعائهم و الاعذار إليهم»^(١).

لقد كان الإمام يتمتّع بصفه التورّع عن البغى، و المرونه مع الخصم سواء كان خصمه قويا أم ضعيفاً، كما كان يتمتع بصفه سلامه الصدر من الضغن على العدو بعد الفراغ من القتال..

فمن تورّعه عن البغى، مع قوّته البالغه و شجاعته المعروفه، أنه لم يبدأ أحداً قط بقتال و له مندوحه عنه. كان لا يدعو إلى مبارزه، و لكنه إذا دعى إليها يهرول إليها هروله الولهان..

لقد علم أنّ الخوارج بدأوا يفارقون عسكره ليحاربوه، و قد قيل له: «إنهم يبتتون النيه للخروج عليك فبادرهم قبل أن يبادروك» فقال: «لا أفاتلهم حتى يقاتلونى. و سيفعلون»^(٢).

ص: ٥٧

١- كتاب صفين: ص ١٩٨.

٢- عبقرية الإمام على: ص ١٩.

و كذلك فعل قبل وقعه الجمل، و قبل وقعه صفين، و قبل كل المعارك صغرت أم كبرت، سواء كانت نيه العدو واضحه فى العدوان أم غير واضحه، كان يدعوهم إلى السّلام، و ينهى أصحابه عن المبادأه بالشّر، فما رفع يده بالسيف قطّ إلاّ و قد بسطها للسلام من ذى قبل.

و لقد أصاب المقتل من أعدائه عدّه مرات، فلم يهتم بالفرصه السانحه بين يديه، لأنّه كان ملتزما بأخلاقيات المقاتل المؤمن، و كان يريد أن ينتصر على عدوّه انتصار الشريف، لا انتصار الأندال، و لم يكن يريد قطّ أن يستلب الغلبه قصاصا أو تشفيا..

ففى معركة الجمل، لاحت له فرصه أن يمنع أعداءه الماء، فأبى أن ينتهزها كما فعل ذلك فيما بعد معه أصحاب معاويه..

و بعد المعركه، منع الإمام أصحابه أن يستبيحوا السبى، و يأخذوا غنائم منهم، فغضب بعض أصحابه من ذلك فقالوا له: «يا أمير المؤمنين.. أ تراه تحلّ لنا دماءهم، و تحرّم علينا أموالهم؟».

فقال عليه السّلام: «إنما القوم أمثالكم.. من صفح عنا فهو منا»

و نحن منه، و من لَحَّ فقتاله منى حتى يصاب على الصدر و النحر»(١).

و كان عليه السلام لا يتبع منهزما، و لم يكن يجهز على جريح(٢) و كان يوصى أصحابه بذلك أيضا. فقد قال قبيل معاركه مع أهل الشام:

«لا- تقاتلوهم حتى يقاتلوكم. و أنتم - بحمد الله - على حِجَّه، و ترككم قتالهم حتى يبدأوكم حجَّه أخرى لكم عليهم، فإذا هزمتموهم بإذن الله فلا- تقتلوا مدبرا، و لا- تصيبوا معورا و لا- تجهزوا على جريح، و لا- تكشفوا عوره، و لا- تمثلوا بقتيل، فإذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا، و لا تدخلوا دارا إلا بإذن، و لا تأخذوا شيئا من أموالهم إلا ما وجدتكم فى عسكرهم من عدّه الحرب و أدواتها(٣).

و كان مع عدوّه رحيمًا.. يريد له الخير، و ينصحه لعلّه يؤوب عن ذنبه، و يخلّص نفسه من نار جهنم. لقد خرج عليه طلحه و الزبير فوقف معهما الإمام ينصحهما طويلا، حتى استطاع أن يؤثّر على الزبير فاعتزل عن القتال، و لكن أحدهم

ص: ٥٩

١- عبقرية الإمام على: ص ٣٧.

٢- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٧٣.

٣- مروج الذهب: ج ٢، ص ٧٣١.

تعبه طمعا في بعض المغنم فقتله، ثم جاء بسيفه إلى الإمام، و هو يظن أنه عليه السلام سيثمن عمله، و يمنحه الجائزه على ذلك، فغضب الإمام، و قال و هو يقلب سيف الزبير:

«سيف طالما كشف الكرب عن وجه رسول الله!».

كان متأثرا مما آل إليه أمر الزبير، فإذا بالزبير يجرد سيفه الذي كشف به الكرب عن وجه رسول الله، في وجه وصيه فتأثر الإمام لمقتله، و بكاه..

ثم التفت إلى قاتله و قال:

- «سمعت رسول الله يقول: بشر قاتل ابن صفيه بالنار».

و طرده من محضره!

لقد كان الإمام يتمنى على طلحه و الزبير أن يعودا إلى رشدهما، و لكم حذرهما من معبه تسعير نار الحرب. و فتح باب الفتنه.

و لكن الشيطان غلبهما من قبل، فوقع ما وقع، و قد قال لهما و لرجالهما، قبيل اندلاع المعارك: «.. إن الأمر الذي كنت أحذركم منه قد وقع، و الذي وقع لا يدرك، و إنها لفتنه كالنار، كلما سعرت ازدادت اضطراما. و سأمسك الأمر ما استمسك، فإذا لم أجد بدا، فأخر الدواء الكي»(١).

ص: ٦٠

١- التاريخ - للطبري: ج ٥، ص ١٥٨.

و وقعت الحرب، و تساقط القتلى على الجانبين، عشرات عشرات ثم مئات و مئات، و أحيط بطلحه، و أوشك أن يقتل فصاح الإمام بأصحابه: «إياكم و صاحب البرنس! إياكم و طلحه! إياكم أن تقتلوه!»(١).

و لكن طلحه قتل فيما بعد بسهم مروان بن الحكم فأصاب مقتله..

و استعرت المعركة من جديد، و خاضت الخيل فى دماء الرجال، و رأى الإمام أنه ما من سبيل لحقن الدماء بعد..

فالجئون و الغيظ و الاحتدام و الانفجالات المدمره هى التى تحرك سواعد الرجال!! و رآهم يتساقطون صرعى حول الجمل، فصاح: «اعقروا الجمل، فإنه إن عقر تفرقوا». و لم يقل عليه السلام: اقتلوا صاحبه الجمل، و لا اقتلوا الرجال من حولها، بل قال: «اعقروا الجمل» ليحقن الدماء!

و بعد المعارك.. بكى أعداءه لدخولهم النار، كما بكى أصحابه لمقتلهم ظلما و عدوانا، و صلى عليهم صلاه الجنازه و دفنهم!.

يقول أحدهم:

«لقد كان رضاه من الآداب فى الحرب و السلم رضا الفروسيه العزيزه من جميع آدابها و مآثراتها.

ص: ٦١

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢٧٩.

فكان يعرف العدو عدوا حيشما رفع السيف لقتاله. و لكنه لا يعادى امرأه، و لا رجلا موليا، و لا جريحا عاجزا عن نضال، و لا ميتا ذهبت حياته و لو ذهبت فى مواجهته.. بل لعله يذكر له ماضيه يومئذ فيقف على قبره ليكيه و يرثيه و يصلّى عليه»(١).

كان يعاقب على قدر الذنب، و يأخذ على قدر الاستحقاق.

فبالرغم مما كان بينه و بين معاويه و جنوده من اللدد فى العداة فإنه لم يكن ينازلهم و لا يأخذ من ثاراته و ثارات أصحابه عندهم إلا بمقدار ما استحقوه فى موقف الساعة: ففى يوم من أيام صفين اتفق أن خرج من أصحاب معاويه رجل يسمى «كريز بن الصباح الحميرى» فصاح بين الصفيين: من يبارز؟..

فخرج إليه رجل من أصحاب على فقتله و وقف عليه و نادى: من يبارز؟

فخرج إليه آخر فقتله و ألقاه على الأول، ثم نادى: من يبارز؟

فخرج إليه الثالث فصنع به صنيعه بصاحبيه.

ص: ٦٢

١- عبقرية الإمام على: ص ٣٨.

ثم نادى رابعه: من يبارز؟ فأحجم الناس ورجع من كان في الصفّ الأول إلى الصف الذي يليه.

و خاف على أن يشيع الرعب بين صفوفه فخرج إلى ذلك الرجل المدل بشجاعته و بأسه فصرعه ثم نادى نداءه من يبارز؟ حتى أتمّ ثلاثه قتلهم جميعا صنع بهم صنيعه بأصحابه فكلما خرج أحد أصحاب معاويه، صرعه الإمام و نادى من يبارز؟ حتى أتمّ الثلاثه، ثم قال مسمعا الصفوف:

يا أيها الناس. إن الله عزّ و جلّ يقول: «الشهر الحرام بالشهر الحرام و الحرمات قصاص و لو لم تبدأونا ما بدأناكم».

و رجع إلى مكانه! (١).

.. و كانت للرحم عنده حرمه خاصه، يأمر باحترامها و يعتبرها مهما إلى جانب الإيمان، و الجهاد، و الإخلاص، و الصلاة و الصوم، كما كان يعتبر صله الرحم «متراه في المال و منسأه في الأجل» (٢) فحتى في حالة الحرب كان يأمر أن يحترم الرحم، ففي صفين «تبارز رجلان، فصرع أحدهما الآخر، فسقطت خوزه المغلوب، فإذا هو شقيق الغالب،

ص: ٦٣

١- عبقرية الإمام على عليه السلام: ص ٢٠.

٢- نهج البلاغه - الخطب: ١١٠.

فتوقف حتى استأذن الإمام في أمره، فأمره الإمام أن يدع أخاه و يعفو عنه»(١).

و في حالات السليم «كان للناس أبا رحيمًا» - حسب تعبير أحد أصحابه - و لقد ظهرت أخلاقه الكريمة، و التزامه بالأصول الإنسانية في كثير من المواقف و الأعمال نكتفي فيما يلي ببعضها..

١

بالرغم من أنه عليه السلام كان يحكم بلادا شاسعه، فإنه كان يمشى وحده من غير حرس أو حاشيه، و ذات يوم شاهد في الطريق المشترك بين البصره و الكوفه، رجلا فسأله عن وجهته فقال إنه يقصد البصره و في المقابل كان الإمام يقصد الكوفه.

و بعد أن سأله الإمام عن اسمه و قبيلته تبين أنه ليس مسلما بل هو ذمي. كان الطريق مشتركا، و حينما وصلا إلى المفترق انصرف الرجل نحو طريق البصره ففوجيء بالإمام ينصرف معه في ذات الطريق.

فقال للإمام - و لم يكن يعرفه بعد - : «ألم تقل إنك تقصد الكوفه؟»

ص: ٦٤

١- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٦٤.

قال الإمام: بلى.

فقال الرجل:.. و لكن هذا طريق البصره.

قال الإمام: «قد عرفت. و لكن نبينا أمرنا أن نشيع أصحابنا أربعين خطوه.

فقال الرجل: و هل أصبحت صاحبك؟

قال الإمام: نعم.. أنت صاحبي في هذا الطريق.

فسأل الإمام عن اسمه، فتبين له أنه أمير المؤمنين. فأسلم على يديه و قال: «و الله إنها أخلاق الأنبياء»^(١).

٢

بلغ من عمق تأثير أخلاق الإمام على بن أبي طالب على الناس أنه اشترى عبدا، فعلمه الإسلام و أعتقه، لكن العبد لزمه.. حتى إذا مات النجاشي ملك الحبشه، و اضطربت الأمور من بعده، اكتشف الملاء من الحبشه أن هذا العبد هو ابن للنجاشي قد خطفه تجار الرقيق و هو غلام و باعوه في مكه!!

فجاءه الملاء من الحبشه يعرضون عليه ملك الحبشه خلفا

ص: ٦٥

١- الإسلام في مواجهه الجاهليه: ص ١٥٧.

لأبيه النجاشي، لكنه رفض الملك و آثر البقاء على الإسلام في صحبه على!!(١).

٣

جاء رجل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة.

فقال: اكتبها في الأرض فأني أرى الضرّ فيك بينا.

فكتب في الأرض: أنا فقير محتاج.

فقال علي عليه السلام: يا قنبر اكسه حلّتين.

فأنشأ الرجل يقول:

كسوتني حلّه تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمه و لست تبغى بما قد نلته بدلا

إن الثناء ليحيى ذكر صاحبه كالغيث يحيى نداء السهل و الجبلا

لا تزهد الدهر في عرف بدأت به فكلّ عبد سيجزى بالذی فعلا

فقال عليه السلام: أعطوه مائه دينار.

ص: ٦٦

١- علي إمام المتقين: ج ١، ص ١٧.

فقيل له: يا أمير المؤمنين، حله و مائه دينار؟ لقد أغنيته!

فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «أنزلوا الناس منازلهم».

ثم قال عليه السلام: إني لأعجب من أقوام يشترون المماليك بأموالهم و لا يشترون الأحرار بمعروفهم(١).

٤

يروى أن أعرابيا جاء الإمام فقال: يا أمير المؤمنين إني مأخوذ بثلاث علة: علة النفس، و علة الفقر، و علة الجهل.

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: يا أخا العرب علة النفس تعرض على الطيب، و علة الجهل تعرض على العالم، و علة الفقر تعرض على الكريم.

فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين أنت الكريم، و أنت العالم، و أنت الطيب، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بأن يعطى له من بيت المال ثلاثة آلاف درهم، و قال: تنفق ألفا بعلة النفس، و ألفا بعلة الجهل، و ألفا بعلة الفقر(٢).

٥

لقد هاله ترك علماء الشام مسؤولياتهم الأخلاقية فأرسل

ص: ٦٧

١- أمالي الصدوق: ص ١٦٤.

٢- جامع الأخبار: ص ١٥٨.

إلى بطانه معاويه من علماء الشام، الذين زعموا أن انضمامهم لمعاويه ضد أمير المؤمنين قضاء من الله و قدره: «أما بعد..

أ تأمرون الناس بالتقوى و بكم ضلّ المتّقون؟!، و تنهون النّاس عن المعاصى و بكم ظهر العاصون!؟

هل منكم إلاّ مفتر على الله يحمل إجرامه عليه و ينسبه علانيه إليه؟!..

و هل منكم إلاّ من السيف قلادته، و الزور على الله شهادته؟

خالفتهم أهل الحق حتى ذلّوا و قلّوا، و أعنتم أهل الباطل حتى عزوا و كثروا، فأنيبوا إلى الله و توبوا، و تاب الله على من تاب، و قبل من أناب»(١).

و هكذا كان الإمام عصاميا فى تمسّكه بالأخلاق لا يتنازل عنها مهما كلفه من أمر، و هكذا يجب أن يكون المؤمنون فى كل موقع و مورد.

و تلك هى وصيته للناس: أن تعصبوا للأخلاق الكريمة..

فهو القائل: «إن كان لا بد من العصبية، فليكن تعصّبكم لمكارم الخصال، و محامد الأفعال، و محاسن الأمور التى تفاضلت فيها المجداء و النجداء من بيوتات العرب، و يعاسب

ص: ٤٨

١- على إمام المتّقين: ج ٢، ص ٣٤٧.

القبائل بالأخلاق الرغيبه، و الأحلام العظيمة، و الأخطار الجليله، و الآثار المحموده.

فتعصّبوا لخلال الحمد: من الحفظ للجوار و الوفاء بالذمام. و الطاعه للبرّ. و المعصيه للكبر. و الأخذ بالفضل.

و الكفّ عن البغى. و الإعظام للقتل. و الإنصاف للخلق.

و الكظم للغیظ. و اجتناب الفساد فى الأرض..

و احذروا ما نزل بالأمم قبلکم من المثالات بسوء الأفعال، و ذمیم الأعمال، فتذكروا فى الخیر و الشرّ أحوالهم، و احذروا أن تكونوا أمثالهم»(١).

ص: ٦٩

١- أعلام النبوه - للمارودى: ص ٩٧.

زاد العاملين في مواجهه الصعاب ثلاث: الاعتزاز بالله تعالى و الثقة بالنفس، و اليقين. فإذا اجتمعت في امرىء فلا بد أن يشفع علمه بعمله، و يقينه بإقدامه.

فبمجرد أن تعلموا فلا بد أن تعملوا.

و بمجرد أن تتيقنوا فلا بد أن تقدموا..

و إذا بدأتم فلا بد من مواصلة المسير من غير ما تردد أو تخاذل أو تراجع..

ف «لا تجعلوا يقينكم شكاً و لا علمكم جهلاً، فإذا علمتم فاعلموا، و إذا تيقنتم فأقدموا»(١).

إن اليقين قد ينقلب إلى شك إذا انفصل عن العمل،

ص: ٧٠

١- غرر الحكم و درر الكلم.

فمشاكل الحياه و ضغوط الأعداء و أهواء النفس، قد تحمل الشخص على التشكيك فى معتقداته، و التردد فى مواقفه، و التراجع عن حقوقه..

و هنا تبرز قيمه «اليقين» فى العمل، و ضروره الإصرار على الموقف فى الممارسه، ف «باليقين تدرّك الغايه القصوى»^(١) و «كفى باليقين غنى»^(٢) لأنّ «من أيقن أفلح»^(٣) و «ما أعظم سعادته من بوشر قلبه باليقين»^(٤). و هكذا فإنّ «اليقين رأس الدين»^(٥) و «عماد الإيمان»^(٦).

و لقد كان أمير المؤمنين عليه السّلام يطلب من الناس أن يسألوا الله تعالى اليقين و يقول: «أيها الناس.. سلوا الله اليقين، و ارغبوا إليه فى العافيه فإنّ أجلّ النعمه العافيه، و خير ما دام فى القلب اليقين، و المغبون من غبن دينه، و المغبوط من غبط يقينه»^(٧).

ص: ٧١

١- نهج البلاغه - الخطب: ١٥٧.

٢- البحار: ج ٧٠، ص ١٧٦.

٣- غرر الحكم و درر الكلم.

٤- مستدرک الوسائل: ج ٢، ص ٢٨٤.

٥- غرر الحكم و درر الكلم.

٦- المصدر السابق.

٧- البحار: ج ٧٠، ص ١٧٦.

و نظرا إلى ما لليقين من الدور الهائل فقد قال عليه السّلام: «نوم على يقين خير من صلاة على شك»^(١) وقال: «يحتاج الإيمان إلى إيقان»^(٢).

و في الحقيقة فإن يقين الفرد هو الذى يدفعه إلى الجهاد و الصمود، فإن «من يستيقن يعمل جاهدا»^(٣) كما أنه سبب الحزم و مجاهدته النفس، فإن «الموقن أشدّ الناس حزما على نفسه»^(٤) إذ «يستدلّ على اليقين بقصر الأمل، و إخلاص العمل، و الزهد فى الدنيا» فإن «المؤمن يرى يقينه فى عمله، و إن المنافق يرى شكّه فى عمله»^(٥).

و لهذا كله كان «الصبر أول لوازم الإيقان»^(٦) فهو الدافع للاستقامه تماما كما أن «سبب الإخلاص من اليقين»^(٧) و هو سبب الاستهانته بالمصائب. يقول الإمام على عليه السّلام فى وصيته لابنه الحسن عليه السّلام: «اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصّبر

ص: ٧٢

١- تنبيه الخاطر، ص ٢٤.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- ميزان الحكم: ج ١٠، ص ٧٨٢.

٤- غرر الحكم و درر الكلم.

٥- المصدر السابق.

٦- المصدر السابق.

٧- المصدر السابق..

و حسن اليقين.. و أحي قلبك بالموعظه، و أمته بالزهاده، و قوه باليقين، و نوره بالحكمه»(١).

و لقد كان الإمام عليه السلام على اليقين من أمره، و الثقة بدينه، و الاعتزاز بالله و هذه الصفات هي وراء عظمه شخصيته، حيث إنه لم يشك و لا لحظه واحده في أنه على حق، و أن مناوئيه على باطل.

و كما يقول أحدهم «كانت لديه الثقة التي تتراءى مكشوفه في صراحتها و استقامتها، لأن صاحبها لم يتكلف مداراتها، و لم يحس أنه يحتاج إلى مداراتها، و لأنه يعقدها و لا يتعمد إبداءها، و لقد كانت فيه ثقه أصيله لم تفارقه منذ حبا و درج، و قبل أن يبلغ مبلغ الرجال فما منعتة الطفوله الباكره يوما أن يعلم أنه شيء في هذه الحياه الدنيا، و أنه قوه لها جوار يركن إليه المستجير. و لقد كان في العاشره أو نحوها يوم أحاط القروم القرشيون بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم يندرونه و ينكرونه و هو يقلب عينيه في وجوههم و يسأل عن النصير و لا- نصير. فلو كان بعلي أن يرتاع في مقام نجده أو مقام عزيزه لارتاع يومئذ بين أولئك الشيوخ الذين رفعتهم الوجاهه و رفعتهم آداب القبيله البدويه

ص: ٧٣

١- تحف العقول: ص ٥٢.

إلى مقام الخشيه و الخشوع. و لكنه كان عليا فى تلك السن المبكره، كما كان عليا و هو فى الخمسين أو الستين. فما تردد - و هم صامتون مستهزون - أن يصيح صيحه الواثق الغضوب:

أنا نصيرك! فضحكوا منه ضحك الجهل و الاستكبار. و علم القدر وحده فى تلك اللحظه أن تأييد ذلك الغلام أعظم و أقوم من حرب أولئك القروم»(١).

و من شواهد هذه الثقه بالنفس، أنه حملها من ميدان الشجاعه إلى ميدان العلم و الرأى حين كان يقول: «سلونى قبل أن تفقدونى فو الذى نفسى بيده لا- تسألونى فى شىء فيما بينكم و بين الساعه، و لا عن فئه تهدى مائه و تضلّ مائه، إلا أنبأتكم بناعقها و قائدها و سائقها، و مناخ ركابها و محط رحالها..!».!

و من شواهدا أنه كان يقول - و الخارجون عليه يرمونه بالمروق -: «ما أعرف أحدا من هذه الأممه عبد الله بعد نبينا غيرى، عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأممه تسع سنين»(٢).

لقد كان الإمام على يقين من إيمانه، و علمه، و موقفه،

ص: ٧٤

١- عبقرية الإمام على عليه السلام: ص ٢٥.

٢- المصدر السابق: ص ٢٠٠.

و صدق عزيمته و هو القائل: «إني على يقين من ربّي، و غير شبهه من ديني»(١).

و لقد قال له أحدهم: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربّك حين عبدته؟

فقال: «ويلك ما كنت أعبد ربّا لم أراه».

قال: و كيف رأيته؟

قال: «ويلك لم تره العيون بمشاهده الأبصار، و لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان»(٢).

لقد عبد الله تعالى عباده من يراه، و هو القائل: «ما رأيت شيئا، إلّا و رأيت الله قبله، و معه، و بعده»!.

و كما في العبادة، كذلك في المواقف السياسيه كان على يقين من أمره، فقد جاءه أحد رجاله فقال: «يا أمير المؤمنين، ما أرى عائشه و طلحه و الزبير اجتمعوا إلّا على حق».

فقال: «إن الحق و الباطل لا يعرفان بالناس، و لكن اعرف الحق تعرف أهله، و اعرف الباطل تعرف من أتاه».

فقال الرجل: فهلا أكون كعبد الله بن عمر و سعد فأعتزلكم جميعا؟

ص: ٧٥

١- الإمامه و السياسه: ج ١، ص ١٥٤.

٢- التوحيد: ص ٩٦.

فقال الإمام: «إنهما خذلا الحق، و لم ينصرا الباطل. متى كانا إمامين فى الخير يتبعهما الناس»!!

فأقسم الرجل أن يتبع أمير المؤمنين وحده!^(١).

و إذا كان الإمام عليه السّلام يجادل أعداءه فلكى يهديهم الطريق و يرشدهم السبيل، و إلا فلم تكن به حاجه إلى ذلك فيما يرتبط بيقينه فهو على بصيره من دينه، و بينه من ربه، لم يكذب و لم يكذب، و هو القائل: «ما كذبت و لا كذبت، و لا ضللت و لا ضلّ بي»^(٢) و القائل: «فو الذى لا إله إلا هو إنى لعلى جاده الحق، و إنهم (الأعداء) لعلى مزله الباطل»^(٣).

و قال قبيل معركة الجمل - بعد أن استيأس من أن عائشه و طلحه و الزبير سيجيونه إلى السّلام، و حقن الدماء، و رأى ما صنعوا آنفا بعامله على البصره عثمان بن حنيف، و قتلهم أنصاره، و لما رجعت رسله من عند عائشه و طلحه و الزبير يؤذنونه بالحرب لا محاله!.. قال عند ذلك:

«إنى قد راقبت هؤلاء القوم كى يرعوا، أو يرجعوا، و وبّختهم بنكثهم، فلم يستحيوا، و أخرجوا ابن حنيف عاملى

ص: ٧٦

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢٦٤.

٢- نهج البلاغه: الحكم ١٨٥.

٣- غرر الحكم و درر الكلم: ٢٤٣.

على البصره بعد الضرب المبرح، و العقوبه الشديده، و قتلوا رجالا صالحين، ثم تتبعوا منهم من نجا، و قتلوهم صبيرا! ما لهم قاتلهم الله أنى يؤفكون؟! و قد بعثوا إلى أن أبرز للطعان، و اصبر للجلاذ هبلتهم الهبول، لقد كنت و ما أهدد بالحرب و لا- أرهب بالضرب. فليرعوا فقد رأوني قديما، و عرفوا نكايتي، فكيف رأوني؟! (١)..

«أنا أبو الحسن الذى فللت حدّ المشركين، و فرّقت جماعتهم! و بذلك القلب ألقى اليوم عدوى، و إنى لعلى ما وعدنى ربي من النصر و التأيد، و على يقين من ربّى، و فى غير شبهه من دينى».

«أيها الناس إن الموت لا يفوته المقيم، و لا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيد و لا محيص. من لم يقتل مات، و الذى نفس على بيده لألف ضربه بالسيف أهون من ميته على الفراش» (٢).

و قال عن طلحه و الزبير - بعد الاحتجاج معهما: - «إن شأنهما مختلف، فأما الزبير فما أحسبه يقاتلنا و إن قاده اللجاج! و أما طلحه فسألته عن الحق فأجابنى بالباطل، و لقيته

ص: ٧٧

١- كشف المحجّه: ص ١٧٣.

٢- العقد الفريد: ج ٢، ص ٢٨٢.

باليقين، فلقيني بالشك، فوالله ما نفعه حقي، ولا ضرني باطله، وهو مقاتل غدا فمقتول في الرعيل الأول»(١)!

لقد قال الإمام ذات مره: «ما شككت في الحق منذ أريت، لم يوجس موسى عليه السلام خيفه على نفسه، بل أشفق من غلبه الجهال و دول الضلال، اليوم توافقنا على سبيل الحق و الباطل... من وثق بماء لم يظماً»(٢).

فقال له بعض من سمعه: «يا أمير المؤمنين ما سمعنا قبل اليوم مثل هذا!! إنه أفضل تفسير لقوله تعالى: فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٣) و أفضل تبرئه لنبي الله من الشك في أمره!»

و لأنه عليه السلام ما شك في الحق منذ رآه، فإنه كان مستعداً للمواجهه مع الباطل - بعد الاحتجاج عليه، و إتمام الحجّه له - مهما كانت النتائج بما في ذلك الهزيمة. و لقد قال: «ما على المسلم من غضاضه في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكاً في دينه، و لا مرتاباً بيقينه»(٤).

و حينما أغار أحد أصحاب معاويه - و اسمه الضحّاك -

ص: ٧٨

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢٧٠.

٢- المسترشد - للطبري: ص ٩٥.

٣- سوره طه، الآية: ٦٧.

٤- صبح الأعشى: ج ١، ص ٢٩٩.

برجاله على الحيره و اليمامة، فنهبوا بيت المال، و هربوا إلى الشام. أرسل إليه أخوه عقيل بن أبي طالب كتابا ينبئه فيه بأمر هذه الغاره، و يعرض عليه أن يخرج إليه ليؤيده. فردّ عليه الإمام على عليه السّلام برسالة جاء فيها: «... إن قريشا قد اجتمعت على حرب أخيك، اجتماعها على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قبل اليوم.

و جهلوا حقى، و جحدوا فضلى، و نصبوا لى الحرب و جدّوا فى إطفاء نور الله، اللهم فأجز قريشا عنى بفعالها، فقد قطعت رحمى و ظهرت على».

أما ما ذكرت من غاره الضحّاك على الحيره و اليمامة، فهو أذلّ و ألام من أن يكون مرّ بها، فضلا عن الغاره، و لكنه جاء فى خيل، فسرحت إليه جند المسلمين، فلما بلغه ذلك ولى هاربا، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق. حين همّت الشمس للإياب، فاقتتلوا، و قتل من أصحابه بضعة عشر رجلا و نجا هاربا بعد أن أخذوا منه بالمخنق، و لو لا الليل ما نجا!

«و أما ما سألت أن أكتب إليك فيه، فإن رأى الجهاد حتى ألقى الله، لا يزيدنى كثرة الناس حولى عزّه، و لا تفرّقهم عنى وحشه، لأنى محقّ، و الله مع المحقّ...».

«و ما أكره الموت على الحق، لأن الخير كله بعد الموت لمن عقل و دعا إلى الحق».

«و أما ما عرضت به من مسيرك إليّ بينيك و بنى أبيك، فلا حاجه إلى ذلك، فذرهم راشدا مهديا، فوالله ما أحبّ أن تهلكوا معي إن هلكت»(١).

و فى المعمه من المعارك فى صفين. خرج رجل من أهل الشام ينادى بين الصّفين: «يا أبا الحسن، يا على، ابرز إليّ».

فبرز إليه الإمام فقال: «يا على! إن لك قدما فى الإسلام و الهجره، فهل لك فى أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء؟»
قال له على: «و ما ذاك؟»

قال: «ترجع إلى عراقك فنخلّى بينك و بين العراق، و نرجع نحن إلى شامنا فتخلّى بيننا و بين شامنا».

فقال له على: «لقد عرفت. إنما عرضت هذا نصيحه و شفقه. و لقد أهمنى هذا الأمر و أسهرنى، و ضربت أنفه و عينيه، فلم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم. إن الله تبارك و تعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى فى الأرض و هم سكوت مدعون، لا يأمرن بالمعروف و لا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون على نفسى من

ص: ٨٠

معالجه الأغلل فى جهنم و موتات الدنيا أهون على من موتات الآخرة»(١).

و لقد حاول معاويه، حينما رأى فى إحدى مراحل الحرب أن الدائره توشك أن تدور عليه، و أن عليا يوشك أن يكسب الحرب، فأراد التخلص من ذلك بحيله التظاهر بالمنطق و التلاعب بالألفاظ و التشكيك فى حق الإمام فقال لعمرؤ: «قد رأيت أن أكتب لعلى كتابا أسأله الشام - و هو الشىء الأول الذى ردنى عنه و ألقى فى نفسه الشكّ و الريبه». فضحك عمرو قائلاً: «أين أنت يا معاويه من خدعه على»؟

فقال: «ألسنا بنى عبد مناف»؟

قال عمرو: «بلى و لكن لهم النبؤه دونك! و إن شئت أن تكتب فاكتب».

فكتب معاويه لعلى: «أما بعد، فإنى أظنك أن لو علمت أن الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت و علمنا، لم يجنّها بعضنا على بعض و إنّنا و إن كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقى لنا منها ما نندم به على ما مضى، و نصلح به ما بقى، و قد كنت سألتك الشام على ألا يلزمنى لك طاعه و لا بيعه، فأبيت ذلك على. فأعطانى الله ما منعت، و أنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس، فإنى

ص: ٨١

١- مصباح المتهجد: ص ٤٢٩.

لا- أرجو من البقاء إلاّ- ما ترجو، و لا أخاف من الموت إلا ما تخاف، و قد و الله رقت الأجناد، و ذهبت الرجال، و نحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل إلاّ فضل لا يستدلّ به عزيز، و لا يسترّق به حرّ، و السّلام».

فلما قرأ الإمام كتاب معاويه قال: «العجب لمعاويه و كتابه»!

ثم كتب إلى معاويه: «أما بعد، فقد جاءني كتابك تذكر أنك لو علمت و علمنا أن الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت لم يجنّها بعضنا على بعض».

فأنا و إياك منها في غايه لم نبلغها. و إني لو قتلت في ذات الله و حييت، ثم قتلت ثم حييت سبعين مره، لم أرجع عن الشده في ذات الله، و الجهاد لأعداء الله.

و أما قولك أنه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ما مضى، فإنني ما نقصت عقلي، و لا ندمت على فعلى. فأما طلبك الشام، فإنني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس، و أما قولك: «إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت». ألا و من أكله الحق فيألى الجنه. و من أكله الباطل فيألى النار، و ما استواؤنا في الخوف و الرجاء فلست أمضى على الشكّ مني على اليقين، و ليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخره.

و أما قولك: «فإننا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل»، فلعمري إننا بنو أب واحد، و لكن ليس أميه كهاشم، و لا حرب كعبد المطلب، و لا أبو سفيان كأبي طالب، و لا المهاجر كالطليق و لا الصريح كاللصيق، و لا المحقّ كالمبطل.

و لا المؤمن كالمدغل، و لبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى في نار جهنم.

و في أيدينا بعد فضل النبوه التي أذللنا بها العزيز، و أعززنا بها الدليل، و لما أدخل الله العرب في دينه أفواجا، و أسلمت له هذه الأمم طوعا و كرها، كنتم ممن دخل في الدين، إمّا رغبة و إمّا رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم و ذهب المهاجرون الأولون بفضلهم، فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا و لا على نفسك سيلا و السلام»(١).

فلما قرأ معاوية كتاب الإمام، أخفاه.

ثم إن عمرو بن العاص ألح على معاوية حتى أطلعه على كتاب الإمام، فأثنى عمرو عليه، و أغضب ذلك معاوية.. فقال لعمرو عاتبا: «أردت تسفيه رأيي و إعظام عليّ! و قد فضحك» و كان عمرو يعظم عليا لأنه بعد أن صرعه لم يجهز عليه بل أشاح عنه بوجهه و تركه ينجو. فقال عمرو: «أما إعظامي عليا

ص: ٨٣

فإنك بعظمته أشدّ معرفه منى، و لكنك تطوى ما تعرفه و أنا أنشره، و أما أنه فضحنى يوم صارعته، فلم يفتضح أمرا لقى أبا الحسن»(١).

و بمقدار ما كان الإمام عليه السّلام على يقين من أمره، كان أصحابه كذلك، فهذا «عمار بن ياسر» حينما انتصر مع الإمام على عائشه فى معركة الجمل جاءها معاتبا لها عمّا فعلت، فقالت له:

– «أ ترى أنكم حين انتصرتم علينا كنتم على حق و كنا على باطل؟

فقال لها عمار:

– «و الله لو ضربتمونا حتى بلغتم بنا سعفات هجر: لعلمنا أنا على حق و أنكم على باطل، و إن قتلتنا فى الجنه، و إن قتلكم فى النار».

فالقضيه بالنسبه إليه لم تكن قضيه انتصار أو هزيمه فلو أنهم كانوا ينهزمون لكانوا على ما هم عليه: يقين بلا حدود، و إيمان بلا دخل..

و كما كان عمار بن ياسر، كذلك كان الكثيرون من صحابه الإمام.. فمثلا حينما ذاع فى جند العراق أن معاويه يعد من

ص: ٨٤

ينضم إليهم منهم بالغنى و الجاه.. جاء إلى عليّ فارس من همدان فقال له: «يا أمير المؤمنين إن أقواما طلبوا من معاوية العطاء فأغدق عليهم، فباعوا الدين بالدنيا. و إنّنا رضينا بالآخره من الدنيا، و بالعراق من الشام، و بك من معاوية.

يا أمير المؤمنين.. و الله لآخرتنا خير من دنياهم، و لعراقنا خير من شامهم، و لإمامنا أهدى من إمامهم، فاستفتحنا بالحرب، و ثق منا بالنصر، و احملنا على الموت»(١).

هؤلاء كانوا من الذين وصفهم عليه السلام بقوله:

- «إن من أحب عباد الله إليه عبدا أعانته الله على نفسه، فاستشعر الحزن، و تجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى فى قلبه، أعدّ القرى ليومه النازل به، فقرب على نفسه البعيد، و هوّن الشديد.. قد أبعد طريقه و سلك سبيله، و عرف مناره، و قطع غماره، و استمسك من العرى بأوثقها، و من الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على ضوء الشمس»(٢).

ص: ٨٥

١- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٩٦.

٢- نهج البلاغه - الخطب ٨٧، و ربيع الأبرار - للزمخشري - باب العزّ و الشرف.

ما من نبي من أنبياء الله العظام، إلا و بشر الناس بالآخرة و دعاهم إلى العمل من أجلها.

و ما من صالح من الأولياء، إلا و طلب منهم الزهد فى درجات هذه الدنيا. ليس لأن هنالك تناقضا بين الدنيا و الآخرة، بل لأن الأولى خلقت للأخرى. و ليس لأن علينا أن نهمل حياتنا، بل لأن علينا أن نصلحها.. و لا صلاح للنفس إلا بالزهد و التقوى، و الورع و الاجتهاد، و العفة و السداد.

و بحق أقول لكم:

إن من يعرف حقيقه الدنيا، يزهد، لا محاله فيها.

و إن من يجهل حقيقتها، يتيم - و لا شك - بها.

فمن عرف النهايه، زهد فى البدايه، و من تذكر الموت و البلى عمل الخير و الهدى، و شتان ما بين من يعمل لآخراه، و بين من يعمل لدنياه.. و بين من انشغل بالصلاح، و من انشغل باللذات، و بين من عبد الله، و من اتخذ إلهه هواه..

و الحق فإن «الزهد شيمه الممتقين (١) و هو أصل الدين» (٢) و «ثمرته» (٣) و «ينته» (٤) و هو «مفتاح الصلاح» (٥) فقد «جعل الخير كله فى بيت و جعل مفتاحه الزهد فى الدنيا» (٦). ف «الزهد ثروه» (٧) و «الزهد متجر رابح» (٨) و «مع الزهد يثمر الحكمه» (٩).

هذا بالإضافة إلى أن «الزهد فى الدنيا: الراحة العظمى» (١٠) لأن «الزهد فى الدنيا يريح القلب، و البدن» (١١) بينما «الرغبه فى الدنيا تورث الغمّ و الحزن» (١٢) فإن «من زهد فى الدنيا استهان بالمصيبات» (١٣) و «أعتق نفسه و أرضى ربّه» (١٤).

ص: ٨٧

- ١- غرر الحكم و درر الكلم.
- ٢- المصدر السابق.
- ٣- ميزان الحكم: ج ٤، ص ٢٥٠.
- ٤- غرر الحكم و درر الكلم.
- ٥- المصدر السابق.
- ٦- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٤٩.
- ٧- نهج البلاغه: الحكم ٤.
- ٨- مستدرک الوسائل: ج ٢، ص ٣٣٢.
- ٩- ميزان الحكمه: ج ٤، ص ٢٦٣.
- ١٠- كنز العمال: خ ٦٠٦٠.
- ١١- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٢٤٠.
- ١٢- حليه الأولياء: ج ١، ص ٧٤.
- ١٣- غرر الحكم و درر الكلم.
- ١٤- مستدرک الوسائل: ج ٢، ص ٣٣٣.

و لهذا كله فإنه «ما عبد الله بشيء، أفضل من الزهد في الدنيا»^(١)، و لذلك أيضا «ما اتخذ الله نبيا إلا زاهدا»^(٢).

موجبات الزهد

اشاره

ثم إن

أول موجبات الزهد: النظر إلى الآخرة، و الاهتمام

بها

فإن «أصل الزهد حسن الرغبة فيما عند الله»^(٣)، فقد أوحى الله إلى موسى: «أن عبادى الصالحين زهدوا فيها (الدنيا) بقدر علمهم بى، و سائرهم من خلقى، رغبوا فيها بقدر جهلهم بى، و ما من أحد من خلقى عظمت فقرت عينه»^(٤).

و هكذا فإن «زهد المرء فيما يفنى (من الدنيا) بقدر يقينه بها يبقى»^(٥) و إلا «كيف يزهد فى الدنيا من لا يعرف قدر الآخرة»^(٦) ؟

و ثانى موجبات الزهد: تذكر الموت، و ما فيه من البلى.

فما قدر لذه تفنى، و نعيم يزول، و راحه يعقبها التعب، و شهوه تزول و ملك لا يبقى؟

ص: ٨٨

١- المصدر السابق.

٢- المصدر السابق.

٣- ميزان الحكمة: ج ٤، ص ٢٥٥.

٤- بحار الأنوار: ج ١٣، ص ٣٣٩.

٥- غرر الحكم و درر الكلم.

٦- المصدر السابق.

أن «من صور الموت بين عينيه، هان أمر الدنيا عليه»^(١)،

ولذلك ف «إن العقلاء زهدوا في الدنيا، و رغبوا في الآخرة، لأنهم علموا أن الدنيا طالبه و مطلوبه، و أن الآخرة طالبه و مطلوبه، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفى منها رزقه، و من طلب الدنيا طلبته الآخرة، فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه و آخرته»^(٢).

و لقد مرَّ أحد الأولياء على قبر، فقال: «إنَّ شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوّله. و إنَّ شيئاً هذا أوّله لحقيق أن يخاف آخره»^(٣).

و ثالث موجبات الزهد: معرفه نواقص الدنيا،

فهى بقدر ما تنفع تضرّ، و هى بقدر ما تفرح تحزن، و هى بمقدار ما تعطى تأخذ، و هى بمقدار ما تعافى تمرض، و هى بمقدار ما تكون لك فهى عليك فإنَّ «الدهر يومان، يوم لك و يوم عليك»^(٤)، و هى تنقلب عليك بينما أنت تركز إليها، و تفجعك بينما أنت فرح بها.

فإنما «مثل الدنيا، كمثل الحية لئین مسّها، و السّم النافع

ص: ٨٩

١- ميزان الحكمة: ج ٤، ص ٢٥٦.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٣٠١.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٣٢٠.

٤- تحف العقول - للحراني: ص ٢٠٧.

فى جوفها، يهوى إليها الغرّ الجاهل، و يحذرها ذو اللب العاقل»(١).

و الحق «أن الدنيا كالشبكة تلتف على من رغب فيها، و تتحرر عمّن أعرض عنها، فلا- تمل إليها بقلبك، و لا- تقبل عليها بوجهك، فتوقعك فى شبكتها، و تلقيك فى هلكتها»(٢).

و هكذا فإن «.. متاع الدنيا حطام موبوء فتجنّبوا مرعاه..

قلعتها أحظى من طمأنينها، و بلغتها أزكى من ثروتها، حكم على مكث منها بالفاقه، و أعين من غنى عنها بالراحه، و من راقه زبرجها أعقت ناظريه كمها، و من استشعر الشغف بها ملأت ضميره أشجانا، لهن رقص على سويداء قلبه، همّ يشغله و همّ يحزنه، كذلك حتى يؤخذ بكظمه فيلقى بالفضاء منقطعاً أبهراه، هينا على الله فناؤه و على الإخوان إلقاءه»(٣).

ف «كم أكلت الأرض من عزيز جسد و أنيق لون، كان فى الدنيا غدى (يتغذى) ترف. و ريب شرف، يتعلل بالسرور فى ساعه حزنه، و يفرع إلى السلوه إن مصيبه نزلت به... فبينما هو يضحك إلى الدنيا و تضحك الدنيا إليه فى ظل عيش غفول، إذ وطىء الدهر به حسكه (نبت فيه شوك قوى)، و نقضت الأيام

ص: ٩٠

١- الإرشاد - للمفيد: ص ١٢٤.

٢- غرر الحكم و درر الكلم: ١١٧.

٣- نهج البلاغه: الحكم ٣٦٧.

قواه و نظرت إليه الحتوف من كذب... و إن الموت لغمرات.

هي أفضح من أن تستغرق بصفه أو تعتدل على عقول أهل الدنيا»(١).

و رابع موجبات الزهد: الانشغال بإصلاح النفس.

فمن عرف قدر نفسه، روضها بالقناعة و الكفاف، و ترك الشهوات و الملهذات، و زكّاه بالانقطاع عن تلبيه سؤلها، و مقاومه طلباتها، و مجاهده رغباتها. فإن النفس غراره غداره، إلا من أدبر عنها، و تحرّر من ربقتها..

و قد يسأل البعض: إذا كان الزهد مطلوباً فما هو؟ و أين يكون؟ و ما هي نتائجه؟

و الجواب: «إن الزهاده في الدنيا ليست بتحريم الحلال، و لا إضاعه المال، و لكنّ الزهاده في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق منك بما في يد الله عزّ و جلّ»(٢).

ف «الزهاده قصر الأمل، و الشكر عند النعم، و التورّع عن المحارم(٣) و هو تركك كل شيء يشغلك عن الله، من غير

ص: ٩١

١- مطالب السؤل: ج ١، ص ١٠٠.

٢- كنز العمال: خ ٦٠٥٩.

٣- روضه الواعظين: ص ٤٣٤.

تأسف على فوتها، ولا إعجاب في تركها، ولا انتظار فرج منها، ولا طلب محمده عليها، ولا عوض منها»(١).

و هكذا فإن «الزهد كلمه بين كلمتين من القرآن: قال الله تعالى: لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ (٢)» فمن لم يأس على الماضي، و لم يفرح بالآتى، فقد أخذ الزهد بطرفيه»(٣).

و لذلك فإن الإمام على عليه السلام كان يوصى قائلا: يا بن آدم.. لا- تأسف على مفقود لا- يردّه إليك الفوت، و لا تفرح بموجود لا يتركه فى يديك الموت»(٤).

أما أين يكون الزهد، فأولا: فيما حرّم الله. و ثانيا: فى الزيادة مما أحله الله.. فالزهد هو ترك الحرام مهما كانت لذته، و منفعتة.. ف «الزاهد فى الدنيا من لم يغلب الحرام صبره، و لم يشغل الحلال شكره(٥) فلا زهد كالزهد فى الحرام»(٦).

كما هو ترك الزائد من الحلال، فالزاهد هو «الذى يترك

ص: ٩٢

١- بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٣١٥.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.

٣- البرهان فى تفسير القرآن: ج ٤، ص ٢٩٦.

٤- تنبيه الخواطر: ص ٣٥٥.

٥- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٣٧.

٦- البصائر و الذخائر: ص ٢٥.

حلالها (الدنيا) مخافه حسابه (الله تعالى)، و يترك حرامها مخافه عذابه»(١).

و لقد أوحى الله تعالى إلى نبيه ليله أسرى به فقال: «يا أحمد.. إن أحببت أن تكون أروع الناس، فازهد في الدنيا، و ارغب في الآخرة». فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «يا إلهي كيف أزهّد في الدنيا و أرغب في الآخرة؟».

فقال تعالى: «خذ من الدنيا خفًا من الطعام و التراب و اللباس»(٢).

نتائج الزهد في الآخرة و الدنيا

أما ما هي نتائج الزهد، ففي الآخرة ثواب الله العظيم، كما أن من نتائج حبّ الدنيا، و ترك العمل للعقبى عقاب الله الأليم. فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١).

و أما في الدّنيا فالزهد هو الطريق إلى الحق، و عباده الله تعالى. يقول الإمام على عليه السّلام: «العلم يرشدك إلى ما أمرك الله به، و الزهد يسهل لك الطريق إليه»(٤).

ص: ٩٣

١- ميزان الحكمه: ج ٤، ص ٢٥٣.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٢٢.

٣- سورة النازعات، الآيات: ٣٧-٤١..

٤- غرر الحكم و درر الكلم.

و فى الحقيقه لا يمكن أن يرى الإنسان نواقص الدنيا، و عيوبها إلا إذا زهد فيها، فإن حبّ الشىء يعمى و يصمّ. يقول الإمام عليه السلام: «ازهد فى الدنيا يبصرك الله عوراتها»(١).

فالحكمه، فى الفهم و العمل و الوعى، هى من نتائج الزهد ذلك أنه «ما زهد عبد فى الدنيا إلا أنبت الله الحكمه فى قلبه، و أنطق بها لسانه، و يبصره عيوب الدنيا، و داءها و دواءها، و أخرجه منها سالما إلى دار السلام»(٢).

فمن يزهد فى الدنيا يتحرر من الشهوات و الرغبات و العقد النفسيه، و لن يتعصب لباطل، و لا ينحاز لمعصيه، و لا يرغب فى مضره أحد.. و بذلك يرى الحقيقه كما هى و تنبت الحكمه فى قلبه..

هذا بالإضافة إلى أن الزهد يجعل الإنسان نشيطا فى العمل الصالح، قويا فى تحمّل المكاره، خلوقا فى التعامل مع الناس، ملتزما بالعدل و الإنصاف، لأنه لا يرغب فى مصلحه حتى يظلم الآخرين من أجلها، و لا يخاف من مضره حتى يغدر للتخلص منها..

ص: ٩٤

١- بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٣١٩.

٢- بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ٤٠٦.

فالزاهد «يختار الجهد على الراحة، و الجوع على الشبع و الذكر على الغفله»(١).

و لكل ما سبق، كان الإمام على عليه السلام زاهدا في دنياه، موصيا بنيه و أصحابه بالزهد، تاركا لملذات الحياه، صابرا على بلاء الله، طالبا أجر الآخرة، محبا للمساكين، صديقا للفقراء، نشيطا في العمل الصالح، راغبا عن حطام الدنيا.

لقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «يا على! إن الله تعالى قد زينك بزينة لم تزين العباد بزينة أحب إلى الله تعالى منها و هي زينة الأبرار عند الله عزّ و جلّ: الزهد في الدنيا، فجعلك لا ترزأ (أى تصيب) من الدنيا شيئا و لا ترزأ منك الدنيا شيئا، و هب لك حب المساكين، فجعلك ترضى عنهم أتباعا و يرضونك إماما، فطوبى لمن أحبك و صدق فيك، و ويل لمن أبغضك و كذب عليك. فأما الذين أحبوك و صدقوا فيك فهم (في الآخرة) جيرانك في دارك و رفقاؤك في قصرك، و أما الذين أبغضوك و كذبوا عليك فحق على الله أن يوقفهم موقف الكذابين»(٢).

ص: ٩٥

١- بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٣١٥.

٢- بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ٣٣٠.

فكان الإمام ينظر إلى الدنيا من منظور الآخرة، وهو القائل: «و الله، لدنياكم هذه، أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم»^(١).

و لقد كان زهده عليه السلام سته أبعاد..

إشاره

البعد الأول: الزهد للبساطه في الحياه.

البعد الثاني: الزهد لترويض النفس.

البعد الثالث: الزهد للتأسي بالفقراء و المساكين.

البعد الرابع: الزهد للعتاء للآخريين.

البعد الخامس: الزهد لرفض الترف و السلطان و الأبهه و الجلال.

البعد السادس: الزهد للالتزام بالعدل.

ففي البعد الأول، و هو الزهد للبساطه في الحياه.

كان الإمام حريصاً على أن يعيش على الكفاف، في المأكل و الملبس و كل شؤون الحياه، ففي المدينه المنوره حيث بويج بالخلافه كان مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مقرّ حكومته، و بيته المتواضع مسكنه، لم يغير و لم يبدل. و في الكوفه رفض السكنى في دار الإمارة، بل بنى إلى جنبها بيتاً متواضعاً. من

ص: ٩٤

١- نهج البلاغه: الحكم ٢٣٦.

ثلاث غرف، و سكن فيه، و لا تزال آثار قصر الإمارة الضخم، و آثار بيته المتواضع إلى جنبه، موجوده فى الكوفه..

و كانت فلسفته فى ذلك: «و ما أصنع بفدك، و غير فدك، و النفس مظانها فى غد جدث (قبر) تنقطع فى ظلمته آثارها، و تغيب أخبارها، و حفره لو زيد فى فسحتها، و أوسعت يدا حافرها، لأضغظها الحجر، و المدر، و سدّ فرجها التراب المتراكم؟»(١).

و لقد حكم الناس خمس سنين ما وضع آجره على آجره و لا- لبنه على لبنه، و لا- قصبه على قصبه، و لا- أورث بيضاء، و لا حمراء، إلا سبعمائه درهم فضلت من عطائه، أراد أن يبتاع بها لأهله خادما، و ما أطاق عمله منّا أحد، و إن كان على بن الحسين عليه السلام لينظر فى كتاب من كتب على عليه السلام فيضرب به الأرض و يقول: من يطيق هذا؟(٢).

و من كان يطيق أن يفتش الأرض و يلتحف السماء، و يأكل من الطعام ما جش، و يلبس من اللباس ما خشن و هو أمير المؤمنين؟

و من قبل ذلك أيضا، عاش الزهد و هو فى ريعان

ص: ٩٧

١- روضه الواعظين: ص ١٢٧.

٢- الأمالى - للصدوق: ص ٧٣.

الشباب، فحينما تزوج بفاطمه فى ليله زفافه جاء بالزمل فأفرش به غرفته(١). أما فراشه فكان كما قال: «ما كان لنا إلا إهاب كبش (الجلد غير المدبوغ) أبيت مع فاطمه بالليل، و نعلف عليها الناضح (البعير ليستقى عليه) بالنهار»(٢).

«و كان أحيانا لا- يجد عملا يقات منه إلا أن يملأ الدلو فى بستان أحد الأغنياء من يهود المدينة، ليروى به البستان، و كان اليهودى يعطيه فى كل دلو تمره، فيعود إلى فاطمه بتمر يطعمها هى و أولادهما، و ربما أهدى منه الرسول، إذا أصابته عليه الصلاه و السلام خصاصه.. و لكم كانت تصيبه!!..»

هكذا كان يُؤْتَى ماله يَتَزَكَّى (١٨) وَ مَا لِأَخِيْدِ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا- ائْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَ لَسَوْفَ يَرْضَى (٣) و فى الحق أنه كان عند ربه مرضيا»(٤).

ثم إنه عليه السلام «ما شبع من طعام قط، و كان أحسن الناس أداما و ملبسا»(٥).

و ما ذا كان طعامه؟ و ما ذا كان ملبسه؟

ص: ٩٨

١- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ٤٣٦.

٢- المصدر السابق.

٣- سوره الليل، الآيات: ١٨-٢١.

٤- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢٠.

٥- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ٤٣٧.

روى النضر بن منصور، عن عقبه بن علقمه قال: دخلت على على عليه السلام فإذا بين يديه لبن حامض آذنتي حموضته و كسره يابسه.

فقلت: «يا أمير المؤمنين أ تأكل مثل هذا؟!»

فقال لى: «يا أبا الجنوب كان رسول الله يأكل أيس من هذا، و يلبس أحسن من هذا (و أشار إلى ثيابه) و أخاف إن لم آخذ بما آخذ به، أن لا ألحق به»(١).

.. و زاره رجل من أصحابه فطلب الطعام، و لم يكن أمير المؤمنين موجودا فأخرج إليه أبناءه قصعه فيها مرق بحبوب.

فقال: «تطمعون هذا و أنتم أمراء الناس»؟.

قالوا: «كيف لو رأيت طعام أمير المؤمنين»؟! (٢).

و قال عبد الله بن أبى رافع «دخلت إليه يوم عيد فقدم جرابا مختوما فوجدنا فيه خبز شعير يابس مرصوصا، فقدم فأكل، فقلت: يا أمير المؤمنين فكيف تختمه؟ قال أما إني لا أختمه بخلا به، و لكنى خفت هذين الولدين أن يلتاه بسمن أو زيت».

و كان ثوبه مرقوعا بجلد تاره و بليف أخرى، و نعلاه من

ص: ٩٩

١- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١٣٧.

٢- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٢٩٨.

ليف، و كان يلبس الكرابيس الغليظه فإذا وجد كّمه طويلا قطعه بشفره فلم يخطه، فكان لا يزال متساقطا على ذراعيه حتى يبقى سدى لا لحمه له.

كان يأتدم إذا ائتم بخلّ أو بملح، فإن ترقي عن ذلك فبيعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل، و لا يأكل اللحم إلا قليلا و يقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر للحيوانات.

و كان مع ذلك أشدّ الناس قوه و أعظمهم يدا، لم ينقص الجوع قوته و لم يخور الإقلال منته و هو الذى طلق الدنيا و كانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلا من الشام فكان يفرقها و يمزقها ثم يقول:

هذا جنائى و خياره فيه إذ كلّ جان يده إلى فيه (١)

و كان عليه السيّام لا- يأكل من الأموال التى تجبى إليه من العراق، بل مما يؤتى به من الحجاز، حيث كانت له مزارع زرعتها بيده (٢).

و روى «أنه كانت له بالكوفه امرأتان، فإذا كان يوم هذه اشترى لحما بنصف درهم، و إذا كان يوم هذه اشترى لحما

ص: ١٠٠

١- شرح نهج البلاغه: ج ١، ص ٨.

٢- بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ٣٢٥.

بنصف درهم. و كان ينفق هذه النفقه من شيء يأتيه من الحجاز»(١).

أمّا عن بساطه ثيابه فقد روى أنه «رأوه يحمل تمرا في ردائه، فقيل له: أعطنا نحمل عنك. فقال: و من يحمل عنى أوزارى يوم القيامة؟. فانطلق للبيت، ثم رجع مرتديا الشملة ذاتها، و فيها قشور التمر، فصلّى بالناس فيها الجمعة»(٢).

و كان يرقّع ثوبه عند ولده الحسن عليه السّلام و قد قال كلمته الشهيره: «و الله لقد رقعت مدرعتى هذه حتى استحيت من راقعها و لقد قال لى قائل: ألا تنبذها؟ فقلت: اغرب عنى!».

فعند الصباح يحمد القوم السرى»(٣).

و قيل له: «لم ترقّع ثوبك؟»

فقال: ليخشع القلب، و يقتدى به المؤمنون»(٤).

و روى: أنه عليه السّلام كان يطوف الأسواق بإزار، مرتديا برداء، و معه الدرّه، كأنه أعرابى، فطاف مره حتى بلغ سوق الكرابيس، فاشترى من غلام كان هناك قميصا بثلاثه دراهم،

ص: ١٠١

١- على إمام المتّقين: ج ٢، ص ٤٠.

٢- شرح نهج البلاغه: ج ١، ص ٨.

٣- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ٤٣٥.

٤- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١٦١.

فلما جاء أبوه، و عرف أن ولده باع أمير المؤمنين القميص بثلاثة دراهم، جاء إليه عليه السلام ليُدفع له درهما، فقال الإمام «ما هذا»؟

قال الرجل: يا مولاي.. إن القميص الذي باعك ابني كان يساوي درهمين.

فلم يأخذ الإمام الدرهم، و قال: «باعني برضاي، و أخذ برضاه»(١).

أمير المؤمنين، و قائد المسلمين، يلبس ثوبا بثلاثة دراهم، و ذلك حينما كانت الأمبراطوريتان الثريتان: الرومانيه، و الفارسيه قد سقطت بأيدي المسلمين، و كان كثير من الصحابه و التابعين، قد اغتروا بالمال و الثراء، و كانت تجبي إلى الإمام الملايين.. غير أنه يرفض ترك البساطه في الحياه، و يعتبرها قيمه من القيم.. و يقول: «ألا- و إن لكلّ مأموم إماما يقتدى به و يستضيء بنور علمه، ألا و إنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، و من طعمه بقرصيه، ألا و إنّكم لا تقدرون على ذلك، و لكن أعينوني بورع و اجتهاد، و عفه و سداد، فوالله ما كنت من دنياكم تبرا، و لا- ادّخرت من غنائهما و فرا و لا- أعددت لبالى ثوبى طمرا، و لا حزت من أرضها شبرا، و لا أخذت منه

ص: ١٠٢

١- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١٦١.

إلا كقوت أتان دبره (التي قرح ظهرها) و لهى فى عيني أوهى و أهون من عفضه مقره»(١).

لقد كان زهد الإمام، زهد الحاكم المقتدر، لا زهد المحكوم العاجز، فلو شاء لعاش - على الأقل - كسائر الناس، و ليس بشكل هم لا يقدر على ما هو عليه: مجرد طمرين، و مجرد قرصين، و لا شبر من الأرض، و لا ادخار درهم أو دينار..

و حقا فإن الإمام عليه السلام كان يرى البساطه مغنما، و القناعه كنزا، و عيش الكفاف فخرا و اعتزازا.

و ملخص فلسفته فى رفض الزيادة على الكفاف أنه «من رضى من الدنيا بما يجزيه كان أيسر ما فيها يكفيه، و من لم يرض من الدنيا بما يجزيه لم يكن فيها شيء يكفيه»(٢).

أما البعد الثانى فى زهد الإمام، فهو الزهد لترويض

النفس، و مجانبه الهوى، و مقاومه الشهوات و تزكيه الذات.

فالإمام كان بشرا، تتوق نفسه إلى المسكن الهنيء، و المطعم الشهى و المركوب البهى، و الزوج المرضى، و لكنه كان يزهد فيها جميعا لكسب الأجر، فما من أجر كمثل أجر نهى النفس

ص: ١٠٣

١- ربيع الأبرار: ص ٢١٦.

٢- الكافي: ج ٢، ص ١٤٠.

عن الهوى.. و قد روى فى ذلك أنه أهدى إلى على عليه السلام و فاطمه بعض الفالوج، فأطعما أولادهما و لم يطعما منه، و قال على، و قد وضعه أمامه: «إنك طيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم، و لكنى أكره أن أعود نفسى ما لم تعتده»(١).

إنه يريد ترويض نفسه، و هو القائل: «و إنما هى نفسى أروضها بالتقوى لتأتى آمنه يوم الخوف الأ-كبر، و تثبت على جوانب المزلق و لو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، و لباب هذا القمح و نسائج هذا القز، و لكن هيهات أن يغلبنى هواى و يقودنى جسعى إلى تخير الأ-طعمه... فما خلقت ليشغلنى أكل الطيبات كالبهيمة المربوطه همها علفها، أو المرسله شغلها تقمها، تكثرش من أعلافها و تلهو عميا يراذ بها، أو أترك سدئى، أو أهمل عابثا، أو أجّر بحبل الضلاله، أو أعتسف طريق المتاهه.

و كائى بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبى طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران و منازل الشجعان.

ألا و إن الشجره البريه أصلب عودا، و الروائع الخضره أرقّ جلودا، و النباتات البدويه أقوى وقودا و أبطأ خمودا.

ص: ١٠٤

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٩١.

و أنا من رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم كالصنو من الصنو و الذراع من العضد، و الله لو تظاهرت العرب على قتالي لما و لّيت عنها، و لو أمكنت الفرصه من رقابها لسارعت إليها، و سأجهد في أن أظهر الأرض من هذا الشخص المعكوس و الجسم المركوس حتى تخرج المدره من بين حبّ الحصيد.

إليك عنّي يا دنيا فحبلك على غاربك، قد انسلت من مخالبك، و أفلت من جائلك، و اجتنبت الذهاب في مداحضك.

أين القرون الذين غررتهم بمداعبك؟

أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك؟ ها هم رهائن القبور و مضامين اللحد.

و الله لو كنت شخصا مرثيا و قالبا حسيا لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأمانى، و أمم أقيتهم في المهاوى، و ملوك أسلمتهم إلى التلف، و أوردتهم موارد البلاء، إذ لا ورد و لا صدر.

هيهات من وطأ دحضك زلق و من ركب لججك غرق، و من ازورّ عن جالك وفق، و السالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه، و الدنيا عنده كيوم حان انسلاخه.

ص: ١٠٥

اعزبى عني فوالله لا اذل لك فتستدليني، و لا اسلس لك فتقوديني.

و ايم الله يمينا - استثنى فيها بمشيئه الله - لأروضن نفسي رياضه تهش معها إلى القرص، إذا قدرت عليه، مطعوما، و تقنع بالملح مأدوما و لأدعن مقلتي كعين ماء نضب معينها، مستفرغه دموعها.

أتملى السائمه من رعيها فتبرك؟ و تشبع الربيضه من عشبها فتربض؟ و يأكل على من زاده فيهجع!؟ قرت إذن عينه، إذا اقتدى بعد السنين المتطاوله بالبهيمه الهامله و السائمه المرعيه.

طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها، و عركت بجنبها بؤسها، و هجرت في الليل غمضا حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها، و توسدت كفها، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، و تجافت عن مضاجعهم جنوبهم، و همهمت بذكر ربهم شفاهم، و تقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم، أولئك حزب الله، إلا أن حزب الله هم المفلحون»(١).

و هكذا فإنه عليه السلام «كان يرى الزهد مكسبا للأجر، و مربحا للثواب، و طريقا إلى الجنه، بينما الترف، و التكاثر موجبا

ص: ١٠٦

١- روضه الواعظين: ص ١٢٧.

للضلال، و الطغيان، و هما يجزان إلى النار.. فكان يروض نفسه ليحيى قلبه، و يرى أن كثره الطعام تميت القلب، كما تميت كثره الماء الزرع»(١).

و كان عليه السلام يريد الثواب، لا الحطام، و الجنة لا الدنيا، و رضى الله تعالى لا الراحة فى الحياه. و لقد سأله رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يوما فقال:

«يا على! كيف أنت إذا زهد الناس فى الآخرة، رغبوا فى الدنيا، و أكلوا التراث أكلا لَمًا، و أحبوا المال حبا جَمًا؟»

فقال على عليه السلام: «أتركهم و ما اختاروا، و أختار الله و رسوله و الدار الآخرة، و أصبر على مصيبات الدنيا و بلواها حتى ألحق بك إن شاء الله تعالى».

فقال الرسول: «صدقت. اللهم افعل ذلك به»(٢).

و كان يوصى أصحابه فيقول:

«رحم الله رجلا نزع عن شهوته، و قمع هوى نفسه، فإن هذه النفس أبعد شىء منزعا، و إنها لا تزال تسرع إلى معصيه فى هوى، إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان يقول: «إن الجنة حفت بالمكاره، و إن النار حفت بالشهوات»(٣).

ص: ١٠٧

١- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٣٠١.

٢- المصدر السابق: ج ١، ص ٣٩.

٣- تفسير العياشى: ج ٢، ص ٢٦٢.

«التقى من ألزم نفسه العدل، فكان أول عدته نفي الهوى عن نفسه».

«من لَجَّ قلبه بحب الدنيا التاط (التصق) قلبه بثلاثه: هم لا يبرحه، و حرص لا يتركه، و أمل لا يدركه»(١)..

«عباد الله، زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، و حاسبوها قبل أن تحاسبوا، و تنفسوا قبل ضيق الخناق، و انقادوا قبل عنف السياق (انقادوا لما يطلب منكم قبل أن تساقوا إليه بالعنف) و اعلموا أنه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ و زاجر: لم يكن من غيرها زاجر و لا واعظ».

«اتقوا الله تقيه ذى لب شغل التفكير قلبه، و أنصب الخوف بدنه، و أسهر التهجد غرار نومه، و أرجف الذكر بلسانه».

«اتقوا تقيه من سمع فخشع. و اعترف فاعترف. و وجل فعمل، و رجع فتاب، و اقتدى فاحتدى»(٢).

و هكذا، فإن الزهد عند الإمام كان لقمع الهوى، و كسب الأجر، و خفه الحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين.

أليس فى حلال الدنيا حساب؟ و فى حرامها عقاب؟ فلم لا يزهد فيها؟

ص: ١٠٨

١- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٦٣٠.

٢- النهايه: ج ٢، ص ٣٤٥.

ثم لماذا الاستزاده، و الحرص، و جمع الأموال؟

يقول عليه السّلام: «يا بن آدم، لا تحمل همّ يومك الذى لم يأت على يومك الذى قد أتاك، فإنّه إن يك من عمرك يأت الله فيه برزقك... و اعلم أنك لا تكسب من المال شيئا فوق قوّتك و إلا كنت خازنا لغيرك فيه»(١).

لقد كان يجوّع نفسه متعمدا ليعلمها القناعه، و يروّضها على طاعه الله، و يخشى إن لم يفعل ذلك أن يكون قد عصى الله تعالى. و قد روى فى ذلك أن عدى بن حاتم رآه، و بين يديه قراح ماء و كسرات خبز شعير و ملح فقال: إنى لا أرى لك يا أمير المؤمنين لتظل نهارك طاويا مجاهدا، و بالليل ساهرا مكابدا، ثم يكون هذا فطورك؟ فقال عليه السّلام شعرا:

عَلِمَ النَّفْسَ بِالْقَنُوعِ وَ إِلَّا طَلَبْتَ مِنْكَ فَوْقَ مَا يَكْفِيهَا(٢)

و روى أيضا «أنه ترصد عمرو بن حريث غذائه فأتى له بجراب مختوم فأخرج منه خبزا متغيرا خشنا، فقال عمرو لخادمته: يا فلانه لو نخلت هذا الدقيق و طيّبته؟

ص: ١٠٩

١- عيون الأخبار: ج ٢، ص ٣٧١.

٢- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ٤٣٦.

قالت: كنت أفعل فنهاني، و كنت أضع في جرابه طعاما طيبا فختم جرابه.

ثم إن أمير المؤمنين فته في قصعه و صبّ عليه الماء، ثم ذرّ عليه الملح و أكل..

فلما فرغ من الأكل توجه إلى عمرو قائلًا: «لقد خانت هذه (و أشار إلى لحيته) و خسرت هذه، إن أدخلتها النار من أجل الطعام، و هذا يجزيني»(١).

و الحق أنه عليه السلام كان يريد النقص في دنياه، و كان يرى في ذلك كمالًا.. و هو الذي قال:

«اعلموا أن ما نقص في الدنيا و زاد في الآخرة خير مما نقص في الآخرة و زاد في الدنيا، فكم من منقوص رابح و مزيد خاسر؟

إن الذي أمرتم به أوسع من الذي نهيتم عنه، فذروا ما قلّ لما كثر، و ما أحلّ لكم أكثر مما حرّم عليكم، و ذروا ما ضاق لما اتسع، فالله قد تكفّل لكم بالرزق و أمركم بالعمل. فلا يكونن المضمون لكم طلبه أولى بكم من المفروض عليكم عمله.. فبادروا العمل، و خافوا بغته الأجل، فإنه لا يرجى من رجعه العمر ما يرجى من رجعه الرزق، ما فات من الرزق

ص: ١١٠

١- المصدر السابق.

يرجى غدا زيادته، و ما فات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعتة. الرجاء مع الجائي (ما سيجيء)، و اليأس مع الماضي، فاتقوا الله حق تقاته و لا تموتنّ إلا و أنتم مسلمون»(١).

و بمقدار ما كان عليه السّلام زاهدا في الدنيا، كان عليه السّلام شديد الإلحاح على الناس في دعوته للزهد، فحتى الصغار كان يوصيهم بالزهد، كما يوصيهم بالتقوى و العبادة..

من ذلك ما رواه الحسن البصري فقال: «كنت جالسا بالبصره - و أنا حينئذ غلام - أتطهر للصلاه، إذ مرّ بي رجل راكب بغله شهباء معتّم بعمامه سوداء، فقال لي: «يا حسن! أحسن وضوءك يحسن الله إليك في الدنيا و الآخرة. يا حسن! أما علمت أن الصلاه مكيال و ميزان؟»

فرفعت رأسي فتأملت فإذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام، فأسرعت في طهورى، و جعلت أقفو أثره إذ حانت منه التفاته.

فقال لي: «يا غلام ألك حاجه؟»

قلت: «نعم يا أمير المؤمنين. تفيدنى كلاما ينفعنى في الدنيا و الآخرة».

ص: ١١١

١- تحف العقول: ص ١٥٦.

قال: «يا غلام إنه من صدق الله نجا، و من أشفق من ذنبه أمن الردى، و من زهد في هذه الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا». ثم قال: «يا غلام ألا أزيدك»؟

قال: «بلى يا أمير المؤمنين».

قال: «إن سرّك أن تلقى الله غدا و هو عنك راض فكن في هذه الدنيا زاهدا و في الآخرة راغبا، و عليك بالصدق في جميع أمورك تنج مع الناجين غدا، يا غلام إن تضع هذا الكلام نصب عينيك، ينفعك الله به».

ثم أطلق عنان البغله من يده، فجعلت أقفو أثره، إذ دخل سوقا من أسواق البصره، فسمعته يقول: «يا أهل البصره يا أهل تدمر، يا عبيد الدنيا و عمّال أهلها، إذا كنتم بالنهار تخدمون الدنيا، و في الليل تنامون، و في خلال ذلك عن الآخرة تغفلون، فمتى تحرزون الزاد، و تفكرون في المعاد»؟

فقام إليه رجل من السوق فقال: «يا أمير المؤمنين إنه لا بد من طلب المعاش فكيف نصنع»؟.

فقال: «أيها الرجل إن طلب المعاش من وجهه الحلال لا يشغلك عن الآخرة، فإن قلت لا بد لنا من الاحتكار، لم تكن معذورا». فتولّى الرجل و هو يبكي.

فقال أمير المؤمنين: «أقبل علىّ يا ذا الرجل أزدك تبيانا،

إنه لا بد لكل عامل من أن يوفَّ يوم القيامة أجر عمله، فمن كان عمله للدنيا وحدها، فأجره النار»(١).

البعد الثالث لزهد الإمام، هو الزهد للتأسي بالفقراء

و المساكين،

فكثيرا ما كان الإمام يرفض مطعما معيناً، أو مركبا معيناً، أو ملبسا معيناً لأن بعض أفراد الأئمة لا يملك مثله..

و التأسي عند الإمام، أصل من أصول الأخلاق، خاصة عند ما كان أميراً للمؤمنين، فكان يرى الزهد فيما لا يملكه الآخرون واجبا عليه باعتباره أميراً لهم، فلا بد أن يعيش كأضعفهم..

يقول عليه السلام: «لو شئت لا هتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، و لباب هذا القمح، و نسائج هذا القز، و لكن هيهات أن يغلبني هواي، و يقودني جسعي إلى تخيير الأطمعه و لعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له فى القرص و لا عهد له بالشبع.

أو أبيت مبطانا و حولى بطون غرثى و أكباد حرى؟، أو أكون كما قال القائل:

و حسبك داء أن تبيت ببطنه و حولك أكباد تحنّ إلى القدّ

ص: ١١٣

أ أقنع من نفسى بأن يقال: أمير المؤمنين، و لا أشاركهم فى مكاره الدهر؟ أو أكون أسوه لهم فى جشوبه العيش؟! (١).

فعلّى إمام المساكين يضرب لهم مثلاً فى الصبر و الاحتمال و يعيش كأحدهم، فهو زاهد ناسك، يحب من اللباس ما قصر و من الطعام ما خشن، فإن شعر بزهو يتسلل إلى نفسه قمعه بإذلال باطنه لله، و اخشيشان ظاهره للناس، فهو كما قال عنه الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم «مخشوشن فى الله»!

يقول أحد أصحابه: «دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب بالخورنق، و هو يرعد تحت سمل بالى فقلت له:

- «يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قد جعل لك، و لأهل بيتك فى هذا المال ما يعمّ، و أنت تصنع بنفسك ما تصنع؟!»

فقال: «و الله، ما أرزأكم من أموالكم شيئاً، و إن هذه لقطيفتى التى خرجت بها من منزلى من المدينة، و ما عندى غيرها» (٢).

و الحق، أن الإمام لم يكن ليكتفى أن يكون كأحد المسلمين، و يعيش مثلهم فحسب، بل عاش أنزل منهم درجه، و أقلّ من أضعف من فيهم..

و فى ذلك روى:

ص: ١١٤

١- نهج البلاغه: الكتب ٤٥.

٢- كشف الغمّة: ص ٤٩.

«أنه أتى البرّازين فقال لرجل: بعنى ثوبين.. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين عندي حاجتك، فلما عرفه مضى عنه، فوقف على غلام فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم و الآخر بدرهمين.

فقال: يا قنبر خذ الذى بثلاثه.

فقال قنبر: أنت أولى به، تصعد المنبر و تخطب الناس.

فقال: و أنت شابّ و لك شره الشباب، و أنا أستحيى من ربّى أن أتفضّل عليك، سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: «ألبسوهم ممّا تلبسون و أطعموهم ممّا تأكلون». فأخذ قنبر الثوب الذى بثلاثه دراهم و أخذ على الذى بدرهمين.

فلما لبس القميص مدّ كمّ القميص فأمر بقطعه و اتّخذه قلانس للفقراء:

فقال الغلام: هلّم أكفّه (أى أخيطه لك)، فقال: دعه كما هو، فإنّ الأمر أسرع من ذلك:

فجاء أبو الغلام فقال: إنّ ابنى لم يعرفك، و هذان درهمان ربحهما فقال عليه السّلام: ما كنت لأفعل، قد ماكست و ماكسنى و اتّفقنا على رضى»(١).

كل ذلك يفعل به نفسه، فى الوقت الذى لو اتخذ أحسن

ص: ١١٥

١- مناقب آل أبى طالب: ج ١، ص ٣٠٥.

ملبس و مأكلا لم يكن يعترض عليه أحد، بل كثيرا ما كان البعض يطالبه بذلك، خاصة و أنّ العذنين عاصروه كانوا هم قد تراحموا على الثراء، و المناصب و الجاه و الراحة..

«و لقد تحدّث إليه بعض العذنين لحقوا به من أتقياء أهل الشام و قرائهم عن بذخ معاويه، و عن إغداقه على من يصطنعهم.. فزعموا أن على مائده معاويه عشره أصناف من الحلوى و حدها، و أنه يرتدى كل يوم حلّتين، و قد اتّخذ لسيفه مقبضا من ذهب، و ما هو إلّا- أحد الولاة، فما بال أمير المؤمنين لا يملك غير إزار قصير، من غزل أهل بيته، لا يغطّي إلّا نصف ساقه؟! و ما بال طعامه أحسن طعام، و ما باله يحمل سيفه على جبل من ليف، و قد اتّخذ من حصير المسجد سرير ملكه؟!».

فضحك الإمام و قال لهم: «أما و الله ما أحبّ الفقر، و لو تمثّل لى الفقر رجلا لقتلته. و لكنى و الله لا أرزأ من أموالكم شيئا».

و لاحظ أحد الحاضرين أن أمير المؤمنين ليس عليه ما يكفى من الثياب فسأله: «يا أمير المؤمنين ألم يجعل الله لك و لأهل بيتك فى هذا المال نصيبا؟».

فتبسّم قائلا: «إن مسّ الحصير كان يوجع جنب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و ما شبع هو و أهله من طعام قط و قد حيزت له

الدنيا و ما فيها، و أنا على سنته.. و لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: لا يحل للخليفة من بعدى من مال الله إلا- قصعه يأكلها هو و أهله، و قصعه يتصدق بها، و حلّه للصيف و حلّه للشتاء! على أنى أعيش على ما يأتينى من ينعم، و أستغنى به عن بيت المال»(١).

البعد الرابع من زهد الإمام، زهد للعطاء للآخرين..

فلكم عاش من دون أن يملك شيئاً لأنه أعطى ما يملك لغيره؟ و لكم انشغل عن إسعاد نفسه بإسعاد الآخرين؟ و لكم شعر فى أعماق نفسه بالرضا كلما أمكنه أن يسدّ حاجه لمحتاج، و لو بكلّ ما عنده، واثقا بما عند الله تعالى؟

و لعمرى، إن ذلك هو زهد العارف بالله، المتقى له، الراغب فى ثوابه..

كان يرى أنّ المساكين الذين ارتضوه إماما، إذا انقطعت بهم أسباب الرزق لعلّه، أو نحوها، فإنّ عليه دون غيره أن يكفيهم مطالب الحياه، و أن يوفرّ لهم المقام الكريم فى هذه الدنيا، فكان لا يكتفى بالعدل، بل يعطى من نفسه، و من حصته لكل

ص: ١١٧

١- على إمام المتّقين: ج ٢، ص ٢٧-٢٨.

محتاج، حتى يضطرّ إلى بيع سيفه، ذلك السيف العظيم الذي قام عليه الإسلام، و عبد به الله، و انتصر به المؤمنون في الأرض.

فقد روى أنه عليه السلام عرض ذات مرّه سيفه على البيع قائلا:

«من يشتري سيفي هذا»؟!

ثم سمعوه يقول: «فو الله لو كان عندي ثمن عشاء ما بعته»!

و مرّه أخرى عرض سيفه للبيع قائلا: «من يشتري سيفي هذا»؟.

ثم سمعوه يقول: «و لو كان عندي ثمن إزار ما بعته»^(١)!

و روى «أن كمّه، لم يكن يتجاوز أصابعه، و يقول:

«للكّمين على اليمين فضل»». و قد نظر ذات يوم إلى فقير انخرق كمّ قميصه، فخرق الإمام كمّه، و ألقاه إليه^(٢)!

لقد أعطى كل ما عنده للناس و لم يبق لنفسه شيئاً..

و قال:

- «معاشر الناس: إنني تقلّدت أمركم هذا فو الله ما حبست منه بقليل و لا كثير إلاّ قاروره من دهن أهداها إليّ دهقان»^(٣).

ص: ١١٨

١- مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣٠٥.

٢- انظر: مسند أحمد..

٣- نهج السعادة - للمحمودى: ج ١، ص ٤١٣.

و عبارہ «ما حبست»، تعنی أنه أعطی کل شیء لهم، إلا قاروره واحده!

و ما ادخر هو شیئا فوق قوته، بل إنه كان يتصدق بقوته إن سأله جائع، أو محروم.

ذات یوم و هو یصلی فی المسجد، سأله سائل، فلم یخرج من الصلاه، و لم ینتظر حتی یفرغ منها، بل مدّ یدہ للسائل و فیها خاتمہ، و ما كان یملك غیره، فخلعه السائل من إصبعة.

و مضى لسبیلہ، و أكمل الإمام صلاته راضیا مرضیا، و أنزل الله تعالى قوله: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ (١).**

البعء الخامس من زهد الإمام: زهده لرفض الترف

و السلطان و الأبّه و الجلال..

و هو زهد ذو شقين:

الأول: الزهد لرفض الترف، بكل أشكاله.

الثانى: زهده فى السلطه و مظاهرها المختلفه.

ففى الشق الأول: يقول عليه السلام: «انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها، الصادفين عنها، فإنّها و الله، عمّا قليل تزيل الثاوى الساكن، و تفجع المترف الآمن، و جلد الرجال فيها إلى

ص: ١١٩

الضعف و الوهن، فلا تغرّنكم كثره ما يعجبكم فيها، لقّله ما يصحبكم منها»(١).

و يقول عليه السّلام: «إيّاك أن تغترّ بها ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها، و تكالبهم عليها فقد نبأك الله عنها لك نفسها و تكشفت لك عن مساوئها فإنما أهلها كلاب عاويه، و سباع ضاربه، يهرّ بعضها بعضا»(٢).

و يقول: «التكاثر لهو و لعب و شغل، و استبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير»(٣).

و يخاطب معاويه قائلا: «فإنّك مترف قد أخذ الشيطان منك مأخذه، و بلغ فيك أمله»(٤).

و لأن الترف حرام على الحكّام، فقد رفض الإمام أى شىء فيه رائحه الترف، أو مظهر من مظاهره.

و من ذلك ما روى أنه عليه السّلام أتى بدابه دهقان ليركبها، فلما وضع رجله فى الركاب قال: «بسم الله» فلما وضع يده على القربوس زلّت يده من الضّفّه، فقال: «أديباج هي؟!»

قالوا: «نعم..» فلم يركبها(٥)!

ص: ١٢٠

١- أنساب الأشراف: ص ٢٧٩.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٦٢.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٣٩٤.

٤- نهج البلاغه: الكتب ١٠.

٥- بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ٣٢٥.

و من ذلك أيضا: أن خادمته أعطته في بعض الليالي قطيفه، فتعجب من دفئها، فقام ليسأل الخادمه: ما هذه؟

قالت: «هذه من قطف الصدقه»..

فقال: «أحردتمونا، بقيه ليلتنا»(١).

و روى عن «سويد بن غفله» قال: «دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام يوم عيد، فإذا عنده فاثور (الطشت) و عليه خبز السمراء (الحنطه)، و صفحه فيها خطيفه، و ملبنه (ملعقه) فقلت: «يا أمير المؤمنين.. يوم عيد و خطيفه؟!»

فقال: «إنما هذا عيد من غفر له»(٢).

و روى أنه جيء إليه بفالودج، فأدخل فيه إصبه، ثم سلبها، و لم يأخذ منه شيئا، فقيل له: أ تحرمه يا أمير المؤمنين؟

فقال: «لا.. و لكن أخشى أن تتوق إليه نفسى» ثم تلا قوله تعالى: أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا (٣).

و روى: «أنه عليه السلام تزوج «ليلى» فجعلت له حجله، فهتكها، و قال: «حسب آل عليّ، ما هم فيه»(٤).. و تزوج أخرى فوجدت له بيتا، فرفض أن يدخله»(٥).

ص: ١٢١

١- مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣١٢.

٢- المصدر السابق: ص ٣٠٦.

٣- مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣٠٦.

٤- بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ٣٢٧.

٥- المصدر السابق: ص ٣٢٧.

و حينما تزوج من الكلابيه، زفت إليه على حمار بأكاف تحتها قطيفه، و خلفها قفه معلقه، و لا شيء غير ذلك (١).

«و لاحظ أحد أصحابه أنه يلبس قميصا جديدا و لكنه يضع عليه رداء قديما فسأله في ذلك، فقال الإمام ضاحكا: «إنما ألبس هذا الرداء ليكون أبعد لى عن الزهو و الكبر» (٢).

و روى: أنه كان يحمل التمر و الملح بيده، و كان ينشد هذا الشعر:

لا ينقص الكامل من كماله ما جرّ من نفع إلى عياله

و كان عليه الصلاه و السّلام، كما يرويه زيد بن على، يمشى فى خمسه مواضع حافيا، و يعلق نعله بيده اليسرى: يوم الفطر، و النحر، و الجمعة، و عند العياده، و تشييع الجنازه، و يقول: «إنها أحبّ المواضع لله، و أحبّ أن أكون فيه حافيا» (٣).

و كان يكتفى ببعض الطعام، فأكل تمرا فقط، ثم يشرب عليه الماء، و يضرب يده على بطنه، و يقول: «من أدخله بطنه النار، فأبعده الله» و ينشد قول الشاعر:

ص: ١٢٢

١- المصدر السابق: ص ٣٢٧.

٢- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٣٠٧.

٣- السبيل إلى إنهاء المسلمين: ص ٤٣٩.

و إنك مهما تعط بطنك سؤاله و فرجك نالا منتهى الدم أجمعا(١).

و روى عن نوف قال: بت ليلة عند أمير المؤمنين عليه السلام فكان يصلّى الليل كله و يخرج ساعه بعد ساعه فينظر إلى السماء و يتلو القرآن، فمرّ به بعد هده الليل فقال: يا نوف أراقدا أنت أم رامق؟

قلت: بل رامق أرمقك ببصرى يا أمير المؤمنين.

قال: يا نوف طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة، أولئك الذين اتّخذوا الأرض بساطا، و ترابها فراشا، و ماءها طيبا، و القرآن دثارا، و الدعاء شعارا، و قرّضوا من الدنيا تقريضا على منهاج عيسى ابن مريم، إنّ الله عزّ و جلّ أوحى إلى عيسى ابن مريم: «قل للملأ من بنى إسرائيل: لا يدخلوا بيتا من بيوتى إلاّ بقلوب طاهره، و أبصار خاشعه، و أكفّ نقيّه، و قل لهم: اعلموا أنّى غير مستجيب لأحد منكم دعوه و لأحد من خلقى قبله مظلمه»(٢).

و روى «أنه ذات صباح لم يجد ما يلبسه إلاّ لباسا من الصوف به خروق، فرقعه و لبسه و خرج إلى الناس، فلما لامه

ص: ١٢٣

١- دعوات الراوندى.

٢- الخصال: ج ١، ص ١٦٤.

نفر من أصدقائه من فتيان المهاجرين و الأنصار لم يبسط لهم عذره: إنه لم يجد غيره، و لكنه تبسّم و قال لهم: «إن ليس هذه المرقعه من الصوف تتمع في الإنسان ما قد يشعر به من كبر، و تقهره على أن يتواضع لله، و تحمله على الخشوع حملاً»(١)!

أمّا زهده في السلطه، و كل ما يمت إليها بصله، فكان نابعا من إيمانه العميق بقوله تعالى: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٢).

فلم يكن يريد السلطه في أى يوم من الأيام، شأنه في ذلك شأن أصحاب الرسالات العظام في التاريخ، فما بالإمام - كما يقول أحدهم - «حرص على الإمارة بجاهها و سطوتها و سلطانها»(٣).. و هو الذى قال حينما جاؤوه للبيعه بعد مقتل عثمان: «دعونى، و التمسوا غيرى فإننا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان، لا تقوم له القلوب، و لا تثبت عليه العقول، و إن الآفاق قد أعامت، و المحجّه قد تنكرت.. و اعلموا: أنى إن أجبتمكم، ركبتمكم ما أعلم، و لم أصغ إلى قول القائل، و عتب العاتب، و إن تركتمونى فأنا كأحدكم»(٤).

ص: ١٢٤

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٥٠.

٢- سورة القصص، الآية: ٨٣.

٣- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٣٤٣.

٤- التاريخ - للطبرى: ج ٦، ص ٣٠٦٦.

و كم رفض الخلافه، و كم قبض يده فجذبوها، و كم التفوا حوله، و مشوا معه، لكي يقبل الخلافه، بمفهومه الخاص لها، و هو تحمّل المسؤوليه، و إقامه الحق..

يقول عليه السلام: «و بسطتم يدي فكففتها، و مددتموها فقبضتها، ثم تداككتم عليّ تداكك الإبل الهميم على حياضها يوم ورودها حتى انقطع النعل و سقط الرداء و وطىء الضعيف»^(١).

«فما راعني إلا و الناس كعرف الضبع إليّ، ينثالون عليّ من كل جانب حتى لقد وطىء الحسنان و شق عطفای، مجتمعين حولي كربيضه الغنم»^(٢).

و عند ما تمّت له البيعه، نهض بالأمر، ليس كسلطان، يبحث عن التاج و الصولجان، بل كصاحب رساله، و كان ما يكابده حقا، هو حرص الإمام على صياغه مجتمع فاضل على أساس و طيد من العدل، و في ظل الحرّيه، و الأخلاق.. من أجل ذلك كان يناضل لكي يغرس قيما نبيله شريفه تثمر في نفوس المسلمين، و تزدهر بالفضائل، لا أن يؤسس ملكا شامخا عضوا يمنحه الجاه و العزّه و الكبرياء.. فهو يعرف أن الكبرياء و العزّه لله جميعا..!

و قد روى أنه: كان يخصف نعله ذات يوم بذى قار فدخل

ص: ١٢٥

١- المسترشد: ص ٩٥.

٢- الفهرست - لابن النديم: ص ٢٢٤.

عليه وزيره و تلميذه عبد الله بن عباس، فعجب ابن عباس من أن يخصف أمير المؤمنين نعله بنفسه و هو يحكم نصف الأرض التي يعرفها البشر حينئذ، و الناس قد اجتمعوا خارج خيمته ليسمعوا منه.. فقال لابن عباس: «ما قيمه هذه»؟.

قال: «لا قيمه لها».

فقال الإمام: «و الله لهي أحب إليّ من إمرتكم، إلا أن أقيم حقا أو أدفع باطلا»(١).

تلك كانت قضيته و رسالته: إقامة الحق و دفع الباطل..

و لم يكن يتنافس مع أحد من أجل غير ذلك.. و هو القائل:

«اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منّا منافسه في سلطان، و لا التماس شيء من فضول الحطام، و لكن لند المعالم من دينك، و نظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، و تقام المعطلة من حدودك»(٢).

صحيح أن أعداءه، كانوا يريدون السلطان، ليحوّلوا الإمامه إلى ملك عضوض يتوارثه الابن من أبيه، و لكنّ الإمام كان يريد إحقاق الحق، و إمامته الباطل، و لذلك فإنّ رد فعله إزاء بيعته لم يكن ردّ فعل من يفوز بالانتخابات فيفرح للفوز،

ص: ١٢٤

١- الإرشاد - للمفيد: ص ١٥٤.

٢- دعائم الإسلام - للنعمان: ص ٥٣١.

و يرتاح إلى النجاح. كما أن رده فعله إزاء هزائمه لم تكن كرده فعل مهزوم في حرب، لأنه كان يعمل لكي لا يتجافى عن الحق، ولا يرتكب معصيه، أما بعد ذلك فكل شيء كان يهون عنده.

فعند ما قتل محمد بن أبي بكر، رضوان الله عليه و سقطت مصر في يد معاويه فإن الإمام لم يحزن لخساره مصر، بالرغم من عظمتها، لأن الإمام لم يكن يرى مصر يوما غنيمه ليري سقوطها خساره، بل حزن لمقتل محمد بن أبي بكر و غلبه الباطل.

و لم يزد على أن خطب خطبه موجزه ليوغى الناس، و كتب رساله مختصره إلى ابن عباس يخبره بذلك..

و في ذلك يقول المؤرخون:

«جاء عليا رجلا نينعيان إليه محمد بن أبي بكر، أما أحدهما فقد جاء من مصر، يتحدث باكيا عما أصاب محمدا، و أما الآخر فقد جاء من الشام يروي عجا مما رآه في الشام.

فقد سعد معاويه منبر المسجد الجامع في دمشق فأذن في فرح عظيم بقتل محمد بن أبي بكر.. و كأنها بشاره كبرى يبشر بها أهل الشام!! بقتل محمد!! ثم قرأ كتاب عمرو إلى معاويه، و فيه: «أما بعد فإننا لقينا محمد بن أبي بكر و كنانه بن بشر في جموع جمه من أهل مصر، فدعوناهم إلى الهدى و السنه و حكم

الكتاب، فرفضوا الحق، فجاهدناهم، واستنصرنا الله عليهم، فضرب الله وجوههم وأدبارهم، و منحونا أكتافهم، فقتل الله محمد بن أبي بكر و كنانه بن بشر و أمائل القوم. و الحمد لله رب العالمين. و السلام».

و قال صاحب الإمام الذى جاء من الشام لعلی: «و الله يا أمير المؤمنين قلما رأيت قط قوما أسرّ، و لا سرورا قط أظهر من سرور رأيته بالشام حين أتاهم هلاكك محمد بن أبي بكر» فقال علی: «أما أن حزننا عليه على قدر سرورهم به، لا بل يزيد أضعافا!»

فأرسل عليه السّلام إلى مالك بن كعب الذى كان قد أرسله لينجد محمدا فى ألفى رجل، فردّه قبل أن يبلغ مصر، و يهلك بجيشه..

ثم وقف يخطب الناس فقال: «ألا و إن مصر قد افتتحها الفجره أولياء الجور و الظلم، الذين صدّوا عن سبيل الله، و بغوا الإسلام عوجا. ألا و أن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله، و عند الله نحتسبه، أما و الله لقد كان ما علمت ينتظر القضاء، و يعمل للجزاء، و يبغض شكل الفاجر، و يحب سمت المؤمن، إني و الله لا ألوم نفسى على تقصير و لا عجز، و إني بمقاساه لحرب لجد بصير، إني لأقدم على الحرب، و أعرف وجه الحزم، و أقوم بالرأى المصيب، فأستصرخكم معلنا،

و أناديكم مستغيثا، فلا- تسمعون لى قولاء- و لا تطيعون لى أمراء، حتى تصير الأمور إلى عواقب المساءه.. و دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع و خمسين ليله... فتناقلتم إلى الأرض تناقل من لا نيه له فى الجهاد، و لا رأى له فى الاكتساب للأجر، ثم خرج إلى منكم جنيد (تصغير جند) متذائب (مضطرب) ضعيف، كأنما يساقون إلى الموت و هم ينظرون! فأف لكم»!

ثم عاد إلى داره(١).

و كتب إلى ابن عمه و وزيره، عامله على البصره عبد الله بن عباس: «سلام عليك و رحمه الله و بركاته. أما بعد فإن مصر قد افتتحت، و قد استشهد محمد بن أبى بكر، فعند الله عزّ و جلّ نحتسبه، و قد كنت كتبت إلى الناس، و تقدّمت إليهم فى بدء الأمر، و أمرتهم بإغائته قبل الوقعه، و دعوتهم سرا و جهرا، و عودا و بدءا، فمنهم الآتى كارها، و منهم المتعلل كاذبا، و منهم القاعد خاذلا، أسأل الله أن يجعل لى منهم فرجا، و أن يريحنى منهم عاجلا، فو الله لو لا طمعى عند لقاء عدوى فى الشهاده و توطين نفسى عند ذلك، لأحببت ألا أبقى مع هؤلاء يوما واحدا. عزم الله لنا و لك

ص: ١٢٩

١- على إمام المتّقين: ج ٢، ص ٢٦٣-٢٦٤.

على هداة و تقواه إنه على كل شىء قدير. و السلام عليكم و رحمه الله و بركاته»(١).

و عزّ على عبد الله بن عباس أن يبلغ السأم و المفض و الأسى بأستاذه و خليله و إمامه هذا المبلغ. فكتب إليه مواسيا:

«لعبد الله على أمير المؤمنين من عبد الله بن عباس، سلام على أمير المؤمنين و رحمه الله و بركاته. أما بعد، فقد بلغنى كتابك تذكر فيه افتتاح مصر و هلاك محمد بن أبى بكر، و أنك سألت الله ربك أن يجعل لك من رعيتك التى ابتليت بها فرجا و مخرجا و أنا أسأل الله أن يعلى كلمتك، و اعلم أن الله صانع لك، و معزّ دعوتك، و كابت عدوك. و أخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما تباطؤوا ثم نشطوا، فارفق بهم يا أمير المؤمنين و دارهم و منهم. و استعن بالله عليهم. كفاك الله الهم! و السلام عليك و رحمه الله و بركاته».

و هكذا لم يزد ردّ فعله على خساره مصر التى سمى أهلها «أعظم أجنادى»(٢) على خطبه قصيره، و رساله مختصره إلى ابن عباس، و لم يحاول استردادها، كل ذلك زهدا فى السلطان، فلقد أذى ما عليه، و أتمّ الحجّه على من يجب إتمامها عليه، و هو زاهد فى بسط النفوذ، و امتلاك البلاد.

ص: ١٣٠

١- الكامل - لابن الأثير: ج ٣، ص ١٧٨.

٢- بشاره المصطفى: ص ٥٢.

حيث إن من طبيعه البشر الرغبه فى المزيد مما لديهم، و الطمع فى امتلاك أكثر مما يحتاجون إليه، و التكاثر فى كل شىء، فلا يملأ عينى ابن آدم إلا التراب، كما يقول الحديث الشريف.

و لعمرى: هذا ما يدفع البعض إلى الطغيان، و تقسيم الناس إلى غنى و فقير، و جائع و متخم، و مسكين و مترف، و عادل و ظالم..

فى الوقت الذى «إن الله فرض على أغنياء الناس فى أموالهم قدر الذى يسع فقراءهم، فإذا ضاع الفقراء، أو أجهدوا، أو أعروا فبما يمنع أغنيائهم، فإن الله محاسبهم بذلك يوم القيامة، و معذبهم عذابا أليما»(١).

و هذا يعنى «أن الله سبحانه فرض فى أموال الأغنياء، أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متّع به غنى، و الله تعالى سائلهم عن ذلك»(٢).

فلو زهد الأغنياء فى الدنيا، و أخذوا منها قدر حاجتهم منها لما اختل ميزان العدل و لا جاع فقير، فى جنب غنى..

ص: ١٣١

١- دعائم الإسلام: ج ١، ص ٢٥٠.

٢- تاريخ بغداد - للخطيب: ج ٥، ص ٣٠٨.

و لو أن أصحاب الأموال نظروا إلى الحياه، كما كان ينظر إليها أمير المؤمنين لما بخلوا بما عندهم على المحتاجين.

و ما ذا يحصل عليه البخلاء من البخل؟

أ ليس يتركون أموالهم بالرغم عنهم و يرحلون؟

«فقد رأيت من كان قبلك ممّن جمع المال، و حذّر الإقلال، و أمن العواقب، (بعد) طول أمل، و استبعاد أجل، كيف نزل به الموت فأزعجه عن وطنه و أخذه من مأمنه محمولا على أعواد المنايا، يتعاطى به الرجال الرجال، حملا على المناكب، و إمساكا بالأنامل..

أما رأيتم الذين يأملون بعيدا، و يبنون مشيدا، و يجمعون كثيرا، كيف أصبحت بيوتهم قبورا، و ما جمعوا بورا، و صارت أموالهم للوارثين، و أزواجهم لقوم آخرين، لا فى حسنه يزيدون، و لا من سيئه يستعتبون»(١)؟

لقد مرّ الإمام عليه السّلام على قدر بمزبله، فقال: «هذا ما بخل به الباخلون»(٢).

و حقا إن نهايه الأموال مزابل، و عاقبه الأشياء قاذورات، و لو أنّ الأثرياء نظروا إلى أموالهم، من خلال نهاياتها لما بخلوا بما عندهم، و لزهّدوا فى الاحتكار، و التكاثر..

ص: ١٣٢

١- النهايه: ج ٢، ص ٢١٠.

٢- بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ٣٢٨.

ثم من يستطيع أن يأخذ من الدنيا أكثر من حاجته؟

فمن يستطيع أن يأكل أكثر من حجم معدته؟

و أن ينام فوق أكثر من سريره؟

و أن يسكن في أكثر من دار؟

و أن يلبس أكثر مما يحتاج؟

و أن يحمل معه من الذهب أكثر مما يستطيع حمله؟

يقول الإمام على عليه السلام: «يا ابن آدم.. ما كسبت فوق قوتك، فأنت فيه خازن لغيرك» (١).

و يقول: «ما يصنع بالمال من عمًا قليل يسلبه، و تبقى عليه تبعته و حسابه» (٢).

إذن «فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله، و ينفي عنك وباله، فالمال لا يبقى لك، و لا تبقى له» (٣).

ثم إن الأموال التي لا تنفع الإنسان مضرة، لأن «المال يفسد المال و يوسع الآمال» (٤) كما أن «المال للفتن سبب» (٥) و لذلك فإنه «إذا أحب الله سبحانه عبدا بغض إليه المال، و قصر منه الآمال، و إذا أراد الله بعبد شرا، حبب إليه المال، و بسط

ص: ١٣٣

١- الفرج بعد الشدة: ج ١، ص ٣٧.

٢- النهاية: ج ٢، ص ٥١٠.

٣- العقد الفريد: ج ٣، ص ١٥٥.

٤- غرر الحكم و درر الكلم: ص ٣٣.

٥- المصدر السابق: ص ٣٤.

منه الآمال (١) حيث إن «كثرة المال تفسد القلوب، و تنسى الذنوب» (٢) و هكذا فإن «المال مادم الشهوات» (٣) و «المال يرفع صاحبه فى الدنيا، و يضعه فى الآخرة» (٤).

و لهذا فإن «كثرة المال مفسده للدين مقساه للقلوب» (٥) بينما «العلم أفضل من المال: إنه ميراث الأنبياء، و المال ميراث الفراعنه» (٦).

و لا- يعنى كل ذلك أن الفقر مطلوب، بل يعنى أن على الأغنياء أن لا يخافوا الفقر، فيمنعوا جودهم عن الفقراء، و أن لا يحبوا المال فيترفوا فيه، يكثره منه، و يمنعوه المساكين و المحتاجين.

و إلا- فإن «الفقر طرف من الكفر» (٧) غير أن الزهد فى المال عند الأغنياء قد يرفع الفقر عن الفقراء. فإذا لم يفعلوا ذلك ازداد الشرّ، و قلّ الخير. و يكون الأمر كما قال الإمام على عليه السلام: «قد أصبحتم فى زمن لا يزداد الخير فيه إلا إدارا

ص: ١٣٤

١- المصدر السابق: ص ١٤١.

٢- المصدر السابق: ص ٢٤٤.

٣- مجمع الأمثال: ج ٢، ص ٤٥٤.

٤- غرر الحكم و درر الكلم: ص ٤٧.

٥- تحف العقول: ص ١٤١.

٦- منيه المرید: ص ١٩.

٧- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٢.

و الشرّ فيه إلّا إقبالا.. اضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر إلّا فقيرا يكابد فقرا، أو غنيا بدّل نعمه الله كفرا»(١).

و من هنا، فإنّ «أفضل الفعال صيانته العرض بالمال»(٢) و من لا ينفقه كيف يصون عرضه به؟

و فى الحق أن الإمام عليه السّلام كان زاهدا فى الدنيا، لكى ينشر العدل، و كان يطالب الناس بالزهد، حتى تنتشر الفضيله، و كان ينصح بالعطاء حتى يشغل الناس بطلب العلم و المكارم، و يقول لأصحابه: «إنكم إلى مكارم الأفعال أحوج منكم إلى جمع الأموال»(٣).

و يقول: «إنكم إلى اكتساب الأدب أحوج منكم إلى اكتساب الفضة و الذهب»(٤).

و يقول: «أنا يعسوب المؤمنين، و المال يعسوب الفجار»(٥).

و يقول: «العلم خير لك من المال: العلم يحرسك و أنت تحرس المال. و العلم تنقصه النفقه، و العلم يزكو على

ص: ١٣٥

١- نهج البلاغه - الخطب ١٢٩.

٢- مستدرک نهج البلاغه: ص ١٨.

٣- غرر الحكم و درر الكلم: ص ١٣٢.

٤- المصدر السابق: ص ١٣١.

٥- الاستيعاب: ج ٤، ص ١٦٩.

الإِنْفَاق، و صَنِيع المَال يزول بزواله.. هلك خزان الأموال و هم أحياء، و العلماء باقون ما بقى الدهر»(١).

فالزهد فى المال مطلوب للتفرغ للعلم، و للعتاء للناس و لبناء الحضاره. و هو الزهد الذى يشيد العدل فى المجتمع، و يمنع العوز و البؤس و المسكنه.

و هو النوع الوحيد من الزهد الذى يمكن لولى الأمر أن يفرضه على الأغنياء، لأن إقامه العدل، واجب من واجباته، فإن لم يجد الوالى فى بيت المال ما يسدّ حاجه الفقراء و المساكين، و ما يبلغ بهم حدّ الكفايه، كان له أن يفرض فى أموال الأغنياء حقا لهم، ففى أموال الأغنياء حقوق غير الزكاه، و إذا احتاجت الأمه فلا مال لأحد.. و قد لعن الله أقواما فى الغابرين لأنهم كانوا يصنعون بأموالهم الخاصه ما يشاؤون لا ما يقتضيه الصالح العام، و لا ينفقون أموالهم فى سبيل الله، و الإنفاق فى سبيل الله، هو الإنفاق على مصالح المجتمع كله، من جهاد لتوفير أمن الأمه، و إقامه ما يقتضيه صالح الأمه من المرافق فى الصناعه و الزراعه و التعليم و الصحه و الثقيف و نحو ذلك..

ص: ١٣٦

١- تفسير الرازى: ج ٢، ص ١٩٢.

التواضع حاله روحيه لدى الفرد، تظهر نتائجها في مفردات حياته اليوميه كطريقه جلوسه و مشيه، و نوعيه ملبسه و مركبه، و في تعامله - بشكل عام - مع الآخرين.

و هي حاله تنبع أساسا من وعى الإنسان، و معرفته من جهه. و من عظمه روحه من جهه أخرى، فكلما ازداد علما و رفعه في النفس ازداد تواضعه. و على العكس، كلما عظم جهله، و حقرت نفسه ازداد تعاليا و كبرا.

من هنا، فإنه «ما تواضع إلا رفيع»^(١) و ما تكبر إلا وضيع.

تماما كما تتدلى الأغصان و تتواضع كلما حملت ثمارا، و لكنها ترتفع و تتعالى كلما خليت من الثمار.

فالتواضع إذن قيمه بحد ذاتها، كما العلم و الشجاعه

ص: ١٣٧

و الكرم و غيرها من الفضائل «فزينه الشريف التواضع»(١) و هو «زكاه الشرف»(٢) و لا يوضع على شيء إلا زانه، كما أن الكبر لا يوضع على شيء إلا شأنه..

و لذلك كان الأنبياء عليهم السّلام، و هم أنبل بنى البشر، أكثر الناس تواضعا بعد أن «كزه إليهم الله سبحانه التكابر و رضى لهم التواضع فألصقوا بالأرض خدودهم، و عقروا فى التراب و جوههم، و خفّضوا أجنحتهم للمؤمنين و كانوا قوما مستضعفين»(٣).

و لقد كان الإمام على عليه السّلام: يرى أن «التواضع من أعظم العباده»(٤)، و لا- يعتبر للحسب قيمه إلا- به إذ «لا- حسب إلا بتواضع»(٥). يراه صفه أساسيه من صفات المتقين حيث إن «منطقهم الصواب، و ملبسهم الاقتصاد و مشيهم التواضع»(٦).

ثم إنّ التواضع - بالإضافة إلى كل ذلك - سبب من أسباب

ص: ١٣٨

- ١- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٢٠.
- ٢- غرر الحكم و درر الكلم.
- ٣- نهج البلاغه - الخطب ١٩٢.
- ٤- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١١٩.
- ٥- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ١٦٨.
- ٦- كنز الفوائد: ص ٣١.

النجاح، و شرط من شروط حسن الإدارة حيث إنه «بخفض الجناح تنتظم الأمور»(١).

و هو يرفع المؤمن فى عيون أعدائه لأن «التواضع يكسوك المهابه»(٢).

أو ليس قد وصف الله الذين يحبهم و يحبونه من الذين هم أعزّه على الكافرين بأنهم أذلّه على المؤمنين (٣)؟ فقدم «الذله على المؤمن» على «العزّه على الكافر» فلا يكون عزيزا على الكافرين إلا من كان ذليلا على المؤمنين و متواضعا لهم.

يقول الإمام على عليه السلام فى خطبته المعروفه «بالقاصعه»:

«الحمد لله الذى لبس العزّ و الكبرياء، و اختارهما لنفسه دون خلقه، و جعلهما حمى و حرما على غيره و اصطفاهما لجلاله، و جعل اللعنه على من نازعه فيهما من عباده، ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين، فقال سبحانه - و هو العالم بمضمرات القلوب، و محجوبات الغيوب :-

إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ

ص: ١٣٩

١- غرر الحكم و درر الكلم.

٢- المصدر السابق.

٣- سورة المائدة، الآية: ٥٤.

كَلَّهْمُ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ (١) اعترضته الحميّه، فافتخر على آدم بخلقه، و تعصب عليه لأصله، فعَدَّو الله إمام المتعصبين و سلف المتكبرين، الذى وضع أساس العصبية، و نازع الله رداء الجبريّه، و ادرع لباس التعزز، و خلع قناع التذلل، ألا ترون كيف صَغَره الله بتكبره، و وضعه بترفعه، فجعله فى الدنيا مدحورا و أعدَّ له فى الآخرة سعيرا (٢) ؟

و يقول عليه السَّلام: «اعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم، و إلقاء التعزز تحت أقدامكم، و خلع التكبر من أعناقكم، و اتخذوا التواضع مسلحة بينكم و بين عدوكم: إبليس و جنوده، فإن له من كل أمه جنودا و أعوانا، و رجلا و فرسانا، و لا تكونوا كالمتكبر على ابن أمّه من غير ما فضل جعله الله فيه سوى ما ألحقت العظمه بنفسه من عداوه الحسد، و قدحت الحميّه فى قلبه من نار الغضب، و نفخ الشيطان فى أنفه من ريح الكبر» (٣).

بهذا كان الإمام يوصى أصحابه...

و كما أوصى كان يعمل.. فكان متواضعا مع الناس، يرفض أن يترفع عليهم، أو يكون له ما ليس لهم..

فقد كان عليه السَّلام لا يحب حتى المديح، و يرفضه.. فحينما

ص: ١٤٠

١- سورة الحجر، الآيات: ٢٨-٣١.

٢- أعلام النبوه: ص ٩٧.

٣- نهج البلاغه: الخطب ١٩٢.

أثنى عليه أحد أصحابه و أطال في ذلك قال له الإمام: «إنَّ من حقِّ من عظم جلال الله سبحانه في نفسه و جلَّ موضعه من قلبه أن يصغر عنده - لعظم ذلك - كلَّ ما سواه، و إنَّ أحقَّ من كان كذلك لمن عظمت نعمه الله سبحانه عليه و لطف إحسانه إليه، فإنَّه لم تعظم نعمه الله على أحد إلاَّ ازداد حقَّ الله عليه عظما.

و إنَّ من أسخف حالات الولاه، عند صالحى الناس، أن يظنَّ بهم حبَّ الفخر و يوضع أمرهم على الكبر، و قد كرهت أن يكون جال في ظنِّكم أتى أحبَّ الإطراء و استماع الثناء، و لست بحمد الله كذلك، و لو كنت أحبَّ أن يقال ذلك، لتركته انحطاطا لله سبحانه عن تناول ما هو أحقَّ به من العظمه و الكبرياء.

و ربَّما استحلَّى الناس الثناء بعد البلاء، فلا تثنوا علىَّ بجميل ثناء لإخراجى نفسى إلى الله سبحانه و إليكم من البقيته فى حقوق لم أفرغ من أدائها، و فرائض لا بدَّ من إمضاها.

فلا تكلمونى بما تكلم به الجابره، و لا تتحفظوا منى بما يتحفظ به عند أهل البادره، و لا تخالطونى بالمصانعه.

و لا تظنوا بى استثقالا فى حقِّ قيل لى، و لا التماس إعظام لنفسى، فإنَّه من استثقل الحقَّ أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه.

فلا تكفؤا عن مقاله بحقَّ أو مشوره بعدل، فإننى لست فى

نفسى بفوق أن أخطىء و لا آمن ذاك من فعلى إلا أن يكفى الله من نفسى ما هو أملك به منى.

فإنما أنا و أنتم عبيد مملوكون لربّ لا- ربّ غيره، يملك منّا ما لا نملك من أنفسنا، و أخرجنا ممّا كنّا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلاله بالهدى، و أعطانا البصيره بعد العمى»(١).

و كما كان لا يحب المديح، كان لا يحب المشى فى كبرياء و أبهه، فقد خرج ذات مره و هو راكب على الفرس، فمشى البعض خلفه فالتفت إليهم، و قال:

«أ لكم حاجه؟

فقالوا: لا، يا أمير المؤمنين، و لكننا نحب أن نمشى معك».

فقال لهم: «انصرفوا، فإن مشى الماشى مع الراكب مفسده للراكب، و مذلّه للماشى!»!

و ركب مره أخرى فمشوا خلفه فقال عليه السلام:

- «انصرفوا، فإن خفق النعال خلف أعقاب الرجال، مفسده لقلوب النوكى»(٢).

و مره أخرى و كان عليه السلام فى طريقه إلى صفيين مرّ هو

ص: ١٤٢

١- روضه الكافى: ص ٣٥٢.

٢- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٥٥.

و أصحابه بمدينة الأنبار، فخفّ وجهاء المدينة و أعيانها إلى استقبال الإمام، يسوقون دواباً مطهّمة حملوها أشهى الطعام هديه للإمام و جنوده.

فسألهم الإمام: «ما أردتم بهذا الذي صنعتم؟»

قالوا: «أما هذا الذي صنعنا فهو خلق منا نعظم به الأمراء: فالمطايا هديه لك، و قد صنعنا لك و للمسلمين طعاماً، و هيأنا لدوابكم علفاً كثيراً».

فقال عليه السّلام: «أما هذا الذي زعمتم أنه منكم خلق تعظمون به الأمراء، فوالله ما ينفع هذا الأمراء! و إنكم لتشقّون به على أنفسكم و أبدانكم، فلا تعودوا له. و أما دوابكم هذه فإن أحببتم أن نأخذها منكم فنحسبها من خراجكم أخذناها منكم. و أما طعامكم الذي صنعتم لنا فإننا نكره أن نأكل من طعامكم شيئاً إلا بثمن».

قالوا: «يا أمير المؤمنين نحن نقومه فنقبل ثمنه».

قال: «و إن غضبكم أحد فأعلمونا»^(١).

و كان عليه السّلام متواضعاً في الدار، كما كان متواضعاً في السوق، فهو في الدار «كان يحتطب، و يستسقى، و يكنس، بينما كانت زوجته فاطمة عليها السّلام تطحن، و تعجن، و تخير»^(٢).

ص: ١٤٣

١- مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣١٠.

٢- المصدر السابق: ص ٣٠٩.

و كان فى السوق هو الذى يشتري، و يحمل ما اشتراه فى طرف رءائه، و ذات مره رآه الناس فتبادروا إليه و قالوا:

- يا أمير المؤمنين، نحن نحمله.

فقال: - «ربّ العيال أحقّ بحمله»^(١).

و كثيرا ما كان يحمل التمر و الملح بيده و يقول:

لا ينقص الكامل من كماله ما جرّ من نفع إلى عياله^(٢)

و ربما كان يركب حمارا، و من حوله العذّين يركبون الخيل و البغال المطهّمة، و يدلى رجليه من على ظهر الحمار إلى موضع واحد و يقول: «أنا الذى أهنت الدنيا»!!^(٣).

و ذات مره قابله رجل فى الطريق و هو يحمل التمر إلى أهله، فأفرط فى الثناء عليه و كان الإمام يتّهم هذا الرجل، فقال له: «أنا دون ما قلت و فوق ما فى نفسك»^(٤)..

و كان يمشى فى خمسه حافيا و يعلّق نعليه بيده اليسرى:

يوم الفطر، و النحر، و الجمعة، و عند العياده، و تشييع الجنازه؛ و يقول: «إنها مواضع الله، و أحبّ أن أكون فيها حافيا»^(٥).

ص: ١٤٤

١- مناقب آل أبى طالب: ج ١، ص ٣٠٩.

٢- المصدر السابق.

٣- على إمام المتّقين: ج ٢، ص ٢٣٨.

٤- المصدر السابق.

٥- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٥٤.

و كان يعجبه المتواضعون، و يكره المتكبرين فى التاريخ، فيمدح النبى سليمان عليه السّلام مثلاً لتواضعه و يقول: «كان سليمان عليه السّلام إذا أصبح تصفّح وجوه الأغنياء و الأشراف حتى يجرىء إلى المساكين و يقعد معهم، و يقول: مسكين مع المساكين»^(١).

و على العكس من المتكبرين الذين كلّما بولغ فى مدحهم ازدادوا فرحاً فإن الإمام أقدم على حرق من سلّم عليه بالألوهية. فقد ذكر المؤرخون أنه «أتى قوم أمير المؤمنين عليه السّلام فقالوا: السّلام عليك يا ربّنا!

فاستتابهم فلم يتوبوا، فحفر لهم حفيره و أوقد فيها نارا، و حفر حفيره إلى جانبها أخرى و أفضى بينهما، فلما لم يتوبوا ألقاهم فى الحفيره، و أوقد فى الحفيره الأخرى النار حتّى ماتوا»^(٢).

و لقد كان يؤنب كل من يفخر على الناس و يقول له:

«ما بال ابن آدم و الفخر؟ أوله نطفه، و آخره جيفه، لا يرزق نفسه، و لا يدفع حتفه»^(٣)!

ص: ١٤٥

١- بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٨٣.

٢- فروع الكافى: ج ٧، ص ٢٥٧.

٣- على إمام المتّقين: ج ١، ص ٧٩.

و حينما كان حاكما على البلاد الإسلاميه و أميرا للمؤمنين «ورد عليه أب و ابن، فقام إليهما و أكرمهما و أجلسهما فى صدر المجلس و جلس بين أيديهما، ثم أمر بطعام فأحضر فأكلا منه، ثم جاء قنبر بطشت و إبريق خشب و منديل لليس و جاء ليصبّ على يد الرجل فقام أمير المؤمنين عليه السّلام و أخذ الإبريق ليصبّ على يد الرجل.

قال الإمام عليه السّلام: اقعد و اغسل، فإن الله عزّ و جلّ يراك و أخوك الذى لا يتميّز منك و لا يتفضّل عليك، يخدمك، يريد بذلك فى خدمته فى الجنه، مثل أضعاف عدد أهل الدنيا و على حسب ذلك فى مماليكه فيها.

فقعد الرجل، فقال له الإمام على عليه السّلام:

أقسمت بعظيم حقى الذى عرفته لما غسلت مطمئنا كما كنت تغسل لو كان الصابّ عليك قنبر.

ففعل الرجل ذلك، فلما فرغ ناول الإمام الإبريق إلى ولده محمد ابن الحنفيه، و قال:

يا بنى لو كان هذا الابن حضرنى دون أبيه لصببت على يده، و لكن الله عزّ و جلّ يأبى أن يسوّى بين ابن و أبيه إذا

جمعهما مكان، و لكن صبَّ الأب على يد الأب فليصبَّ الابن على يد الابن».

فصبَّ محمد ابن الحنفية على يد الابن»(١).

ثم إنه إذا كانت «آفه الرئاسه حب الفخر»(٢) فإن أمير المؤمنين، لم تكن عنده ذره منه، و إلا لم يتم بغسل يد ضيف عادى من عامه الناس، و هو يعتذر إليه، و يقسمه أن يغسل مطمئنا، و كأنَّ قنبرا خادمه، هو الذى يقوم بخدمته.

و كما كان الإمام لا يفتخر، فإنه لم يكن يرضى الفخر لأحد.. فقد حدث أن «افتخر عند أمير المؤمنين عليه السلام رجلا.

فقال لهما:

- «أ تفتخران بأجساد باليه، و أرواح فى النار؟

«إن يكن لك عقل فإن لك خلقا، و إن يكن لك تقوى فإن لك كرما، و إلا فالحمار خير منك، و لست بخير من أحد»(٣).

و كم كان يوصى أصحابه بالتواضع، و يقول لهم على لسان

ص: ١٤٧

١- الاحتجاج: ص ٢٥٦-٢٥٧.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٢٩١.

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَفْخِرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغَى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» (١).

و يقول عليه السلام: «أهلك الناس اثنان خوف الفقر، و طلب الفخر» (٢).

و يقول عليه السلام: «من صنع شيئاً للمفاخره حشره الله يوم القيامة أسود» (٣).

و كان يرى المحبه من نتائج التواضع و يقول: «ثمره التواضع المحبه، و ثمره الكبر المسبه» (٤).

و يرى أن «التواضع يكسبك السلامه» (٥) و أن «من تواضع قلبه لله - تعالى - لم يسأم بدنه من طاعه الله» (٦) و أن «بالتواضع تتم النعمه» (٧) و أن «التواضع ينشر الفضيله، و التكبر يظهر الرذيله» (٨).

و كان عليه السلام يقول: «ما من أحد من ولد آدم إلا و ناصيته بيد

ص: ١٤٨

١- الترغيب و الترهيب: ج ٣، ص ٥٨٨.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٥٤.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٢٩٢.

٤- غرر الحكم و درر الكلم.

٥- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٢٠.

٦- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٩.

٧- سراج الملوك - للطروشى: ص ١٠٨.

٨- غرر الحكم و درر الكلم.

ملك، فإن تكبر جذبه بناصيته إلى الأرض و قال له: تواضع! وضعك الله!

«و إن تواضع جذبه بناصيته ثم قال له: ارفع رأسك! رفعك الله، و لا وضعك بتواضعك الله»^(١).

و يقول: «التواضع سلم الشرف، و التكبر رأس التلف»^(٢).

و يقول: «أتضع ترتفع»^(٣).

ص: ١٤٩

١- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٢٠.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- المصدر السابق.

الفرص كسحابات الصيف: غنيه بالمطر، جميله فى المنظر، و لكنها سريعه فى المسير. فمن أراد منها الماء فلا بد أن يبادر قبل أن يأتى السحاب، فيهيىء وسيلته، متطلعا نحو الأفق، منتظرا أخباره، فإذا هطل المطر كان له النصيب الأوفر.

أما من يبحث عن الوسيله، بينما السحابات تمرّ فوق رأسه، متاقلا فى حركته، فإنه يضيّع على نفسه أمرين: الوقت و المطر معا.

و هكذا فإن «الفرصه تمرّ مرّ السحاب» (١) فهى «سريعه الفوت بطيئه العود» (٢).

و كما الطيور التى تقفز فى السماء، تطير بخفّه و سرعه،

ص: ١٥٠

١- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٣٣٧.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

فإذا أردنا اصطياها فلا بد أن نهيبء السلاح مسبقا، و نفتح عيوننا جيدا حتى إذا مرّت رميناها فورا، و إلا فلن نحصد إلا الحشرات..

كذلك الفرصه، تقفز في الزمن مثل الشهاب، فمن أرادها فلا بد أن يتهيأ لها سلفا، فيرميها بنبال مبادرته و إلا فإن «إضاعه الفرصه غصّه»(١) و «من انتظر بمعالجه الفرصه مؤاجله الاستقصاء، سلبته الأيام فرصته، لأنّ من شأن الأيام السلب، و سبيل الزمن الفوت»(٢).

و نظرا إلى أن «الفرصه خلسه»(٣) فإن من «أخر الفرصه عن وقتها فليكن على ثقه من فوتها»(٤) ذلك «أن الشمس و القمر يبليان كل جديد، و يقربان كل بعيد»(٥) فالأنيام ليست ثابتة، و الزمن ليس جامدا، و لذلك فإنّ «الفرص» تظهر و تختفي على دقات الساعات.

من هنا كانت «المبادره» من صفات العظماء.

هذا على بن أبي طالب عليه السلام كان المبادر في كل خير..

ص: ١٥١

١- نهج البلاغه: الحكم ١١٨.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٢٦٨.

٣- المصدر السابق: ص ٧٩.

٤- غرر الحكم و درر الكلم.

٥- النهايه: ج ٢، ص ٣٤٥.

فهو أول من آمن.

و أول من ضرب بالسيف في سبيل الله.

و أول من لبى و أجاب و أعلن نصرته لرسول الله.

و أول من قاتل و جاهد و هاجر بعد رسول الله..

و كان يوصى أصحابه بالمبادره و يقول: «أيها الناس الآن.. الآن من قبل الندم، و من قبل أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله و إن كنت لمن السّـاخـرين (١). أو تقول: لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢)، أو تقول حين ترى العذاب: لَوْ أَنَّ لِي كَرْهَةً فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣)(٤) و يقول: «بادروا الفرصه قبل أن تكون غصّه» (٥) و يقول: «الجنه غايه السابقين، و النار غايه المفترطين» (٦).

و كان يخاف على المؤمنين ضياع الفرص، و ترك المبادرات، و يرى ذلك تفريطا تعقبه الندامه و الحسره، حيث لا تنفع الحسرات. و يقول: «إياكم و التفريط فتقع الحسره حين

ص: ١٥٢

١- سورة الزمر، الآية: ٥٦.

٢- سورة الزمر، الآية: ٥٧.

٣- سورة الزمر، الآية: ٥٨.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٣٧٥.

٥- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١٦، ص ٩٧.

٦- نهج البلاغه: الخطب ١٥٧.

لا تنفع الحسره» (١) لأن «من فزط تورط» (٢) «فطوبى لذى قلب سليم أطاع من يهديه، و بادر الهدى قبل أن تغلق أبوابه، و تقطع أسبابه» (٣).

«عباد الله.. إن التقوى حمت أولياء الله، فبادروا العمل، و كذبوا الأمل، و لاحظوا الأجل» (٤).

و حقا إنّ هناك أكثر من عقبه ترصد الإنسان مثل عقبه الموت و عقبه الأمراض و عقبه الشيوخه، و هى عقبات لا- يمكن التخلص منها، فلا بدّ من اغتنام الفرص قبل الوصول إليها.

يقول الإمام عليه السلام: «بادروا بالأعمال عمرا ناكسا، أو مرضا جالسا» (٥).

و يقول: «بادروا آجالكم بأعمالكم، فإنكم مرتنون بما أسلفتم، و مدينون بما قدّمتم» (٦). و هكذا فإن المبادره فى الخير ضروره من ضرورات الحياه، كما أن تركها يؤدى إلى الندم، و الخسران..

ص: ١٥٣

١- بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٩٥.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٢٦٩.

٣- نهج البلاغه: الخطب ٢١٤.

٤- الأمالى: ج ٢، ص ١٠٧.

٥- النهايه: ج ٢، ص ٦١.

٦- نهج البلاغه: الخطب ١٩٠.

و هكذا كان الإمام على عليه السّلام فى عمل الخير، فقد روى أنه فى الكرّ و الفرّ بين أصحاب الإمام و جنود الشام، كان الإمام يتجنّب إراقه الدماء لعلّ و عسى أن تنفع الموعظه فى المناوئين، فيعودون عن غيهم، و يتوبون إلى ربهم، و لكن حينما وقعت المواجهه، كان الإمام يطالب أصحابه بأخذ المبادره، و إلاّ ستضيع عليهم الفرص.

و لقد صدر منه أقوى أنواع التقرّيع و العتاب، حينما خسروا المبادره، و أصبح لمعاويه القدره على أن يشنّ الغارات على المناطق التى كانت تخضع لحكم الإمام، و منها الغاره التى شنّها «سفيان بن عوف الغامدى» عامل معاويه على «الأنبار» فقتلوا رجالها و انتهكوا نساءها و نهبوا أموالها حتى حلى النساء و خرجوا عائدين إلى معاويه لم يمسهن سوء، و لم يصبهم قرح و لا تعرّض لهم أحد.. فوقف الإمام على مرتفع صنعه بيده من الأحجار، و سيفه على حمائل من ليف، فحمد الله و أثنى عليه و صلّى و سلّم على رسوله و آله ثم قال:

«أما بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنه، فتحه الله لخاصه أوليائه، و هو لباس التقوى، و درع الله الحصينه، و جنّته الوثيقه. فمن تركه رغبه عنه ألبسه الله ثوب الدل، و شمله البلاء، و ديّث بالصغار و القماءه (لوث و أصبح ديوثا لا غيره

له)، و ضرب على قلبه بالإسهاب (و الإسهاب هو ذهاب العقل و كثره الكلام بلا جدوى). و أدیل الحق منه، بتضييع الجهاد، و سيم الخسف، و منع النصف (الإنصاف).

ألا- و إني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا و نهارا، و سرا و إعلانا، و قلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلّوا، فتواكلتم و تخاذلتم، حتى شئت عليكم الغارات، و ملكت عليكم الأوطان.

و هذا أخو غامد (عامل معاويه)، و قد وردت خيله الأنبار، و قد قتل حسان بن حسان البكرى، و أزال خيلكم عن مسالحها (المسلحة: المعسكر) و قتل رجالا و نساء كثيرين.

و قد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمه، و الأخرى المعاهده (ذات العهد: أى الذميه) و ينتزع حجلها (خلخالها) و قلبها (أساورها) و قلائدها و رعاثها (قرطها)، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع و الاسترحام. ثم انصرفوا و افرين و ما نال رجل منهم كلم (جرح)، و لا أريق لهم دم!

فلو أن امرءا مسلما مات بعد هذا أسفا، ما كان به ملوما، بل كان به عندى جديرا!

فيا عجبا! عجبا و الله يميم القلب، و يجلب الهّم، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، و تفرّقكم عن حقكم! فقبحا

لكم و ترحا (هما و حزنا) حين صرتم غرضا يرمى، يغار عليكم و لا تغيرون، و تغزون و لا تغزون، و يعصى الله و ترضون!.

فإذا أمرتكم بالسير إليهم فى أيام الحر قلت: هذه حمّاره القيظ، (شدّه الحر) أمهلنا ينصرم عنا الحر، و إذا أمرتكم بالسير إليهم فى الشتاء قلت هذه صباره القر (شدّه البرد)، أمهلنا فينسلخ عنا البرد، فكل هذا فرارا من الحرّ و القرّ، فإذا كنتم من الحرّ و القرّ تفرون، فأنتم و الله من السيف أفرّ!

يا أشباه الرجال و لا-رجال! حلوم الأطفال و عقول ربّات الحجال، لوددت أنى لم أركم و لم أعرفكم، معرفه - و الله - جرّت ندما و أعقبت سدما (غيظا)!

قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبى قيحا، و شحنتم صدرى غيظا، و جرّعتمنى نغب التهمام (نغب جمع نغبه كجرعه لفظا و معنى، و التهمام: الهمّ) أنفاسا، و أفسدت على رأى بالعصيان و الخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبى طالب رجل شجاع و لكن لا علم له بالحرب.

لله أبوهم! و هل أحد منهم أشدّ لها مراسا و أقدم فيها مقاما منى! لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين و ها أنا ذا قد ذرفت على الستين! و لكن لا رأى لمن لا يطاع»(١)!

ص: ١٥٦

١- الأغانى: ج ١٥، ص ٤٥.

و لا بد من توضيح نقطه هامه، و هي أن المبادره المطلوبه، هي المبادره في أمر الخير، و ليس في أعمال الشر.. ذلك أن الشيطان يدفع بالإنسان عادة إلى استعجال الشر، أما أعمال الخير فلا تجد من يدفع إلى استعجالها، إلا ضمير الإنسان و دينه..

و القاعده التي يجب الالتزام بها هنا هي: «إذا عرض شيء من أمر الآخره، فابدأ به، و إذا عرض شيء من أمر الدنيا فتأنه حتى تصيب رشدك»^(١).

ف «التؤده ممدوحه في كل شيء إلا في فرص الخير»^(٢).

و هذا يعني أنك: «إذا هممت بخير فبادر، فإنك لا تدري ما يحدث»^(٣) و ذلك «أن الله يحب من الخير ما يعجل»^(٤)

و هكذا فإن «من همّ بشيء من الخير فليعجله، فإن كل شيء فيه تأخير فإن للشيطان فيه نظره»^(٥).

و لقد أوصى الإمام على عليه السلام في قضاء الحوائج، بالمبادره فقال: «لا يستقيم قضاء الحوائج إلا بثلاث: باستصغارها

ص: ١٥٧

١- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٢١٥.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- الكافي: ج ٢، ص ١٤٢.

٤- ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٧٤.

٥- الكافي: ج ٢، ص ١٤٣.

لتعظم، و باستكثامها لتظهر، و بتعجيلها لتهنو»(١) ذلك أنه «ليس من عادة الكرام تأخير الإنعام»(٢).

و بالطبع فإنّ المبادره، تختلف عن العجله، فالاستعجال هو نوع من التسرّع فى غير موقعه، أو المبادره إلى الشر.. مثل الاستعجال إلى العقوبه قبل التثبت، و لذلك كان «من كمال الحلم تأخير العقوبه»(٣).

و لهذا أوصى الإمام ولده الحسن بقوله: «أخر الشر فإنك إذا شئت تعجلته»(٤).

أمّا المبادره المطلوبه، فهى اغتنام فرص الخير، و الولوج إلى أبواب العمل الصالح فور انفتاحها، و عدم إضاعه الوقت..

ص: ١٥٨

-
- ١- قوت القلوب: ج ٢، ص ٢٢٢.
 - ٢- غرر الحكم و درر الكلم.
 - ٣- ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٧٣.
 - ٤- العقد الفريد: ج ٣، ص ١٥٥.

من أعظم صفات الرجال: الوفاء، و من أزدلها الغدر.

ذلك أن «الوفاء أشرف الخلائق» (١) كما أن «الغدر شيمه اللئام» (٢) و «الوفاء عنوان النبيل» (٣) و «الغدر أقبح الخيانتين» (٤).

و ما أحوج الذين لهم مكانه فى المجتمع، من الزعماء و الحكّام و أصحاب المناصب، إلى التزام الوفاء و أداء الأمانة.

و ما أقلهم!

فكم من رجال فى التاريخ رفعتهم الأحداث إلى مصاف العظماء، ثم غدروا بمن كان معهم، فسقطوا فى حضيض المقبوحين؟ و كم من أناس مغمورين أوفوا للآخرين، فوقف لهم الناس إجلالا و إكبارا على مرّ الزمان؟

ص: ١٥٩

١- غرر الحكم و درر الكلم.

٢- ميزان الحكمة: ج ٧، ص ١٧٤.

٣- غرر الحكم و درر الكلم.

٤- المصدر السابق.

و إذا أخذنا بعين الاعتبار أن «أقلّ الناس وفاء الملوّك»^(١) و من يدور فى فلّكهم، حيث للشيطان سلطان فى قصورهم، فإنّ أعظم الحكام هم أكثرهم وفاء، و التزاما بالعهد، و مجانبه للغدر..

و حقا فإنّ «الوفاء حصن السؤدد»^(٢) «و حفظ الذمام»^(٣) و به «يعرف الأبرار»^(٤) بينما «الغدر يعظّم الوزر»^(٥) و مجانب للقرآن^(٦) و «يضاعف السيئات»^(٧).

و الغريب أنّ كثيرا من الحكام ابتلى بالغدر، حتى أصبح ذلك صفه من صفات الملوّك و الأمراء، و عاده من عادات أصحاب التاج و الصولجان، و حقا من حقوقهم! و وسيله مشروعه لارتقاء سلاله الحكم! معتبرين ذلك من الحيل التى يجوز التوسّل بها فى الأعمال السياسيه..

و يبدو أنّ ذلك كان من الأمور التى عانى منها الإمام أمير

ص: ١٦٠

١- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ١١٢.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٦٠٢.

٤- غرر الحكم و درر الكلم.

٥- المصدر السابق.

٦- المصدر السابق.

٧- المصدر السابق.

المؤمنين عليه السلام في عصره، كما عانى كل الصادقين منه في التاريخ.

يقول عليه السلام: «أيها الناس: إن الوفاء توأم الصدق، ولا أعلم جنّة أوقى منه، و ما يغدر من علم كيف المرجع، و لقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيسا (شطاره)، و نسبهم أهل الجهل إلى حسن الحيله.

«ما لهم؟! قاتلهم الله!. قد يرى الحوّل القلب (البصير بتحوّلات الأمور و تقلباتها) وجه الحيله و دونها مانع من أمر الله و نهيه، فيدعها رأى العين بعد قدره عليها، و ينتهز فرصتها من لا حريجه له في الدين»(1).

لقد ابتلى الإمام عليه السلام بمناوىء يتخذ الغدر، و الاغتيال، و شراء الضمائر وسيلته لمواجهة الإمام و هو «معاويه بن أبى سفيان» الذى كان يرفع شعار: «و الله لأغلبنّ بدنياى دين على»، و كان الإمام يرى بأمر عينيه كيف تنتقص أطراف مملكته شبرا شبرا بسبب الوسائل التى يستعملها معاويه، و لكنه عليه السلام كان يرفض أن يستخدم نفس أساليبه.. و يقول: «و الله ما معاويه بأدهى منى و لكنه يغدر و يفجر، و لو لا كراهيه الغدر لكنت أدهى الناس، و لكن كلّ غدره فجره، و كل فجره كفره،

ص: ١٦١

١- نهج البلاغه: الخطب ٤١ - و رسائل الجاحظ: ص ١٢٥.

و لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة! «و الله ما استغفل بالمكيدة، و لا أستغمر بالشديده»(١).

كان يعرف جيدا داء الناس و دواءهم، و لكنه كان من أهل «الوفاء»، و من أئمة العدل، و من الأبرار الأخيار الذين كلما قوى أعداؤه فى الكذب و الدجل، كان يقوى هو فى الصدق و الصراحه و الحق..

كان الإمام يقول: «و الله إنى لأعلم بدائكم و دوائكم و لكن هيهات أن أصلحكم بخراب نفسى».

كان معاويه يستخدم الغدر و الاغتيال لقتل مناوئيه، فيضع السم فى العسل و يهديه لهم ثم يضحك و يقول: «إن لله جنودا من العسل»، و كان أمير المؤمنين يشير إلى ابن ملجم و يقول:

- «هذا قاتلى»!

- فيقال له أ فلا نقتله؟ فيرفض ذلك و يقول: «إذا تقتلون بى غير قاتلى»!

و كان معاويه يكتب إلى ولايته و عمّاله: «انظروا إلى من روى حديثا لأبى تراب فاقتلوه» و يقول: «خذوهم بالتهمة و اقتلوهم بالظنه».

و كان أمير المؤمنين يكتب إلى عمّاله: «فلا تغدرنّ بدمتكم

ص: ١٦٢

١- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ١٠، ص ٢٠٩.

و لا تخيسن بعهدك، و لا تختلن عدوك، فإنه لا يجترىء على الله إلا جاهل شقى، و قد جعل الله عهده و ذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته، و حريما يسكنون إلى منعته، و يستفيضون إلى جواره فلا ادغال، و لا مدالسه، و لا خداع فيه، و لا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه، و فضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته، و إن تحيط بك من الله فيه طلبه»(١).

لقد رفض الإمام مجموعه أمور بسيطه، و منها قبول ولايه معاويه، و تثبيتته على الشام، و جرّ ذلك عليه الكثير من المشاكل.. فقط لأن الإمام كان يرفض المناورات الشيطانيه و الغدر، و إلا كان باستطاعته أن يثبت معاويه أياما ثم يغدر به بكل سهوله.

لقد جاءه المغيره بن شعبه بعد مبايعته، فقال له:

- «إن لك حق الطاعه و النصيحه، و إن الرأى اليوم تحرز به ما فى غد، و إن الضياع اليوم تضيع به ما فى غد، أقرر معاويه على عمله، و أقرر العمال على أعمالهم، حتى إذا أتتك طاعتهم و بيعه الجنود استبدلت أو تركت».

ص: ١٦٣

فأبى عليه السلام وقال: «لا أداهن في ديني، ولا أعطي الدينئه في أمري».

قال المغيرة: «فإن كنت أبيت عليّ فانزع من شئت و اترك معاويه، فإنّ في معاويه جرأه، و هو في أهل الشام يستمع له و لك حجه في إثباته.. إذ كان عمر قد ولّاه الشام».

فقال على عليه السلام: «لا و الله.. لا أستعمل معاويه يومين»^(١).

لقد كان الإمام يرفض الغدر، إلى درجه أنه يعتبر الغادر و الخائن ممّن لا يجوز الوفاء معهما، فمن كسر حرمة الوفاء، فلا بدّ من ردعه بالشده و الحزم، لا باللين و اللطف.

يقول عليه السلام: «الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، و الغدر بأهل الغدر وفاء عند الله»^(٢).

و يقول: «الخائن لا وفاء له»^(٣).

ص: ١٦٤

١- عبقرية الإمام على عليه السلام: ص ١٢٢.

٢- روض الأخيار: ص ١٣٩.

٣- غرر الحكم و درر الكلم.

لا يمكن أن تنتصر قضيه ليس أصحابها مستعدّين للتضحية من أجلها.

غير أن هنا لك فرقا بين من يبحث عن المجد الشخصى، و إحراز الانتصار على أعدائه فى حياته، و بين من يمتلك قضيه، و يسعى من أجل انتصارها، حتى و إنّ أذى ذلك إلى التضحية بنفسه..

فالأول: إذا خسر، ستكون فى خسارته نهايته.

و الثانى: إذا خسر، فقد تكون فى خسارته نجاحه.

فالأهداف العليا، كالمثل و القيم و الدّين، ستجد من ينتصر لها يوما، و كل من يقدم حياته لها يتحوّل إلى رمز مقدس على مرّ الأيام، و لذلك فمن يموت دون قضيه، يزيد قوّه و مناعه..

فالتضحية بالنفس للقضايا.. تقويها.

بينما التضحية للنفس بالقضايا.. تنهيا.

و على أيّ حال فإن المغامرة من أجل الأهداف، و خوض الغمرات فى الدفاع عنها، ضروره من ضرورات العمل للحق.

و أساسا كيف نعرف صدق المدّعين إلّا حينما يدعون إلى التضحية و الفداء؟.

إن أدعاء الحق كثير، و لكن المستعدين لبذل كل شىء له، هم الصادقون منهم. و هم الأقلون.

«فالناس عبيد الدنيا، و الدين لعق على ألسنتهم، يدورونها ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون»^(١).

و يبدو أن ذلك من سنّه الله فى الخلق حتى يميّز المجاهدين منهم عن الكاذبين. أ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ (٣) (٢).

إن الطريق إلى تحقيق المثل العليا، ملء بالأشواك كما هى الطريق إلى الجنة، فقد «حفت الجنة بالمكاره و حفت النار بالشهوات»^(٣).

و إذا كانت لنا برسول الله قدوه حسنه، فإن النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم

ص: ١٦٦

١- حياه الإمام الحسين - القرشى.

٢- سوره العنكبوت، الآيتان: ٢-٣.

٣- المحاسن: ص ٦.

«خاض إلى رضوان الله كل غمره، و تجرّع فيه كل غصّه و قد تلوّن له الأذنون، و تألّب عليه الأقصون، و خلعت إليه العرب أعتتها، و ضربت إلى محاربتة بطون رواحلها حتى أنزلت بساحته عدواتها، من أبعد الدار و أسحق المزار»(١).

إذن «لا تفرطوا في صلاح، و أن تخوضوا الغمرات إلى الحق»(٢).

لقد أوصى الإمام ولده الحسن عليه السّلام - و هو العزيز على قلبه - أن يخوض كأبيه، الغمرات للحق قائلاً: «جاهد في الله حق جهاده، و لا تأخذك في الله لومة لائم، و خض الغمرات للحق حيث كان»(٣).

إن التضحية المطلوبه، لا تعنى بالضروره أن يموت الإنسان من أجل قضيته، و لكنها تعنى حتما الاستعداد للمغامره من أجلها و عدم وضع حدّ لما تتطلّب من الغالى و الرخيص.

و هكذا كان الإمام على عليه السّلام فقد كان دائما على استعداد للمغامره بحياته فى سبيل رساله، فما من غزوه إلا و هو

ص: ١٦٧

١- نهج البلاغه: الخطب ١٩٤.

٢- الأمالى: ج ١، ص ٢٢١.

٣- نهج البلاغه: الكتب ٣١.

أميرها، أو بطلها، و ما من دعوه تتطلب التضحيه إلا و هو أول من يستجيب لها.

و فيما يلي نموذج واحد من ذلك:

روى «أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم خرج ذات يوم الفجر، ثم قال:

معاشر الناس أيكم ينهض إلى ثلاثه نفر قد آلوا باللات و العزى ليقتلونى، و قد كذبوا و رب الكعبه؟

فأحجم الناس و ما تكلم أحد، فقال صلى الله عليه و آله و سلم: «ما أحسب على بن أبى طالب عليه السلام فيكم». فقال له عامر بن قتاده: إنه وعك في هذه الليله و لم يخرج يصلى معك، فتأذن لى أن أخبره؟

فقال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: «شأنك» فمضى إليه فأخبره، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام كأنه نشط من عقال، و عليه إزار قد عقد طرفيه على رقبته، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ما هذا الخبر؟ قال النبى: «هذا رسول ربى يخبرنى عن ثلاثه نفر قد نهضوا لقتلى» فقال على عليه السلام: يا رسول الله أنا لهم سريره وحدى، هو ذا ألبس على ثيابى، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «بل هذه ثيابى و هذا درعى و هذا سيفى» فدرعه و عممه و قلده و أركبه فرسه.

و خرج أمير المؤمنين عليه السلام فمكث النبى ثلاثه أيام لا يأتيه

جبرائيل بخبره و لا خبر من الأرض، و أقبلت فاطمه بالحسن و الحسين على وركيها تقول: أوشك أن ييتم هذان الغلامان.

فأسبل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عينه، ثم قال: «معاشر الناس من يأتيني بخبر عليّ أبشّره بالجنّة»، و افترق الناس في الطلب لعظيم ما رأوا بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و خرج العواتق، فأقبل عامر بن قتاده يبشّر بعليّ، و أقبل عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام معه أسيران و رأس و ثلاثة أبعره و ثلاثة أفراس.

فسأله رسول الله عن قصته؟

فقال عليه السّلام: يا رسول الله، لَمَّا صرت في الوادي رأيت هؤلاء ركبانا على الأباغر فنادوني من أنت؟

فقلت: أنا عليّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فقالوا: ما نعرف لك من رسول، سواء علينا وقعنا عليك أو على محمّد، و شدّ عليّ هذا المقتول، و دار بيني و بينه ضربات فضربته، و قطعت رأسه و أخذت هذين أسيرين.

فقال له رسول الله: «قدّم إليّ أحد الرجلين»، فقدّمه فقال: «قل: لا إله إلا الله و اشهد أنّي رسول الله»، فقال: لنقل جبل أبي قبيس أحبّ إليّ من أن أقول هذه الكلمة! فقال: يا عليّ أخره و اضرب عنقه، ثمّ قدّم الآخر فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ له: «قل: أشهد أن لا إله إلا الله و اشهد أنّي رسول الله»، قال:

يا محمد ألقني بصاحبي فقال: صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم: يا عليّ أخره واضرب عنقه، وقام أمير المؤمنين عليه السّلام ليضرب عنقه فهبط جبرائيل على النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم فقال: يا محمد إنّ ربّك يقرؤك السّلام ويقول: لا تقتله فإنّه حسن الخلق سخّي في قومه.

فقال النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم: «يا عليّ أمسك فإنّ هذا رسول ربّي عزّ وجلّ يخبرني أنّه حسن الخلق سخّي في قومه».

فقال المشرك تحت السيف: هذا رسول ربّك يخبرك؟ قال: نعم، قال: والله ما ملكت درهما مع أخ لي قطّ ولا قطبت وجهي في الحرب، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله.

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم: «هذا ممّن جرّه حسن خلقه و سخاؤه إلى جنّات النّعيم»^(١).

ص: ١٧٠

١- الخصال: ج ١، ص ٤٦-٤٨.

العطاء سمه بارزه من سمات أولياء الله، فهم يعطون من أنفسهم و أموالهم و أوقاتهم، و حياتهم، من غير ما رغبه فى الجزاء من أحد..

و من هنا فإنهم دائما يبحثون عن ذوى الحاجه و العوز، لا عن ذوى الثروه و المال. و يرون العطاء أصلا من أصول الحياه، و واجبا من واجباتهم، كما يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: «لم نبعث لجمع المال، و لكن بعثنا لإنفاقه»^(١)!

فرسالتهم هى الإنفاق لا الجمع. و العطاء لا التكاثر.

و الكرم لا البخل.

و هكذا كان الإمام على عليه السلام يقدم الآخرين على نفسه، و يبحث عن يعطيه و يعتبر ذلك دينا عليه، لا له، و يقول:

ص: ١٧١

«الكريم يرى مكارم أخلاقه دينا عليه يقضيه، و اللّيم يرى سوائف إحسانه دينا له يقضيه»(١).

و لذلك فإنه عليه السّلام كان يبحث عن ذوى الحاجه ليعطيهم، كما يبحث أحدنا عن الدرّ و الجواهر..

و كما يقول أحدهم: «ما كان على لينتظر حتى يسأله سائل، بل كان يبحث هو نفسه عن صاحب الحاجه، و المسكين، و اليتيم، و الفقير و المحروم، يمضى إليهم هو و يعطيهم من ماله ما يعتقد أنه حق لهم معلوم. و كان يقول:

«السّخاء ما كان ابتداءً أما ما كان عن مسأله فحياء و تدمم» (فرار من الذم).

هكذا كان يؤتى ماله يتزكى، و ما لأحد عنده من نعمه تجزى، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى.. و لسوف يرضى! و قد جعله ربّه رضىنا.

و لشده ما كان يرضى إذ يسعد الآخرين!!.. و كان عند ربّه مرضيّا!.. أرضى الله و رسوله، فأرضاه الله و رسوله(٢).

و حينما رزق الله المسلمين غنائم كثيره و اتسع رزق المجاهدين منهم، اتخذ بعضهم المزارع، و الدور الكبيره، و فاخر الرياض.. أما هو و نفر من كبار الصحابه، فقد كانوا

ص: ١٧٢

١- غرر الحكم و درر الكلم.

٢- على إمام المتقين: ج ١، ص ٤٩.

يتصدّقون بما يغمون!، بل و لم يكن يؤخّر العطاء من الليل إلى النهار..

فعن سالم الجحدري قال:

«شهدت عليّ بن أبي طالب عليه السّلام أتى بمال عند المساء، فقال: اقتسموا هذا المال:

فقالوا: قد أمسينا يا أمير المؤمنين فأخّره إلى غد.

فقال لهم: تقبلون لي أن أعيش إلى غد؟

قالوا: ما ذا بأيدينا؟

فقال: لا تؤخّروه حتّى تقسموه»(١).

لقد كان كريما بلا حدود، و ضد البخل بلا تحفّظ.

فالسّخاء عنده «يزرع المحبة»(٢) و «يثمر الصفاء»(٣) و «يزين الأخلاق»(٤) و «يمحصّ الذنوب و يجلب محبّة القلوب»(٥) و هو «ثمره العقل»(٦).

ذلك أن «السّخاء خلق الله الأعظم»(٧) و «خلق الأنبياء»(٨)

ص: ١٧٣

١- بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ٣٢١.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- المصدر السابق.

٤- ميزان الحكمه: ج ٤، ص ٤٢٠.

٥- غرر الحكم و درر الكلم.

٦- المصدر السابق.

٧- كنز العمال: خ ١٥٩٢٦.

٨- غرر الحكم و درر الكلم.

و لذلك فإنه «ما جيل الله وليا إلا على السخاء»^(١) و من هنا فإن «ساده الناس فى الدنيا الأسخياء»^(٢).

أمّا البخل، فعند الإمام هو: «جامع لمساوىء العيوب، و هو زمام يقاد به إلى كل سوء»^(٣) إذن «البخل أذم الأخلاق»^(٤) و هو «عار»^(٥).

كان عليه السلام يؤمن بالجزاء و لذلك كان يجود بالعطيه.

و قد روى «أن عليا جلس فى سوق المدينة المنوره و معه ابنه الحسن و هو صغير، و مرّ سائل مسكين، فرقّ عليّ له فقال للحسن: «اذهب إلى أمك فقل لها: تركت عندك سته دراهم، فهات منها درهما».

فذهب الحسن إلى أمه ثم رجع إلى أبيه فقال: «أمى تقول لك إنما تركت سته دراهم للدقيق».

فقال على: «لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده، قل لها ابعثى بالدراهم الستة جميعا».

ص: ١٧٤

١- كنز العمال: خ ١٦٢٠٤.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٣٠٧.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ١٩٩.

٥- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٣٠٧.

فبعثت بها إليه فدفعتها كلها إلى السائل.

و بعد لحظات مرّ به رجل معه جمل يبيعه.

فقال علي: «بكم الجمل»؟

قال الرجل: «بمائه و أربعين درهما».

قال علي للرجل إنه يشتري الجمل، و لكنه سيدفع ثمنه بعد حين!. فوافق صاحب الجمل، و تركه لعلی و مضى.

ثم أقبل رجل آخر فقال: «لمن هذا البعير»؟.

قال علي: «لى».

قال الرجل: «أ تبيعه».

قال الرجل: «بكم»؟.

قال الإمام: «بمائتي درهم». فأخذ الرجل البعير و أعطى عليا المائتين.

فأعطى صاحب الجمل - حين عاد إليه - حقه، و هو مائه و أربعون درهما. و جاء بستين درهما إلى فاطمه عليها السلام. فقالت:

«ما هذا»؟. قال: «هذا ما وعدنا الله على لسان نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ من جاء بالحسنه فله عشر أمثالها» (١).

و كان عليه السلام يعطى، و لا يتوقّع الشكر، و يقول: «إن مكرمه

ص: ١٧٥

١- علي إمام المتّقين: ج ١، ص ٤٠.

صنعتها إلى أحد من الناس، إنما أكرمت بها نفسك، وزينت بها عرضك فلا تطلب من غيرك شكر ما صنعت إلى نفسك»^(١).

قال عنه الشعبي: «كان على عليه السلام أسخى الناس، كان على الخلق الذي يحب الله: السخاء و الجود، ما قال «لا» لسائل قط. و قال عدوه و مبغضه الذي يجتهد في وصمه و عيبه معاويه بن أبي سفيان لمحفن بن أبي محفن الضبي لما قال:

جتتك من عند أبخل الناس.

«فقال معاويه: ويحك كيف تقول إنه أبخل الناس و لو ملك بيتا من تبر و بيتا من تبن لأنفد تبره قبل تبنه؟ و هو الذي كان يكنس بيوت الأموال و يصلّي فيها، و هو الذي قال: يا صفراء و يا بيضاء غزى غيرى، و هو الذي لم يخلف ميراثا و كانت الدنيا كلها بيده إلا ما كان من الشام»^(٢).

و روى «أنه كان يأتي عليه وقت لا يكون عنده قيمه ثلاثه دراهم يشتري بها إزارا و ما يحتاج إليه، ثم يقسم كل ما فى بيت المال على الناس، ثم يصلّي فيه فيقول: الحمد لله الذى أخرجنى منه كما دخلته»^(٣).

ص: ١٧٤

١- غرر الحكم و درر الكلم.

٢- شرح نهج البلاغه: ج ١، ص ٢١٥.

٣- بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ٣٢١.

كان يكره البخل، و الباخلين، و يقول: «البخيل يذلّ مصاحبه، و يعزّ مجانبه»^(١) و يقول: «البخل بالوجود سوء ظن بالمعبود»^(٢)، و يقول: «ليس لبخيل حيب»^(٣)، و يقول:

«عجبت للشقى البخيل، يتعجل الفقر الذى منه هرب، و يفوته الغنى الذى إياه طلب، فيعيش فى الدنيا عيش الفقراء، و يحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء»^(٤).

و كان يوصى بالابتعاد عن البخلاء، و يقول: «إياك و مصادقه البخيل فإنه يقعد عنك، أحوج ما تكون إليه»^(٥)، و يوصى بعدم استشارته أيضا و يقول: «فلا تدخلن فى مشورتك بخيلا»^(٦).

و كان يرى الكرم شرطا لإمامه المسلمين و يقول: «لا ينبغي إمامه المسلمين: البخيل فتكون فى أموالهم نهمة»^(٧).

و لقد كان منبع العطاء، و مصدر الكرم، كان يعطى و هو

ص: ١٧٧

١- غرر الحكم و درر الكلم.

٢- المصدر السابق.

٣- ميزان الحكمه: ج ١، ص ٣٧٥.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ١٩٩.

٥- نهج البلاغه: الحكم ٣٨.

٦- نهج البلاغه: الكتب ٥٣.

٧- نهج البلاغه: الخطب ١٣١.

محتاج يقول بعض من عاصره: «كانت غلّه على أربعين ألف دينار، فجعلها صدقه، وإنه باع سيفه و قال: لو كان عندي عشاء ما بعته»(١).

و يقول ابن عباس: «إن على بن أبي طالب عليه السلام كان يملك أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلا و بدرهم نهارا و بدرهم سرًا و علانيه، فأنزل الله سبحانه فيه: الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢)(٣).

كان يقول: «لا تستح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه»(٤) و قد روى أنه عليه السلام نظر إلى فقير انخرق كم ثوبه، فخرق عليه السلام كم قميصه و ألقاه إليه(٥).

و كان يعاتب من لا يشجع على الكرم، أو يدعو إلى البخل و قد روى: «أن أمير المؤمنين عليه السلام بعث إلى رجل بخمسه

ص: ١٧٨

١- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٢٦.

٢- سورة البقره، الآية: ٢٧٤.

٣- كشف الغمّه: ص ٥٠.

٤- المستطرف: ج ١، ص ١٦٣.

٥- بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ٣٢٣.

أوساق من تمر. فقال له رجل: «و الله ما سألك فلان، و لقد كان يجزيه من الخمسه أوساق، وسق واحد..

فغضب عليه السلام و قال له عليه السلام: «لا كثر الله في المؤمنين مثلك، أعطى أنا و تبخل أنت؟»(١).

لقد كان الإمام يعطى بمقدار كرمه هو، لا بمقدار حاجه من يعطيه.

من ذلك ما روى أن أعرابيا سأله شيئا، فأمر له بألف، فقال وكيله: من ذهب أو فضه؟ (أى دينار أو درهم):

فقال عليه السلام: «كلاهما عندي حجر، أعط الأعرابي أنفعهما له»(٢).

«و كان إذا أعطى شيئا حتى خطأ، فلا يسترجه فقد ذكر المؤرخون أن عبد الله بن الزبير قال للإمام: إني وجدت في حساب أبي أن له كذا من المال؟ فقال له: إن أباك لصادق إن قال هذا، فقضى ذلك، ثم جاءه ابن الزبير قائلا: غلظت فيما قلت، إنما كان لوالدك على والدي ما ذكرته لك، فقال:

والدك في حل، و الذي قبضته مني هو لك»(٣).

لقد أوصاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أن يكون معطاء حتى مع

ص: ١٧٩

١- الوسائل: ج ٦، ص ٣١٨

٢- السبيل إلى إنهاء المسلمين: ص ٤٤٢.

٣- المصدر السابق: ص ٤٤٢.

أعدائه، فقال له: «يا علي، ألا أدلك على خير أخلاق الأولين و الآخريين»؟.

قال: «بلى يا رسول الله».

قال: «تعطى من حرمك، و تعفو عمّن ظلمك، و تصل من قطعك»(١).

و عملا بهذه الوصيه، لم يكن عطاء الإمام عليه السلام يقتصر على عامه الناس، أو من له هوى فيه، بل كان يشمل حتى الأعداء.

و هذا هو الامتحان الصعب. فأنت قد تعطى من تحبه، أما أن تعطى من يعاديك و تعاديه، فهو العطاء الذى لا تشوبه شائبه، و لا يمكن إلا أن يكون فى سبيل الله.

و قد تجلّى ذلك فى موارد كثيره. و لكننا نقتصر على بعض النماذج، فقد روى أنّ عليا عليه السلام كان يحارب رجلا من المشركين، فقال المشرك:

«يا ابن أبى طالب هبنى سيفك»، فرماه إليه.

فقال المشرك: «عجبا يا ابن أبى طالب فى مثل هذا الوقت تدفع إلى سيفك؟!

فقال: «يا هذا إنك مددت يد المسأله إلى، و ليس من الكرم أن يردّ السائل».

ص: ١٨٠

١- كلمه الرسول الأعظم.

فرمى الكافر نفسه إلى الأرض وقال: «هذه سيره أهل الدين، فقَبِلَ جبهته و أسلم»(١).

و من ذلك أيضا ما جرى بينه و بين معاويه فى صَفَيْن، حينما سبق معاويه و جنده، الإمام إلى الماء. و كانت شريعته الماء التى ملكها معاويه هى المورد الوحيد على النهر إلى الماء. و لقد جعل معاويه عليه حرسا كبيرا بقياده أبى الأعور، و أمرهم أن يمنعوا الماء عليا و جنوده. و جاء جنود على يشربون فصدّهم جيش معاويه، و شرعوا فى وجوههم الرماح و السيوف، و رشقوهم بالنبال!!

فقال له عمرو بن العاص: «يا معاويه خلّ بين القوم و بين الماء فإنهم لن يعطشوا و أنت ريان. و لكن بغير الماء فانظر فيما بينك و بينهم».

فأبى معاويه..

فقال عمرو: «يا معاويه ما ظنّك بالقوم إن منعوك الماء غدا كما منعتهم اليوم»؟. قال: «إن عليا لا يستحلّ منّا ما نستحلّ منه».

و لما أحسّ جند الإمام حرّ العطش شكوا إليه، و طلبوا منه أن يأذن لهم بقتال جند معاويه على الماء.

فأرسل الإمام إلى معاويه من يقول له: «إنّا سرنا مسيرنا

ص: ١٨١

هذا و نحن نكره قتالكم قبل الإعداز إليكم، فقدمت إلينا خيلك و رجلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، و بدأتنا بالقتال! و نحن من رأينا الكفّ حتى ندعوك و نحتجّ عليك. و هذه أخرى قد فعلتموها، منعم الناس من الماء، و الناس غير منتهين أو يشربوا، فابعث إلى أصحابك فليخلوا بين الناس و الماء، و ليكفوا لننظر فيما بيننا و بينكم و فيما قدمنا له. فإن أردت أن نترك ما جئنا له و نقتتل على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب، فعلنا».

فقام رجل من أهل الشام فقال: «أما و الله لو سبقكم علىّ إلى الماء لسقاكم منه. أما تعلمون أن فيهم العبد و الأمه و الأجير و الضعيف و من لا ذنب له؟ فهذا أول الجور! يا معاويه لقد شجعت الجبان، و بصّرت المرتاب، و حملت من لا يريد قتالك على كتفيك».

و كان الرجل صديقا لعمر و فقال له معاويه: «يا عمرو اكفنى صديقك»!.

و أمر الإمام جنوده أن يحاربوا على الماء.. فاندفع بهم الأشر و الإمام يدعو قائلا:

«اللهم إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي، و سدّدنا للحق، و إن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهاده و اعصم بقيه أصحابي من الفتنة».

و حمل جند الإمام حملة ضاربه فانهم جند الشام عن الماء، و صار الماء فى أيدى جند الإمام، فقال رجال منهم:

«و الله لا نسقيهم»^(١).

و خاطبوا الإمام قائلين: «امنهم يا أمير المؤمنين من الماء، كما منعوك، و لا تسقهم منه قطره، و اقتلهم بسيوف العطش، و خذهم قبضا بالأيدى فلا حاجه لك إلى الحرب».

و كانت الفرصه سانحه للإمام بأن ينتصر فعلا على معاويه، و لم يكن فى ذلك يفعل إلا ما فعله معاويه من قبل، و بحكم الآيه الكريمة: **فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** (٢) كان للإمام الحق فى ذلك و لكن لم يفعل..

فقد رفض منع معاويه و جنده الماء، و قال لأصحابه: «لا أفعل ما فعله الجاهلون، و لا أكافئهم بمثل فعلهم».

و أضاف عليه السلام: «خذوا حاجتكم من الماء و ارجعوا إلى عسكركم، و خلّوا بينهم و بين الماء، فإن الله قد نصركم ببغيهم و ظلمهم».

ص: ١٨٣

١- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٤٥-٤٦.

٢- سورة البقره، الآيه: ١٩٤.

و أرسل الإمام إلى معاوية: «إنا لا نجازيك بصنعك! هلم إلى الماء فنحن و أنتم فيه سواء».

و شعر معاوية بالخجل. و تغیظ عمرو على معاوية. فقال له معاوية: «يا عمرو، كان فلتة من رأى أعقبته بخطئها» ثم التفت إلى بطانته و قال: «لله درّ عمرو! ما عصيته فى أمر قطّ إلاّ أخطأت فيه»!^(١).

ص: ١٨٤

١- السبيل إلى إنهاء المسلمين: ص ٤٥٣.

الشجاعه من الشروط الأساسيه للنجاح، سواء على المستوى العام، للزعماء و أصحاب الرسالات، أم على المستوى الشخصى للآباء و الأمهات، أم للعاملين فى الحقول المختلفه فى الحياه.

و هى حجر الزاويه فى صفات الفروسية. فهل يمكن تصوّر رجل عظيم جان؟ و هل هناك شخص واحد نجح من غير إقدام؟

و حقا فإن «الشجاعه نصره حاضره و قبيله ظاهره» (١) و هى بلا شك «أحد العزّين» (٢).

بينما «الجبن آفه، و العجز سخافه» (٣) كما أنه «عار و منقصه» (٤).

ص: ١٨٥

١- ميزان الحكمة: ج ٥، ص ٢٤.

٢- المصدر السابق.

٣- غرر الحكم و درر الكلم.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٣٠٧.

و كما أن «السخاء و الشجاعه غرائز شريفه يضعها الله سبحانه فيمن أحبه و امتحنه» (١) فإن «الجبن و الحرص و البخل غرائز يجمعها سوء الظن بالله» (٢).

و قد يتساءل البعض من أين تنبع الشجاعه؟ و ما هو مقدارها في الرجال؟

و الجواب أن للشجاعه مصادر شتى. منها: «الهّمّه العاليه» لأن «شجاعه الرجل على قدر همّته» (٣).

و منها: «الحميّه» المترسخه في النفس لأن «على قدر الحميّه تكون الشجاعه» (٤).

و منها: الأنفه» ف «قدر الرجل على قدر همته، و صدقه على قدر مروءته، و شجاعته على قدر أنفته» (٥).

و منها: السخاء بالنفس، و الإباء من الذل، و طلب الذكر. فقد «جبلت الشجاعه على ثلاث طبائع، لكل واحده منهن فضيله ليست للأخرى: السخاء بالنفس. و الأنفه من الذل، و طلب الذكر، فإن تكاملت في الشجاع: كان البطل الذي لا يقام لسبيله،

ص: ١٨٤

١- ميزان الحكمة: ج ٥، ص ٢٤.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- المصدر السابق.

٤- ميزان الحكمة: ج ٥، ص ٢٧.

٥- نهج البلاغه: الحكم ٤٧.

والموسوم بالإقدام في عصره، و إن تفاضلت فيه بعضها على بعض كانت شجاعته في ذلك الذي تفاضلت فيه أكثر و أشدّ إقداماً»(١).

و لكن متى تظهر شجاعه الرجال؟

في الادعاء، ربما لا يوجد من يعترف بالجبن. و لكن في المواجهه تظهر الحقائق. حيث إن «ثلاثه لا تعرف إلا في ثلاثه مواطن: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب. و لا الشجاع إلا عند الحرب. و لا الأخ إلا عند الحاجه»(٢).

و لعل ذلك هو السبب في أن الإمام على عليه السّلام الذي اقترن اسمه بكل صفات الفروسيه، و امتزج ذكره مع الشجاعه كواحد من أظهر و أشهر صفاته، لم يتحدّث كثيرا عن الشجاعه. لأنه عليه السّلام كان يمارسها بالفعل، و لم يكن يلهج بذكرها فحسب.. كما يفعل الكثيرون، فحديثه عن الشجاعه، هو مواقفه و أفعاله و ممارساته، و هي أصدق حديث و أقوى كلام.

إن الشجاع يعرف عند الحرب. و هكذا عرف الإمام. ففي كل موقف صعب كان هو العلم و الشاخص. فهو العون في

ص: ١٨٧

١- تحف العقول: ص ٢٣٧.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٢٢٩.

النواب، و الحاضر فى الصعاب، و الرايه فى المغازى، و الرفيق فى البأساء.. يؤمن حينما يكفر الآخرون، و يصمد حينما يهرب الآخرون، و يقاتل حينما يفر الآخرون. كزار غير فزار و تلك هى الشجاعه حقا..

«و تدل أخباره - كما تدل صفاته - على قوه جسديه بالغه فى المكانه و الصلابه على العوارض و الآفات. فربما رفع الفارس بيده فجلد به الأرض غير جاهد و لا حافل، و يمسك بذراع الرجل فكأنما أمسك بنفسه فلا يستطيع أن يتنفس، و اشتهر عنه أنه لم يصارع أحدا إلا صرعه، و لم يبارز أحدا إلا قتله، و قد يزحج الحجر الضخم لا يزحجه إلا رجال أشداء، و يحمل الباب الكبير الذى يعجز عن تحريكه الأشداء، و يصيح الصيحه فتخلع لها قلوب الشجعان»^(١).

و قد قيل عن ضرباته: «كانت لعلى عليه السلام ضربتان: إذا تطاول قدّ، و إذا تقاصر قطّ».

و قالوا «كانت ضرباته أبكارا، إذا اعتلى قدّ و إذا اعترض قطّ، و إذا أتى حصنا هدّ».

و قالوا: «كانت ضرباته مبتكرات لا عوانا»^(٢).

ص: ١٨٨

١- عبقرية الإمام على عليه السلام: ص ١٥.

٢- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٦٧.

«و كان إلى جانب قوته البالغه شجاعا لا ينهض له أحد في ميدان مناجزه، فكان لجرأته على الموت لا يهاب قرنا من الأقران بالغا ما بلغ من الصوله، و رهبه الصيت»(١).

لم يفر من معركة قط، و هو القائل: «استحيوا من الفرّ فإنه عار في الأعقاب و نار يوم الحساب»(٢) و «إن في الفرار موجهه الله و الذل اللازم»(٣) و أيم الله لئن فررتم من سيف العاجله لا تسلموا من سيف الآخره»(٤).

و قد قيل له:

- لم لا تشتري فرسا عتيقا؟

فقال: «لا حاجه لي فيه، و أنا لا أفز مَمَّن كَرَّ عَلَيَّ، و لا أكرّ على من فرّ منِّي»(٥)!

و حقا فإن الذي لا يهاب الموت لا يبالي في المواجهه، و يتمتع بشجاعه خارقه بينما ضعاف النفوس و اليقين هم الجبناء الخائفون فإن «شدّه الجبن من عجز النفس، و ضعف اليقين»(٦).

ص: ١٨٩

١- عبقرية الإمام على عليه السلام: ص ١٦.

٢- نهج البلاغه: الخطب ٦٦.

٣- الفتوح: ج ٣، ص ٧٣.

٤- نهج البلاغه: الخطب ١٢٤.

٥- أمالي الصدوق: ص ١٠٢.

٦- غرر الحكم و درر الكلم.

و لقد كان الإمام قويا في نفسه، عظيما في يقينه، و لذلك كان شجاعا في مواجهه الموت، و هو القائل في أواخر لحظات حياته: «و الله ما فاجأني من الموت وارد كرهته، و لا- طالع أنكرته، و ما كنت إلا- كقارب ورد، و طالب وجد و ما عند الله خير للأبرار»^(١).

و من كانت هذه صفته فلا يبالي بالموت، فقد روى «أن أمير المؤمنين كان يطوف بين الصفيين، بصفين، في «غلاله» فقال له ولده الحسن عليه السلام: «ما هذا زى الحرب!»

فقال عليه السلام: «يا بنى.. إن أباك لا يبالي وقع على الموت، أو وقع الموت عليه»^(٢).

و كان يقول: «و الله لا أبالي دخلت إلى الموت، أو خرج الموت إلي»^(٣).

و يقول: «و الله، لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه»^(٤).

و قال في الصبيحة التي قتل فيها:

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقিকা

و لا تجزع من الموت إذا حلّ بوادিকা

ص: ١٩٠

١- مروج الذهب: ج ٢، ص ٤٣٦.

٢- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٢.

٣- نهج البلاغه: الخطب ٥٥.

٤- نهج البلاغه: الخطب ٥.

كما أضحكك الدهر كذاك الدهر بيكيكا(١)

و لقد رفض أكثر من مره أن يتخذ حارسا، بالرغم من أن خليفتين قبله كانا قد قتلا فعلا، و هما الخليفة الثاني «عمر بن الخطاب» و الخليفة الثالث «عثمان بن عفان». و بالرغم من أنه كان يخوض حروبا داخلية، و لربما كان يتحول صاحبه خلال ليله واحده إلى عدوّه. و قد قتل فيما بعد على يد واحد من أمثال هؤلاء و هو الخارجي عبد الرحمن بن ملجم..

و مع ذلك لم يتخذ حارسا. و حينما كان البعض يتبرّع لذلك كان يرفضه..

من ذلك ما روى أنه: «كان لعلي عليه السلام غلام اسمه قنبر، و كان يحبّ عليا حبّا شديدا، فإذا خرج عليّ خرج عليّ أثره بالسيف.

فرآه ذات ليله فقال: يا قنبر ما لك؟

قال: جئت لأمشي خلفك، فإنّ الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين، فخفت عليك.

قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض؟

قال: لا بل من أهل الأرض؟

ص: ١٩١

١- علي من المهد إلى اللحد.

قال: إنّ أهل الأرض لا يستطيعون بي شيئاً إلاّ بإذن الله عزّ وجلّ من السماء فارجع فرجع»(١).

و في معركة الجمل خرج إلى عدوّه للاحتجاج و هو حاسر فقال أصحابه: «أ لا نحرسك»؟ فقال: «حرس امرأ أجله».

فقالوا: «لا تخرج و أنت بقميص واحد و حاسر»!.

فقال: «لقد قاتلت مع النبي و أنا حاسر، أكثر مما قاتلت و أنا دارع. إنما أنا ذاهب إلى الزبير حوارى رسول الله، و ابن عمته»(٢)!!

و في نهايات معركة «صفين» قرّر بعض أصحابه أن يختاروا كل ليلة عشرة منهم يبيتون بالسلاح ساهرين على حراسته دون أن يستأذنوه.. و رآهم ذات ليلة فسألهم: «ما يجلسكم»؟ قالوا: «نحرسك يا أمير المؤمنين»: فقال ساخراً: «من أهل السماء»؟! ثم قال: «إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء، و إنه ليس من الناس أحد إلاّ و قد و كّل به ملكان يدفعان عنه فإذا جاء القدر خلياً عنه، و إنه لا يجد عبد حلاوه الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، و ما أخطأه لم يكن ليصيبه»(٣).

ص: ١٩٢

١- التوحيد: ص ٣٥٠.

٢- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢٧٠.

٣- المصدر السابق: ج ٢، ص ٣٨٩.

و لقد ظهرت شجاعه الإمام مبكرا، و هو بعد فى العاشره من عمره، حينما نزل الوحي على رسول الله و وقفت قريش فى وجه الرساله، و بدأت تؤذى النبى بشتى الوسائل، و منها دفع الأطفال للاعتداء عليه، و رميه بالحجاره. فما كان من الإمام إلا و قد نصّب نفسه حارسا أميناً لرسول الله، فكان إذا خرج، خرج معه و أيما طفل من أطفال قريش يحاول إيذاء النبى كان على يصصره على الأرض و لربما يقضم أنفه، أو يعضّ أذنه، فسّمّوه «القضم» و خافوا منه خوفا شديدا، فكانوا يتعدون عن رسول الله، كلما كان معه «على» و يتجرؤون عليه صلى الله عليه و آله و سلم إن لم يكن معه..

و ليله الهجره بات على فراش رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ليؤمن تغطيه خروج النبى حتى لا تعلم قريش بذلك، بعد أن عزموا على قتله..

و فى المواقع التى شهدها مع رسول الله - فيما بعد - منذ أذن للذين يُقاتلون بأنهم ظلموا و إن الله على نصيرهم لقدير (١) ، كانت الشجاعه تتلبسه، فإذا هو الفارس الأول، و المحور الأساسى للمعارك، و صاحب الرايه فى كثير منها، و قائدها فى أغلب الأحيان..

«و لقد كان فى نحو العشرين، يوم بدر.. و تقدم أقوى

ص: ١٩٣

١- سورة الحج، الآيه: ٣٩.

فرسان قريش يتحدّون المسلمين، و يستفزون محمداً، و يطلبون أقوى فرسانه للمبارزه.

فقد برز من صناديد المشركين عتبه و أخوه شيبه و ابنه الوليد فقالوا: «من يبارز»؟. فخرج من المسلمين فتيه من الأنصار.

فقال عتبه: «لا نريد هؤلاء، و لكن يبارزنا من بنى أعمامنا من بنى عبد المطلب».

فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «قم يا حمزه، قم يا عبيده، قم يا علي».

فبرز حمزه لعتبه فقتله، و برز علي للوليد بن عتبه فقتله، و قتل عبيده بن الحارث شيبه بمساعدته حمزه و علي، بعد أن قطع شيبه رجل عبيده.

و نزلت في ذلك الآية الكريمة: أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ (١). فالذين آمنوا هم حمزه و علي و عبيده بن الحارث. و «المفسدون في الأرض» هم عتبه و شيبه و الوليد بن عتبه» (٢).

و عند ما التحم الجمعان فعل حمزه و علي في جيش

ص: ١٩٤

١- سورة ص، الآية: ٢٨.

٢- علي إمام المتقين: ج ١، ص ٤١.

المشركين الأفاعيل، كما أبلى المجاهدون في سبيل الله بلاء حسنا.

قال علي: «قاتلت يوم بدر قتالا- ثم جئت إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فإذا هو ساجد يقول: يا حيّ يا قيوم. ثم ذهبت فقاتلت ثم جئت فإذا النبي ساجد يقول: يا حيّ يا قيوم. ففتح الله عزّ وجلّ عليه».

و في يوم بدر قتل على أصحاب ألوبه قريش جميعا، فأبصر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جماعه من مشركي قريش فقال لعلي:

«احمل عليهم» فحمل عليهم ففرّق جمعهم، و فزوا، و قتل منهم سيد بنى جمح. ثم أبصر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جماعه أخرى من المشركين فقال لعلي: «احمل عليهم». فحمل عليهم ففرّقهم و قتل منهم سيد بنى عامر بن لؤى.

و في يوم بدر قتل على كثيرا من زعماء قريش(1).

أمّا في يوم أحد فقد ظهر في شجاعه الإمام، و هو لا يزال فتى يافعا، أكثر من كل الصحابه، و لو لا الإمام فلربّما كانت المعركه تنتهى إلى مقتل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و هزيمة المسلمين جميعا بل إنه سرت إشاعه مقتله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فعلا مما دفع الكثير من المسلمين

ص: ١٩٥

١- المصدر السابق: ص ٤٢.

إلى الهرب بينما وقف الإمام، وقفه الرجال. يقول الإمام عن ذلك - «لحقني من الجزع ما لا أملك نفسي، و كنت أمامه أضرب بسيفي، فرجعت أطلبه فلم أره، فقلت: ما كان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم ليفرّ و ما رأيت في القتلى و أظنه رفع من بيننا، فكسرت جفن سيفي و قلت في نفسي: لأقاتلنّ به حتى أقتل، و حملت على القوم، فأفرجوا فإذا أنا برسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم قد وقع على الأرض مغشياً عليه، فوقفت على رأسه، فنظر إليّ و قال:

ما صنع الناس يا عليّ؟

قلت: كفروا يا رسول الله، ولّوا الدبر من العدو و أسلموك».

«ثم إنّه أبصر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم كتيبه معاويه فقال لعليّ:

«احمل عليهم»، فحمل عليهم و فرّق جمعهم، و قتل عمرو بن عبد الله الجمحيّ؛ ثم أبصر كتيبه أخرى فقال لعليّ: ردّ عنّي، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم، و قتل شيبه بن مالك العامريّ، ثم رأى كتيبه أخرى فقال: احمل عليهم، فحمل عليهم فهزّمهم، و قتل هاشم بن أمية المخزوميّ، فقال جبرئيل: يا رسول الله إنّ هذه لهي المواساه، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم: إنّه منّي و أنا منه، فقال جبرئيل: و أنا منكما، فسمعوا صوتا يقول:

لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا عليّ»(١).

ص: ١٩٦

١- مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٥٩٢.

و لقد أصابته فى هذه المعركة ست عشرة ضربه، فضلّ يطعن و يتلقى الطعنات، فيعالج و يعود للطعان، و خرج إليه طلحه بن أبى طلحه صاحب لواء المشركين فقال: «يا أصحاب محمد تزعمون أن الله يعجلنا بأسيافكم إلى النار، و يعجلكم بأسيافنا إلى الجنة فأياكم يبرز إليّ»؟.

فبرز إليه على بن أبى طالب و قال: «و الله لا أفارقك حتى أعجلك بسيفى إلى النار». فاختلفا ضربتين، فضربه على فسقط إلى الأرض جريحاً، و بانت عورته. فتوسل إلى على قائلاً:

«أنشد الله و الرحم يا ابن العم». فانصرف على عنه.

فقال المسلمون: «يا على هلا أجهزت عليه»؟. فقال:

«ناشدنى الله و الرحم! و لن يعيش». و ظل طلحه ينزف حتى مات من ساعته.

و عاد من أحد بصبه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و سيفاهما يقطران دماً، فصلياً بالمسجد، ثم دفعا بسيفيهما إلى فاطمه فغسلت عنهما الدماء. و عاد الرسول إلى بيته (١).

و فى غزوه الخندق، التى جند المشركون لها كل قواهم، مما اضطر النبى صلى الله عليه و آله و سلم أن يتخذ - على غير عادته - موقف الدفاع لا الهجوم، واجه الإمام على عليه السلام الموقف بشجاعه نادره..

ص: ١٩٧

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٤٢.

حيث إن فارس الجزيره العربيه حينذاك «عمرو بن ودّ العامري» «الذى كان يقوّم بألف رجل»(١) و هو «مقاتل غادر فاتك من رؤوس المشركين»(٢) كان قد عبر الخندق الذى حفره المسلمون، و بدأ يطلب البراز قائلا:

- «أ لا رجل يبرز؟ أين جنتكم التى زعمتم أنكم داخلوها إن قتلتم؟

و كان رسول الله، يقول لأصحابه:

- «من يأتينى برأس عمرو أضمن له الجنة؟

و لكن المسلمون يحجمون، لهيبه الموقف من جهه، و لما يعرفونه من «عمرو» من القوه و الشجاعه و البأس من جهه أخرى..

و الوحيد الذى وقف قائلا: «أنا يا رسول الله..» كان على عليه السلام:

فقال له النبى فى المره الأولى:

- «اجلس يا على، إنه عمرو..

فجلس. و كرر عمرو نداءه:

- «أ لا رجل يبرز؟ يا محمد اخرج إلى؟ هل من مبارز؟

و قام النبى مره أخرى يقول لأصحابه:

ص: ١٩٨

١- عبقرية الإمام على عليه السلام: ص ١٦.

٢- على إمام المتقين: ج ١، ص ٤٢.

- «من لعمر و أضمن له الجنة؟»

و يقول على عليه السلام: «أنا يا رسول الله..» بينما الآخرون كأن على رؤوسهم الطير.. فيقول له النبي: «اجلس، إنه عمرو!».!

و يصرخ «عمرو»:

- «من يبارز؟ من يأتيني منكم حتى أرسله إلى الجنة؟!»

و ينشد:

و لقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز

و وقفت إذ جن الشجاع بموقف البطل المناجز

إنني كذلك لم أزل متسرّعا نحو الهزاهز

إن الشجاعه و السماحه في الفتى خير الغرائز(1)

فيكرّر النبي صلى الله عليه و آله و سلم للمره الثالثه قوله:

- «من يأتيني برأس عمرو أضمن له الجنة؟».

فيقول على عليه السلام «أنا يا رسول الله..».

فيقول له النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «اجلس، إنه عمرو».

فيقول على عليه السلام: «.. و أنا على!»!

فيأذن له النبي صلى الله عليه و آله و سلم و يعمّمه بعمامته، فيخرج الإمام إلى عمرو، مهرولا و هو ينشد قائلا:

لا تعجلنّ فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

ص: ١٩٩

١- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٨٩.

ذو نية و بصيره و الصبر منجى كل فائر

إني لأرجو أن أقيم عليك نائحه الجنائر

من ضربه نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز(1)

و قد وقف النبي صلى الله عليه و آله و سلم ينظر إلى عليّ، و هو يقول: «خرج الإيمان كله إلى الشرك كله».

و حينما تواجهها قال له عليّ: «يا عمرو قد كنت عاهدت الله لقريش ألا يدعوك رجل إلى إحدى خلتين إلا قبلت منه إحداهما». فقال عمرو: «أجل».

فقال له عليّ: «فإني أدعوك إلى الله عزّ و جلّ و إلى رسوله، و إلى الإسلام. فقال عمرو: «لا حاجة لي في ذلك».

فقال له عليّ عليه السلام: «فإني أدعوك إلى البراز».

فقال: «من أنت»؟.

قال عليّ - و لم يزد -: «أنا عليّ»:

قال عمرو: «ابن عبد مناف»؟

قال عليّ: «ابن أبي طالب».

قال عمرو: «يا ابن أخي.. من أعمامك من هو أسنّ منك فلم برزت أنت؟».

و أضاف: «أما أمن ابن عمك حيث أرسلك إليّ، أن

ص: ٢٠٠

١- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٨٩.

أشيلك برمحي هذا، بين السماء والأرض، لا أنت حي ولا ميت؟».

فقال علي عليه السلام: «أرسلني ابن عمي وهو يعلم إن قتلتنى كنت أنا فى الجنة و أنت فى النار، و إن قتلتك كنت أنت فى النار و أنا فى الجنة».

قال عمرو: «كلتاها لك يا علي؟ تلك إذن قسمه ضيزى!».

و أضاف: «كان أبوك نديما لى، و إنى أكره أن أهريق دمك».

فقال علي عليه السلام: «و لكنى، و الله لا أكره أن أهريق دمك»..

فغضب عمرو، و قال: «ما كنت أظن أن أحدا من العرب يرومنى على ذلك، ثم أهوى إليه بسيفه الذى كان يصفه البعض بقولهم كأنه شعله من نار»^(١).

و استقبل على الضربه بدرقته، فقدّها السيف و أصاب رأسه، ثم ضربه على حبل عاتقه، فسقط و نهض، ثم سقط و نهض و ثار الغبار، فما انجلى إلا عن عمرو صريعا و على عليه السلام يجأر بالتكبير^(٢).

ص: ٢٠١

١- عبقرية الإمام علي عليه السلام: ص ١٧.

٢- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٩٠. على إمام المتقين: ج ١، ص ٤٣.

و سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ صَوْتَهُ فَصَرَخَ رَسُولُ اللَّهِ قَائِلًا:

- «ضَرَبَهُ عَلِيٌّ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَفْضَلَ مِنْ عِبَادَةِ الثَّقَلَيْنِ» (١).

«و كَأَنَّمَا كَانَتْ شَجَاعَتُهُ هَذِهِ الْقَضَاءِ الَّذِي لَا يُؤْسَى عَلَيَّ مَصَابِهِ، لِأَنَّهُ أَحَجَى الْمَصَائِبِ، وَ أَقْلَهَا مَعَابِهِ أَلَّا يَدْفَعُ، فَكَانَتْ أُخْتُ عَمْرٍو تَقُولُ فِي النَّأْسَى بَعْدَ مَوْتِهِ:

لَوْ كَانَ قَاتِلَ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ بِكَيْتِهِ أَبَدًا مَا دَمْتُ فِي الْأَبَدِ

لَكِنَّ قَاتِلَهُ مِنْ لَا نَظِيرَ لَهُ وَ كَانَ يَدْعِي أَبُوهُ بِيَضِهِ الْبَلَدِ

فَكَانَتْ شَجَاعَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامِ مِنَ الشَّجَاعَاتِ النَّادِرَةِ الَّتِي يَشْرَفُ بِهَا مَنْ يَصِيبُ بِهَا، وَ مِنْ يَصَابُ» (٢).

و ذَكَرَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ أَنَّ عَلِيًّا حِينَمَا قَطَعَ رَجُلَ عَمْرٍو رَمَاهَا نَحْوَ مَعْسُكِرِ الْمُشْرِكِينَ فَخَافَ مِنْ هَيْبَتِهَا رَجُلَانِ وَ وَقَعَا فِي الْخَنْدَقِ!

وَ قَالَ الطَّبْرِيُّ: وَ وَجَدُوا «نُوفَلًا» فِي الْخَنْدَقِ فَجَعَلُوا يَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ، فَقَالَ لَهُمْ: «قَتَلَهُ أَجْمَلٌ مِنْ هَذِهِ» فَنَزَلَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَطَعَنَهُ فِي تَرْقُوتِهِ بِالسَّيْفِ حَتَّى أَخْرَجَ مِنْ مَرَاقِهِ.. ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِ مَنِيبُ بْنُ عَثْمَانَ الْعَبْدَرِيُّ، وَ خَافَ وَ هَرَبَ. فَأَنْشَأَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ:

ص: ٢٠٢

١- الغدير للعلامة الأميني.

٢- عبقرية الإمام علي عليه السلام: ص ١٨.

و كانوا على الإسلام إلبا ثلاثة و قد فرّ من تحت الثلاثة واحد(١)

و فى غزوه خيبر يروى أبو رافع مولى الرسول قال:

«خرجنا مع على حين بعثه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود فطرح ترسه من يده، فتناول على بابا كان عند الحصن، فترس به نفسه، فلم يزل فى يده و هو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتنى فى نفر مع سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقدر!»(٢).

كان على رأس هذا الحصن أحد شجعان يهود و اسمه مرحب، و هو الذى طرح الترس من يد على، فانقض عليه عليه السلام و بارزه متحصنا بباب الحصن الثقيل، و طالت المبارزه، حتى أهوى على بسيفه على وجه مرحب، و سقط الحصن و استأسر من فيه، و غنم منه المسلمون مغانم كثيره.

من أجل ذلك صاح نفر من المسلمين: «لا- فتى إلا- على!».. و كان هذا النداء يرج الآفاق كلما اشتبك فى قتال، فيلهب منه الحماسه و يثير الحميه..

ص: ٢٠٣

١- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٩.

٢- على إمام المتقين: ج ١، ص ٤٤.

و قد شهدت أم سلمه (أم المؤمنين) غزوه خيبر فقالت:

«و سمعت وقع سيف علي بن أبي طالب في أسنان مرحب»!

و قال علي بن أبي طالب: «و الله ما قلعت باب خيبر بقوه جسديه و لكن بقوه ربانيه».

و في يوم حنين كان علي بن أبي طالب من أشد الناس قتالا بين يدي الرسول.

و عند ما حاصر الرسول بنى قريظه، و كان اللواء بيد علي صاح يستحث جنده: «يا كتبيه الإيمان». ثم تقدّم هو و الزبير بن العوام و قال: «و الله لأذوقنّ ما ذاق حمزه أو لأفتحنّ حصنهم».

و فتح الله الحصن علي يديه الكريمتين!

و علي كل حال فإن الشجاعه في الإمام، كانت من أبرز صفاته، و كان يوصى بها بنيه أن لا يخافوا في الله أحدا، كما كان يوصى الناس بأن لا يستشيروا جبانا. يقول عليه السلام: «لا تشركنّ في رأيك جبانا يضعفك عن الأمر، و يعظم عليك ما ليس بعظيم»⁽¹⁾، و كان يوصى ولاته بأهل الشجاعه خيرا، و يقول عليه السلام: «ثم الصق بذوى المروءات و الأحساب، و أهل

ص: ٢٠٤

١- غرر الحكم و درر الكلم.

البيوتات الصالحة، و السوابق الحسنه، ثم أهل النجده و الشجاعه و السخاء و السماحه فإنهم جماع من الكرم»(١).

و لقد كان الإمام بالإضافه إلى شجاعته النادره، مثيرا للحماسه، مديرا للمعارك مشاركا فيها على الرغم من كبر سنّه فيما بعد الرسول، أيام خلافته و كان يوصى أصحابه بوصايا الشجاعه و الثبات.

ففى صفين نظم الإمام عليه السلام جيشه، ثم قال لأصحابه:

«إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنیان مرصوص. فسووا صفوفكم كالبنیان المرصوص و قدّموا الدارع، و أخرّوا الحاسر، و عضوا على الأضراس، فإنه أنبى للسيوف.. و غضوا الأبصار، فإنه أربط للجأش، و أسكن للقلوب. و أميتوا الأصوات، فإنه أطرّد للفشل، و أولى بالوقار. راياتكم فلا- تميلوها و لا تزيّلوها و لا تجعلوها إلاّ بأيدي شجعانكم. و استعينوا بالصدق و الصبر، فإنه بعد الصبر ينزل النصر».

و بدأت المعركه، و استحر القتال.. و ما يسمع غير وقع الحديد على الحديد.

ص: ٢٠٥

١- نهج البلاغه: الكتب ٥٣.

و كان الحسن و الحسين و محمد بنو الإمام معه، و النبيل يمرّ بين عاتقه و منكبه، فلما دنا منه أهل الشام و أطلقوا عليه السهام و النبال يريدون قتله، قال له الحسن أكبر بنيه: «ما ضرك لو سعت حتى تنتهي إلى هؤلاء القوم من صحبتك فتلقوا بجمعكم أهل الشام؟» فقال: «يا بني إن لأبيك يوماً لا يعدوه و لا يبطيء به عند السعي، و لا يعجل به إليه المشي، إن أباك و الله لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه!»(١).

و لربّما كان الإمام في مثل هذه المواقف بلا مثل، حيث إن رئيس الدوله يشترك في الحرب، بل و يحمي العشيره، و لا يدع العشيره تحميه.

فقد رأى الإمام - بعد أن استعر الحرب، في صفّين، و اشتجرت القنا و اشتبكت الرماح و تقارعت السيوف و الحراب، رأى ابنه الحسن عليه السّلام في حومه الوغى، فقال:

«ابعدوا عني هذا الغلام لا يهدني».

و كان الإمام قد نهى بنيه و بنى عمه عن الدعوه إلى المبارزه، فكان إذا دعى أحد منهم بارز الإمام عنه.. هكذا بارز عن ابن عمه عبد الله بن عباس و صرع متحديه، و عرض أن يبارز عن ابنه محمد ابن الحنفية، و لكن متحديه ولى.

ص: ٢٠٦

١- على إمام المتّقين: ج ٢، ص ٥٩.

إنه عليه السّلام يحمى العشيره و لا يدع العشيره تحميه.. كما ضنّ بعدد من كبار الصحابه من غير المقاتلين من أهل الزهاده و النسك فمنعهم من القتال، و قاتل هو عنهم، و اكتفى بصحبتهم يعظون المقاتلين، و يأمرن بالمعروف و ينهون عن المنكر، و يمجدون الجهاد فى سبيل الله(1).

و كم ظهرت شجاعته فى المواقف المختلفه؟ و المشاهد الصعبه؟ و كم شارك شخصيا فى القتال، و هو رئيس الدوله؟

يقول جابر بن نمير الأنصارى: «لكأنى أسمع عليا بعد ليله الهرير بعد أن طحنت الرحي بأمر عظيم تشيب منه النواصي، حتى استقلت الشمس و قام قائم الظهيره و علىّ عليه السّلام يقول لأصحابه:

حتى متى نخلى بين هذين الحيين؟ قد فئنا و أنتم و قوف تنظرون، أما تخافون مقت الله؟ ثم انفتل إلى القبله و رفع يديه إلى الله عزّ و جلّ.

ثم نادى: يا الله يا رحمن يا واحد يا صمد يا الله يا إله محمّد، إليك اللهم نقلت الأقدام، و أفضت القلوب، و رفعت الأيدي، و مدت الأعناق، و شخصت الأبصار، و طلبت

ص: ٢٠٧

١- المصدر السابق: ص ٩٦.

الحوائج، اللهم إنا نشكو إليك غيبه نبينا، وكثره عدونا، وتشئت أهوائنا، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين: سيروا على بركة الله» ثم نادى: «لا إله إلا الله والله أكبر كلمة التقوى».

«فلا والذى بعث محمدا نبيا ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق السماوات والأرض أصاب بيده فى يوم واحد ما أصاب، إنه قتل فيما ذكر العادون زياده على خمسه مائه من أعلام العرب، يخرج بسيفه منحنيا فيقول: معذره إلى الله وإليكم من هذا، لقد هممت أن أفلقه ولكن يحجزنى عنه أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على» وأنا أقاتل به دونه».

فكنا نأخذه ونقومه، ثم يتناوله من أيدينا فيتقحم به عرض الصف، فلا والله ما ليث بأشد نكايه منه فى عدوه»(١).

و برز للإمام أربعة من أبطال الشام فصرعهم الواحد بعد الآخر.. واشتبك الجيشان، و تساقط الناس صرعى، و عز ذلك على الإمام. فنادى بأعلى صوته: «ويحك يا معاوية! ابرز إلى ولا تفن العرب بينى وبينك»!.

ص: ٢٠٨

١- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ١، ص ٢٢٠.

فقال له عمرو بن العاص: «اغتنمه و هو مجهد فإنه قد أثخن بقتل هؤلاء الأربعة»!

فقال له معاوية: «و الله لقد علمت أن عليا لم يقهر قط.

إنما أردت قتلى لتصيب الخلافة بعدى»!.

و اشتد القتال من جديد، و الإمام يدعو الله: «اللهم إليك رفعت الأبصار و دعت الألسن، و أفضت القلوب.. اللهم أعنا عليهم بفتح تعجله، و نصر تعز به سلطان الحق و تظهره».

ثم قال لأصحابه: «قال الله تعالى لقوم: قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١) ، و أيم الله لئن فررتم من سيف الدنيا لا تسلمون من سيف الآخرة» (٢).

و تضرجت السيوف و الحراب من مهج المسلمين، و تطايرت الرؤوس و سقط القتلى.

فصاح الإمام مره أخرى: «يا معاوية» فقال معاوية:

«اسألوه ما شأنه» قال الإمام: «أحب أن يظهر لى فأكلمه كلمه واحده» فبرز معاوية و معه عمرو بن العاص، فقال عليه السلام:

ص: ٢٠٩

١- سورة الأحزاب، الآية: ١٦.

٢- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٧٦.

«يا معاوية ويحك! علام تقتيل الناس بيني و بينك؟ ابرز إليّ فأينا يقتل صاحبه فالأمر له».

فالتفت معاوية إلى عمرو فقال: «ما ترى أبا عبد الله؟ أ أبارزه؟»

فقال عمرو «اعلم أنه إن نكلت مره أخرى لم تزل سبه عليك و على عقبك ما بقى عربى».

قال معاوية: «يا عمرو بن العاص، ليس مثلى يخذع عن نفسه. و الله ما بارز ابن أبى طالب رجلاً قطّ إلا سقى الأرض من دمه. و الله إن تريد إلا أن أقتل فتصيب الخلافة بعدى».

ثم انصرف معاوية راجعاً و معه عمرو، فاخْتَبَأَ فى آخر الصفوف.

فضحك الإمام(١).

و لم تكن هذه هى المره الأولى التى يطلب فيها الإمام على عليه السّلام من معاوية، أو أى عدو آخر من أعدائه البراز لمواجهته. بل تكرر ذلك مع معاوية بالذات عدّه مرات.. و فى كل مره كان هذا الأخير يتهزّب منه، للفارق الكبير بين شجاعه الإمام، و بينه..

فمثلاً حينما رأى ابن الصباح و هو من رؤساء أهل الشام

ص: ٢١٠

١- على إمام المتّقين: ج ٢، ص ٧٦.

فداحه الخسائر فى الرجال، وقف يخاطب أصحابه قائلاً:

«و الله إنى يا أهل الشام لأظن أن الله قد آذن بفنائكم، ويحكم! خلوا بين على و معاوية فليقتلا، فأيهما قتل صاحبه ملنا معه».

فلما علم على بذلك قال: «و الله ما سمعت بخطبه منذ وردت الشام أنا بها أشد سرورا من هذه».

أما معاوية فإنه لما سمع ابن الصباح، اندس فى آخر الصفوف، و اختبأ، و قال لمن حوله: «إنى لأظن ابن الصباح قد أصيب فى عقله!» فقالوا له: «و الله إنه لأفضلنا دينا و رأيا و بأسا، و لكنك تكره مبارزه على»^(١).

و مره أخرى لما رأى الإمام على كثره الضحايا من الجانبين، و وجد معاوية مصمما على القتال، خشى فناء العسكرين فنادى: «يا معاوية. علام يذهب الناس؟ على ملك إن نلته كان لك دونهم و إن نلته أنا كان لى دونهم؟ ابرز إلى ودع الناس فيكون الأمر لمن غلب».

فقال عمرو بن العاص: «أنصف الرجل يا معاوية».

فقال معاوية: «ما أراك إلا مازحا».

ص: ٢١١

فقال عمرو: «و الله ما أدري أشجاع أنت أم جبان؟» قال معاوية:

شجاع إذا ما أمكنتني فرصه فإن لم تكن لي فرصه فجبان

و رفض معاوية أن يبارز علياً.. و توقفت الحرب عند ما جاء الليل..

و مضى الإمام إلى معسكر القراء، فلما رأوه بلا- خوزه و لا- دروع قالوا مشفقين: «يا أمير المؤمنين أ تقتل أهل الشام بالغداه و تخرج في العشى بإزار و رداء؟! فقال: «أ بالموت أخوِّف؟! و الله ما أبالي أسقط عليّ الموت أم سقطت عليه!»(١).

و حينما حرّض معاوية عمرو بن العاص على مبارزه علي، قال له عمرو: «بارزه أنت فتكون على إحدى الحسنين، إما أن تقتله فتكون قد قتلت قاتل الأقران و تزداد شرفاً إلى شرفك، و إما أن يقتلك فتكون قد استعجلت مرافقه الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقاً».

فقال معاوية: «يا عمرو! الثاني شرّ من الأولى».

و كان معاوية واقفاً على تل يشاهد المعركة و عليّ يفلق الهامات، و ما من أحد يقوى عليه، و الصفوف تنهزم أمامه هو و فرسان ربيعه و همدان، و جيش الشام ينهار، و صناديده يفزون يلتمسون النجاه من عليّ و أصحابه!!

ص: ٢١٢

فقال معاوية و هو يتأمل كل ذلك: «تبا لهؤلاء الرجال و قبحا! أما فيهم من يقتل عليا مبارزه أو غيله»؟ فقال له الوليد بن عقبه: «ابرز إليه أنت فإنك أولى الناس بمبارزته»:

فقال معاوية: «و الله لقد دعاني إلى البراز حتى استحييت من قريش! إني و الله لا أبرز إليه. و ما جعل العسكر بين يدي الرئيس إلا وقايه له»^(١).

و بمقدار ما كان الإمام شجاعا، و صامدا، و صابرا على الشدائد، فإنه كان يطلب من أصحابه الشجاعه و الصمود حتى بعد موته.. فقد ذكر أحد أصحابه قائلا:

«كنّا في بيت مع علي عليه السلام و نحن خواصّه، فالتفت إلينا فلم ينكر منّا أحدا، فقال: إنّ هؤلاء القوم سيظهرون عليكم فيقطعون أيديكم و يسملون أعينكم» فقال رجل منّا: و أنت حيّ يا أمير المؤمنين؟ فقال: «أعاذني الله من ذلك».. فالتفت فإذا واحد يبكي.

فقال له: «يا ابن الحمقاء أ تريد باللذات في الدنيا الدرجات في الآخرة؟ إنّما وعد الله الصابرين»^(٢).

ص: ٢١٣

١- علي إمام المتقين: ج ٢، ص ٨٨.

٢- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١٣٢.

«إن لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد، فيقرّها في أيديهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، ثم حوّلها إلى غيرهم»(١).

و هذا يعنى أن «من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام لله بما يجب فيها عرضها للدوام والبقاء، و من لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال و الفناء»(٢).

فقضاء حوائج الناس ليس مجرد عمل من أعمال الخير التي يجوز للناس أن يتركوه، بل هو واجب لا بد من أدائه..

ذلك أنه ضروره لبقاء المجتمع و بناء الحضاره، لأنّ «قوام الدين و الدنيا بأربعه: عالم مستعمل علمه، و جاهل لا يستكف أن يتعلم، و جواد لا يبخل بمعرفه، و فقير لا يبيع آخرته

ص: ٢١٤

١- نهج البلاغه: الحكم ٤٢٥.

٢- نهج البلاغه: الحكم ٣٧٢.

بدنياه، فإذا ضيَع العالم علمه، استنكف الجاهل أن يتعلّم، وإذا بخل الغنى بمعروفه، باع الفقير آخرته بدنياه»(١).

و كما يجب أن نترك الشر، فلا بد أن نفعل الخير «فإذا رأيتم خيرا فأعينوا عليه، وإذا رأيتم شرا فاذهبوا عنه، فإن رسول الله كان يقول: يا بن آدم! اعمل الخير، ودع الشر، فإذا أنت جواد قاصد»(٢). فليس لما وعد الله من الخير ترك ولا فيما نهى عنه من الشر مرغبا»(٣).

و في الحقيقة فإن إغائه الملهوف، و السعى في الخيرات، و رفع الحيف عن المظلومين و قضاء حوائج الناس هي من صفات أهل المروءة، و طلاب الحق، و صنّاع المعروف، و لها ثواب عظيم عند الله و على تركها يترتب عقاب شديد... «فإن من أحب عباد الله إليه عبدا لا يدع للخير غايه إلا أمها، و لا مظنه إلا قصدها»(٤) و «لا خير في الدنيا إلا لرجلين: رجل أذنب ذنوبا فهو يتداركها بالتوبه، و رجل يسارع في الخيرات»(٥) ف «الماشى في حاجه أخيه كالساعى بين الصفا

ص: ٢١٥

- ١- المناقب، للخوارزمي: ص ٢٦٦.
- ٢- تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٦٢.
- ٣- النهايه: ج ٢، ص ٥١٠.
- ٤- نهج البلاغه: الخطب ٨٧.
- ٥- العقد الفريد: ج ٤، ص ٧٤.

و المروه»(١) و «من قضى لأخيه المؤمن حاجه قضى الله له يوم القيامة مائه ألف حاجه»(٢) و «من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهشان عند جهده، فنفس كربته، و أعانه على نجاح حاجته كتب الله تعالى له بذلك اثنتين و سبعين رحمه من الله، يعجل له منها واحده يصلح بها أمر معيشته، و يدخر له إحدى و سبعين رحمه لأفراع يوم القيامة و أهواله»(٣). و «من نفس عن مؤمن كربته، نفس الله عنه كرب الآخرة و خرج من قبره و هو ثلج الفؤاد»(٤) و «من سعى فى حاجه أخيه المؤمن فكأنما عبد الله تسعه آلاف سنه صائما نهاره، قائما ليله»(٥).

أما إذا امتنع عن ذلك «و هو يقدر عليها من عنده أو من عند غيره، حشره الله يوم القيامة، مغلوله يده إلى عنقه، حتى يفرغ الله من حساب الخلق»(٦) لأنه: «ما من مؤمن يخذل أخاه، و هو يقدر على نصرته، إلا خذله الله فى الدنيا و الآخرة»(٧) و «أيما رجل مسلم أتاه رجل مسلم فى حاجه و هو

ص: ٢١٦

- ١- بحار الأنوار: ج ٧٦، ص ٣٦٧.
- ٢- بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٣٢٢.
- ٣- جامع السعادات: ج ٢، ص ٢٣٣.
- ٤- المصدر السابق.
- ٥- ميزان الحكمة: ج ٢، ص ٥٣٧.
- ٦- بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٢٨٧.
- ٧- بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٢٨٧.

يقدر على قضائها فمنعه إياها عيّره الله يوم القيامة تعبيراً شديداً، وقال له: أتاك أخوك في حاجه - قد جعلت قضاءها في يدك - فمنعته إياها، زهداً منك في ثوابها؟! و عزّتي لا أنظر إليك في حاجه، معذبا كنت أو مغفوراً»(١).

ثم إن على الإنسان أن يقوم شخصياً بعمل الخير، وإغاثة الملهوف، و رفع حاجات الناس، و خاصة رئيس الدوله، فلا يجوز أن يكتفى بعمل الموظفين و المسؤولين و حدهم لأنه كلما كان لامرئ موقع عظيم كانت مواقفه قدوه للآخرين، فهو من جهه يكسب الثواب كفرد، و هو كمسؤول يتحوّل إلى نموذج في عمل الخير..

هكذا يجب أن يكون قائد المسلمين و أميرهم..

و هكذا كان الإمام على عليه السّلام فقد تعوّد في الحرب و السّلام، أن يأخذ بيد من يسقط أمامه، أو بالقليل يدعه فلا يجهز عليه!.. كان شعاره: «أحسن كما تحب أن يحسن الناس إليك. و من ظنّ بك خيراً فصدق ظنّه».

أمّا إغاثة الملهوف، و الرفق بالضعيف، و النجده، و العطف على المستعطف... فكل أولئك كانت خصائص

ص: ٢١٧

١- بحار الأنوار: ج ٧٥، ١٧٤.

فتوته، و أخلاقه التي لابسها و لابسته حتى أو شكت أن تكون خليقه لا تخلقا، و طبعاً لا تطبعاً!..

كان يقول لمن حوله: «أعينوا الضعيف، و انصروا المظلوم، و تعاونوا» و يقول: «البغى و الزور يزريان بالمرء» و يقول: «الفقر منقصه للدين داعيه للمقت». و يقول: «من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف و التنفيس عن المكروب»^(١).

و لقد كاد بعض هذه الفضائل أن يورده موارد الحتوف، في مواطن كثيره مما سيستقبله من الحوادث و الرجال.. و لكنه ما نبا بهاتيكم الفضائل، و لا نبت عنه!^(٢).

كان يفعل الخير، و يوصى أصحابه بفعله، فيقول لكميل ابن زياد:

«يا كميل.. مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم، و يدلجوا في حاجه من هو نائم، فو الذي وسع سمعه الأصوات، ما من أحد أودع قلباً سروراً، إلا و خلق الله له من ذلك السرور لطفاً، فإذا نزلت به نائبه جرى إليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبه الإبل»^(٣).

ص: ٢١٨

١- نهج البلاغه: الحكمة ٢٣٠.

٢- على إمام المتقين: ج ١، ص ٤٨.

٣- ربيع الأبرار: ج ١، ص ٢٠٦.

و لقد كان عليه السّلام حاكما على خمسين دولة، و مع ذلك كان يخرج إلى الطرقات يبحث عن الخير ليفعله، و عن الملهوف
ليسعه، و عن المظلوم لينصره، و عن المحتاج ليسدى إليه، و عن السائل ليعطيه..

روى أن سعيد بن القيس الهمداني رآه في شدّه الحرّ، في فناء حائط، فقال له:

- «يا أمير المؤمنين (أ تخرج) بهذه الساعة؟»-

فقال عليه السّلام: «ما خرجت إلّا لأعين مظلوما أو أغيث ملهوبا»^(١).

فهو يبحث عن الملهوف، و ليس ينتظر حتى يأتيه إلى داره، مع ألف حاجب و حاجب كما يفعل حكام الجور عادة..

يقول المؤرخون إن أمير المؤمنين كان يأتي السوق كل يوم يصنع ما تعود أن يصنعه: يعين الحمال على حملته، و يرشد الضالّ،
و يعظ التجار.. و ينصح من يجده في السوق ممّن يلون أمرا من أمور المسلمين (أى الموظفين و المستخدمين) ألّا يقبلوا الهدايا
من أهل السوق، و لا من أحد من الرعية، و يحتجّ

ص: ٢١٩

١- الاختصاص: ص ١٥٦.

بالحديث الشريف: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا (راتبا)، فأخذ أكثر من رزقه فهو غلول (رشوه)»^(١).

و لم يكن بين الإمام و بين الناس أستار و حجاب، كان يمشى فى السوق، يحدث الناس، و يسألهم و يسألونه، و ينصح التجار.. و يقول لهم: «بيعوا و لا تحلفوا، فإن اليمين تنفق السلعه و تمحق البركه» روى نافع بن أبى مطر قال: «خرجت من مسجد الكوفه فإذا رجل ينادى من خلفى: ارفع إزارك فإنه أنقى لثوبك، و أتقى لك، و خذ من رأسك إن كنت مسلما».

فمشيت خلفه و هو مؤتزر بإزار و مرتد برداء و معه الدرره (عصا صغيره)، كأنه أعرابى بدوى فقلت:

من هذا؟

فقال لى رجل: أراك غريبا بهذا البلد.

فقلت: «أجل أنا رجل من أهل البصره».

قال: هذا على بن أبى طالب أمير المؤمنين^(٢).

ثم مرّ مجتازا بأصحاب التمر فقال: «يا أصحاب التمر أطعموا المساكين يرب (يزد) كسبكم» ثم مرّ مجتازا و معه

ص: ٢٢٠

١- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٢٩٨.

٢- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٢٣٧.

المسلمون حتى انتهى إلى أصحاب السمك فقال: «لا يباع في سوقنا سمك فاسد...».

و روى أحد أصحابه: «كان على يمشى في الأسواق وحده و هو خليفه، يرشد الضال، و يعين الضعيف، و يمر بالتجار فيفتح القرآن و يقرأ: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا (١). ثم يقول «نزلت هذه الآيات في أهل العدل و التواضع من الولاه و أهل القدره من سائر الناس» (٢).

و مشى في السوق، فمر ببائع يحلف فقال له:

لا تحلف. ويل للصانع و ويل للتاجر من (لا و الله) و (بلى و الله)! يا معشر التجار، ألا إن كل يمين فاجر تذهب بالبركه.

فاتقوا (لا و الله)! و (بلى و الله). فقد كنّا نتحدث أن التاجر فاجر و فجوره أنه يحلّي السلعه بما ليس فيها. قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم:

«اليمين الكاذبه منفقه (مروجه) للسلعه، ممحقه للربح! و اعلموا أن التاجر فاجر إلا من أخذ الحق و أعطاه». و قد قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم:

«ألا إن التجار هم الفجار، إلا من اتقى و برّ و صدق.

و قال: يا معشر التجار تحشرون مع الفجار إلا من اتقى ربه

ص: ٢٢١

١- سورة القصص، الآية: ٨٣.

٢- المصدر السابق: ص ٢٣٨.

و صدق». كما أنه عليه الصلاة و السلام قال: «التاجر الصدوق مع النيين و الصديقين»(١).

كان عليه السلام يوصى الحاكم بالمحكوم، و التاجر بالعامه، و الأغنياء بالفقراء و يقول لهم، معاتباً، مزمجرًا، مهدداً:

«قد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إداراً، و الشرّ فيه إلا إقبالا، و الشيطان في هلاك الناس طمعا، فهذا زمان قويت عدّته (عدّه الشيطان)، و عمت مكيدته، و أمكنت (سهلت) فريسته.

اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، هل تبصر إلا فقيرا يكابد فقرا، أو غنيا بدّل نعمه الله كفرا، أو متمردا كان بأذنه عن سمع المواعظ و قرا؟

أين خياركم و صلحاؤكم؟ و أحراركم و سمحاؤكم؟ و أين المتورّعون في مكاسبهم؟ و المتترّهون في مذاهبهم؟ أليسوا قد ظعنوا (رحلوا) جميعا عن هذه الدنيا الدنيه و العاجله المنغصه؟؟ و هل خلقتهم إلا في حثاله لا تلتقى بدمهم الشفتان استصغارا لشأنهم، و ذهابا عن ذكرهم؟ ف إِنَّا لِلّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ! ظهر الفساد فلا منكر متغيّر، و لا زاجر مزدجر! أفبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه، و تكونوا أعزّ

ص: ٢٢٢

١- المصدر السابق: ص ٢٤٩.

أوليائه عنده؟! هيهات! لا يخدع الله عن جنته، و لا تنال مرضاته إلا بطاعته. لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له، و الناهيين عن المنكر العاملين به.

«ألا و إن أفحش الظلم ظلم الحاكم للمحكوم، و القوى للضعيف، و المحتكر للعامه! يا معشر التجار ألا إن التجار هم الفجار إلا من اتقى ربه و صدق، و برّ، و وصل، و أدى الأمانه، و التاجر الصدوق مع النبيين و الشهداء»(١).

و كان عليه السلام يهتم بأصغر الحاجات، كما يهتم بأكبرها، و يقول لأصحابه:

«افعلوا الخير و لا تحقروا منه شيئا، فإن صغيره كبير، و قليله كثير، و لا يقولن أحدكم: إن أحدا أولى بفعل الخير منى، فيكون - و الله - كذلك، إن للخير و الشر أهلا فمهما تركتموه منهما كفاكموه أهله»(٢).

و كما قال فعل، فقد روى: «أن قصابا كان يبيع اللحم من جاريه و كان يحييف عليها، فبكت و خرجت فرأت عليا فشكته إليه.

فمشى عليه السلام معها نحوه، و دعاه إلى الإنصاف في حقها،

ص: ٢٢٣

١- نهج البلاغه: الخطب ١٢٩.

٢- نهج البلاغه: الحكم ٤٢٢.

و كان يعظه و يقول له: ينبغي أن يكون الضعيف عندك بمنزلة القوى فلا تظلم الناس»(١).

و مرّ أيضا على جاريه قد اشترت لحما من قصاب، و هي تقول: زدنى.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «زدها فإنه أعظم للبركه»(٢).

و روى «أنه عليه السلام كان يمشى فى الأسواق وحده و هو ذاك يرشد الضال، و يعين الضعيف، و يمرّ بالبياع و البقال فيفتح عليه القرآن و يقرأ:

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) (٣).

و هكذا فإنه كان يقوم بدور الموجه و الناصح، كما كان يقوم بدور صاحب القرار.. و كان يتفقد لاته و عماله، كما كان يتفقد أمور عامه الناس فى السوق و الطرقات، و لم يكن يكتفى ببسط العدل فى المجتمع، بل كان يراعه بنفسه، و لا يكتفى بالتقارير تصل إليه بل يتعمّد الخير فى كل مكان و فى هذا المجال لم يكن إلا مع الضعيف ضد القوى، و مع الفقير ضد المترف، و مع الناس ضد المحتكرين، و كان يقول: «القوى العزيز عندى

ص: ٢٢٤

١- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٢٠٣.

٢- فروع الكافى: ج ٥، ص ١٥٢.

٣- المناقب: ج ١، ص ٣١٠، سورة القصص، الآية: ٨٣.

ذليل حتى آخذ الحق منه، و الضعيف الذليل عندي قوى حتى آخذ الحق له»(١).

و قد روى «أن أمير المؤمنين عليه السّلام كان كلّ بكرة يطوف في أسواق الكوفه سوقا سوقا و معه الدرّه على عاتقه، و كان لها طرفان و كانت تسمّى «السيبه»، فيقف على كل سوق فينادى:

«يا معشر التّجار قدّموا الاستخاره، و تبرّكوا بالسّيهوله، و اقتربوا من المبتاعين، و تزيّنوا بالحلم، و تناهوا عن الكذب و اليمين، و تجافوا عن الظلم، و أنصفوا المظلومين، و لا تقربوا الربا أو فوا المكيال و الميزان بالقسط و لا تبخسوا النّاس أشياءهم و لا تعثوا في الأرض مُفسدين» (٢) و كان يطوف في جميع أسواق الكوفه فيقول هذا، ثم يقول:

تفنى اللذاه ممّن نال صفوتها من الحرام و يبقى الإثم و العار

تبقى عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذه من بعدها نار(٣)

و في ذلك كان إذا رأى ظلما يقاومه، أو إهانه ضد أحد فيردّها له، أو يجد طالب حاجه فيرفع حاجته.. فقد حدث:

أن أمير المؤمنين عليه السّلام مرّ بأصحاب التمر فإذا هو بجاريه تبكى.

فقال: يا جاريه ما يبكيك؟

ص: ٢٢٥

١- المحاسن و المساوىء: ج ١، ص ٨٥.

٢- سوره هود، الآية: ٨٥.

٣- أمالى الصدوق: ص ٢٩٨.

فقلت: بعثنى مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمرا فأتيتهم به فلم يرضوه، فلما أتته به أبى أن يقبله!

فتوسط الإمام لها و قال للتمار: يا عبد الله إنها خادم و ليس لها أمر، فاردد إليها درهما و خذ التمر.

فقام إليه الرجل فلكرهه، فقال الناس له: ويلك هذا أمير المؤمنين! فربا الرجل و اصفرّ و أخذ التمر و ردّ إليها درهما ثم قال: يا أمير المؤمنين ارض عني.

فقال: «ما أرضاني عنك إن أصلحت أمرك. و وفيت الناس حقوقهم»^(١).

و كما كان يرعى حقوق الضعفاء من المسلمين، فإنه كان يراعى حقوق أمثالهم من أهل الملل الأخرى، فحتى المستضعفين من النصارى و اليهود كانوا يجدون من رعايته و تفقده ما كان سائر المسلمين يجدونه منه، بل كان يعاتب المسلمين إذا تعرّض نصراني للإهمال، و هو أهل حاجه..

فقد روى: «إن أمير المؤمنين عليه السلام مرّ بشيخ مكفوف كبير، و هو يسأل الناس». فقال عليه السلام: «ما هذا؟!»

قالوا: - «يا أمير المؤمنين نصراني!»

ص: ٢٢٦

١- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٤٨.

فقال عليه السلام: «استعملتموه حتى إذا كبر، و عجز منعموه»؟؟!

ثم التفت إلى مسؤولي بيت المال، و قال:

- «أنفقوا عليه من بيت المال»(١).

و إذا كان البعض يحجم عن عمل الخير، لأنه لا يجد التقدير عليه، فإن الإمام كان يقول له: «لا يزهدنك في المعروف من لم يشكره، فقد يشكرك عليه من لا- يستمتع بشيء منه، و قد تدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر، و الله يحب المحسنين»(٢).

و لربما كان بعضهم يستحي من إعطاء القليل، فكان يقول له: «لا تستح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه»(٣) و إذا كان يصل إلى بعض أصحابه شيء من المال، فإنه كان يقول له:

«من آتاه الله مالا فليصل به القرابه، و ليحسن منه الضيافه، و ليفكّ به الأسير و العاني، و يعط منه الفقير و الغارم، و ليصبر نفسه على الحقوق و النوائب ابتغاء الثواب، فإن فوزا بهذه

ص: ٢٢٧

١- الوسائل: ج ١١، ص ٤٩.

٢- ديوان المعاني: للعسكري، ج ١، ص ١٥٤.

٣- نهايه الإرب: ج ٣، ص ٢٠٤.

الخصال شرف مكارم الدنيا، و درك فضائل الآخرة إن شاء الله»(١).

و لربما كان يتعرّض للإهانة، و هو يسدى المعروف، إلاّ أنه كان ما يطلبه من ثواب الله تعالى أكثر مما يتوقعه من الناس من شكر. و قد روى فى المناقب عن الإمام محمد بن على الباقر عليه السلام قال:

إن عليا عليه السلام رجع إلى داره فى وقت القيظ فإذا امرأه قائمه تقول: «إنّ زوجى ظلمنى، و أخافنى، و تعدّى علىّ و حلف ليضربنى!».

فقال: «يا أمه الله اصبرى حتى يبرد النهار، ثم أذهب معك إن شاء الله؟».

فقلت: إذن يشتد غضبه علىّ!

فطأ رأسه ثم رفعه و هو يقول:

- «لا و الله، أو يؤخذ للضعيف حقه غير متعتع!» ثم التفت إليها و قال:

- «أين منزلك؟»

فدلته إليه.

ص: ٢٢٨

١- نهج البلاغه: الخطب ١٤٢.

فمضى عليه السلام إلى بابه فوقف فقال: «السلام عليكم» فخرج شاب.

فقال عليّ عليه السلام: «يا عبد الله، اتق الله في أهلِكَ، فإنك قد أخفتها و أخرجتها».

فقال الفتى - وهو لا يعرف أمير المؤمنين عليه السلام: و ما أنت و ذاك، و الله لأحرقنها لكلامك!

فسلّ الإمام سيفه و قال له:

- «أمرك بالمعروف و أنهاك عن المنكر.. تستقبلني بالمنكر و تنكر المعروف؟».

فأقبل الناس من الطرق و هم يقولون: السلام عليكم يا أمير المؤمنين:

فسقط الرجل في يديه فقال:

- «يا أمير المؤمنين أقلني في عثرتي، فو الله لأكونن لها أرضا تطأني».

فأغمد علي عليه السلام سيفه و قال: يا أمه الله ادخلي منزلك، و لا تلجئي زوجك إلى مثل هذا و شبهه»^(١).

ص: ٢٢٩

١- مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣١١.

ينبغي للمؤمن أن يتّصف بثلاث فضائل:

الأول: العدل. و يعنى التعامل بالمثل، فتعطى من يعطيك، و تحسن إلى من يحسن إليك، و تصل من يصلك.

الثانى: الإحسان. و يعنى إعطاء الأفضل للطرف الآخر، فتعطى من يعطيك بأكثر مما أعطى، و تحسن إليه بأفضل من إحسانه، و تجازيه بأكثر مما يستحقّ.

الثالث: الإيثار. و يعنى تقديم الآخرين على الذات. فتعطى لهم ما أنت أحوج إليه منهم، و تقدّم حاجتهم على حاجتك، و نفوسهم على نفسك.

أمّا العدل، فهو للتعامل مع العدوّ.

و أمّا الإحسان، فهو للتعامل مع الناس.

و أمّا الإيثار، فهو للتعامل مع المؤمنين.

يقول الإمام على عليه السلام: «عامل سائر الناس بالإنصاف، و عامل المؤمنين بالإيثار»^(١).

و هكذا فإن «الإيثار أحسن الإحسان و أعلى مراتب الإيمان»^(٢) كما هو «أعلى مراتب الكرم و أفضل الشيم»^(٣).

و فى الحقيقة فإنه من دون «الإيثار» و المخاطره بالعطاء بلا حساب لن يستطيع أحد أن يملك قلوب الرجال إذ إن «بالإيثار تسترق الأحرار»^(٤) و به «تملك الرقاب»^(٥)، و ليس هنا لك من يقبل الوقوف إلى جانب رجل أنانى، ليس مستعدا أن يؤثر رجاله على نفسه. أما القائد الذى يعطى بلا حدود، و يؤثر الآخرين على نفسه، فهو يجمع حوله أصحاب الشيم و الفضيله.

و هكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام لقد اشترى ثوبا فأعجبه فتصدّق به و قال:

- سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «من آثر على نفسه، آثره الله يوم القيامة الجنة»^(٦).

ص: ٢٣١

١- غرر الحكم و درر الكلم.

٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق.

٤- غرر الحكم و درر الكلم.

٥- المصدر السابق.

٦- تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٢٨٥.

و لقد كانت حياته كلها إيثاراً، ففي ليله «الهجرة» آثر رسول الله على نفسه و نام في فراشه، و حوله أربعين سيفاً متعطّشا لإراقه دمه.. و قد جاء في الحديث: «بات على بن أبي طالب عليه السّلام على فراش رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل و ميكائيل: إني آخيت بينكما، و جعلت عمر الواحد منكما أطول من عمر الآخر، فأَيكما يؤثر صاحبه بالحياه؟ فاختر كلاهما الحياه..»

فأوحى الله - تعالى - إليهما: أ فلا كنتما مثل على بن أبي طالب، آخيت بينه و بين محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم فبات على فراشه، يفديه بنفسه، فيؤثره بالحياه؟

«فأنزل الله تعالى قوله: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ (١)(٢).

و روى المفسرون «أنه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم ليلا و بدرهم نهارا و بدرهم سراً و بدرهم علانية،

ص: ٢٣٢

١- سورة البقره، الآية: ٢٠٧.

٢- تنبيه الخواطر: ص ١٤٢.

فَأَنْزَلَ فِيهِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً (١)(٢).

كان عليه السلام شديد المروءة، و كان يقول: «من آثر على نفسه بالغ في المروءة» (٣) و يقول: «من آثر على نفسه استحق اسم الفضيله» (٤) يقول: «لا تكتمل المكارم إلا بالعفاف و الإيثار» (٥).

و كان - كما جاء في التاريخ - «أشبه الناس طعمه برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يأكل الخبز و الخلّ و الزيت و يطعم الناس الخبز و اللحم» (٦).

و روى عنه «إنه كان يستقى بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى مجلت يده، و يتصدق بالأجره و يشدّ على بطنه حجرا» (٧).

كل ذلك ليس من أجل شيء إلا لكسب رضا الله تعالى حيث كان يرى «الإيثار أفضل عباده و أجلّ سياده» (٨) ، و من هنا عود أهله على ذلك فقد روى عن أبي هريره قال:

ص: ٢٣٣

- ١- سورة البقره، الآية: ٢٧٤.
- ٢- شرح نهج البلاغه: ابن أبي الحديد: ج ١، ص ١٤٤.
- ٣- غرر الحكم و درر الكلم.
- ٤- التفسير المعين، ص ٣١٦.
- ٥- غرر الحكم و درر الكلم.
- ٦- المحاسن: ص ٢٨٣.
- ٧- شرح نهج البلاغه: ج ١، ص ٢١٥.
- ٨- غرر الحكم و درر الكلم.

جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله إلى بيوت أزواجه فقلن: ما عندنا إلا الماء.

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: من لهذا الرجل الليلة؟

فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: أنا له يا رسول الله.

و أتى فاطمه عليها السلام فقال لها: ما عندك يا بنت رسول الله؟

فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبيه نؤثر ضيفنا.

فقال علي عليه السلام: يا ابنه محمد نؤمى الصبيه و أطفئى المصباح ففعلت ذلك و أعطوا طعامهم للرجل..

فلما أصبح علي عليه السلام غدا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فأخبره الخبر، فلم يبرح حتى أنزل الله عزَّ و جلَّ وَ يُؤْتِرُونَ عَلِيَّ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١)(٢).

و ذات مره حدث أن مرض الحسن و الحسين و هما صبيان فعاودهما جدهما و معه بعض صحابته. و تبته فاطمه و هو علي باب دارهما أن معه غرباء، و رمى إليها بردته و هي خلف الباب لتغطي بها من جسمها ما لا ينبغي أن يراه الغريب!

ص: ٢٣٤

١- سورة الحشر، الآية: ٩.

٢- الأمالى: للطوسى، ص ١١٦.

وقال أحد الصحابه لعلى: «يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك نذرا». فقال على: «إن برئا مما بهما صمت لله عزّ وجلّ ثلاثه أيام شكرا». وقالت فاطمه كذلك. وقال الغلامان كذلك. فلما برئا أصبح الجميع صياما و ما فى الدار شىء من طعام يفطرون عليه.

فغدا على بن أبى طالب على جار يهودى له يدعى شمعون، كان يعالج الصوف، فقال له: «هل لك أن تعطينى جزء من الصوف تغزلها لك بنت محمد بثلاثه أصوع من شعير»؟.

قال: «نعم». فأعطاه فجاء بالصوف و الشعير، فأخبر فاطمه، فقبلت و أطاعت. ثم غزلت ثلث الصوف، و أخذت صاعا من شعير فطحنته و عجنته و خبزته.. و صلّى على المغرب بالمسجد مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، ثم أتى منزله ليفطر، فوضع الخوان فجلسوا فأول لقمه كسرهما على، إذا مسكين واقف على الباب فقال: «يا أهل بيت محمد. أنا مسكين من مساكين المسلمين.. أطمونى أطمكم الله من موائد الجنّه».

فدفع على الطعام إلى المسكين. و باتوا جياعا، و أصبحوا صياما!.

و فى اليوم التالى طحنت فاطمه الصاع الثانى، و خبزته،

و وضعت الطعام ليفطروا، إذ وقف بالباب يتيم من أولاد المهاجرين استشهد أبوه، فأعطوه الطعام!. وفي اليوم الثالث طحنت آخر صاع وخبزته، وعند المغرب وضعت الطعام، إذ وقف بالباب أسير يقول: «السَّلام عليكم يا أهل بيت النبوة، تأسرونا ولا تطعمونا. أطعموني فأنا أسير». فأعطوه الطعام!..

و أقبل على و معه الحسن و الحسين يرتعشان كالفرخين من شدة الجوع على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فقال: «يا أبا الحسن! لشد ما يسوؤني ما أدرككم. انطلقوا بنا إلى ابنتي فاطمه». فانطلقوا إليها و هي في محرابها، و هي قد غارت عيناها من شدة الجوع، فقال عليه الصلاة و السلام: «وا غوثاه»!.. ثم ضمها إليه.

فأنزل الله تعالى آيات من سورة الإنسان.. هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً (١). إلى وَ جَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيراً (٢). و فيها يتحدث سبحانه عن الأبرار:

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشَكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أَسِيرًا (٣) (٤).

ص: ٢٣٦

١- سورة الإنسان، الآية: ١.

٢- سورة الإنسان، الآية: ١٢.

٣- سورة الإنسان، الآيتان: ٧، ٨.

٤- على إمام المتقين: ج ١٩٠، ص ٣٦-٣٧.

بدون أن يكون الإنسان حليماً لا يكون عظيماً.

ذلك أن «الحلم و الأناه توأمان ينتجهما علوُّ الهمة» (١)، فصاحب القلب الكبير يتحمّل الشئ الكثير، بينما أصحاب القلوب الصغيره يغضبون و يثورون لأتفه الأشياء..

و هكذا فإن «الحلم رأس الرئاسه» (٢) شأنه في ذلك، شأن سعه الصدر، فإن «من حلم ساد» (٣) و الغضوب أبعد شئ عن السيادة إذ إن «أول عوض الحليم من خصلته أن الناس أعوانه على الجاهل» (٤) «فبالحلم تكثر الأنصار» (٥) و «من حلم من عدوه ظفر به» (٦).

ص: ٢٣٧

١- البديع: لابن المعتز، ص ٢١.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٢٠٨.

٤- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٤٢٥.

٥- غرر الحكم و درر الكلم.

٦- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٤٢٨.

و على كل حال فإن «الحلم قدام السفينه»(١) و «نور جوهره العقل»(٢) و «حجاب من الآفات»(٣) و «حليه العلم و علّه السلم»(٤) و «نظام أمر المؤمن»(٥).

و قد يتساءل البعض: ما هو الحلم؟ و كيف يكون الإنسان حليماً؟

و الجواب: «إنما الحلم كظم الغيظ و ملكك النفس»(٦).

فليس الحلم أن لا- تثور في داخلك، بل هو أن تملك غضبك و لا- تنساق معه، و تتحمّل الأذى، و لا تردّ على كل ما يقال عنك، و بكلمه فإن «الحليم من احتمل إخوانه»(٧).

أمّا كيف نحصل على فضيله الحلم، فبالتصميم على ذلك، و بذل المحاوله و التدريب «فإن لم تكن حليماً فتحلمّ فإنه قلّ من تشبهه بقوم إلاّ أوشك أن يكون منهم»(٨) «فمن تحلم حلم»(٩)

ص: ٢٣٨

١- غرر الحكم و درر الكلم.

٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق.

٤- المصدر السابق.

٥- المصدر السابق.

٦- غرر الحكم و درر الكلم.

٧- المصدر السابق.

٨- بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٤٢٧.

٩- غرر الحكم و درر الكلم.

و «من لم يتحلّم لم يحلم» (١) و هكذا فإنه ليس ضروريا أن تكون حليما في داخلك، بل يكفي أن تظهر الحلم مع قطع النظر عن حالتك النفسية، و لذلك فإنه «قد يتزَيّا بالحلم غير الحليم» (٢).

ثم إن الحلم، و ضبط النفس لهما القيمة حين قدره على الرّد و الانتقام، لا عند العجز عن ذلك. ف «من أحسن أفعال القادر أن يغضب فيتحلّم» (٣) «فليس الحليم من عجز فهجم و إذا قدر فانتقم. إنما الحليم من إذا قدر عفا و كان الحلم غالبا على أمره» (٤).

و هكذا كان أمير المؤمنين عليه السّلام و قد جاء في كتب التاريخ: «أن عليا عليه السّلام كان إذا صلّى الفجر لم يزل معقبا إلى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء و المساكين و غيرهم من الناس، فيعلّمهم الفقه و القرآن، و كان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك، فقام يوما فمرّ برجل، فرماه بكلمه هجا فيها الإمام: فرجع عوده على بدئه، و أمر فنودي:

الصلاه جامعه.

ص: ٢٣٩

١- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٢٨٣.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- المصدر السابق.

٤- المصدر السابق.

ثم صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه و قال:

أيها الناس إنّه ليس شيء أحبّ إلى الله و لا أعظم نفعاً من حلم إمام و فقهه، و لا شيء أبغض إلى الله و لا أعظم ضرراً من جهل إمام و خرقه.

ألا و إنّه من لم يكن له من نفسه و اعظم لم يكن له من الله حافظ.

ألا و إنّه من أنصف من نفسه لم يزد الله إلا عزّاً.

ألا و إنّ الذلّ في طاعة الله أقرب إلى الله من التعزّز في معصيته».

ثمّ قال: أين المتكلّم آنفاً؟ فلم يستطع الإنكار، فقال: ها أنا ذا يا أمير المؤمنين.

فقال: أما إنّي لو أشاء لقلت.

فقال الرجل إن تعفو و تصفح فأنت أهل لذلك؟

فقال: عفوت و صفحت(1).

و لقد تعلّم الإمام من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم الكثير في هذا المجال، فقد أوصاه النبي حين زوّجه ابنته فاطمه الزهراء عليها السّلام قائلاً:

ص: ٢٤٠

١- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١٣٣.

«يا على! لا تغضب، و إذا غضبت فاقعد و تذكر قدره الله تعالى على العباد، و حلمه عنهم. و إذا قيل لك: اتق الله، فاترك غضبك عنك و ارجع لحلمك»(١). و علمه: «من كظم غيظا و هو يقدر على إنفاذه ملأه الله إيمانا و أمنا»(٢). و علمه:

«ثلاث من لم تكن فيه واحده منهنّ فلا تعتدوا بشيء من علمه:

تقوى تحجزه عن معاصى الله، و حلم يكفّ به السفیه، و خلق يعيش به فى الناس»(٣) و على هذه التعاليم التى تلقاها منذ نعومه أظفاره، عاش الإمام على عليه السلام و تربى.

و لكم عفا و كظم غيظه؟

و لكم حلم و ضبط غضبه؟

و لكم واجه السفهاء بوقاره و حلمه؟

و قد روى فى ذلك ذات مره عربد عليه أحد حسّاده، فنصحه بعض أن يشكوه إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فرفض ذلك و قال: «إني لأستحي من الله أن يكون هناك ذنب أعظم من عفوى، أو جهل أعظم من حلمى، أو عوره لا يداريها ستري، أو خلّه (الحاجه و الفقر) لا يسدّها جودى»(٤).

ص: ٢٤١

١- على إمام المتقين: ج ١.

٢- المصدر السابق.

٣- جامع السعادات: ج ١، ص ٣٣٢.

٤- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٤٠.

و فى حادته أخرى: روى أن امرأه جميله فى الكوفه مرّت قرب الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام و هو جالس مع جماعه، فرمقها بعض القوم بأبصارهم، فنهاهم أمير المؤمنين عليه السّلام عن ذلك قائلاً:

«إن عيون هذه الرجال لواقح، و إن ذلك سبب هلاكها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأه تعجبه فليتمس أهله، فإنما هى امرأه كامرأه.

فقال رجل من الخوارج: «قاتله الله من كافر ما أفقهه» فوثب القوم إليه يريدون تأديبه، فقال عليه السّلام ناهياً لهم:

رويدا إنما هو سبّ بسبّ، أو عفو من ذنب.

ثم عفا عنه و تركه و شأنه(١).

حقاً إنّ أمير المؤمنين نموذج عظيم يجب الاقتداء به من قبل كل الحكّام و الرؤساء إذا أرادوا كسب رضا الله تعالى.

فعدا عن عفوه العظيم، كانت له قدره كبيره على ضبط النفس، و الحلم عن جهل الجاهلين.. رغم قدرته على أن ينتقم و يجازى.

فبعد معركة الجمل و انتصاره على طلحه و الزبير و عائشه

ص: ٢٤٢

١- السبيل إلى إنهاء المسلمين: ص ٤٤٠.

أمر الإمام بأن توضع عائشه باحترام فى بيت «عبد الله بن خلف الخزاعى» و كان قصرا كبيرا، له حديقته و فناء واسع، و قام بزيارتها أكثر من مره، فى الأولى منها استقبلته «صفيه بنت الحارث» بشكل غير مؤدب فقالت له:

- «يا على.. يا قاتل الأحبه.. أيتم الله منك بنيك، كما أيتمت بنى عبد الله».. و كانوا قد قتلوا فى المعركه مع عائشه.

فلم يجبها الإمام بشىء، سوى دعائه لها بالصبر.

و حينما خرج من عند عائشه أعادت صفيه كلامها البذى السابق. فقال لها الإمام:

- «لو كنت قاتل الأحبه لقتلت من فى هذه الدار»!. و كان فيه كثير من الجرحى من أنصار عائشه و غيرهم من قادة جيشها.

و حاول بعض من كان مع الإمام أن ييطش بها فزجرهم الإمام زجرا عنيفا(١).

حقا إن «الحلم يطفىء نار الغضب، و الحده تؤجج إحراقه»(٢). و «كفى بالحلم ناصرا»(٣).

ص: ٢٤٣

١- حياه الإمام الحسين عليه السلام: ص ٤٩.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- الكافى: ج ٢، ص ١١٢.

و لهذا فإنه «ليس الخير أن يكثر مالك و ولدك و لكن الخير أن يكثر علمك و يعظم حلمك»(١).

و لقد سئل الإمام عليه السلام: من أقوى الخلق؟ فقال الحلِيم»(٢).

ص: ٢٤٤

١- جامع السعادات: ج ١، ص ٣٣٣.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٣٧٨.

العمل اليدوى ليس عيبا بل هو مقدّس.

فالإنتاج الشخصى، و ممارسه مهنة من المهن شيمه من شيم عظماء التاريخ، فما من نبى إلا و كان يسترزق من كدّ يمينه و عرق جبينه، فمنهم من كان زارعا، و منهم من كان حدادا، و منهم من كان يصنع الجلود، و منهم من كان تاجرا، و كثير منهم كانوا رعاه أغانم..

نبينا صلّى الله عليه و آله و سلّم كان يعمل راعيا للأغانم، و أمينا على أموال خديجه، و يعمل بيديه فى أكثر الأحيان. و كان يقول: «من أكل من كدّ يده نظر الله إليه بالرحمه، ثم لا يعدّبه أبدا»^(١) و يوصى أصحابه بالاعتماد على أيديهم و يقول: «من أكل من كدّ يده كان يوم القيامة فى عداد الأنبياء، و يأخذ ثواب الأنبياء»^(٢).

ص: ٢٤٥

١- بحار الأنوار: ج ١٠٣، ص ٩.

٢- المصدر السابق: ص ١٠.

و «كان أمير المؤمنين عليه السلام يضرب بالمر (المسحاه)، و يستخرج الأرضين، و أنه أعتق ألف مملوك من كدّ يده» (١).

و ربما «كان يخرج و معه أحمال النوى، فيقال له: يا أبا الحسن، ما هذا معك؟ فيقول: «نخل إن شاء الله» فيغرسه، فما يغادر منه واحده» (٢).

و كان يقول: «من لم يصبر على كدّه، صبر على الإفلاس» (٣). و يقول: «إن الأشياء لَمّا ازدوجت، ازدوج الكسل و العجز فنتج منهما الفقر» (٤).

و روى «أن أمير المؤمنين عليه السلام لَمّا كان يفرغ من الجهاد يتفرغ لتعليم الناس و القضاء بينهم، فإذا فرغ من ذلك اشتغل فى حائط له، يعمل فيه بيديه، و هو مع ذلك ذكر الله تعالى» (٥).

و بالإضافة إلى أن العمل اليدوى عند الإمام كان ضروريا للصحة و السلامة الجسميه، فإنّ الإمام عليه السلام كان يعمل بيديه حتى لا يأكل من بيت المال، فهو يريد أن يعطى لا أن يأخذ، حتى بمقدار حقّه كفرد مسلم من عامه الناس، و لذلك فإنه عليه السلام

ص: ٢٤٦

- ١- ميزان الحكمه: ج ٤، ص ١٢١.
- ٢- فروع الكافى، ج ٥، ص ٧٥.
- ٣- غرر الحكم و درر الكلم.
- ٤- الحياه: ج ٤، ص ٣١٩.
- ٥- المستدرک: ج ٢، ص ٤١٧.

كثيرا ما كان ينفق سهمه فى سبيل الله.. ثم يعمل أجيرا لدى بعض أصحاب الأراضى حتى يسترزق..

كما أنه عليه السلام، كان يرفض أن يعيش عاله على أحد، و يقول: «استغن عمن شئت تكن نظيره»^(١) و يقول: «و إن استطعت أن لا يكون بينك و بين الله ذو نعمه فافعل، فإنك مدرك قسمك و آخذ سهمك»^(٢).

فمهما كان فإن فى مقدور أى إنسان أن يكون منتجا بمقدار حاجته، و عاملا فى الحياه قدر استطاعته و معمرا للأرض على قدر همته «فإن الله تعالى فى قوله: هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ^(٣) أعلمنا أنه قد أمرهم بالعماره، ليكون ذلك سببا لمعايشهم، بما يخرج من الأرض من الحبّ و الثمرات و ما شاكل ذلك مما جعله الله معايش للخلق»^(٤).

و لهذا فقد جاءت الروايات تترى فى ضروره العمل اليدوى، و الإنتاج الشخصى مثل الحديث الذى يقول: «ما أكل

ص: ٢٤٧

١- نهج البلاغه: الحكم.

٢- شرح نهج البلاغه: ج ١٦، ص ٩٣.

٣- سوره هود، الآيه: ٦١.

٤- الوسائل: ج ١٣، ص ١٩٥.

أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده»(١) و «أزكى الأعمال كسب المرء بيده»(٢) و «ما أكل عبد طعاما أحب إلى الله تعالى من كدّ يده، و من بات كالا من عمله بات مغفورا له»(٣) و «أطيب الكسب عمل الرجل بيده»(٤) و «مرّ داود بإسكافي فقال: يا هذا اعمل و كل، فإن الله يحب من يعمل و يأكل و لا يحب من يأكل و لا يعمل»(٥). و «من أكل من كدّ يده حلّالا فتح الله له أبواب الجنّة، يدخل من أيّها شاء»(٦) و «من أكل من كدّ يده نظر الله إليه بالرحمة ثم لا يعدّبه أبدا»(٧) و «من أكل من كدّ يده يكون يوم القيامة في عداد الأنبياء و يأخذ ثواب الأنبياء»(٨) و لقد تعلّم الإمام على عليه السّلام من أستاذه العظيم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، فيما تعلّم من معاني القرآن أن الله لا يكتفى من العبد المطيع التقى بالإيمان وحده، بل الله يقرن الإيمان

ص: ٢٤٨

١- كنز العمال: ٩٢٢٣.

٢- المصدر السابق: ٩٢٢٠.

٣- التفسير المعين: ص ٥٨٢.

٤- كنز العمال: ٩١٩٦.

٥- تنبيه الخواطر: ص ٣٥.

٦- الصياغة الجديدة: ص ١٦٩.

٧- المصدر السابق.

٨- المصدر السابق.

بالعمل.. فكلما ذكر الله تعالى الإيمان في آيه عطف عليه العمل الصالح: الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (١).

أما الإيمان فمعروف، وفيه أداء العبادات المفروضة، و أما العمل الصالح فهو ما ينهض بأدائه و إتقانه كل إنسان في أيه جماعه إنسانيه من أعمال مشروعه تكفل له معاشه، و تحقق المصلحه للأمم جميعا..

لقد تعلم على من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أن من يسعى في طلب الرزق كمن ينقطع للعباده، و أن طلب العلم فريضه، و أن العمل شرف و إتقانه واجب شرعى، و أن الجهاد في سبيل الله و العمل لعماراه الأرض و إسعاد الناس، و الجهد في تحقيق مصالح الأمم، هي أفضل ما يتقرب به العبد الصالح إلى الله، و هي الأعمال التي يحبها الله.

و لذلك فقد روى «أن أمير المؤمنين كان يكدح بكد يده، ثم إذا جمع مالا اشترى عبدا فأعتقه في سبيل الله» (٢).

و روى: «أن عليا عليه السلام كان يعمل بيده، و يجاهد في سبيل الله، و أقام على الجهاد أيام حياه رسول الله، و منذ قام بأمر الناس إلى أن

ص: ٢٤٩

١- سورة البقره، الآية: ٢٥.

٢- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ٤٤٢.

قبضه الله، و كان يعمل فى ضياعه ما بين ذلك. فأعتق ألف مملوك، كل ذلك من كسب يده»(١).

و هكذا فإنه كان يعتبر العمل اليدوى تأسيًا بالأنبياء و يقول:

«.. و لقد كان فى رسول الله كاف لك فى الأسوه... و إن شئت ثلثت بذاود عليه السلام صاحب المزامير، و قارىء أهل الجنه، فلقد كان يعمل سفائف الحوض بيده، و يقول لجلسائه: أيكم يكفينى بيعها؟ و يأكل قرص الشعير من ثمنها»(٢).

ص: ٢٥٠

١- دعائم الإسلام.

٢- نهج البلاغه: الخطب ١٦٠.

هل «الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان، و سبيلان مختلفان، فمن أحبّ الدنيا تولّاهما و أبغض الآخرة و عاداهما، و هما بمنزله المشرق و المغرب، و ماش بينهما، كلّما قرب من واحد بعد من الآخر، و هما بعد ضربتان»(١)؟.

و هل «أن في طلب الدنيا إضرارا بالآخرة، و في طلب الآخرة إضرارا بالدنيا»(٢)!

و هل «طلب الجمع بينهما من خداع النفس»(٣)؟

و هل هما «ككفتيّ الميزان فأيهما رجح ذهب بالآخر»(٤)؟

و هل كلما فات من الدنيا غنيمه(٥)؟

ص: ٢٥١

١- حليه الأولياء: ج ١، ص ٨٣.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٦١.

٣- غرر الحكم و درر الكلم.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٩٢.

٥- ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٣٢٦.

و هل «مراره الدنيا حلاوه الآخرة، و حلاوه الدنيا مراره الآخرة»(١)، و أن «ما زاد في الدنيا نقص في الآخرة، و ما نقص في الدنيا زاد في الآخرة»(٢)؟

أم أن الدنيا و الآخرة وجهان لعمله واحده و أن «الدنيا مزرعه الآخرة»(٣) و «بالدنيا تحرز الآخرة»(٤) و أنه «لنعم العون الدنيا على الآخرة»(٥)؟

و في الحقيقة إنَّ الدنيا ليست بالنسبه إلى الجميع واحده، فهي ليست إمّا خيرا أو شرا، بل إن «الدنيا دنياوان: دنيا بلاغ، و دنيا ملعونه»(٦).

فمن جعل همّه الدنيا، فأراد الدنيا لذاتها، و اعتبرها هدفا له و لا شيء وراء ذلك كانت بالنسبه إليه ملعونه، لأن في ذلك هلاكه، فهي إذن شرّ، لأنه خسر نفسه فيها و لم يربح شيئا.

أمّا من جعلها مزرعه لآخرفته، و دارا بها يبلغ مبتغاه في العقبى، فهي نعم الدار. «لمن لم يرض بها دارا»، و «محلّ من

ص: ٢٥٢

١- غرر الحكم و درر الكلم.

٢- المصدر السابق.

٣- ميزان الحكمه: ج ٣، ص ٢٨٥.

٤- الاحتجاج: ج ١، ص ٣٢٦.

٥- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ١٢٧.

٦- بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٦٨.

لم يوطنها محلاً» (١) فالدنيا «دار الظالمين إلا العامل فيها بالخير فإنها له نعمت الدار» (٢) «فألله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها، ليعلم أيهم أحسن عملاً، ولسنا للدنيا خلقنا، ولا بالسعى فيها أمرنا» (٣).

إن «الدنيا قنطرة» (٤) ونحن فيها «كعابري سبيل» (٥) و «مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ» (٦) و «إنما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر بنا بهم منزل جديب فأقموا منزلاً خصيباً، و جناباً مريعاً فاحتملوا و عثاء الطريق، و فراق الصديق، و خشونه السفر، و جشوبه المطعم ليأتوا سعه دارهم و منزل قرارهم» (٧).

و ما مثل أحدنا «و مثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجره ساعه من نهار ثم راح و تركها» (٨).

«فالدنيا أمد و الآخرة أمد» (٩).

ص: ٢٥٣

- ١- شرح نهج البلاغه: ج ١١، ص ٢٣٩.
- ٢- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٣٦.
- ٣- الطراز لليماني: ج ٢، ص ٣٩٣.
- ٤- بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٣١٩.
- ٥- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٩٩.
- ٦- سورة النساء، الآية: ٧٧.
- ٧- العقد الفريد: ج ٣، ص ١٥٥.
- ٨- بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢٣٨.
- ٩- غرر الحكم و درر الكلم.

و هكذا، فإنه ليست الدنيا إلا لكي «يتزوّد العبد من دنياه لآخرته و من حياته لموته، و من شبابه لهرمه فإن الدنيا خلقت لكم و أنتم خلقتم للآخرة»(1).

و بهذه النظرة الصائبة إلى الدنيا، فإنها تكون للناس على نوعين:

الأول: من يفتّر بها، و يعبدها و يفنى فيها.

الثاني: من يعبر منها، و يتزوّد فيها، و يكسب بها الآخرة.

و لا- شك أننا لا- يمكن أن نستغنى عن الحدّ الأدنى من الدنيا إذ كيف تعيش، و تعمل، و تطيع الله، و تنفع العباد إذا تركناها جملة و تفصيلاً. و هل يمكن تصوّر ترك الدنيا كامله إلا في صورته الانتحار، أو الإضراب عن الطعام و الشراب حتى الموت؟

إن الحدّ الأدنى من الدنيا ضروره، و لذلك لا يجرى الحديث حول مشروعيتها و عدمه، لأن الأمر ليس متروكا لنا، مثلما الحفاظ على الحياه ضروره. أمّا الحدّ الأعلى منها فهو غير ضروري، بل إنه وبال على الإنسان، لأن ما يزيد عن الحاجه غنمه لغيرك و غرمه عليك.

ص: ٢٥٤

١- تنبيه الخاطر: ص ٣٦.

إذن، فما هو ضرورى لك من الدنيا فهو واجب.

و ما هو غير ضرورى لك فهو زائد..

نعم، قد يتطَرّف البعض فى الزهد، أو يفهمه خطأ، أو يظن أن المؤمنين مكلفون بترك الدنيا لأهل الكفر و الفسق و الفجور، أو أن الزهد فى الدنيا يعنى الزهد فى العمل و النشاط، و إشاعه الخير. كما قد يتطَرّف البعض فى البحث عن الدنيا إلى درجه الطمع و الجشع و الترف و التكاثر..

فالحدّ الوسط هو أن نسعى لدنيانا من أجل آخرتنا، فنجعل ما فيها لما بعدها. لا العكس. و أن نعمل لأجل الآخرين حتى تكون لهم حياه حره كريمه. فيكون زهدنا فى الدنيا زهد المقتدر لا زهد العاجز، و زهد الذى يريد الآخره، و يبتغى بما أتاه الله الدار الآخره و لكنه لا ينسى نصيبه من الدنيا..

إننا مطالبون بالكدّ فى الدنيا، و العمل لعمارتها، كما نحن مطالبون بالالتزام بالقيم و المثل و أحكام الشرع. فالمطلوب ليس هو الزهد فى الدنيا بل الزهد عنها. فليس الزهد عن تعمير الأرض للآخرين و تطويرها لعباد الله، و بنائها للنفع العام، إلا زهدا فى النشاط، و تركا للعمل و الطاعه، و هو زهد مرفوض.

كما أنّ الانشغال بكل ما سبق عن العباده، و هدايه الناس،

و العمل الصالح هو الولع الباطل بالدنيا، و هو رأس كل خطيئه..

إن الدنيا وسيله.. فكيف نستخدمها بجعلها خيرا، أو شرا، صالحا أو ضارا، طاعه، أو معصيه.

إن «الدنيا سوق ربح فيها قوم و خسر آخرون» (١) ربحها من نظر إليها «نظر الزاهد المفارق» (٢) و خسرها من نظر إليها «نظر العاشق الوامق» (٣). ربحها من يعطى منها، و خسرها من يعطى لها. ربحها من اشترى نَفْسَهُ اِئْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ (٤).

و خسرها من وَ آثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٥).

إن «الناس أبناء الدنيا و لا يلام الرجل على حبِّ أمه» (٦) لأن الولد مطبوع على ذلك (٧) ، و إنما يلامون إذا نسوا الآخرة، و لم يعملوا لها، فاستعبدوا فى الدنيا، و فارقوها بلا أعمال صالحه، و لا مواقف نافعه..

يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: «لا تسبوا الدنيا فنعمه مطيِّه المؤمن

ص: ٢٥٦

١- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٣٦٦.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- المصدر السابق.

٤- سورة البقره، الآية: ٢٠٧.

٥- سورة النازعات، الآية: ٣٨.

٦- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٤.

٧- غرر الحكم و درر الكلم.

فعليتها يبلغ الخير و بها ينجو من الشر. إنه إذا قال العبد: لعن الله الدنيا، قالت الدنيا: لعن الله أعصانا للرب»(١).

إذن ف «ليس من حب الدنيا طلب ما يصلحك»(٢) و قد روى أن رجلا قال للإمام: «إنا لنحب الدنيا. فقال له الإمام:

«و ما ذا تصنع بها؟ قال: «أتزوج منها، و أحج، و أنفق على عيالي و أنيل أخواني، و أتصدق. فقال عليه السّلام: «هذا ليس من (حب) الدنيا، هذا من (حب) الآخرة»(٣).

من هنا فليس الفقر خيرا. و لا- البؤس فخرا، و لا الحاجة صلاحا و لا الجوع فلاحا. «لأن الفقر (هو) الموت الأكبر»(٤) و قد «كاد الفقر أن يكون كفرا»(٥) و ذلك لأن «الفقر يخرس الفطن عن حاجته»(٦) و «الفقر فى الوطن غربه»(٧) بينما الغنى فى الغربه وطن»(٨).

إن الحفاظ على التوازن بين طلب الحد الأدنى من الدنيا،

ص: ٢٥٧

- ١- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ١٧٨.
- ٢- المصدر السابق: ج ٧٣، ص ١٢٨.
- ٣- ربيع الأبرار: ج ١، ص ٣٦٢.
- ٤- بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٤٧.
- ٥- بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٤٧.
- ٦- شرح نهج البلاغه: ج ١٨، ص ٨٧.
- ٧- نهج البلاغه: الحكم ٥٦.
- ٨- غرر الحكم و درر الكلم ٣٣.

و العمل لأجل الحدّ الأعلى من الآخرة، هو أعلى أنواع الصلاح، ثم تتدرّج مراتبه حسب اختلال هذا التوازن. فقد يطلب أحدنا الحدّ الأعلى من الدنيا و الحد الأدنى من الآخرة، فيعيش في قضايا دينه على الحافه، و لكنه في قضايا دنياه يطلب النصيب الأعلى، فهو ليس من أهل الباطل و لكنه ليس من السابقين السابقين أولئك المقربون.

و على كل حال فقد روى: «إن أعظم الناس هما المؤمن: «يهتمّ بأمر دنياه و أمر آخرته»(١) و روى أيضا:

«اجعلوا لأنفسكم حظا من الدنيا بإعطائها ما تشتهي من الحلال، و ما لا يثلم المروءه، و ما لا سرف فيه، و استعينوا بذلك على أمور الدّين، فإنه روى «ليس منا من ترك دنياه لدينه، أو ترك دينه لدنياه»(٢).

إن من سوء الفهم لدى البعض الإسراف فى الانكباب على الدنيا متعللا- بقوله تعالى: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ (٣).. أو الإعراض عن العمل

ص: ٢٥٨

١- كنز العمال: خ ٧٠٢.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٣٢١.

٣- سوره الأعراف، الآية: ٣٢.

و العزوف عن الحياه متمسحا بقوله تعالى: وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١).

يقول الإمام على عليه السلام: «ألا وإن من البلاء الفاقه، و أشدّ الفاقه مرض البدن، و أشدّ من مرض البدن، مرض القلب.

و أفضل من سعه المال صحّه البدن، و أفضل من صحه البدن تقوى القلب» (٢).

لقد كان الإمام عليه السلام مع الفقراء.. و لكنه عليه السلام لم يكن يريد لهم الفقر، بل الغنى، و لم يكن يريد لهم المرض بل الصحه، فهو لم يكن يدفع الفقراء جانبا و يطردهم كما يفعل المترفون، بل كان يعيش معهم حتى يرفعوا الفقر عن أنفسهم، و يزيلوا البؤس عنها. «فالخير: الصحه و الغنى.. و الشر: المرض و الفقر» (٣) و «الحرمان خذلان» (٤) و «القله ذله» (٥) و لقد قال الإمام لولده محمد ابن الحنفية: «يا بنى.. إنى أخاف عليك

ص: ٢٥٩

١- سوره آل عمران، الآية: ١٨٥.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- بحار الأنوار: ج ٨١ ص ٢٠٩.

٤- غرر الحكم.

٥- بحار الأنوار: ج ٧٨ ص ١٢.

الفقر فاستعذ بالله منه، فإنَّ الفقر منقصه للدين، مدهشه للعقل، داعيه للمقت»(١).

إن الإمام على عليه السلام يذم أهل الدنيا، ممن غرتهم بهارجها فنسوا الآخرة، فظن بعض أصحابه أنه يدعوهم إلى الخروج عما أحلَّ الله تعالى من متاع الحياة فترك أحدهم - وهو «عاصم بن زياد» - أهله وبنيه، ولبس مرقعه، واعتكف للعبادة، فجاء أخوه «الربيع بن زياد» إلى أمير المؤمنين و شكاه، وقال:

إنه قد غمَّ أهله، و أحزن ولده بذلك، فدعاه الإمام فلم يَ رآه عبس في وجهه، وقال له: أما استحييت من أهلك؟ أما رحمت ولدك؟ أ ترى الله أحلَّ لك الطيبات و هو يكره أخذك منها؟ أنت أهون على الله من ذلك، أو ليس الله يقول:

وَ الْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (٢) ؟ أو ليس يقول: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٣) إلى قوله: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ (٤)

ص: ٢٦٠

١- ربيع الأبرار: ص ٣٦٢.

٢- سورة الرحمن، الآيتان: ١٠، ١١.

٣- سورة الرحمن، الآيتان: ١٩-٢٠.

٤- سورة الرحمن، الآية: ٢٢.

فبالله لابتدال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتدائها بالمقال وقد قال الله عزّ وجلّ: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١)(٢).

فدع التواضع في الثياب فالله يعلم ما تجن و تكتم

تخوّفا

فراثث ثوبك لا يزيدك زلفه عند الإله و أنت عبد مجرم

و بهاء ثوبك لا يضرك بعد أن تخشى الإله و تتقى ما يحرم

فاعلم رحمك الله أنه لا بأس بالغنى لمن اتقى، و اعلم أن الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفحك، و أن لا- يكون في حديثك فضل (زياده) على عملك، و أن تتقى الله في حديث غيرك... فلا- تعتزل الناس، فلا- رهبايته في الإسلام.. و تدبر قول الرسول صلى الله عليه و آله و سلم: «رهبايه أمتي الجهاد». و تعلم و علم غيرك، فما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا. و كفاك أدبا لنفسك اجتناب ما تكرهه لغيرك. فخذ من الدنيا ما أتاك، و تولّ عما تولّى عنك»(٣).

فقال عاصم بن زياد:

«يا أمير المؤمنين.. تنهاني عن العزوف عن زينه الحياه

ص: ٢٤١

١- سورة الضحى، الآية: ١١.

٢- أصول الكافي: ج ١، ص ٤١٠.

٣- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٣١.

التي أحلَّ الله لعباده و الطيبات من الرزق، فعلام اقتصرت في مطعمك على الجشوبه و في ملبسك على الخشونه؟ و تركت قصر الإماره و نزلت منزل أفقر أهل الكوفه؟!».

فضحك الإمام سلام الله عليه، و قال: «إن الله الذي جعلني إماما لخلقه فرض على التقدير في نفسى و مطعمى و مشربى و ملبسى و مسكنى كضعفاء الناس» و أضاف: «ويحك إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفه الناس كيلا يتبئغ بالفقير فقره».

فألقي عاصم بن زياد العباء و لبس الملاء (و هو ثوب يلبس على الفخذين)(١).

و في الحق أن العمل لإصلاح الدنيا و عمارتها لا العزوف عن العمل و اعتزال الدنيا، كان جوهر دعوه الإمام على عليه السلام إلى الزهد.. و العمل الصالح الذى يحضّ عليه، ليس هو أداء العبادات المفروضه فحسب، و إنما هو العمل المنتج فى المعاملات.. و هو العمل الذى به عماره الأرض، و عليه تقوم مصالح العباد..

من أجل ذلك اهتم بألوان النشاط الإنسانى التى تخدم المجتمع و انشغل بها و حضّ عليها.. يدويه كانت أم فكرية!..

ص: ٢٤٢

١- أصول الكافى: ج ١، ص ٤١١.

إنه ينكر الانقطاع عن الدنيا زهدا فيها كما يرفض الانقطاع لها انشغالا بها.. من أجل ذلك عرف الزهد بقوله: «الزهد كلمه بين كلمتين فى القرآن. قال سبحانه: لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١). فمن لم يأس على الماضى، و لم يفرح بالآتى فقد أخذ الزهد بطرفيه» (٢)..

و يقول: «للمؤمن ثلاث ساعات، فساعه يناجى فيها ربه، و ساعه يروم فيها معاشه، و ساعه يخلى فيها بين نفسه و بين لذتها فيما يحل و يجمل.. و ليس للعاقل أن يكون شخصا إلا فى ثلاث: مرمه لمعاش، أو خطوه فى معاد، أو لذّه فى غير محرم».

لقد رأى الإمام رجلا قد بنى دارا واسعه كبيره، فقال له:

لقد اتخذت دارا واسعه، ما كنت تصنع بسعه هذه الدار فى الدنيا و أنت إليها فى الآخره كنت أحوج». فأجابه صاحبه فى حياء و ندم: «بلى يا أمير المؤمنين».

فقال الإمام: «بلى.. إن شئت بلغت بها الآخره: تقرى

ص: ٢٤٣

١- سورة الحديد، الآية: ٢٣.

٢- مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٤١.

بها الضيف، و تصل فيها الرحم، و تطلع منها الحقوق مطالعها.

فإذا أنت بلغت بها الآخرة»(١).

و هكذا، فإن نظره المؤمن إلى الدنيا، ليست نظره العازف عن الحياه بل نظره الحكيم الذى يعرف أن وراءها هدفا، و لذلك فإن أهل التقوى يحصلون من الدنيا ما يحصل الآخرون منها مع فارق واحد هو أن المتقين يحصلون على الدنيا و الآخرة بينما غيرهم قد يحصل على الدنيا و لكن ليس له فى الآخرة من نصيب.

يقول الإمام على عليه السلام «اعلموا - عباد الله - أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا و آجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا فى دنياهم، و لم يشاركهم أهل الدنيا فى آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، و أكلوها بأفضل ما أكلت فحظوا من الدنيا بما حظى به المترفون، و أخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ، و المتجر الرابع، أصابوا لذّة زهد الدنيا فى دنياهم، و تيقنوا أنهم جيران الله غدا فى آخرتهم، لا ترد لهم دعوه، و لا ينقص لهم نصيب من لذّه»(٢).

ص: ٢٦٤

١- تلبيس إبليس: ص ١٩٤.

٢- بشاره المصطفى: ص ٥٢.

ثم إن هناك من يكون زهده في الدنيا هروبا من مواجهه الصعاب، و تحمّل المشاقّ فهو عاشقها و لكنه عاجز عنها. أو أنّه يحاول أن يلقي كلّ المسؤليه عن تردّي أوضاع الناس، و أوضاعه على الدنيا، لتكون مسؤليه صلاح الأرض على غيره و مسؤليه الفساد على مجهول..

لقد سمع الإمام على عليه السلام رجلا من هذا النوع، يذمّ الدنيا هروبا من جهه و تخلّصا من المسؤليه من جهه أخرى، فقال له:

– «أيتها الدائم للدنيا، المغترّ بغرورها المخدوع بأباطيلها، أ تغترّ بالدنيا ثم تدمّها؟».

«أنت المتجرّم عليها أم هي المتجرّمه عليك؟»

«متى استهوتك؟ أم متى غرّتك؟ أم بمصارع آبائك من البلى؟ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟»

«كم علّلت بكفّيك؟ و كم مرّضت بيديك، تبتغي لهم الشفاء و تستوصف لهم الأطباء، غداه لا يغني عنهم دواؤك، و لا يجدي عليهم بكاؤك، لم ينفع أحدهم إشفاقك، و لم تسعف فيه بطلبتك، و لم ترفع عنه بقوتك!، و قد مثلت لك به الدنيا نفسك، و بمصرعه مصرعك».

«إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، و دار عافيه لمن فهم عنها، و دار غنى لمن تزوّد منها، و دار موعظه لمن اتّعظ بها.

مسجد أحياء الله، و مصلى ملائكة الله، و مهبط وحى الله، و متجر أولياء الله.. اكتسبوا فيها الرّحمه، و ربحوا فيها الجنّه».

«فمن ذا يذمّها و قد آذنت بيّنها، و نادت بفراقها، و نعت نفسها و أهلها، فمثلت لهم ببلائها البلاء، و شوّقتهم بسرورها إلى السرور؟ راحت بعافيه، و ابتكرت بفعجه ترغيبا و ترهيبا، و تخويفا و تحذيرا، فذمّها رجال غداه الندامه، و حمدها آخرون يوم القيامة. ذكّرتهم الدنيا فتذكروا، و حدّثتهم فصّدقوا، و وعظتهم فاتّعظوا»(١).

فالدنيا إذن، دار صدق لمن صدق معها، و اتّعظ بما فيها، و هى دار غرور لمن اغترّ بها. و هكذا فإن الدنيا كما سبق دناوان دنيا بلاغ، و دنيا ملعونه. أعاذنا الله من شرورها و غرورها إن شاء الله..

ص: ٢٦٦

١- البيان و التبيين: ج ١، ص ٢١٩.

هنا لك من يتخذ الحياه لهوا و لعبا.

و هناك من يتخذها شدّه و غضبا.

و كلاهما على خطأ!

ففى الحياه ساعات جدّ، لا بد أن يكون المرء فيها، كجلمود الصخر، جادا بلا حدود.. و فيها ساعات فرح فلا بد أن يتمتّع فيها بالمرح.

إن العظماء، شأنهم شأن باقى الناس، يتمتعون بقلوب ملؤها الرحمه، و العطف و الحب.. و من هنا فإنهم، كغيرهم من البشر، يحبون المرح الحق، فى ساعاته، و يمارسون المزاح و الدعابه مع من حولهم، و لا يقولون إلاّ حقا..

و حدهم الجبارون هم الذين لا يتضحكون، و لا يمزحون.

يقول الحديث الشريف: «المؤمن: دعب لعب، و المنافق: قطب غضب»^(١).

و لذلك فإنه «ما من مؤمن إلا وفيه دعابه»^(٢).

إلا أن المزاح له حدود، فليس المؤمن كثير المزاح لأن «من جعل ديدنه الهزل، لم يعرف جدّه»^(٣)، و «من كثر مزاحه قلّ وقاره»^(٤).

و على كل حال «فإن الله يحب المداعب في الجماعه بلا رفث»^(٥).

و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «إني لأمزح و لا أقول إلا حقا»^(٦).

و هكذا الإمام على عليه السلام كان مع أصحابه كأحدهم يمزح معهم حيناً، و يسوقهم إلى الحق بجد أحيانا.. حتى لقد قالوا فيه بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إنه أحق الناس بالخلافه، لو لا أن فيه دعابه!

و قد نشروا ذلك عنه في الشام، حتى قال عليه السلام: «عجبا

ص: ٢٦٨

١- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ١٥٣.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٦، ص ٦٠.

٣- غرر الحكم.

٤- غرر الحكم.

٥- الكافي: ج ٢، ص ٦٦٣.

٦- شرح نهج البلاغه: ج ٦، ص ٣٣٠.

لابن النابغه، يزعم لأهل الشام أنّ فيّ دعا به، و أنى امرؤ تلعبه، أعافس و أمارس، لقد قال باطلا، و نطق آثما»(١).

فدعا به الإمام كانت في حق، لا في باطل فلم يكن عليه السلام «تلعبه» و لم «يعافس» أو «يمارس»..

و إليكم بعض مزاحه.. كما جاء في التاريخ:

«أقبل رجلا من شيوخ القبائل يهئنان أمير المؤمنين بالعودة و بالنصر، فأراد أن يكرمهما، فألقى إليهما بوسادتين فقعد أحد الرجلين على الوساده، و لم يقعد الآخر، بل قعد على الحصير كما يقعد أمير المؤمنين، فقال له الإمام مداعبا:

«اقعد على الوساده يا رجل، فلا يأبى الكرامه إلا حمار!» و ضحكوا جميعا، و قعد الرجل، و ذهب مثلا»(٢)!

و حينما اقتحم أصحاب الجمل دار الصحابي الجليل «عثمان بن حنيف» و نتفوا شعر لحيته و رأسه و شعر عينيه تنكيلا به، ثم تركوه ذهب «عثمان» هذا إلى أمير المؤمنين و هو يستريح في موضع على طريقه إلى البصره، فلما رآه يبكي أراد الإمام أن يهون عليه فقال له مداعبا:

ص: ٢٦٩

١- نهج البلاغه: (خ ٨٤)-١.

٢- على إمام المتقين: ج ٢، ص ١٤٣.

«ويحك يا عثمان بن حنيف، أرسلناك و أنت شيخ كثيف الشعر، فعدت إلينا بلا شعر كغلام أمرد»^(١).

و كما كان عليه السلام يمزح مع أصحابه، كان أصحابه أيضا يمزحون معه.. أو يذكرون عنده طرائف الحكم حسب ما أوصى به رسول الله حين قال: «إن هذه القلوب تملّ كما تملّ الأجسام فاطلبوا لها طرائف الحكم».

فقد لا حظ «أبو الأسود» بعد معارك صفين أن أمير المؤمنين لم يعد ضاحك السن كما عرفه من قبل، فأراد أن يسرى عنه فقال له: «يا أمير المؤمنين ما زلت أعمل بنصيحتك: «سل عن الجار قبل الدار و عن الرفيق قبل الطريق» حتى ابتليت بجار حسبته صالحا، فإذا به يقذفني بالحجارة كل يوم، فبعت الدار، فعيرني الناس بأني بعت داري، فقلت لهم:

ما بعت داري بل بعت جاري»!

فضحك الإمام من دعابته، و ضحك معه الحاضرون^(٢).

ص: ٢٧٠

١- المصدر السابق: ج ٢، ص ٢٥٩.

٢- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٣٧٥.

قد تكون المعارضه لحكم باطل لا يشوبه حق.

و قد تكون لحق يشوبه باطل.

فى الصوره الأولى، مثل معارضه الاحتلال الأجنبى، و سياده أهل الباطل ممّن لم يأت إلى الحكم باختيار الناس بل عنوه عنهم. أو حكم الكفر الصراح، فلا بدّ أن تكون المعارضه شامله، و بلا حدود إلاّ حدود المثل و القيم، لأن الطرف الآخر يريد القضاء عليك، و سحق شخصيتك.

و فى الصوره الثانيه، مثل المعارضه لحكم انتخابه الناس، و لكن عليه ماآخذ مثل ممارسه بعض الظلم، و عدم تطبيق الحق بشكل كامل، فإنّه لا بدّ أن تلتزم المعارضه بحدودها الأخلاقيه، و موازينها الشرعيه.

و هذه الحدود تشمل - فيما تشمله - الأمور التاليه:

ص: ٢٧٣

أولاً: أن لا تقع المعارضة فى الأخطاء التى وقع فيها الحكم القائم، فإذا كان المأخذ الذى على الحكم هو الظلم و العدوان، فلا يجوز للمعارضه أن تمارس - هى الأخرى - الظلم بأى شكل من الأشكال، و فى أى حدّ من الحدود، و بحقّ أى شخص كان.

ثانياً: أن تلتزم المعارضة بالأخلاق، مهما كانت الظروف و الأسباب التى قد تدعوها إلى خلاف ذلك. لكى تكون البديل الحضارى حقاً، و لا تكون معارضتها ضمن إطار الصراع على السلطة.

ثالثاً: أن لا تقف المعارضة ضد منافع الناس، و لا تقدم مصالحها على مصالحهم. و أن تقتصر مواجهتها للسلطات على ما تعارضه فيها، و لا تتعداه إلى غير ذلك..

إنّ الأخلاقيه، هى التى تعطى للمعارضه مشروعيتها الحقيقيه و هى التى تميّزها عن الأوضاع القائمه.. و أىّ تجاهل لها يسلبها مشروعيتها، و من ثمّ يبتعد عنها الناس..

لقد كانت للإمام على عليه السّلام آراؤه الخاصه، بما جرى بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و كان معارضاً له، كما كانت زوجته فاطمه الزهراء عليها السّلام حامله الرايه فى مواجهته، و مع ذلك فإنّ الإمام لم

يخرجه غضبه عن الحق، كما لم يدخله رضاه في باطل. بقي معارضا فتره خمسة و عشرين عاما لآ أنه لم يتجاوز الحق، و لم يخالف الشرع، و لا ترك الالتزام بالأخلاق الفاضله، حتى مع من كان يعارضه.

كان عليه السلام يرى نفسه الأحق بالخلافه، و يصرح بذلك جهارا، حتى لقد قال - بعد أن وصلت إليه أنباء السقيفه - و هو مشغول بغسل رسول الله، و تدفينه - «ما قالت الأنصار»؟ قالوا:

«قالت منّا أمير و منكم أمير».

فقال عليه السلام: «فهلّا احتججتم عليهم بأن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وصّى بهم بأن يحسن إلى محسنهم، و يتجاوز عن مسيئهم؟».

قالوا: و ما في هذه من حجّه؟

فقال عليه السلام: «لو كانت الإمامه فيهم، لم تكن الوصيه بهم».

ثم قال عليه السلام: «فما ذا قالت قريش؟» قالوا: «احتجّت بأنها شجره الرسول صلى الله عليه و آله و سلم!».

فقال عليه السلام: «احتجّوا بالشجره، و أضاعوا الثمره»^(١)؟!

و كان يقول عليه السلام: «أنا خليفه رسول الله و وزيره و وارثه. أنا

ص: ٢٧٥

١- نهج البلاغه: الخطب ٦٧.

أخو رسول الله و وصيّه و حبيبه. أنا صفى رسول الله و صاحبه.

أنا ابن عمّ رسول الله و زوج ابنته و أبو ولده. أنا سيد الوصيين و وصى سيد النبيين، أنا الحجة العظمى و باب النبى المصطفى»(١).

و كان بناء على ذلك يرى نفسه مظلوما، قد ظلم فى حقه، و يروى فى ذلك أنه سمع صارخا ينادى: «أنا مظلوم».

فقال له عليه السلام: «هلمّ فلنصرخ معا، فإنى ما زلت مظلوما منذ قبض رسول الله(٢) و ما لقي أحد من الناس ما لقيت»(٣).

و قال: «.. لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم أنّى لم أردّ على الله، و لا على رسوله ساعه قط.

و لقد واسيته بنفسى فى المواطن التى تنكص فيها الأبطال، و تتأخر فيها الأقدام، نجده أكرمنى الله بها».

«و لقد قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و إنّ رأسه لعلى صدرى.

و لقد سألت نفسه فى كفى، فأمررتها على وجهى، و لقد وليت غسله صلى الله عليه و آله و سلم و الملائكة أعوانى، فضجت الدار و الأفتية: ملأ

ص: ٢٧٦

١- بحار الأنوار: ج ٣٩، ص ٣٣٥.

٢- شرح نهج البلاغه: ج ٩، ص ٣٠٥.

٣- المصدر السابق: ج ٤، ص ١٠٣.

يهبط، و ملأ يعرج، و ما فارقت سمعى هينمه منهم، يصلون عليه، حتى واريناه فى ضريحه»..

«فمن ذا أحقّ به منى حيا و ميتا» (١)؟؟

و لقد قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لأصحابه: «إن تولّوا عليا تجدوه هاديا مهديا يسلك بكم على الطريق المستقيم» (٢).

و مع إيمان الإمام بذلك، لا تشوبه شائبه، إلا أنه وقف يعارض بشرف و أخلاق، بل و نصح الخلفاء و منحهم من عطفه، و ساعدهم فى مشاكلهم، و علمهم ما جهلوه، و قضى لهم فيما أشكل عليهم، و حاول مساعدته من تعرّض منهم للرفض من قبل المسلمين..

لقد كان الإمام سخي النفس حتى فيما يرتبط بالخلافه، أو ليس هو الذى قال لبعض أصحابه الذى سأله: «يا أمير المؤمنين.. كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام و أنتم أحقّ به»؟

قال عليه السلام: «يا أخا بنى أسد: إنك لقلق الوضين، ترسل فى غير سدد (استقامه) و قد استعلمت فاعلم: أمّا الاستبداد

ص: ٢٧٧

١- نهج البلاغه: الخطب ١٩٧.

٢- تاريخ ابن عساكر: ج ٣، ص ٦٩.

علينا بهذا المقام و نحن الأعلون نسبا، و الأشدّون برسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم نوطا (تعلّقا) فإنّها كانت إثره (استثثار) شحّت عليها نفوس قوم، و سخّت عنها نفوس (قوم) آخرين، و الحكم لله و المعوّد إليه القيامة»(١).

و قد لخص الإمام موقفه العام في الخطبه المعروفه بالشقشقيه و التي يقول فيها: «أما و الله لقد تقمّصها ابن أبي قحافه، و إنه ليعلم أن محلّي منها محلّ القطب من الرّحى، ينحدر عنى السيل، و لا- يرقى إلى الطير، فسدلت دونها (الخلافه) ثوبا، و طويت عنها كشحا، و طفقت أرتئى بين أن أصول بيد جذاء (مقطوعه) أو أصبر على طخيه (ظلمه) عمياء يهرم فيها الكبير، و يشيب فيها الصغير، و يكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه».

«فأريت أن الصبر على هاتان أحجى (أولى) فصبرت و فى العين قذى و فى الحلق شجى، أرى تراثى نهبا، حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها (الخلافه) إلى فلان بعده:

شтан ما بينى على كورها و يوم حيان أخى جابر

فيا عجا.. بينا هو يستقبلها فى حياته، إذ عقدها لآخر

ص: ٢٧٨

١- علل الشرائع: باب ١١٩.

بعد وفاته - لشد ما تشطرا ضرعيها - فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها و يخشن مسيها، و يكثر العثار فيها، و الاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة (الإبل الجامحة) أن أشق لها (شدد لها) خرم (قطع) و أن أسلس لها تقحم، فمضى الناس (ابتلوا) بخطط و شماس (بحيره و التباس) و تلون و اعتراض.

«فصبرت على طول المدّه، و شدّه المحنه، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعه زعم أنى أحدهم»..

«فيا لله و للشورى.. متى أعترض الريب فى مع الأول منهم، حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر»؟.

«لكننى أسففت إذ أسفّوا، و طرت إذ طاروا.. فصغى رجل منهم لضغنه (حقده) و مال الآخر لصهره مع هن و هن. إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله (الروث) و معتلفه، و قام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع».

«إلى أن انتكث عليه فتله، و أجهز عليه عمله، و كبت به بطنته»^(١).

ذلك هو رأى الإمام فيما جرى بعد رسول الله، و مع ذلك فإنه لم يبخل بكل ما فى وسعه بالمساعدة مع الخلفاء لإقامه

ص: ٢٧٩

١- فهرست ابن النديم: ص ٢٢٤.

الحق و تحقيق العدل و الحفاظ على منافع العامه و هدايه الناس.

و هو الذى قال: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذى كان منا منافسه فى سلطان، و لا التماس شىء من فضول الحطام، و لكن لنرد المعالم من دينك، و نظهر الإصلاح فى بلادك، فىأمن المظلومون من عبادك و تقام المعطله من حدودك»(١).

و لأنه لم يكن ينطلق من معارضته من منطلق «التنافس على السلطان» فلم يكن لديه مانع من أن يسدى النصح للحاكمين فيما يرتبط ب «رد المعالم» من دين الله و «الإصلاح» فى البلاد، و الحفاظ على «أمن المظلومين» و «إقامه الحدود المعطله..».

فكم من معضله فى عهد أبى بكر، حلها لهم الإمام، حتى قال أبو بكر أكثر من مره «لا أبقانى الله لمعضله ليس لها أبو الحسن»؟.

و كم من مسأله استعصت على عمر بن الخطاب، فأعطى الإمام الرأى الأصوب فيها، حتى قال عمر أكثر من مره «لو لا على لهلك عمر»؟

و كم من محاولات بذلها لإصلاح الأوضاع فى عهد

ص: ٢٨٠

١- تذكره الخواص: ص ١٢٠.

عثمان بن عفان، و منع تدهورها حتى قال عثمان أكثر من مره:

«لا أبقانى الله فى بلد ليس فيها على»؟.

من ذلك ما أشار إليه فى عهد عمر بن الخطاب، حينما أراد الخروج إلى قتال الروم و لكن عليا بن أبى طالب أقنعه أن فى الجيوش التى كان قد أعدّها أبو بكر كفايه، و قد حقق قوادها نجاحا كبيرا، و كل ما يحتاج هؤلاء القواد هو المدد من عمر.

و لكن عمر رأى أن مسيره لا- مندوحوه عنه ليقود المجاهدين بنفسه، فيثير فيهم الحماسه، و يحقق الله به النصر المبين. فقال له على: «إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتنكب، و لا تكن للمسلمين كانفه (أى كنف) دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلا مجربا، و احفز معه أهل البلاد النصيحه. فإن أظهره الله فذاك ما تحب، و إن تكن الأخرى، كنت رداء للناس و مثابه للمسلمين»^(١).

فولى عمر أبا عبيده على الجيش.

و فتحت جيوش المسلمين أرض العراق و الشام كلها

ص: ٢٨١

١- نهج البلاغه: الخطب ١٣٤.

و مصر، و هرب هرقل إلى القسطنطينيه و نظر إلى آخر معاقله فى سوريا فبكى و هو يقول: «سلام عليك يا سوريه، سلام لا اجتماع بعده»(١).

و مره أخرى، حينما أراد عمر بن الخطاب أن يخرج بنفسه إلى الحرب مع الفرس.. فاستشار عليا فى الخروج بنفسه، فقال له الإمام: «إن هذا الأمر لم يكن نصره و لا خذلانه بكثره و لا بقله، و هو دين الله الذى أظهره و جنده الذى أعدّه و أمده حتى بلغ ما بلغ. و نحن على موعد مع الله و الله منجز وعده، و ناصر جنده. و مكان القيم بالأمر مكان النظام (أى السلك) من الخرز، يجمعه و يضمّه، فإذا انقطع النظام تفرّق الخرز و ذهب، ثم لم يجتمع بحذافيه أبدا.

و العرب اليوم و إن كانوا قليلا منهم كثيرون بالإسلام عزيزون بالاجتماع. فكن قطبا و استدر الرحي بالعرب، و أصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض، انتقضت عليك العرب من أطرافها و أقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك. إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا: هذا أصل العرب، فإذا

ص: ٢٨٢

١- كتاب الأموال: ص ٢٥٢.

قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشدّ لكلّهم (تكالّبهم) عليك، وطمعهم فيك.

فأما ما ذكرت من سير القوم لقتال المسلمين، فإن الله سبحانه، هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره. و أما ما ذكرت من عددهم فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنّا نقاتل بالنصر والمعونه (من الله تعالى) (١).

و استطاع المسلمون بقياده سعد بن أبي وقاص و سلمان الفارسي أن يفتحوا أرض فارس «المدائن» عاصمه الفرس، و اتخذ سعد إيوان كسرى مصلى. و قرأ فى صلاته قوله تعالى:

كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (٢٥) وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَ نَعْمَهُ كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢).

و أرسل سعد إلى عمر بالمدينه كنوز كسرى و تيجانه، و بنات كسرى، و أسيافه... و كان الفرس من قبل قد غزوا الهند و الترك. و منهم غلبت الروم فى أدنى الأرض، و نهبوا جواهر ملوك الهند و الترك و أباطره الروم، فأل كل ذلك للفاتحين ٣.

ص: ٢٨٣

١- الأخبار الطوال: ص ١٣٤.

٢- سورة الدخان، الآيات: ٢٥-٢٨.

و أرسل سعد إلى عمر إلى جوار خمس الفىء. بساطا واحدا طوله ستون ذراعا و عرضه مثل ذلك، و قد نقش عليه بالذهب و الجواهر، طرق و أنهار و أزهار و ثمار!..

و قد نال كل جندى من جنود سعد بن أبى وقاص اثنى عشر ألفا غير الدور.. و كانوا ستين ألفا.. و بلغ ما دخل بيت المال ثلاثين ألف ألف أى ثلاثين مليوناً..

ثم أشار إلى الغنائم النفيسة و أقسم على عبد الرحمن بن عوف أن يقسمها فهو عليم بالجواهر، لتوزع فى الوقت.

و قسم ابن عوف المتاع، و وزعه عمر على الناس، بادئا بأهل السابقه فى الإسلام.

و بقى البساط المرصع بالذهب و الجواهر النادره، و كان لا ينقسم، و سألهم عمر المشوره فى أمر البساط فقال بعضهم:

«قد جعل الجند ذلك لك». و منهم من قال: «إنه لأمير المؤمنين لا- يشركه فيه أحد» و زاد أحدهم: «يا أمير المؤمنين لقد أشغلناك عن أهلك و ضيعتك و تجارتك فهو لك».

فقال الإمام على: «لا.. إنه لم يجعل الله علمك جهلا، و يقينك شكا. إنه ليس من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت،

و قسمت فسويت، أو لبست فأبليت، أو أكلت فأفنت. و إنك إن تبقه اليوم على هذا لم تعدم في غد من يستحق به ما ليس له».

قال عمر: «صدقتنى و نصحتنى يا أبا الحسن».

ثم قطع البساط و قسمه، فأصاب عليا منه قطعه لم تكن أجود من غيرها فباعها بعشرين ألفا. و أنفقها في سبيل الله!

أما بنات ملك الفرس، فقد أراد عمر أن يبيعهن كالجوارى، و يضع ثمنهن في بيت المال.. و أعطاهن للدلال ينادى عليهن بالسوق، فكشف الدلال عن وجه إحداهن، فلطمته لطمه شديده.

فصاح الرجل: «و اعمره!»! و شكاه إليه، فدعاهن عمر، و أراد أن يضربهن بالعصا فقال له على عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: (أكرموا عزيز قوم ذل و غنى قوم افتقر) إن بنات الملوكة لا- يبعن، و لكن قوموهن» فقوموهن و كنّ ثلاثا، فأعطاهن أثمانهن و وهبهن واحده لمحمد بن أبى بكر، و الثانية لعبد الله بن عمر، و الثالثة لابنه الحسن»(1).

ص: ٢٨٥

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٩٧.

كانت للإمام ما أخذ كثيره على طريقه إداره البلاد فى العهود التى سبقت خلافته و لذلك فحينما اقترح عليه أن يكون هو الخليفة بعد عمر بشرط أن يعمل بكتاب الله و سنّه نبيه، و سيره الشيخين، رفض الشرط الأخير، و قال: «بل باجتهاد رأبى».

إلاّ أنه عليه السّلام كان لا يبخل على أى واحد من الخلفاء بالمشوره النافعه و الموعظه الصالحه، بما يضمن لهم السير على الطريق المستقيم.

و من ذلك ما روى من «أن عمر بن الخطاب احتاج إلى مال ليجهز الجيش، و لم تكن الفتوحات قد جاءت بالشراء العريض للدوله الجديده بعد، و ما فى بيت المال! فذكر قوم حلى الكعبه و قالوا: «ما تصنع الكعبه بالحلى يا أمير المؤمنين؟ خذ هذه الحلى فجهّز بها جيوش المسلمين يكن لك أعظم الأجر».

و همّ عمر بذلك إلا أنه رأى أن يسأل عليا. فقال له على عليه السّلام: «إن القرآن أنزل على النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم و الأموال أربعه:

أموال المسلمين فقسمها بين الورثه فى الفرائض (الموارث)، و الفىء فقسمه على مستحقه، و الخمس، فوضعه الله حيث

وضعه، و الصدقات فجعلها الله حيث جعلها، و كان حلى الكعبه فيها يومئذ فتركه الله على حاله، و لم يتركه نسيانا و ما كان رَبُّكَ نَسِيًّا (١) و لم يخف عليه مكانا، فأقرّه حيث أقرّه الله و رسوله»..

فقال له عمر: «لولاك لافتضحنا». و ترك الحلّى بالكعبه كما هي (٢).

كان الإمام فى صف المعارضه، و كان يختلف مع الخليفه فى قضايا داخلية كثيره. منها تولّيه لهذا المنصب، إلا أن الأمر حينما كان يرتبط بهيبه الدوله، أو حسب تعبير الإمام ب «سلطان الإسلام» كان ينبى للأمر حتى يضمن سلامه توجه الخليفه، و سلامه توجه الدوله..

و لقد رأينا كيف أن الإمام منع عمر من أن يشخص بنفسه إلى قتال كل من الروم و الفرس، و لكن فى مسأله بيت المقدس، كان للإمام رأى معاكس تماما، كل ذلك حرصا على هيبه الدوله الإسلاميه، و حفاظا على مكانه الخليفه. فقد روى أنه «عند ما حاصر المسلمون بيت المقدس، و دارت حوله

ص: ٢٨٧

١- سوره مريم، الآيه: ٦٤.

٢- المصدر السابق: ص ١٤٥.

معركه طاحنه، طلب أهله أن يتصالحوا مع العرب على الجزية، بشرط أن يقدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بنفسه ليتفق على شروط الصلح.

و جمع عمر الناس فى المسجد فشاروهم، فقال عثمان:

«لا تبرح المدينة فأنت إن أقمت هنا و لم تسر إليهم رأوا أنك بأمرهم مستخف و لقتالهم مستعدّ، فلم يلبثوا إلا اليسير حتى ينزلوا على الصغار و يعطوا الجزية».

أما على بن أبى طالب عليه السّلام فلم ير هذا الرأى، و أشار على عمر أن يذهب، و قال: «إذا أنت قدمت عليهم كان لك و للمسلمين الأمن و العافيه و الصلاح و الفتح. و لست آمن أن يأسوا منك و من الصلح، و يمسكوا حصنهم و يأتيهم المدد من بلادهم و طاغيتهم، لا سيما و بيت المقدس معظّم عندهم و إليه يحجّون».

و أخذ عمر برأى على، و استخلفه على المدينة. و ركب إلى بيت المقدس. و كان الأمر كما قال الإمام على عليه السّلام(1).

و فى المسائل الداخليه، إذا كان الأمر يرتبط بقضايا مهمّه، مثل مسائل الولاه، و طريقه التعامل معهم، و التشدّد

ص: ٢٨٨

١- على إمام المتّقين: ج ١، ص ١٢٩.

بحقهم، و ما شابه ذلك كان الإمام يتدخل لمصلحه الأمه، و لم يكن من أصحاب الرأى القائل دع الحاكم غيظا، و تزداد أخطاؤه و استحقاقاته، لتزيد النقمه عليه و تكسب المعارضه..

فهو لم يكن يريد «كرسى» الحكم مثل كثير من المعارضين - حتى لا- تهمة أمور الأعمه و الدوله.. بل كان يريد الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

و من ذلك ما روى أن عمر بن الخطاب كان يعمد بعض الأوقات إلى ما جمعه عماله فيصادر نصفه لبيت المال، و يترك لهم نصفه. إرضاء لهم من جهه، و إرضاء للعامه من جهه أخرى.. مع أن بعضهم كان يجمع الأموال خيانه، و لصوصيه، مثل معاويه بن أبى سفيان، و عمرو بن العاص، و غيرهما.. و لقد أقرّ أقوام من الصحابه ما كان يفعله عمر.

أما على عليه السلام فقد كان يصنع ما يصنعه بهذا الصنف من الولاة رفقا لا يجوز، أو شده ليست من حقه!

فقد قال الإمام لعمر: «لئن كان عمالك خونه، و كان هذا المال فى أيديهم خيانه، ما حلّ لك تركه، و كان لك أن تأخذه كله، فإنه فىء للمسلمين، فما لك تأخذ نصفه و تترك نصفه؟! و لئن كانوا غير خونه. فما حلّ لك أن تأخذ أموالهم، و لا شيئا

منها قليلا أو كثيرا! و أعجب من ذلك إعادتك إياهم إلى أعمالهم!.. لئن كانوا خونه، ما حلّ لك أن تستعملهم! وإن كانوا غير خونه ما حقّت لك أموالهم»(١).

من أجل ذلك كره هؤلاء عليا عليه السّلام، و خافوه على أطماعهم، و خشوا إن أصبح هو أميرا للمؤمنين، أن يصرفهم عمّا يفعلون بأموال العامه فيحملهم على الزهد، و التخلّي عن زينه الحياه!

لقد كان الإمام عليه السّلام يرى «أن أعظم الخيانه، خيانه الأمه و أفضع الغش غش الأئمه»(٢).

فلم يكن يرضى بخيانه عمّال عمر، كما لم يكن يغشه في النصيحه.. خاصه فيما يرتبط بمحاسبه الولاه، و منعهم من نقض القانون و مخالفه الشريعه.. معتبرا التساهل مع الولاه، و السماح لهم بمخالفه الشريعه بدايه و سقوط الحضاره الإسلاميه، و نهايه تماسك النظام الإسلامى من ذلك ما حدث بعد أن توالى الفتوحات شرقا و غربا، فعكف بعض المجاهدين على الملذّات و الشراب.

ص: ٢٩٠

١- على إمام المتّقين: ج ١، ص ١٤١.

٢- أنساب الأشراف: ج ٢، ص ١٥٩.

و واجهت عمر مشكله جماعه من خيره فرسان المسلمين، على رأسهم «أبو محجن»، الذى أبلى أحسن البلاء فى فتح العراق و بلاد الفرس، و ما وراء النهرين و أذربيجان..

أرسل أمير الجند سعد بن أبى وقاص هذه الجماعه إلى عمر، لأنهم شربوا الخمر، بعد أن أمر عمر بأن يحدّ شاربها ثمانين جلده... فقالوا لعمر: «ما حرّمها الله و لا رسوله. إن الله تعالى يقول فى سورة المائده: لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (١). بل حرّمها أنت بعد أن أفتاك على بن أبى طالب!». فأرسل عمر إلى علىّ ليجادلهم.

قال على: «إن كان معنى هذه الآيه كما يقولون، فينبغى أن يستحلّوا الميتة و الدم و لحم الخنزير!». فبهتوا و سكتوا.

فقال عمر لعلى: «فما ترى فيهم»؟. قال: «أرى إن كانوا

ص: ٢٩١

١- سورة المائده، الآيه: ٩٣.

شربوها مستحلين لها أن يقتلوا. وإن كانوا شربوها و هم يؤمنون أنها حرام أن يحدّوا ثمانين جلده».

فسألهم عمر فقالوا: «و الله ما شككنا فى أنها حرام، و لكننا قدرنا أن لنا نجاه فيما قلناه»!.

فأمر عمر بجلد كل واحد منهم ثمانين جلده، فلما انتهى إلى أبى محجن قام من الجلد فقال شعرا جاء فيه:

و إنى لذو صبر و قد مات إخوتى و لست عن الصهباء يوما بصابرا!

فقال عمر: «قد أبديت ما فى نفسك و لأزيدنك عقوبه لإصرارك على شرب الخمر».

فقال له على: «ما ذلك لك! و لا يجوز أن تعاقب رجلا قال لأفعلنّ و هو لم يفعل، و قد قال الله تعالى فى الشعراء:

وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (١)».

فقال عمر: «استثنى الله منهم أقواما».

فقال على: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» (٢).

ص: ٢٩٢

١- سورة الشعراء، الآية: ٢٢٦.

٢- على إمام المتقين: ج ١، ص ١٧٤-١٧٥.

و من ذلك أن عمر بن الخطاب أنشأ الديوان الذى يحتفظ فيه برواتب المسلمين آخذاً بالنظم التى كانت سائده عند الفرس و الروم و قد خالفه الإمام على عليه السلام لأن الإمام كان مخالفاً لتأخير الفىء، و أموال الناس و لكن لم يعلن ذلك إلا فيما بعد.

غير أن عمر بن الخطاب بعد أن أنشأ الديوان و فرض للمسلمين فيئهم، جمع الناس و قال لهم:

«إنى كنت امرأ تاجراً يغنى الله عيالى بتجارتي و قد شغلتمونى بأمركم، فما ذا ترون أنه يحل لى من هذا المال؟» فأكثر القوم عليه يقترحون الإغداق، و على صامت.

فقال عمر:

«ما تقول يا أبا الحسن؟»:

فقال الإمام: «ما أصلحك و أصلح عيالك بالمعروف.

و ليس لك فى هذا المال غيره».

فقال عمر: «الله أكبر، صدقت يا أبا الحسن، لو لا على لهلك عمر».

و استنكف جماعه من أهل الشام من اسم الجزية، و ارتضوا أن يدفعوا بشرط تغيير اسمها، و لكن عمر صمم على أن يدفعوا الجزية صاغرين باسم الجزية، فاحتكموا إلى على،

ص: ٢٩٣

فأفنع عمر أن يقبل منهم الجزية باسم الصدقه تطهرهم.. فلما اقتنع عمر، دخل عدد منهم فى الإسلام(١).

و اجتمع عند عمر مال، فقسّمه، فبقى منه شيء فاستشار بعض الصحابه فيما بقى قالوا: «نرى أن تمسكه فإن احتجت إلى شيء كان عندك». فسأل عليا: «ما لك لا تتكلم يا أبا الحسن»؟ قال: «قد أشار عليك القوم». قال: «و أنت فأشر».

قال: «أرى أن تقسمه». فقسّمه عمر:

و قال: «يا أبا الحسن لا أبقانى الله لشده لست لها، و لا لبلد لست فيه»(٢).

و حتى فى المسائل الشخصيه، فإن الإمام عليه السلام كان لا يغش من استنصحه من الخلفاء، فهو إذا كان يعارض فلم يكن لوجه أو بغضه الشخصى إذ لم تكن لمعارضته هذه الصفه لا فى كلياتها، و لا فى جزئياتها..

من ذلك ما روى «أن عمر بن الخطاب أراد أن يتزوج عاتكه بنت زيد، بعد أن قتل عنها زوجها عبد الله بن أبى بكر

ص: ٢٩٤

١- على إمام المتقين: ص ١٠٠.

٢- المصدر السابق: ج ١، ص ١٠٤.

فى إحدى المعارك فقالت له: «قد كان عبد الله أعطاني حديقه على أن لا أتزوج بعده».

فقال لها عمر: «استفتى على بن أبى طالب».. و لما استفته عليه السلام قال لها الإمام: «ردى الحديقه على أهله، و تزوجى عمر».

و كانت عاتكه كما وصفها معاصروها: «امرأه ذات جمال، و كمال، و تمام فى عقلها و منظرها، و كانت حسناء بارعه»^(١).

تلك كانت بعض الأمثله على طريقه الإمام على عليه السلام فى المعارضه، و التزامه بالأخلاق الفاضله فيها، فى عهد عمر بن الخطاب.

أمّا فى عهد «عثمان بن عفان» فإن الإمام كان أخلص من وقف معه ناصحا أميناً، ليردّه إلى الجادّه و يمنع عنه ما آل إليه، فكم من موقف ردّ الإمام عنه الثائرين عليه، أو توسّط بينهما، و لكن بعض الحاقدين الجشعين من أمثال مروان بن الحكم أفسدوا فى الأمر..

ص: ٢٩٥

١- المصدر السابق: ج ١، ص ١٢٣.

و كم من مرّه وقف الإمام مع الحق، و حاول عثمان أن لا يتجاوز حدود الشريعة فى أموره الخاصه، أو العامه، و لكنه تحت تأثير بنى أميه، كان يفعل ما يجب أن لا يفعله؟

من ذلك مثلا ما روى فى بدايه خلافه عثمان، فقد روى أن عبد الرحمن بن عوف حين رأى الخنجر الذى اغتيل به عمر و هو خنجر غريب الشكل ذو نصلين و مقبضه فى وسطه، قال إنه رأى أبا لؤلؤه بالأمس يقبل هذا الخنجر و معه الهرمزان و جفينه، و اتهمهما فى ذلك.

فخرج عبيد الله بن عمر فى غضب عارم شاهرا سيفه.

فقتل الهرمزان، و هو فارسى أسلم، و جفينه، و هو نصرانى من نصارى الحيره، ثم ذهب إلى بيت أبى لؤلؤه، فقتل ابنته الصغيره، و أراد أن يقتل كل من فى المدينه من سبى رجال كانوا أو نساء، فتكاثر عليه عدد من المهاجرين و الأنصار، فنزعوا منه السيف، و وضعوه فى محبس!

فلما جاؤوا بعبيد الله بن عمر ليحاكمه عثمان سأل عثمان جماعه من المهاجرين و الأنصار فيهم على: «أشيروا علىّ فى هذا الذى فتق فى الإسلام ما فتق».

و سكت الجميع فما يدرون بم يشيرون!

ص: ٢٩٤

فقال الإمام: «ما من العدل تركه، و أرى أن تقتله، فقد قتل رجلا مسلما يصلى، و قتل صبيه صغيره، و قتل رجلا نصرانيا من ذمّه رسول الله!».!

فقال أحد الحاضرين من أقرباء عثمان، إن أبناء عمر كانوا ثائرين جميعا لمقتل أبيهم، و هم الذين شجّعوا عبيد الله على ما فعل.. حتى حفصه بنت عمر ممّن شجّع عبيد الله على قتلهم!

و عاد الإمام يؤكد أن القصاص لولى الأمر، فما من حق أبناء عمر أن يقيموا الحدّ أو يقضوا، فهذا لأمير المؤمنين وحده، أما أولياء الدم، فليس لهم إلا أن يعفوا إذا شاؤوا. ثم إن عبيد الله لو لم يقتل هؤلاء لأمكن أن تعرف أسرار ما حدث.

و لم يرتح عثمان لهذا الرأى!

و قال بعض الحاضرين: «أ يقتل عمر أمس، و يقتل ابنه اليوم»؟!!

و لم يعقب الإمام على!..

و كان عمرو بن العاص حاضرا فى مجلس عثمان، فقال:

«يا أمير المؤمنين إن الله قد أعفاك من هذا الحدث، فقد كان

قبل البيعه لك، و ليس لك على المسلمين سلطان. تلك قضيه لم تكن فى أيامك فدعها عنك».

و ضاق به الإمام عليه السّلام و استشعر الأسى حيث إن أحكام الشريعة تنتقص للعواطف، و تراق دماء بريئه من غير ذنب ثم يعفى عن القاتل.

و أخيرا قال عثمان: «أنا ولى الذين قتلهم عيد الله بن عمر. و قد جعلتها ديه، و احتملتها فى مالى»^(١).

و حدث حادث آخر، و حاول الإمام مره أن يمنع الخليفه من الانسياق وراء بنى أميه. و حذّره بأشدّ ما يكون فى ذلك.

فقد روى أن عثمان بن عفان حجّ بالناس، فزّين له بعض قرابته من بنى أميه أن يقيم مخيما كبيرا يليق «بأمير المؤمنين»، فكان أول من ضرب فسطاطا بمنى. و أتمّ الصلاه بمنى و بعرفه، و السنّه قصر الصلاه بهما.

فقال له على: «ما حدث أمر، و لا قدم عهد، و لقد عهدت النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم و أبا بكر و عمر يصلّون ركعتين، و أنت صدرا من خلافتك» فقال: «رأى رأيت».

ص: ٢٩٨

١- على إمام المتّقين: ج ١، ص ١٤٧.

و جاء قوم إلى عليّ يشكون عثمان، و ينكرون عليه أموراً، و اشتدوا في النكير.

فجاءه علي فقال: يا أمير المؤمنين ألا تنهى سفهاء بني أمية عن أعراض المسلمين و أبشارهم و أموالهم؟! و الله لو ظلم عامل من عمالك حيث تغرب الشمس لكان إثمه مشتركاً بينه و بينك. فارجع إلى الله. فحتى متى و إلى متى؟! (١).

و حينما بدأت مظاهر التذمر من عامه المسلمين و خاصتهم تزداد من تصرفات بني أمية و غيرهم من ولاة عثمان، جاءه الإمام ناصحاً له، و هو يريد أن يبعده من الذين استخدموا عباة له لنيل ملذاتهم، و ينقذه من ثوره و شيكه، و كان الإمام قد نصحه قبل ذلك مرات عديدة و كانت هذه في الأواخر.. فقال له الإمام:

- «إن الناس ورائي، و قد استسفروني بينك و بينهم.

و و الله ما أدري ما أقول لك! ما أعرف شيئاً تجهله، و لا أدلك على أمر لا تعرفه. إنك لتعلم ما نعلم. ما سبقناك إلى شيء فنجرك عنه، و لا خلونا بشيء فنبلغكه، و قد رأيت كما رأينا، و سمعت كما سمعنا، و صحبت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كما

ص: ٢٩٩

١- علي إمام المتقين: ج ١، ص ١٥١

صبحنا.. فالله.. الله.. فى نفسك، فإنك و الله ما تبصر من عمى، و لا تعلم من جهل، و إن الطرق لواضحه، و إن أعلام الدين لقائمه.

«فاعلم أن أفضل عباد الله، عند الله: إمام عادل هدى و هدى فأقام سنّه معلومه، و أمات بدعه مجهوله، و إن السنن لثيره، لها أعلام و إن البدع لظاهره لها أعلام. و إن شرّ الناس عند الله: إمام جائر ضلّ و ضلّ به، فأمات سنّه مأخوذه، و أحيا بدعه متروكه. و إنى سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول:

«يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر، و ليس معه نصير و لا- عاذر، فيلقى فى نار جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى، ثم يرتبط فى قعرها».

«و إنى أنشدك الله ألا تكون إمام هذه الأمّة المقتول، فإنه كان يقال: يقتل فى هذه الأمّة إمام يفتح عليها القتل و القتال إلى يوم القيامة، و يلبس أمورها عليها، و يبتّ الفتن فيها، فلا يبصرون الحق من الباطل، يمجون فيها موجا، و يمرجون فيها مرجا».

«فلا تكونن لمروان (بن الحكم) سيّقه، ليسوقك حيث شاء بعد جلال السنن، و تقضى العمرا!».

فقال عثمان للإمام: «كلم الناس في أن يؤجلوني، حتى أخرج إليهم من مظالمهم..»

فقال علي عليه السلام: «ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، و ما غاب فأجله وصول أمرك إليه»^(١).

و لقد بقى الإمام ناصحا لعثمان بالرغم من أن عثمان نفى الإمام إلى خارج المدينة، ثم عند ما اشتدت المعارضة عليه طلب الإمام للتوسط بينه وبين الناس، و تهدئتهم، ثم حينما ازداد هتاف الناس باسم الإمام للخلافه، طلب عثمان من عبد الله بن عباس أن يوصل إلى الإمام رساله من عثمان و هو محصور في دار الإمارة يأمره عليه السلام بالخروج من المدينة إلى «ينبع» ليقبل هتاف الناس باسمه.. فقال الإمام:

- «يا ابن عباس.. ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جملا ناصحا بالغرب، أقبل و أدبر!. بعث إليّ أن أخرج فخرجت، ثم بعث إليّ أن أقدم، ثم هو الآن يبعث إليّ أن أخرج؟»

«و الله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما»^(٢).

ص: ٣٠١

١- العقد الفريد: ج ٤، ص ٣٠٨.

٢- الإمامه و السياسه: ج ١، ص ٦٧.

و بعد مقتل عثمان، كتب الإمام رساله إلى أهل الكوفه يخبرهم بما جرى و ذكر فيه: «أما بعد فإنني أخبركم عن أمر عثمان، حتى يكون سمعه كعيانه، إن الناس طعنوا عليه، فكنت رجلا من المهاجرين أكثر استعبابه، و أقلّ عتابه».

ص: ٣٠٢

المقدمه ٧

أخلاقيات المؤمن ٩

التقوى و الإخلاص ١١

الالتزام بالأخلاق الفاضله ٤٠

اليقين ٧٠

الزهد ٨٦

التواضع ١٣٧

المبادره ١٥٠

الوفاء ١٥٩

التضحيه ١٦٥

العطاء ١٧١

الشجاعه ١٨٥

ص: ٣٠٣

قضاء حوائج الناس ٢١٤

الإيثار ٢٣٠

الحلم ٢٣٧

العمل اليدوى ٢٤٥

التوازن بين الدنيا و الآخره ٢٥١

الدعابه ٢٦٧

أخلاقيات المعارضه ٢٧١

ص:٣٠٤

پدیدآوران: مدرسی، هادی (نویسنده)

اخلاقیات الامام علی امیر المومنین (علیه السلام)

عنوان های دیگر: قراءه فی تعاملات الإمام من موقع المؤمن الصادق و المعارض المخلص، و الحاكم العادل

ناشر: دار العلوم

مکان نشر: بیروت - لبنان

سال نشر: ۱۴۳۱ ق یا ۲۰۱۰ م

چاپ: ۱

موضوع: اخلاق اسلامی

علی بن ابیطالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - اخلاق

علی بن ابیطالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - خطبه ها

زبان: عربی

تعداد جلد: ۳ ج

کد کنگره: ۳۷/۴ BP / م ۴ الف ۳

ص: ۱

أخلاقيات الإمام على أمير المؤمنين عليه السلام

قراءه فى تعاملات الإمام من موقع المؤمن الصادق و المعارض المخلص، و الحاكم العادل

هادى المدرسى

الجزء الثانى

ص: ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
(٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

ص: ٥

أخلاقيات الحاكم

ص: ٧

ينقسم المجتمع البشرى، بشكل عام، إلى فئتين: حاكمين و محكومين، أئمه و أمم، أمراء و شعوب، و علاقته الممكنه بين الطرفين لا تتعدى تصورات ثلاث:

إما الاستبداد، و إما الفوضى، و إما الشورى.

فإذا كانت العلاقة تقوم على أساس أن للحاكم امتيازات من دون أن تكون عليه التزامات، و إن له حقوقا، و ليست عليه واجبات، و أن من حقوقه أن يقتر، و من واجب الناس أن يطيعوه، كانت علاقته حينئذ مثل علاقته بين مجموعه من «القاصرين» و بين «قيمهم».. و كان الاستبداد!

أما إذا كانت علاقته بدون أسس بين الطرفين، فهى الفوضى.

و فيما إذا بنيت الأسس برضا الطرفين، و ضمن حدود «تقابل الحقوق و الواجبات» فهى الشورى.

و فى الحق.. لا بديل عن الاستبداد.. إلا الشورى.

و لا بديل عن الفوضى.. إلا الشورى.

و لا بديل عن الشورى.. إلا الفوضى أو الاستبداد.

فالشورى هى الملجأ، و هى الحل، و غيرها باطل الأباطيل، و قبض الريح.. فمن استبدّ برأيه هلك (١)

و «الاستشاره عين الهدايه»، و قد خاطر من استغنى برأيه (٢)

وَ أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ (٣) لأنه «ما تشاور قوم إلا هدوا إلى رشدهم» (٤).

و إذا كان «حق على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأى العقلاء و يضمّ إلى علمه علوم الحكماء فى الأمور الشخصيه، و القضايا العاديه فكيف فى الأمور العامه، و قضايا الناس» (٥)؟

و لقد وضح الإمام على عليه السلام رأيه الصريح فى هذه المسأله قائلا: «ما هلك امرؤ عن مشوره، و نعم المؤازره المشاوره، و من استقبل وجوه الآراء عرف مواضع الخطأ:» و قد قال

ص: ١٠

١- غرر الحكم و درر الكلم.

٢- النهايه فى غريب الحديث: ج ٣، ص ٤٢١.

٣- سوره الشورى، الآيه: ٣٨.

٤- نور الثقلين: ج ٤، ص ٥٨٤.

٥- غرر الحكم و درر الكلم.

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ما ندم من استشار». فاعلموا أن الخطأ مع الاستشارة خير من الصواب مع الاستبداد. فتعوذوا من سكرات الاستبداد بصحوات الاستشارة، واعلموا أن الرأي يسد ثلم السيف، و السيف لا يسد ثلم الرأي. فلا يرفع أحدكم صوته بغير حجّة على أحد، و اعلموا أن الظفر لمن احتجّ، لا لمن لجّ»(١).

ثم إنه عليه السّلام بيّن عله الأمر بالمشاوره فقال: «إنما حضّ على المشاوره لأن رأى المشير هدف، و رأى المستشار مشوب بالهوى(٢)، و لقد جاء فى التوراه: «من لا يستشير يندم»(٣).

إذن «من شاوور ذوى العقول، تأمن من الزلل و الندم»(٤).

و جاء فى حديث للإمام قال: «قلت يا رسول الله.. إن عرض لى أمر لم ينزل فيه قضاء فى أمره، و لا سنّه فكيف تأمرنى؟

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «تجعلونه شورى بين أهل الفقه و العابدين من المؤمنين و لا تقضى فيه برأى خاصه»(٥) و يقول أيضا: «بعثنى

ص: ١١

١- على إمام المتّقين: ج ٢، ص ٣٤.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٠٠.

٤- غرر الحكم و درر الكلم.

٥- كنز العمّال: خ ١٤٤٥٦.

رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن، فقال وهو يوصيني: «يا عليّ: ما حار من استخار، ولا ندم من استشار»^(١).

وقد روى عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم قوله: «إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاؤكم، وأموركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها»^(٢).

وروى عنه أيضا: «من جاءكم يريد أن يفرق الجماعة، ويغصب الأئمة أمرها، ويتولّى من غير مشوره فاقتلوه، فإن الله قد أذن ذلك»^(٣).

«و المراد المشوره فى التصدى لأصل الولايه لا- المشوره فى أعمالها لأن الأمر فى الآيه الشريفه «و أمرهم». و فى الروايات ينصرف إلى الحكومه»^(٤).

و هكذا فإن الدوله فى الإسلام مبنيه على الشورى فى كل شؤونها، و من الضرورى تحكيم الشورى فى الدوله الإسلاميه، و فى العالم أجمع، فيجب أن تكون كل الأمور من القرية إلى العاصمه و مرورا بالمعمل و المصنع و المطار

ص: ١٢

١- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٠٠.

٢- تحف العقول: ص ٣٦.

٣- عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٦٢.

٤- دراسات فى ولايه الفقيه: ص ٤٩٧.

و اتحاد الطلبة و المدارس و الجامعات و غيرها مبنيه على الشورى(١). «الشورى تنتهى بالمجتمع إلى القمه، و الاستبداد ينزل به إلى الحضيض»(٢).

و السؤال الآن هو: علام تقوم الشورى؟ و ما هى مفرداتها؟

و الجواب: إن حكم الشورى يعتمد على أسس أربعه:

الأول - تأمين الحريات، بما فيها حرية إبداء الرأى، و حرية الاجتماع، و حرية التنظيم، و حرية المعارضة(٣).

الثانى - حاكميه الناس. و حقهم فى اختيار الوالى، و حقهم فى تقرير مصائرهم فى الحرب و السلام، و ضروره خضوع الأقلية للأكثرية.

الثالث - قداسه القانون، و مساواه الناس أمامه حاكمين و محكومين.

الرابع - احترام حقوق الإنسان، باعتبار أن الله جعل الإنسان «خليفه» فى الأرض، بما فى ذلك حقوق الإنسان الاقتصاديه، و الاجتماعيه و الشخصيه..

تلك هى الأسس التى اعتمدها الإمام على عليه السلام فى

ص: ١٣

١- الصياغه الجديده: ص ٤٧٩.

٢- المصدر السابق.

٣- نهج البلاغه: الخطب، ص ٢١٦.

حكمه. و سنرى فيما يلى كيف اعتمد الإمام على عليه السلام هذه الأسس ليس من خلال الحديث و القول، بل من خلال العمل و الموقف..

حقوق متبادله:

المبدأ الأساسى الذى بنى عليه الإمام على عليه السلام حكمه هو مبدأ «الترايط بين الحق و الواجب». فالحاكم ليس سيدا على الناس، لأن سيدهم هو الله تعالى فحسب، و الله وحده هو الأحد الصمد الذى لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوءا أحد»، فأى «حق» للحاكم، يقابله «واجب» عليه يساويه فى الأهميه، إذ ليس الحكم «منحه» من أحد لأحد، بل هو موقع يحتله أكفأ الناس، لكى يؤدى حقوق الناس بأفضل مما يمكن أن يؤديه غيره..

يقول الإمام على عليه السلام فى خطبه له عليه السلام خطبها بين أصحابه: «أما بعد فقد جعل الله سبحانه لى عليكم حقا بولايه أمركم، و لكم على من الحق مثل الذى لى عليكم.. فالحق أوسع الأشياء فى التواصف و أضيقتها فى التناصف، لا يجرى لأحد إلا جرى عليه، و لا يجرى عليه إلا جرى له، و لو كان لأحد أن يجرى له و لا يجرى عليه لكان ذلك خالصا لله سبحانه

ص: ١٤

دون خلقه، لقدرته على عباده، و لعدله فى كل ما جرت عليه صروف قضائه، و لكنّه جعل حقه على العباد أن يطيعوه، و جعل جزاءهم عليه مضاعفه الثواب تفضلاً منه و توسعاً بما هو من المزيد أهله.

ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تكافاً فى جوهها و يوجب بعضها بعضاً، و لا يستوجب بعضها إلا ببعض.

و أعظم ما افترض [الله] سبحانه من تلك الحقوق حقّ الوالى على الرعيه، و حقّ الرعيه على الوالى، فريضه فرضها الله سبحانه لكلّ على كلّ، فجعلها نظاماً لالفتهم و عزّاً لدينهم.

فليست تصلح الرعيه إلا بصلاح الولاه و لا تصلح الولاه إلا باستقامه الرعيه، فإذا أدت الرعيه إلى الوالى حقه و أدى الوالى إليها حقه، عزّ الحقّ بينهم، و قامت مناهج الدين، و اعتدلت معالم العدل، و جرت على أذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان و طمع فى بقاء الدوله، و يئست مطامع الأعداء.

و إذا غلبت الرعيه و اليها أو أجحف الوالى برعيته هتالك الكلمه، و ظهرت معالم الجور، و كثر الإدغال فى الدين، و تركت محاج السنن، فعمل بالهوى و عطّلت الأحكام، و كثرت علل النفوس؛ فلا يستوحش لعظيم حقّ

عطل، و لا لعظيم باطل فعل، فهناك تذلل الأبرار و تعز الأشرار، و تعظم تبعات الله سبحانه عند العباد.

فعلیکم بالتناصح فی ذلك و حسن التعاون علیه، فليس أحد - و إن اشتدّ علی رضا الله حرصه، و طال فی العمل اجتهاده - ببالغ حقیقه ما الله سبحانه أهله من الطاعة له.

و لكن من واجب حقوق الله سبحانه علی العباد النصیحه بمبلغ جهدهم، و التعاون علی إقامة الحقّ بینهم.

و ليس امرؤ - و إن عظمت فی الحق منزلته، و تقدّمت فی الدين فضیلته - بفوق أن یعان علی ما حمّله الله من حقّه، و لا امرؤ - و إن صغرت النفوس، و اقتحمت العیون - بدون أن یعین علی ذلك أو یعان علیه» (١).

و ما يمكن استخلاصه من هذه الخطبه يؤكد ما يلي:

أولاً: إن هنالك تقابلاً بين الحقوق و الواجبات فالحق «لا یجری لأحد إلا جری علیه، و لا یجری علیه إلا جری له». و هذا مبدأ ثابت بین العباد. أمّا بینهم و بین الله، فهو و إن لم یکن جارياً کواجب إلا - أنه جار کلطف من الله تعالى حيث جعل الله «حقه علی العباد أن یطیعوه، و جعل جزاءهم علیه مضاعفه الثواب تفضلاً منه و توسّعاً».

ص: ١٦

١- نهج البلاغه: الخطب، ص ٢١٦.

ثانيا: إن الحقوق المتبادله بين العباد هي أمور مقدسه، ليس لأحد مصادرتها من أحد، لأنها من حقوق الله تعالى، فقد «جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض الناس على بعض».

ثالثا: إن الحقوق متكافئه، فإذا أدى أحد الأطراف ما عليه كان له أن يطالب بجزائه، أمّا إذا لم يؤدّ ما عليه، فليس له أن يطالب بحقه. فكل حق يوجب حقا، وإذا لم يكن هنالك حق فلا يوجب شيئا. «فجعلها متكافأ في وجوهها، و يوجب بعضها بعضا، و لا يستوجب بعضها إلا ببعض».

رابعا: إن حق الحاكم على الناس، يقابله حق الناس على الحاكم، «و أعظم ما افترض الله سبحانه من تلك الحقوق: حق الوالى على الرعيه، و حق الرعيه على الوالى». و هي «فريضه فرضها الله سبحانه لكل» طرف «على كل» طرف.

و هذا التبادل فى الحقوق هو «النظام» الذى يمنع الفوضى، و التمزق، «فجعلها نظاما لإلفتهم، و عزا لدينهم»، فإذا أدى كل طرف ما عليه للطرف الآخر، قامت الدوله على الحق، و تحقق العدل «فإذا أدت الرعيه إلى الوالى حقه، و أدى الوالى إليها حقه عَزَّ الحق بينهم، و قامت مناهج الدين، و اعتدلت معالم العدل و جرت على إذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، و طمع فى بقاء الدوله و يئست الأعداء»،

و واضح أنّ أداء الحقوق من الأطراف يؤدّي إلى التماسك الداخلي، و الذى بدوره يجعل العدو الخارجى ضعيفا أمامه.

أمّا إذا لم يؤدّ الطرفان: الحاكم و المحكومين، حقوق الطرف الآخر، فإنه يظهر الخلاف، و يختلّ ميزان العدل.

«و إذا غلبت الرعيه و اليها، و أجحف الوالى برعيته، اختلفت هنالك الكلمه و ظهرت معالم الجور، و كثر الإدغال فى الدّين، و تركت محاجّ السنن، فعمل بالهوى، و عطّلت الأحكام، و كثرت علل النفوس».

إذ إن كل طرف يتآمر على الطرف الآخر، و حينما تدخل الدوله فى دائره التآمر المتقابل بين الرعيه و الراعى، ينسحب الطيبون و ينجح الأشرار. «فهناك تذلّ الأبرار، و تعزّ الأشرار، و تعظم تبعات الله سبحانه عند العباد».

خامسا: إن الحقوق المتبادله بين الحاكم و المحكومين، لا تستثنى أحدا فليست الشورى عند الإمام خاصه بفئه دون أخرى، و لا الحاكم - مهما كانت مكانته فى العلم و الكفاءه و المقدره الإداريه - ممّن يجوز أن تسلم إليه مقاليد الأمور من غير ما تعاون جاد بينه و بين الناس.

«فليس أحد - و إن اشتدّ على رضا الله حرصه، و طال فى العمل اجتهاده - ببالغ حقيقه ما الله سبحانه أهله من الطاعه له،

و لكن من واجب حقوق الله سبحانه على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم، و التعاون على إقامة الحق بينهم».

«و ليس امرؤ و إن عظمت فى الحق منزلته، و تقدّمت فى الدين فضيلته بفوق أن يعان على ما حمّله الله من حقّه».

«و لا امرؤ و إن صغّرت النفوس و اقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك، أو يعان عليه».

أما ما هى «حقوق الراعى» و ما هى «حقوق الرعية».

فقد ذكرها الإمام على عليه السّلام فى كلماته التاليه: «أيّها الناس إن لى عليكم حقًا، و لكم على حق، فأما حقّكم على فالنصيحه لكم، و توفير فيئكم عليكم، و تعليمكم كيلا تجهلوا، و تأديبكم كيما تعلموا».

«و أمّا حقّى عليكم فالوفاء بالبيعه، و النصيحة فى المشهد و المغيب، و الإجابة حين أدعوكم، و الطاعه حين آمركم»^(١).

و واضح أن «العدل» و النصيحة للناس، هو الحق الأول الذى يجب على الراعى رعايته، ثم يأتى توفير الفىء، و التعليم و التريه كحقوق للرعية، و فى المقابل «الوفاء بالبيعه» و النصيحة و الإجابة، و الطاعه هى حقوق الراعى.

إنما كل ذلك فى ظل القانون، فالوالى ليس هو من يعمل

ص: ١٩

بالهوى و على الناس إطاعته، فليس من حقّه أن يكون مشرّعا، و تحوّل أوامره إلى قوانين، و أهواؤه إلى دساتير.. كما ليس من حقه أن يصادر حرّيات الناس فى أى مجال من المجالات لأن ذلك ينفى عنه العدل، و بذلك يسقط حقّه فى الطاعه..

فالحقوق متكافئه بين الطرفين..

اساسات حكم الشورى

الأول – تأمين الحرّيات:

توضيح

أساسا يولد الإنسان حرّاً، و ميّزته على الكائنات الأخرى هى «حرّيته» فلا يجوز له أو لغيره أن يتجاهلها، لأن الحرّيه ليست حقا، بل هى واجب و لذلك كان الإنسان مسؤولا فى الحياه..

يقول الإمام على عليه السّلام: «لا- تكن عبد غيرك، و قد جعلك الله سبحانه حرا(١)، و يقول: «لا- تكوننّ عبد غيرك فقد جعلك الله سبحانه حرا، فما خير خير لا ينال بشر، و يسر لا ينال إلا لعسر»(٢).

و يقول «أيها الناس.. إنّ آدم لم يلد عبدا، و لا أمه، و أن الناس كلهم أحرار»(٣).

ص: ٢٠

١- غرر الحكم و درر الكلم.

٢- المصدر السابق.

٣- نهج السعاده، ج ١، ص ١٩٨.

و يقول: «الناس كلهم أحرار، إلا من أقرّ على نفسه بالعبوديّة»(١).

إنّ ربنا لم يقرر لأنبيائه مصادره حريه الناس، فهو القائل:

وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ (٢)، و القائل: فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢)(٣)، و القائل: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ (٤) ..

فهل يجوز لغيرهم ذلك؟! ثم إن الحريات للإنسان، ليست محدّده، بل تشمل كل جوانب حياته، و الأصل في كل أموره هو «الحريه» أمّا الاستثناء فهو يرجع إلى حقّ الآخرين في الحريه ذاتها.

فكل إنسان حرّ، و لكنه ليس حرّا في مصادره حرّيات الآخرين.

و كل إنسان حرّ في أن يعمل ما يريد، و لكنه ليس حرّا في التجاوز على حقوق الآخرين..

ثم إن «الحرّيات العامه تشمل: الحريه الفكرية، فلكل

ص: ٢١

١- الصياغه الجديده: ص ٣١٠.

٢- سوره ق، الآيه: ٤٥.

٣- سوره الغاشيه، الآيتان: ٢١-٢٢.

٤- سوره البقره، الآيه: ٢٥٦.

إنسان الحق فى أن يؤمن بما يعتقد به، و الحريه الاقتصاديه، و الحريه السياسيه»(١).

و الذى يهمننا الآن هى الحريات السياسيه و التى تشمل الأمور التاليه:

١ - حريه إبداء الرأى.

٢ - حريه الاجتماع و التنظيم.

٣ - حريه المعارضه.

الحريات السياسيه

أولا - حريه إبداء الرأى:

لم يكن الإمام على عليه السلام يسمح لأحد بإبداء رأيه فحسب، بل كان يطلب منه ذلك معتبرا إياه جزءا من العلاقه بين الحاكم و المحكوم، و واجبا من واجبات الرعيه تجاه الراعى..

يقول عليه السلام: «فلا تكفوا عن مقاله بحق، أو مشوره بعدل، فأنى لست فى نفسى بفوق أن أخطىء، و لا آمن ذلك من فعلى، إلا- أن يكفى الله من نفسى ما هو أملكك به منى فإنما أنا و أنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره، يملك منا ما لا، نملك من أنفسنا».

«و لا تظنوا بى استتقالا فى حق قيل لى، و لا التماس

ص: ٢٢

١- الصياغه الجديده: ص ٣١٣.

إعظام لنفسى، فإنه من استثقل الحق أن يقال له، أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه»(١).

و هكذا فإن «إبداء الرأى» حق أساسى للرعيه فى أمورهم، و ربما يكون واجبا من واجباتهم تجاه الراعى.. «فلا تكفوا عن مقاله بحق، أو مشوره بعدل»(٢).

و لقد عوّد الإمام أصحابه على «إبداء الرأى» على عكس ما كان يفعله أعداؤه.. فمثلا معاويه بن أبى سفيان كان يمنع الناس عن إبداء آرائهم فهو «الآمر» و هم «المأمورون». و هو الحاكم و هم المحكومون. و هو الذى يفكر و يقرّر، و عليهم السمع و الطاعه.

و قد روى فى ذلك أن الحجاج بن الضمّه دخل على معاويه فى بدايه تمرّده على الإمام فقال له: «إنى أخبرك يا أمير المؤمنين إنك تقوى على علىّ بدون ما يقوى به عليك، لأن معك قوما لا يقولون إذا قلت، و لا يسألون إذا أمرت. و إن مع علىّ قوما يقولون إذا قال، و يسألون إذا أمر، فقليل ممّن معك خير من كثير ممّن معه»(٣)!

إنّ «للرأى» قدسيته، و إن الموت دونه من أجل الحقّ،

ص: ٢٣

١- نهج البلاغه: الخطب، ص ٢١٦.

٢- المصدر السابق.

٣- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٣.

يجعل صاحبه شهيدا لأن «من قتل دون حقه فهو شهيد، و من مات دون مظلمه فهو شهيد، و من مات دون كلمه الحق فهو شهيد، و أفضل من ذلك كلمه حق عند إمام جائر» - كما يقول الحديث الشريف - .

ثانيا - حزيه الاجتماع و التنظيم:

فيما يرتبط بعمل الخير، و السعى لمصلحه الناس، فإن التنظيم ليس جائزا فحسب، بل هو مستحب أيضا. يقول الله تعالى:

و لَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يُأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)(١).

و يقول: فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ (٢).

«فحق التجمع و التنظيم و تشكيل الجمعيات و المنظمات و الأحزاب مكفول في الإسلام، فقد جعل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و سَلَّمَ المهاجرين و الأنصار جماعتين.. و يستفاد من أحاديث متعدده أنه كلما ضغطت عليه جماعه منهما كان يلتجئ إلى الجماعه

ص: ٢٤

١- سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

٢- سورة التوبه، الآية: ١٢٢.

الأخرى، ففي حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيَا، وَ سَلَكَ الْأَنْصَارُ وَادِيَا..»(١).

و لقد بقي كل من الأنصار و المهاجرين كحزبين إلى عصر أمير المؤمنين عليه السّلام، و كان لهما مظاهر حزبين مستقلين حتى في الحروب «فكانت رايه الأنصار يوم صفين بيد «قرظ» و هو من صحابه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»(٢).

و إذا كان التنظيم مشروعاً، فهل يبقى «الاجتماع» محرماً؟

ثالثاً – حريه المعارضة:

سنرى فيما بعد أن انتخاب الحاكم هو حق من حقوق الناس و من ثم فإنّ عزله أيضاً حق من حقوقهم.. و لا شك أن ذلك لا يمكن أن يتمّ إلا إذا كان حق المعارضة مكفولاً..

و إلا كيف يتمّ عزل الحاكم لو لم تسبقه المعارضة؟

إلا أنّ المعارضة بحدّ ذاتها مشروع، و قد مارسها المسلمون الأولون بكلّ حريه. فابتداءً من أمير المؤمنين عليه السّلام الذي رفض البيعه بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى ما بعد وفاه فاطمه الزهراء عليهم السّلام، و مروراً بأبي ذرّ الذي رفع رايه المعارضه، و انتهاءً بسماع الإمام عليه السّلام لمعارضته من قبل الخوارج، كل

ص: ٢٥

١- الصياغه الجديده: ص ٣٣٨.

٢- الصياغه الجديده: ص ٣٣٩.

ذلك يدلّ على مشروعيه المعارضه، للأفراد و للجماعات معا..

الثانى - حاكميه الناس:

الحكم، أى حكم، هو للناس، لا- عليهم. فالحاكميه لهم دون غيرهم. و لا يجوز تقرير مصائر الناس من دون رضاهم، و لا تعيين والى من غير اختيارهم.

فحكم الشورى، يعنى حق الناس اختيار الحاكم، و النظام الذى يحكمهم كما يعنى حقّهم فى عزل الحاكم، و تغيير النظام الذى يحكمهم، ضمن إطار القانون..

و حكم الشورى يعنى أيضا مشاركة الناس فى إداره أنفسهم، و فى تقرير مصيرهم فى السلم و الحرب و فى كل ما يمسّ شؤونهم..

و نظرا إلى أنّ معنى حريه الناس فى التنظيم و حقّهم فى المعارضه أن يختلفوا، فإن من غير المتوقع إجماع الناس دائما على أمر واحد، و رأى واحد، فإنّ «رأى الأكثرية» سيكون هو المرجّح، و من هنا ضروره خضوع الأقلية للأكثرية فى الشؤون العامه، أمّا فى الشؤون الخاصه فلكل إنسان رأيه و حقّه الخاص به.

يقول الإمام على عليه السّلام: «الواجب فى حكم الله و حكم

الإسلام على المسلمين، بعدما يموت إمامهم، أو يقتل ضالاً أو مهدياً، أن لا يعملوا عملاً، و لا يقدموا يدا و لا رجلا قبل أن يختاروا لأنفسهم إماماً عفيفاً، عالماً، ورعاً، عارفاً بالقضاء و السنّه يجبي فيّهم و يقيم حجمهم، و جمعهم، و يجبي صدقاتهم(١).

فالمسلمون هم الذين يختارون إمامهم، و لا يفرض عليهم فرضاً، و لقد جاء اختيار المسلمين للإمام عليه السّلام عن رغبه و حريه كامله.. فعندما جاؤوا إليه بعد مقتل عثمان قال لهم: «دعوني و التمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان، لا تقوم له القلوب، و لا- تثبت عليه العقول و إن الآفاق قد أعامت، و الحجّه قد تنكّرت. و اعلموا أنّي إن أجبتكم، ركبت بكم ما أعلم (أى طبقت فيكم الحق بلا- تمييز) و لم أصغ إلى قول القائل، و عتب العاتب، و إن تركتموني، فأنا كأحدكم، و لعلّي أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم، و أنا لكم وزيراً خيراً لكم منّي أميراً»(٢).

و في طريقه البيعه للإمام ذكر المؤرّخون أنه بعد مقتل الثالث جاءه المسلمون، و فيهم زعماء أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم من المهاجرين و الأنصار، و الذين اتّبعوهم بإحسان، و الذين

ص: ٢٧

١- كتاب سليم بن قيس: ص ١٨٢.

٢- الكامل: ج ٣، ص ١٩٣.

جاؤوا من مصر و الكوفه و البصره و غيرها، فقالوا يا أبا الحسن هل نباعك؟ فقال عليه السلام: لا حاجه لى فى أمركم، فقالوا: ما نختار غيرك فاختلفوا إليه مرارا و تكرارا، و أصرّوا عليه إصرارا، و خرج عليه السلام إلى السوق فاتبعه الناس و أصرّوا عليه، فدخل حائط بنى عمرو و قال لأبى عمره: اغلق الباب فجاء الناس فقرعوا فدخلوا و فيهم طلحه و الزبير، فقالا: يا على ابسط يدك فباعه طلحه و الزبير و ثم الآخرون(١).

و لقد قال الإمام فيما بعد:

«و الله ما كانت لى فى الخلافه رغبه، و لا فى الولاية إربه و لكنكم دعوتمونى إليها، و حملتمونى عليها، فلما أفضت إلى نظرت إلى كتاب الله و ما وضع لنا، و أمرنا بالحكم به فاتبعته، و ما استنّ النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم فاقتديته»(٢).

و قال أيضا: «إنى ما أكرهت أحدا على البيعه»(٣).

فقد رفض البيعه عبد الله بن عمر، و جماعه أخرى من أمثاله فلم يجبرهم الإمام على البيعه، بل تركهم و شأنهم(٤).

ص: ٢٨

١- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ٤٢٩.

٢- نهج البلاغه: الخطب، ص ٢٠٥.

٣- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢٧٠.

٤- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ٤٣١.

و هكذا كان الإمام يرى مشروعيه حكمه بانتخاب الناس له، لا فرضه عليهم..

و هذا يعنى أن الأصل هنا هو رأى الناس فى انتخاب الحاكم، و حقّهم فى تعيين الوالى، و الخليفة، دون غيرهم..

و كما للناس حقّ اختيار «الوالى» و «الإمام»، فإن لهم حق المشاركة فى الحكم، عبر الأخذ بآرائهم فيما يرتبط بمصائرهم من أمور هامّه تترك الأثر على حياتهم..

و لقد اعتاد الإمام على عليه السّلام على استشاره الناس فى مثل تلك الأمور، معتبرا ذلك حقا من حقوق الرعية، و هو القائل:

«ألا- و إن لكم عندى (أى حقّكم على) ألا- أحتجز دونكم سرا إلا- فى حرب، و لا أطوى (أمنع) دونكم أمرا إلا فى حكم، و لا أوخر لكم حقا عن محله، و لا أقف به دون مقطعه»(١).

و لكم يجد الباحث موارد فى حياه الإمام على عليه السّلام أيام خلافته كان الإمام يستشير فيها أصحابه، و يخضع لمشاوراتهم و آرائهم، بالرغم من أنه عليه السّلام كان له رأى آخر، و بالرغم من أن رأيه كان الأصوب، حسب النتائج.

ص: ٢٩

فمثلا قبيل معركة صفين جمع الإمام من كان معه من المهاجرين والأنصار، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإنكم ميامين الرأى، مقاويل بالحق، أهل الحلم، مباركو الفعل و الأمر، و قد أردنا المسير إلى عدونا و عدوكم فأشيروا علينا برأيكم».

فقام عمار بن ياسر فقال بعد أن حمد الله و أثنى عليه: «يا أمير المؤمنين إن استطعت ألا تقيم يوما واحدا فافعل، اشخص بنا قبل استعار نار الفجره و اجتماع رأيهم على العدوان و الفرقة، و ادعهم إلى رشدهم، فإن قبلوا سعدوا، فإن أبوا إلا حربنا فو الله إن سفك دماءهم، و الجدد في جهادهم لقربه عند الله».

فقال الإمام: «لله درك يا عمار. سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: إن عمارا ملئ إيمانا إلى مشاشه (رؤوس العظام كالمرفقين و المنكبين و الركبتين). و كان عمار إذا استأذن على النبي صلى الله عليه و آله و سلم يقول: ائذنوا له. فإذا دخل استقبله صلى الله عليه و آله و سلم بقوله:

مرحبا بالطيب المطيب».

فلما فرغ الإمام من الثناء على عمار، قام سعد بن قيس بن عباده فقال: «يا أمير المؤمنين. عجل بنا إلى عدونا، فو الله لجهادهم أحب إلى من جهاد الترك و الروم لإدهانهم في دين

اللّٰه، و استذلالهم أولياء اللّٰه من أصحاب محمد صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم من المهاجرين و الأنصار و التابعين يا حسان! إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيّروه (نفوه)، و فيئنا لهم فى أنفسهم حلال، و نحن لهم فيما يزعمون قطين (أى رقيق و عبيد)».

ثم قام سهل بن حنيف فقال: «يا أمير المؤمنين. نحن سلم لمن سالمت و حرب لمن حارب. و رأينا رأيك. و نحن كفّ يمينك، و قد رأينا أن تقوم بهذا الأمر فى أهل الكوفة، فتأمرهم بالشخص، و تخبرهم بما صنع اللّٰه لهم فى ذلك من الفضل، فإنهم هم أهل البلد و هم الناس. فإن استقاموا لك استقام لك الذى تريد و تطلب. و أما نحن صحابه رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم، فليس عليك منّا خلاف، متى دعوتنا أجبناك، و متى أمرتنا أطعناك»^(١).

و بعد أخذ وردّ، اتفق رأى الأكثرية منهم على المسير إلى الشام، و هكذا كان..

فلم يصدر الإمام أمرا «ملكيا» أو «جمهوريا» أو «إماميا» بإعلان الحرب، و يفرض على أصحابه الخضوع له، و يعاقب بالإعدام كل من يخالف.

ص: ٣١

١- على إمام المتّقين: ج ٢، ص ١٢-١٣.

إنّ الحرب فيها مصائر الناس، فكيف يمكن إعلانها بدون أخذ آرائهم فيها، و مشورتهم حولها؟

و الغريب أن الإمام بالرغم من رأيه الشخصى فى الحرب مع معاويه، و بالرغم من رأى الأكثرية من أصحابه معه، إلا أنه تريث فى ذلك لكى يتم الحجّه على معاويه، حتى إذا أبطأ عن ذلك، اجتمع إليه عليه السّلام بعض أصحابه، و جرت بينهم المداولة التالىة:

قال رجل من أهل الكوفة: «متى يقودنا أمير المؤمنين لنغزو الشام قبل أن يغزونا معاويه»؟.

و قال آخر: «تعلمنا من الإمام أنه ما غزى قوم فى دارهم قطّ إلا ذلّوا..»؟.

فأجابه شيخ: «دع الأمر للإمام فهو أدرى بالأمر منّا».

فارتفع صوت: «لا و الله لا يصنع بنا كما يصنع معاويه بأصحابه: يأمرهم فيطيعون، دون أن يفقهوا! إن لنا فى الأمر رأيا، و قد علمنا أمير المؤمنين أنه ما خاب من استشار، و أن من استشار الرجال شاركهم فى عقولهم. لا و الله لا يبرم أمرا دوننا أبدا»(١). يعنى ذلك أن أصحاب الإمام قد تعودوا بسبب

ص: ٣٢

١- المصدر السابق: ص ٢٠.

ما، أن لهم الحق في الأخذ بآرائهم، ولهم الحق في رفض القرار إذا لم يؤخذ بها! فلم يجبرهم الإمام على ذلك..

وقد حدث أكثر من مرّة أن بعض من كان معه، لم يكن له رأى موافق مع الحرب، فكان ينوى الاعتزال فلم يجبره الإمام.. من ذلك، «أن جماعه لم تحب الخروج معه إلى الشام وقد أفصحت عن ذلك، فسمح لهم الإمام بأن يعتزلوا الأمر» ثم شعر عليه السيّد إمام أن جماعه أخرى لا تحب الخروج ولكنها لا تفصح عمّا فى أعماقها تحرّجا وحياء منه. فذهب إليهم، وقال لهم: «خذوا عطاءكم، وارجعوا إلى الدّيلم» فحمدوا الله إليه، وهكذا أرسل الجماعات التي لا تريد أن تنغمس فى القتال، إلى حدود البلاد ليحموا الثغور مع حمايتها مما عسى أن يتهدّدها من الأعداء. ولم يغضب أحدا لأنه أبى الخروج معه..⁽¹⁾.

إن ترسيخ دعائم الشورى، كانت عند الإمام أهمّ بكثير من إحراز الانتصار. ذلك أن «الشورى» مبدأ من مبادئ الحكم وقيمه من القيم الدينيه، و«مثل» من المثل الإنسانيه، بينما الانتصار قضيه ماديه وقيه.. فكان الإمام يقدّم القيم على حساب الشخصيه مهما كانت النتائج..

ص: ٣٣

لقد كان الإمام فعلا- بحاجة إلى الرجال، فلم يكن خروج جماعه بالذى لا يؤثر على جيشه، و لكنه لم يكن يجبر الناس على مصائرهم..

لقد خضع الإمام لرأى أصحابه مرات و مرات، حتى قال عليه السلام قولته الشهيره: «أفسدتم على رأى حتى قالت قريش:

إن ابن أبى طالب رجل شجاع و لكن لا علم له بالحرب.

لله أبؤهم! و هل أحد منهم أشد لها مراسا، و أقدم فيها مقاما منى؟ لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين، و ها أنا ذا قد ذرفت على الستين. و لكن لا رأى لمن لا يطاع»(١).

و لقد خضع الإمام لآراء أصحابه فى الظروف الصعبة و العاديه معا إلى درجه أن ذلك أدى إلى تطاولهم عليه، و تمزق صفوف جيشه، غير أن الإمام لم يتراجع عن الأخذ بمشورتهم، و التنازل لمواقفهم، كما لم يصدر أمرا بمنع مناقشتهم له، و ضروره خضوعهم لتعليماته، بل بقى مخلصا لمبدأ قبول آراء الأكتريه، و ضروره المناقشه المستمره، و الحوار الدائم مع أهل الحلّ و العقد منهم..

و لقد حدث فى معارك صفين أن الإمام لاحظ «أن معاويه

ص: ٣٤

١- مروج الذهب: ج ٢، ص ٤٠٣.

يقف على التل تحت الترس الذهبى، يتفقد طريق مؤخرته إلى الشام، لينسحب إذا ما لم يجد حيله إلا الانسحاب..

و شاهد الإمام تدفق الإمدادات و الميره من الشام إلى مؤخره جيش معاويه، فنظر الإمام فى الأمر، فوجد أن معاويه كلما حوصر و نفذت منه الميره جاءه مدد ضخيم من الشام، فالطريق إليها مفتوح.. و إذن، فلا سبيل إلى الانتصار الحاسم على جيش الشام و معاويه ما بقى طريق الميره و الإمداد مفتوحا و مؤمنا.

و أصدر الإمام على أمره إلى أحد أصحابه: «سر فى بعض هذه الخيل فاقطع الميره عن معاويه، و لا تقتل إلا من يحل لك قتله، و ضع السيف موضعه».

و بلغ ذلك معاويه، فدعا أقوى أمراء جيشه و أمره أن يخرج بفرسانه لتأمين الطريق، و لكنه عاد منهزما بعد حين، و قطع الإمام الميره عن جيش الشام.

فجمع معاويه رؤوس جند الشام و أصحابه و قال لهم:

«أتانى خبر من ناحيه من نواحي فيه أمر شديد» فقالوا جميعا:

«يا أمير المؤمنين ليس لنا رأى فى شىء مما أتاك، إنما علينا السمع و الطاعة».

و أراد الإمام على أن يعرف رأى أصحابه من أهل العراق،

فقال: «أيها الناس، إنه أتاني خبر من ناحيه من نواحي» فقال بعضهم: «الرأى لك» وقال آخرون: «يا أمير المؤمنين، إن لنا في كل أمر رأيا، فما أتاك فأطلعنا عليه حتى نشير عليك» فقال علي عليه السلام: «ظفر و الله ابن هند باجتماع أهل الشام له و اختلافكم عليّ، و الله ليغلبنّ باطله حقكم إنما أتاني أن بعض خيلنا قطعت الميره عن معاويه، و ظفرت بفرسانه، و أتى معاويه نبأ هزيمة أصحابه فقال: «يا أهل الشام، إنى أتاني أمر شديد»، فقلّده أمرهم، و اختلفتم عليّ»(١)!

[يقول أحدهم عن طريقه الإمام في التعامل مع أصحابه «كان همّ الإمام أن يعود بالناس إلى شجاعه الرأى، و صدق النصيحة، كما كانوا أيام الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم فالشورى واجبه شرعا، و لا خيار لولى الأمر فيها، بل إنها لتلزمه، و إلا استبدّ برأيه على الناس، و هذا الاستبداد هو ما ياباه الله و رسوله، هو الذى لعننا مقتفيه»!!

إلا أن المستشار مؤتمن كما نصّ الحديث الشريف، فمن واجب من يستشار أن يحسن المشوره، و يخلص فيها و يصدق، و لا يبتغى بها إلا وجه الله و مصلحه الأُمه فحسب.

«و فى الحق أن أمير المؤمنين عليه السلام استشار حتى أسرف

ص: ٣٦

١- على إمام المتّقين: ج ٢، ص ٩٠-٩١.

عليه المشيرون، و تطوع آخرون بالمشوره و الرأى دون سؤال..

و عودهم الإمام على الرغم من هيئته أن يبدوا له حتى هواجس النفوس، و رأى أن هذا أجدى من القمع و من كبت الرأى! «و كان من همّ الإمام أن يحضّ الناس على التفكير و التدبّر، و على ألاّ يطيعوا بلا فهم كالأنعام، و ألاّ يخزّوا على آيات الله إذا ذكروا بها صمّا و عميانا و إلاّ كانوا شرّ الدواب!». «و إن الله خلق لهم الحواسّ و المشاعر و العقل ليروا و يسمعوا و يتدبّروا.. فيعرفوا الحسن و القبيح بذاته، و بالعقل، و هو هكذا يعرف قبل أن يحدده الشرع!»!

«فالإمام همّه أن يرتفع بمستوى العقل و الإراده فى الإنسان».

«و أمير المؤمنين همّه أن تقوم الإمرة على العدل، و الورع و التقوى، و أن يتساوى الناس كل و عمله، و الله يبلوهم ليعرف أيهم أحسن عملا، و لا فضل لعربى على أعجمى إلاّ بالتقوى».

و قد قال تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (١) ..

«و الإمام كما قال مرارا و كثر تكرارا لم يجد فى القرآن و لا فى السّنة و لا فيما يقرأ من كتب الأولين، و لا فيما علّمه الرسول من علم، أن للعرب من أولاد إسماعيل فضلا على

ص: ٣٧

غيرهم من أولاد أخيه إسحاق، و كلاهما كان رسولا نبيا، و كلاهما ولد إبراهيم».

«من أجل ذلك أحبّ الموالى و أهل الذمه الإمام كرم الله وجهه، كما أحبّه أهل الورع و أهل التقوى من العرب».

و كان جيش أمير المؤمنين مؤلفا فى أغلبه من أهل الورع و التقوى و ممّن عوّدهم الإمام حرّيه التفكير، و أخذهم بالصراحه فى التعبير عن الرأى فكان كل مقاتل فى هذا الجيش يجد لنفسه حق مجادله القائد.. لكل منهم رأيه المستقلّ، و كأنّه أمه وحده!.. و ما من أحد منهم يذعن للأمر أو النهى إلّا- إذا عرف علّته و حكمته و اقتنع بجدواه، على خلاف ما هو مألوف فى الجيوش فى ذلك الزمان. و فى كل زمان و مكان!..

«من الحق أنهم اجتمعوا فى حب الله و رسوله، دفاعا عن العدل، و عن حق الإنسان فى المساواه و الكرامه و الحياه الكريمه، تحت رايه الإمام على.. و لكنهم على الرغم من ذلك تعوّدوا ألا يمضوا خطوه، و ألا يأخذوا شيئا أو يدعوا شيئا، إلّا إذا اقتنعوا و فقهت عقولهم ما يفعلون!.. هم يفعلون ما يؤمرون على أن يفهموا سبب الأمر و مغزاه»!!(1).

ص: ٣٨

١- على إمام المتّقين: ج ١، ص ٢٦٢.

و فى مسأله «التحكيم» فى صفين حينما رفع أصحاب معاويه المصاحف على الرماح داعين إلى كتاب الله، كانت المعارك على مشارف أن تنتهى بانتصار الإمام، و كان الأشتر على قاب قوسين من موقع معاويه، و لقد كان رأى الإمام الاستمرار فى الحرب حتى النصر، و قد كان يلوح فى الأفق فعلا. إلا أن أصحابه رأوا غير ذلك، و لقد حاول الإمام إقناعهم بما يراه، و حاججهم، و ناقشهم، و بين لهم، و لكنهم أصرّوا على القبول. فتنازل لهم الإمام بالرغم من أنه كان بإمكانه أن يصمّ أذنيه عن مقاتلتهم، و يصدر أوامره بالتصدى لكلّ من يخالفه الرأى، و يحرز النصر و ينهى الأمر كله. و لكن لم يكن انتصاره، انتصارا للشورى، بل انتصارا للحاكم وحده.. و بقرار منفرد منه.. و على رغم قرار الناس.. و قد آثر الإمام «التحكيم» بالرغم عنه لكى يكون قد نزل على رأى أصحابه، يقول مصعب بن الزبير، و كان مع الإمام حينئذ فروى الحادّثه كما يلى:

«كنت عنده حين بعث إلى الأشتر أن يأتيه، و قد كان الأشتر أشرف على معسكر معاويه ليدخله، فأرسل إليه على يزيد بن هانىء: أن اتنى..»

فأتاه فبلغه فقال الأشتر: «أنت أمير المؤمنين فقل له: ليس

هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفى. إني قد رجوت الله أن يفتح لى فلا تعجلنى».

فرجع يزيد بن هانىء إلى على فأخبره.

فما هو أن انتهى إلينا حتى ارتفع الرهج و علت الأصوات من قبل الأشر، و ظهرت دلائل الفتح و النصر لأهل العراق، و دلائل الخذلان، و الإدبار على أهل الشام.

فقال له القوم: و الله ما نراك إلا أمرته بقتال القوم.

قال: «أرايتمونى ساررت رسولى إليه؟! أ ليس إنما كلمته على رؤوسكم علانيه و أنتم تسمعون؟

قالوا: «فابعث إليه فليأتك، و إلا فو الله اعتزلناك».

قال: «ويحك يا يزيد بن هانىء. قل للأشر أقبل إلى فإن الفتنة قد وقعت.

فأتاه فأخبره، فقال الأشر: أرفع هذه المصاحف؟!

قال: نعم.

قال: أما و الله لقد ظننت أنها حين رفعت ستوقع اختلافاً و فرقه! إنها مشوره ابن النابغه - يعنى ابن العاص - ثم قال ليزيد:

ويحك! ألا ترى إلى ما يلقون؟ ألا ترى إلى الذى يصنع الله لنا؟ أينبغى أن ندع هذا و ننصرف عنه؟! فقال له يزيد: أتحب أنك ظفرت ها هنا و أن أمير المؤمنين بمكانه الذى هو به يسلم إلى

ص: ٤٠

عدوّه؟. قال: سبحان الله! لا والله ما أحب ذلك. فأقبل الأشر حتى انتهى إليهم فصاح فيهم: يا أهل الذلّ والوهن، أحين علوتم على القوم فظنّوا أنكم لهم قاهرون، ورفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها؟! قد والله تركوا ما أمر الله به فيها و تركوا سنّه من أنزلت عليه، فلا تجيبوهم أمهلوني فواقا (ما بين الحلبتين للناقه) فإنى قد أحسست بالفتح.

قالوا: لا.

قال: فأمهلوني عدوه الفرس فإنى قد طمعت فى النصر.

قالوا: لا، إذن ندخل معك فى خطيئتك.

قال: فحدّثوني عنكم - وقد قتل أمثالكم وبقى أراذلكم - متى كنتم محقّين؟ أحين كنتم تقتلون أهل الشام؟ فأنتم الآن حين أمسكنم عن القتال مبطلون؟ أم أنتم الآن فى إمساكنكم عن القتال محقّون؟ فقتلكم إذن العذّين لا تنكرون فضلهم و كانوا خيرا منكم، فى النار!

قالوا: دعنا منك يا أشر. قاتلناهم فى الله و ندع قتالهم فى الله. إننا لسنا نطيعك فاجتنبنا.

قال: خدعتم و الله فانخدعتم، و دعيتم إلى وضع الحرب فأجبتكم. يا أصحاب الجباه السود، كئنا نظن أن صلاتكم زهاده فى الدنيا و شوق إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا

ص: ٤١

من الموت، ألا فقيحا لكم، ما أنتم برائين بعدها عزًا أبدا، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون.

فسبّوه و سبّهم، و ضربوا بسياطهم وجه دابته، و ضرب بسوطه وجوه دوابهم، فصاح بهم على فكفوا.

و قال الأشر: يا أمير المؤمنين احمل الصف على الصف يصرع القوم و هكذا كان أصحابه يختلفون و يتصايحون و يتناقشون و يتضاربون و كأن برلمانهم مفتوح على الطبيعة في ميدان الحرب كما في حالات السلام و أخيرا يخضعون لأكثره الآراء!

و في عزّ المعارك جاء أحد أصحاب الإمام و سأله: ما رأى أمير المؤمنين؟

فقال: «لم يزل أمرى معكم على ما أحب إلي أن أخذت منكم الحرب. قد و الله أخذت منكم و تركت، و أخذت من عدوكم فلم تترك. و إنها فيكم أنكى و أنهك. ألا إني أمس أميرا للمؤمنين، فأصبحت اليوم مأمورا، و كنت ناهيا فأصبحت منهيا. و قد أحببت البقاء و ليس لي أن أحملكم على ما تكرهون». إذن للإمام رأى استمرار الحرب، و لكنهم لا يرغبون في ذلك و هو لا يجوز لنفسه (حيث يقول ليس لي) أن يجبرهم على ذلك (أن أحملكم على ما تكرهون). فليس قبول

الإمام للتحكيم لعجزه و لا- لخوفه من تهديد أحد، لأنه لم يخف في حياته قطّ إلا من الله تعالى. و ليس لأنه خاف الشقاق في أصحابه، و قد وقع الشقاق على كل حال، بل لأنه يؤمن بأن للناس رأيهم في مصائرهم و يجب أن يحترم هذا الرأى و إن كان خاطئاً.

... و مع إصرارهم قبل الإمام إيقاف القتال، فتصايحوا:

إن علينا أمير المؤمنين قد قبل الحكومه و قد رضى بحكم القرآن، قال الأشر: إن كان أمير المؤمنين قد قبل و رضى، فقد رضيت بما رضى أمير المؤمنين. فأقبل الناس يقولون قد رضى أمير المؤمنين، قد قبل أمير المؤمنين، و أمير المؤمنين ساكن لا يبضّ (لا ينبس) بكلمه، مطرق إلى الأرض.

فقطع الأشعث الصمت بقوله: «يا أمير المؤمنين إن شئت أتيت معاويه فسألته ما يريد». قال الإمام فى سأم: «ذلك إليك، فافعل ما شئت».

فلما جاء الأشعث إلى معاويه رحّب به! و قال له: «نرجع نحن و أنتم إلى كتاب الله و إلى ما أمر به فى كتابه، تبعثون رجلا منكم ترضونه و تختارونه، و نبعث برجل و نأخذ عليهما العهد أن يعملما بما فى كتاب الله، و ننقاد جميعا لما اتفقا عليه من حكم الله».

ثم أرسل معاويه إلى علىّ كتابا قال فيه: كل واحد منّا

يرى أنه على الحق فيما يطلب من صاحبه، وقد قتل بيننا خلق كثير، و لن يعطى أحد منّا طاعه للآخر، و إنى أتخوّف أن يكون ما بقى أشدّ ممّا مضى.

فهل لك في أمر لنا و لك في حياه و عذر و براءه أن يحكم بيننا حكمان رضيان، أحدهما من أصحابي و الآخر من أصحابك، فيحكمان بما في كتاب الله بيننا، فإنه خير لى و لك و أقطع لهذه الفتن، و ارض بحكم القرآن إن كنت من أهله».

فكتب إليه الإمام «من عبد الله أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان أما بعد، فإن أفضل ما شغل به المرء نفسه اتّباع ما يحسن به فعله، و يستوجب فضله، و يسلم من عيبه، و إن البغى و الزور يزريان بالمرء فى دينه و دنياه.. فاحذر الدنيا! لا فرح فى شىء وصلت إليه منها، و قد علمت أنك غير مدرك ما قضى فواته. و قد رام قوم أمرا بغير الحق فتأولوا على الله تعالى، فأكذبهم، و متّعهم قليلا ثم اضطروهم إلى عذاب غليظ، فاحذر يوما يغتبط فيه من أحمد عاقبه عمله، و يندم فيه من أمكن الشيطان من قياده و لم يحاده، فغرتة الدنيا و اطمأن إليها.

ثم إنك دعوتنى إلى حكم القرآن، و لقد علمت أنك لست من أهل القرآن، و لست حكمه تريد، و الله المستعان. و قد

أجبنا القرآن إلى حكمه ولسنا إياك أجبنا، و من لم يرض بحكم القرآن فقد ضلّ ضلالاً بعيداً».

فلما عاد الأشعث بكلام معاويه إلى الإمام، قال أكثر أصحابه: «رضينا و قبلنا و سمعنا و أطعنا».

و أشار الأشعث على الإمام بأن يبعث عنه أبا موسى الأشعري.

فقال الإمام: «قد عصيتموني في أول هذا الأمر فلا تعصوني الآن، إنى لا أرى أن أولى أبا موسى الأشعري»!.

فقال الأشعث و من خرج على الإمام من القراء المتطرفين: «لا نرضى إلا بأبى موسى»!.

قال الإمام: «ويحكم! هو ليس لى بثقه! لقد فارقنى و خذل الناس عني، ثم إنه هرب شهورا إلى مكة حتى أمنتته، لكن هذا عبد الله بن عباس أوليه ذلك».

قال الأشعث و الخوارج على الإمام: «و الله لا يحكم فيها مضرين» فابن العاص و ابن عباس من قريش فهما مضرين، أما الأشعث و أغلب الخوارج فمن قحطان، و بين مضر و قحطان عداة قديم و تنافس منذ الجاهلية!!

و عند ما رفضوا مرشحه لم يجبرهم على ذلك بل قال: «إن أبيتهم ابن عباس، فالأشتر» (و هو قحطاني مثلهم).

قالوا: «و هل سعر الأرض، و هاج هذا الأمر، و أشعل ما

نحن فيه إلا الأشر؟ لا نرضى بغير أبي موسى الأشعري..

فإنه حذرنا ما وقعنا فيه». قال عليّ: «إن معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحدا هو أوثق برأيه في نظره من عمرو بن العاص، وإنه لا يصحّ للقرشى إلا مثله. فعليكم بعبد الله بن عباس فارموا به، فإن عمرو بن العاص لا يعقد عقده إلا حلها عبد الله، ولا يحلّ عقده إلا عقدها» فقال الأشعث: «اجعله رجلا- من أهل اليمن إذ جعلوا رجلا- من مضر» قال الإمام ساخرا: «أخاف أن يخدع يمينكم فإن عمرو بن العاص ليس من الله في شيء إذا كان له في أمر هوى» قال الأشعث: «و الله لأن يحكما ببعض ما نكره و أحدهما من أهل اليمن، أحبّ إلينا من أن يكون بعض ما نحبّ في حكمهما و هما مضرين».

فقال الأحنف بن قيس: «يا أمير المؤمنين، إنك قد رميت بحجر الأرض (الداهية من الرجال)، و من حارب الله و رسوله في أول الإسلام و إنى عجمت أبا موسى و حلبت أشطره، فوجدته كليل الشفوه و أنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يكون في أكفهم، و يتباعد عنهم حتى يكون بمنزلة النجم منهم».

فقال الناس: «لا يكون إلا أبا موسى». لقد قبل الإمام رأى أصحابه في قبول الهدنه رغم النصر الذي كان يلوح له في الأفق، و ها هو يريد أن يعين مبعوثا من قبله و لكن أصحابه لا

يقبلون، فلا يقول لهم: ما لكم و الدخول بين السلاطين.. و لا يجبرهم على ذلك، بل يقبل منهم النقاش و يحاول إقناعهم برأيه، فهو لا يريد أبا موسى ممثلاً له، و لجهته، فهو يتذكر ما كان من أبى موسى الأشعري، عند ما أرسل إليه ليخرج معه إلى معركة الجمل، و كان أبو موسى إذ ذاك أميراً على الكوفة فأبى و منع الناس من الانضمام لعلى، و قال للناس إنه سمع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «إنها ستكون فتنه، القاعد فيها خير من القائم، و القائم خير من الماشى، و الماشى خير من الراكب».

فضل أبو موسى ينصح الناس ألا يخرجوا مع الإمام، حتى جاءه الأشتر أميراً على الكوفة فاحتل قصر الإمارة و طرده، فهرب أبو موسى إلى الحجاز، و خرج الناس مع عمار و الأشتر و الحسن بن علي فوافوا الإمام قبل معركة الجمل!

لم يمر من الأعوام ما يكفى للنسيان!! ما مرّ إلا عامان فحسب. و ها هو ذا الإمام يضطر إلى أن ينب عنه أبا موسى الأشعري.

أمض الإمام أنهم يصرون على رأيهم الخاطيء فقال:

«أعصى و يطاع معاويه!!»

و حاول أن يبصرهم بما هم صائرون إليه، و لكن بلا جدوى فقال لهم و قد قبل رأيهم..

«اصنعوا الآن ما أردتم، و افعلوا ما بدا لكم أن تفعلوه»!

فأرسلوا إلى أبي موسى الأشعري في مكة، فقالوا له: «إن الناس قد اضطلحوا». فقال: «الحمد لله» قالوا له: «و قد جعلوك حكما» قال: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ». هكذا عوّد الإمام أصحابه أن يكون لهم في شؤونهم رأيا، كما عوّدهم أن يحاول إقناعهم بما هو مقتنع به، و أن يجادلهم، و أن يوضح لهم ما يجب توضيحه، و لكنه لم يعوّدهم أن يصدر الأوامر إليهم، و يحملهم على الطاعة بالرغم عنهم.

لقد غرست تعاليمه في قلوبهم، أن لا- يخزوا صمًا و عميانا إذا تليت عليهم آيات ربهم، بل عليهم أن يتدبروا فيها، ليفقهوها، ليعبدوا الله عن بصيره، و عوّدهم أن يتفكروا، في كل أمر يصدره حتى في اللحظات الحاسمه من الحرب، و أن يقرروا، حتى عند ما يجب على الجند عادة أن يطيعوا ما يؤمرون..

بينما عوّد معاويه أصحابه أن يسلموا إليه القياد، و أن يغلقوا على أنفسهم باب الوعي و الفهم، و أن يطيعوه و لا يناقشوه، لقد مشى معهم على قاعده «أطع و لا تناقش» فقد «استخفّ قومه فأطاعوه» كما فعل فرعون من قبل.

أما الإمام الذي قام حكمه على الشورى، و الذي لم يقطع

أمرًا دون أصحابه، إلاّ- في أحكام الله و شريعته، و الذى لم يخف عنهم سرا إلاّ ما يتعلّق بأسرار الحرب، فقد أصرّ على أتباع الشورى، حتى و إن أدّى ذلك إلى الهزيمة فى القتال..

كان رأيه غير رأيهم، و كان الأفق واضحا أمامه، يرى من بعيد إلى ما ينتهى هذا الأمر، و لكنه لم يكن المستبد برأيه، و لم يرد أن يصادر آراء الناس و يجبرهم على تغيير توجهاتهم..

و لنستمع مره أخرى إلى ما يذكره المؤرخون فى هذا المجال..

«روى أنه بعد كتابه صحيفه التحكيم، دعى الشهود من الطرفين ليوقعوا على الصحيفه: من كل جانب عشره، فلما دعوا الأشر قال: لا صحبتنى يمينى و لا نفعتنى بعدها الشمال إن كتب لى فى هذه الصحيفه اسم على صلح أو موادعه. أو لست على بينه من ربي، و يقينى من ضلاله عدوى؟! أو لستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على الخور؟!»

فوثب الأشعث بن قيس، فقال محتدا: «إنك و الله ما رأيت ظفرا و لا خورا، هلمّ فاشهد على نفسك، و أقرر بما كتب فى هذه الصحيفه، فإنه لا رغبه بك عن الناس.»

قال الأشر: «بلى و الله إن لى لرغبه عنك فى الدنيا للدنيا،

و فى الآخرة للآخرة، و لقد سفك الله بسيفى هذا دماء رجال ما أنت بخير منهم عندى، و لا أحرم دما».

فقال الأشعث: «و لكن قد رضيت بما صنع على أمير المؤمنين، و دخلت فيما دخل فيه، و خرجت مما خرج منه، فإنه لا يدخل إلا فى هدى و صواب».

و الأشتر فارس اشتهر بأنه عظيم الصولة، صارم القلب، شديد الإقدام و هو خواص غمرات.

قآثر الأشعث أن لا يجادله أو يخاصمه، و ذهب و معه عصابه من القراء إلى على، فقال الأشعث: «يا أمير المؤمنين الأشتر لا يقتر بما فى الصحيفه، و لا يرى إلا القتال».

و حاولوا أن يصوروا الأشتر مخالفا للإمام كارها لما رضيه القوم. فقال الإمام: «و أنا و الله ما رضيت و لا أحببت أن ترضوا، فإذا أبيتم إلا أن ترضوا فقد رضيت، و إذ رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا و لا التبديل بعد الإقرار، إلا أن يعصى الله و يتعدى كتابه، فتقاتلوا من ترك أمر الله».

و أما الذى ذكرتم من تركه أمرى و ما أنا عليه فليس من أولئك و لست أخافه على ذلك. يا ليت فيكم مثله اثنين! يا ليت فيكم مثله واحدا يرى فى عدوى ما أرى! إذن لخفت على مؤنتكم، و رجوت أن يستقيم لى بعض أودكم (الأود: العوج).

و قد نهيتكم فعصيتموني، فكنت أنا و أنتم كما قال أخو هوازن (دريد بن الصمه الشاعر الجاهلي):

و هل أنا إلا من غزيه إن غوت غويت و إن ترشد غزيه أرشد

و الله لقد فعلتم فعله ضععت قوه، و أسقطت منه (قوه)، و أورثت و هنا و ذلّه، و لما كنتم الأعلى، و خاف عدوكم الاجتياح، و استحرّ بهم القتل، و وجدوا ألم الجراح، رفعوا المصاحف فدعوكم إلى ما فيها ليفتنوكم عنهم، و يقطعوا الحرب، و يتربصوا بكم ريب المنون، خديعه و مكيدته، فأعطيتموهم ما سألوا و أبيتم إلا أن تهنوا و تغيروا و أيم الله، ما أظنكم بعدها توفقون لرشد، و لا تصيبون باب حزم»(١).

فالإمام لم يرض بالتحكيم، تماما كما لم يرض الأشر، و لكنه حينما رأى أصحابه يرضون رضى به «فإذا أبيتم إلا أن ترضوا فقد رضيت».

إنه الشورى فى الحكم، و النتائج قد لا- تكون مرضيه، و لكن لا- بد من قبولها لأن التراجع عن الشورى تراجع عن المبدأ، أما النتائج فهي لا تتعدى أمور الدنيا هذه. و كان على عليه السلام زاهدا فيها.

ص: ٥١

١- على إمام المتقين: ج ٢، ص ١٣٢-١٣٤.

و نجد مثالا- آخر لتدخل أصحاب الإمام فى الشؤون التى تهمهم من أمور الدوله، فى مناقشات «التحكيم» فعندما اقترب موعد اجتماع الحكامين، فقد أرسل الإمام وفدا من أربعمائه رجل على رأسهم عبد الله بن عباس، و شريح بن هانىء، و معهم أبو موسى الأشعري.

و أرسل معاويه وفدا من أربعمائه رجل و معهم عمرو بن العاص.

و التقوا جميعا فى (دومه الجندل) بين العراق و الشام.

و كانت الرسائل تتردد بين معاويه فى دمشق و عمرو فى دومه الجندل، فلا يعرف أحد من وفد الشام ما بعث به معاويه و لا ما ردّ به عمرو، و لا يحاول أحد أن يسأل، فقد ألفوا أن يتركوا الأمر جميعا لمعاويه منذ بايعوه على السمع و الطاعه..

أما وفد العراق فكانوا إذا علموا أن كتابا وصل من عليّ و ثبوا على ابن عباس يسألونه: «ما الذى كتب به إليك أمير المؤمنين؟»

فإذا كتم عنهم شغبوا عليه و صاحوا غاضبين: «لماذا كتمتنا ما كتب به أمير المؤمنين؟ أتراه كتب فى كذا أو فى كذا؟».

و ضاق ابن عباس بإلحاحهم و أخذ يؤنبهم: «أما تعقلون؟!»

إذا جاء رسول أمير المؤمنين قلتم بأى شىء جاء؟ فإذا كتمتكم قلتم لم تكتنما. أجاى بكذا و كذا؟ و ما تزالون تظنون حتى تصيبوا، فليس لكم سر..! ألا ترون رسول معاويه يجىء و يرجع لا يعلم أحد بما جاء و رجع، و لا يسمع لهم صياح و لا لغط، و أنتم عندى كل يوم تظنون؟! أما تعقلون؟(١).

و لقد قال الإمام رأيا صريحا فى سبب قبوله للتحكيم حينما ناقش الخوارج - فيما بعد - قبيل معركة النهروان - حيث أوضح أن السبب هو «رأيهم» هم فقال:

«قد كنت نهيتكم عن هذه الحكومه، فأبيتم على إباء المنابذين، حتى صرفت رأبي إلى هواكم، و أنتم معاشر أخفاء الهام، سفهاء الأعلام»(٢).

فالإمام صرف رأيه إلى أهوائهم، بالرغم من علمه بأنهم أخفاء الهام و سفهاء أعلام، فهم على كل حال هم البشر، - بما فيهم من علّات - اللذين يحكمهم الإمام، و إذا أخذنا الشورى كمبدأ فلا بدّ من قبول آرائهم، مع قطع النظر عن النتائج، حيث إن النتائج يتحمّلون وزرها هم دون الإمام ثم إنه

ص: ٥٣

١- على إمام المتقين: ج ٢، ص ١٤٥.

٢- الموفقيات: للزبير بن بكار، ص ٣٥٠.

إذا كان من حق الناس انتخاب القياده، و من حقهم التدخّل فى ما يرتبط بمصائرهم، فإن لهم أيضا أمران:

الأوّل - حقّ مراقبه الحاكم.

الثانى - حقّ عزله.

فللناس حق محاسبه الحاكمين، و مراقبتهم لكيلا يشطّوا عن السبيل. و هو ليس مجرد حق، بل ربما كان واجبا، و عليه الأجر و الثواب، و ذلك ضمن إطار «الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر» و الذى يشمل الحاكم كما يشمل المحكوم..

و قد جاء فى الحديث: «و هل الدين إلا النصيحة؟».

قيل: لمن؟

قال: «الأئمة المسلمين» (١) «و النصيحة هنا الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و إعطاء المشوره و التقويم و المحاسبه و غير ذلك. و ليس الأمر مجرد حق، بل إن الإنسان سيسأل عنه يوم القيامه، قال الله تعالى: وَ إِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّايَ رَبُّكُمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَنْتَقُونَ (١٦٤) (٢).

و الذى نرى أن حق مراقبه الحاكم، يسبقه واجب على

ص: ٥٤

١- الصياغه الجديده: ص ٣٢٥.

٢- سوره الأعراف، الآية: ١٦٤.

الحاكم، و هو واجب كشف أموره للناس، و شرح مواقفه و أسباب ذلك، و توضيح ما يجب توضيحه.

يقول الإمام على عليه السلام في عهده إلى مالك الأشر: «و إن ظنت الرّعيه بك حيفا فأصحر لهم بعذرک، و اعدل عنک ظنونهم بأصحارك، فإن في ذلك رياضه منك لنفسك، و رفقا برعيتك، و أذارا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق»(١).

و أمّا حق عزل الحاكم، فهو مجرد حق، إذا لم يرتكب الحاكم ما يوجب عزله، فلو أن أكثرية الناس لم يرغبوا لأى سبب من الأسباب في استمرار الحاكم في إداره شؤونهم فإن لهم انتخاب غيره، ضمن إطار من القانون و الشرعيه.

أمّا إذا ارتكب الحاكم الموبقات، فإن هذا «الحق» يتبدّل إلى «واجب» فلو ظلم الحاكم رعيته، فلا بدّ من تقويمه، و إن لم ينفع معه التقويم فلا بدّ من عزله..

يقول الإمام على عليه السلام: «أيها المؤمنون.. من رأى عدوانا يعمل به، و منكرا يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم و برىء، و من أنكره بلسانه فقد أجر، و هو أفضل من صاحبه، و من أنكره بالسيف لتكون كلمه الله هي العليا، و كلمه الظالمين السفلى

ص: ٥٥

١- نهج البلاغه: الحق، ص ٥٣.

فذلك الذى أصاب سبيل الهدى، و قام على الطريق، و نور فى قلبه اليقين (١).

و يقول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «سيكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم، يحدّثونكم فيكذبونكم، و يعملون فيسيؤون العمل، لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبيحهم، و تصدّقوا كذبهم فأعطوهم الحق ما رضوا به فإذا تجاوزوا فمن قتل على ذلك فهو شهيد» (٢).

و يقول الإمام على عليه السلام: «أخذ الله على العلماء، أن لا يقارّوا على كظه ظالم و لا سغب مظلوم» (٣).

و فى النقاش الذى جرى بين الإمام على عليه السلام و بين كل من طلحه و الزبير قال الإمام لهما فى جواب قولهما: «كرهناك..

نحن ثلاثة. أنت واحد و نحن اثنان».

فقال على: «ألم تعلم أنى ما أكرهت أحدا على البيعه؟ الآن ليس لكما غير ما رضيتما به! كان لكما أن تكرهانى، و ألا ترضيا بى قبل الرضى، و قبل البيعه، إلا أن تخرجانى

ص: ٥٦

١- الوسائل: ج ١١، ص ٤٠٥.

٢- كنز العمال: ج ٦، الحديث: ١٤٨٧٦.

٣- نهج البلاغه: الخطب، ص ٣.

مما بويعت عليه بحدث، فإن كنت أحدثت حدثا فسمّوه لي!«(١).

و هكذا فإن الحاكم إذا خالف القانون، و لم تنفع معه النصيحة «وجب إسقاطه»(٢) و إعلان العصيان ضده إذ «لا طاعه لمخلوق في معصية الخالق»(٣) و قد ورد في كتاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى أهل البحرين عند ما ولى عليهم «العلاء بن الحضرمي»، قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «و أنا أشهد الله تعالى على من وليته شيئا - قليلا أو كثيرا - من أمور المسلمين فلم يعدل فيهم، أنه لا طاعه له، و هو خليع مما وليته، و قد برئت ذمم المسلمين معه»(٤).

و فيما يرتبط بقضيه احترام الأقلية لرأى الأكثرية و ضروره خضوعهم في الأمور العامه لهم.. فإنه لأمر يحكم به العقل.. حيث إن البديل عن ذلك سيكون العكس، أي خضوع الأ-كثريه للأقلية، أو الفوضى و لا شك «أن سيره العقلاء في جميع الأعصار و الأصقاع جرت على تغليب الأكثرية على الأقلية»(٥).

ص: ٥٧

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢.

٢- المعتبر: للمحقق الحلي.

٣- الصياغه الجديده: ص ٣٢٦.

٤- المصدر السابق.

٥- دراسات في ولايه الفقيه: ص ٥٥٣.

وقد روى عن أمير المؤمنين قوله: «الزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة، وإيّاكم و الفرقه.. فإن الشاذّ من الناس للشيطان! كما أن الشاذّ من الغنم للذئب»(١).

و روى عنه أيضا قوله: «و لعمرى لئن كانت الإمامه لا- تنعقد حتى يحضرها عامّة الناس فما إلى ذلك سبيل. و لكن أهلها يحكمون على من غاب عنها. ثم ليس للشاهد أن يرجع، و لا للغائب أن يختار»(٢).

و روى عنه أيضا قوله: «إنه بايعنى القوم الذين بايعوا أبا بكر، و عمر، و عثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، و لا- للغائب أن يرّد، و إنما الشورى للمهاجرين و الأنصار (و كانوا يشكّلون الأكثرية حينذاك) فإن اجتمعوا على رجل و سمّوه إماما كان ذلك لله رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعه ردّوه إلى ما خرج منه. فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، و ولّاه الله ما تولّى»(٣).

ص: ٥٨

١- معدن الجواهر: ص ٢٢٦.

٢- تحف العقول: ص ١٣٠.

٣- الإمامه و السياسة: ج ١، ص ٩٣.

الشريعة قانون المجتمع الإسلامي، و قداستها تعنى تساوى الأفراد أمامها، و تعنى تطبيقها على كل أفراد المجتمع، مع قطع النظر عن مواقعهم، و مسؤولياتهم و المساواه أمام القانون، هى أجلى مظاهر حاكميته و قدسيته..

و الرجوع إليه فى المشتبهات هو نتیجه تلك الحاكميه.

و إجراء أحكامه على الجميع، و أن يكون الحق لمن يتقيد به، و على من يخالفه كل ذلك من مظاهر حاكميه القانون و قدسيته.. و فى الحقيقه فلا- يمكن تصوّر ديمقراطيه حقيقه من دون وجود ثوابت قانونيه، تكون مرجعا للناس، بحيث يكون الضعيف و القوى متساويين أمامه..

فكيف كان الإمام على عليه السلام؟

لقد أوضح الإمام مرات عديده أنه لا يفرّق بين الناس فى الحق، بل إن ذلك هو من أظهر مواقفه على الإطلاق إبان خلافته فلقد صرّح بذلك قولاً و كتابه فقال:

«ألا و إنّ لكم عندى أن لا أؤخر لكم حقا عن محلّه، و لا

أقف به دون مقطعه، و أن تكونوا عندى فى الحقّ سواء، فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة، ولى عليكم الطاعة»(١).

فجعل عليه السلام المساواة أمام القانون شرطاً عليه لهم، و ربطها بطاعتهم له، فإذا فعل هو ذلك، وجبت عليهم الطاعة و إلا فلا..

و قال فى رساله له إلى بعض عمّاله، و قد بلغه أنّه تصرّف فى أموال العامّة، و أثرى على حسابهم، و صادر ما فى بيت المال، فكتب إليه رساله شديده اللهجه جاء فى بعض مقاطعها:

«أيها المعدود - كان - عندنا من أولى الألباب، كيف تسيغ شراباً و طعاماً، و أنت تعلم أنك تأكل حراماً، و تشرب حراماً، و تبتاع الإمام و تنكح النساء، من أموال اليتامى و المساكين، و المؤمنين و المجاهدين المّدين أفاء الله عليهم هذه الأموال، و أحرز بهم هذه البلاد، فاتق الله و اردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل ثم أمكننى الله منك لأعذرنّ إلى الله فيك، و لأضربنك بسيفى الذى ما ضربت به أحداً إلا دخل النار..

«و والله، لو أن الحسن و الحسين فعلا مثل الذى فعلت ما كانت لهما عندى هواده، و لا ظفراً منى بإرادته حتى آخذ الحق منهما، و أزيح الباطل عن مظلّمتها»(٢).

ص: ٦٠

١- نهج البلاغه: الكتب، ص ٥٠.

٢- أنساب الأشراف: ج ٢، ص ١٧٤.

و فى عهدہ إلى مالک الأشرى يؤكد عليه حاكميه القانون، فيقول: «و الزم الحق من لزمه من القريب و البعيد، و كن فى ذلك صابرا محتسبا، واقعا ذلك من قرابتك و خاصتك حيث وقع، و ابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإن مغبّه ذلك محموده»(١).

و يقول له أيضا فى مسأله الرجوع إلى الشريعة فى موارد الخلاف و الشبهه: «و اردد إلى الله و رسوله ما يضلحك من الخطوب، و يشته عليك من الأمور، فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ (٢) فالردّ إلى الله: الأخذ بمحكم كتابه، و الردّ إلى الرسول: الأخذ بسنته الجامعه غير المفترقه»(٣).

و لقد أدت المساواه بين الناس أمام القانون، ببعض الملأ من أصحاب الإمام إلى الهرب إلى معاويه، حيث كان يسمح للنخبه منهم بالاستئثار بما الناس فيه أسوه، و الإثراء غير المشروع و نقض القانون..

فقد كتب الإمام عليه السلام إلى عثمان بن حنيف عامله على

ص: ٦١

١- نهج البلاغه: الكتب، ص ٥٣.

٢- سوره النساء، الآية: ٥٩.

٣- المصدر السابق.

المدينه بعد فرار بعض الرجال إلى معاويه، هربا من مساواه الإمام للناس يقول له:

«أمّيا بعد.. فقد بلغنى أن رجالا- ممن قبلك يتسللون إلى معاويه، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم، و يذهب عنك من مددهم، فكفى لهم غيّا و لك منهم شافيا: فرارهم من الهدى و الحق، و إيفادهم إلى العمى و الجهل، و إنما هم أهل دنيا مقبلون عليها، و مهطعون إليها، و قد عرفوا الحق و رأوه، و سمعوه و وعوه، و علموا أن الناس عندنا فى الحق أسوه، فهربوا إلى الأثره، فبعدا لهم و سحقا»(١).

و على كل حال فإن مما يكفل الحريه فى دساتير عالم اليوم هو «سياده القانون» فى علاقته السلطه بالشعب، و علاقته الشعب بالسلطه، فالقانون هو السيد، لا القدره، و المال و العشيره و ما أشبه. و من الواضح أن منبع الدساتير الإسلاميه القرآن الحكيم، و سنّه رسول الله، و الروايات الوارده عن الأئمه الطاهرين، و فى كل ذلك نجد لزوم سياده القانون يقول الله تعالى: وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٢)، و يقول: فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٣)،

ص: ٦٢

١- التاريخ: لابن واضح، ج ٢، ص ١٩٢.

٢- سورة المائده، الآية: ٤٤.

٣- سورة المائده، الآية: ٤٧.

و يقول: فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١). و حتى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم على عظمته فهو محكوم بالقانون، قال الله سبحانه: وَ لَوْ لَا أَنْ تَبْتُنَّاكَ لَقَدْ كَدَتِ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَ ضِعْفَ الْمَمَاتِ (٢)(٣).

الرابع – احترام حقوق الإنسان:

إن الله وضع الأرض للأنام (٤). و الناس فيها مسلّطون على أموالهم و أنفسهم (٥) و «ما من شيء أكرم على الله من ابن آدم، حتى الملائكة» (٦) فحقوقه الشخصية، و الاجتماعية، و الاقتصادية كحقوقه السياسيّة، مصانه و محترمه، و لا يجوز مصادرتها.. لأن «كل المسلم على المسلم حرام: دمه و ماله و عرضه» (٧) و «لا- تبطل حقوق المسلمين فيما بينهم» (٨) كما «لا- يبطل حق امرئ مسلم» (٩).

ص: ٦٣

-
- ١- سورة المائدة، الآية: ٤٥.
 - ٢- سورة الإسراء، الآيتان: ٧٤، ٧٥.
 - ٣- الصياغة الجديدة: ص ٣٣٣.
 - ٤- مضمون قوله تعالى وَ الْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ، سورة الرحمن، الآية: ١٠.
 - ٥- الصياغة الجديدة: ص ٣٣٣.
 - ٦- كثر العَمَال: خ ٣٤٦٢١.
 - ٧- الصياغة الجديدة: ص ٣٣٤.
 - ٨- الوسائل: ج ١٤، ص ٢١٠.
 - ٩- الوسائل: ج ١٩، ص ٦٥.

و هكذا فإن الله «شدّ بالإخلاص و التوحيد حقوق المسلمين في معاقدها فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده - إلاّ بالحق - و لا- يحلّ أذى المسلم - إلا بما يجب» - بل إنه (١) «جعل الله سبحانه حقوق عباده مقدمه على حقوقه، فمن قام بحقوق عباد الله كان ذلك مؤدياً إلى القيام بحقوق الله» (٢).

و من هنا فلا يجوز للحاكمين و غيرهم مصادرهم أى حق من حقوق الإنسان و هى أكثر من مائه حق، بما فيها حقوقه الاقتصادية، و الشخصية و الاجتماعية» (٣).

تلك هى الأصول الأربعة للشورى، التى اعتمدها الإمام على عليه السّلام فى حكمه، و هى الأصول التى حرّم الله المساس بها، و التى أمر باتباعها قائلاً: وَ أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ (٤) على أساس أن الشورى، هو الأمر المتصوّر الوحيد للتعامل بين المسلمين، دون غيره..

ص: ٦٤

١- الخصائص: ص ٨٧.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- راجع الصياغه الجديده: ص ٣١٦-٣٢١.

٤- سوره الشورى، الآيه: ٣٨.

الاعتراف بحق المعارضه

مشروعيه المعارضه، تأتي من مشروعيه وجود الإنسان ذاته، فما دام أن الله تعالى خلق كل إنسان بذوق خاص، و عقل خاص، و شهوات و رغبات مختلفه عن غيره، و لم يفرض على الناس وحده الفكر و الذوق، فإن من حق الناس أن يتصرفوا في شؤونهم الخاصه بالشكل الذي يعجبهم، و أن يتخذوا المواقف التي يختارونها، و أن يعبروا عمياً يؤمنون به، إنما في حدود معقوله، و ضمن إطار لا يؤدي إلى الفوضى، و لا إلى إلغاء حقوق الآخرين.

إن ربنا هو الذي خلقنا أطواراً (١) فهل يجوز لنا أن «نوحّد» الجميع و نلغى أطوارهم؟..

و إن الله هو الذي خلق الناس أحرارا فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ

ص: ٦٥

١- سورة نوح، الآية: ١٤.

وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ (١) و هل تبقى لحریتهم من معنی، لو منعناهم من ممارستها عملياً؟..

و إن الله هو الذى ركب فىنا الرغبات و الشهوات، و العقل و الضمير و زین للناس حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ النِّبِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ (٢) فهل يمكن توحيد الرغبات و الأهواء؟

و إن الله هو الذى فتح أمام الناس طريقين: طريق الهداية، و طريق الضلال، طريق الخير و طريق الشر. طريق الحلال و طريق الحرام إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَافِرًا (٣)

فهل يجب علينا إغلاق أحدهما لكى يمشى الجميع فى طريق واحد بالإكراه و الإجبار؟..

إن الله جعل ابتلاءه للعباد على أساس حریتهم، و قدرتهم على الطاعة و المعصية معاً. و لم يشأ لهم أن يحملهم على الطاعة، و إلاّ لفعل.. وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ (٤). وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى (٥).

ص: ٦٦

١- سورة الكهف، الآية: ٢٩.

٢- سورة آل عمران، الآية: ١٤.

٣- سورة الإنسان، الآية: ٣.

٤- سورة المائدة، الآية: ٤٨.

٥- سورة الأنعام، الآية: ٣٥.

وقد سمح الله تعالى لمن شاء أن يكفر قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ (١) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا (٢) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ (٣) ، لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ (٤) ، وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَ مَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٥) ، فهل علينا أن نجبرهم على الهداية؟..

و إن الله تعالى أراد للناس أن يكونوا أمما مختلفه، و ليس أمه واحده بالإجبار.. وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً (٦)

فهل يمكن توحيدهم فى أمه واحده؟.

و هكذا فإن سنه الله تعالى قائمه على التعدديه، لا الأحاديه، و أى إلغاء للمعارضه هو إلغاء للتطور، و تجميد للحياه.

ثم إن الله تعالى سمح لإبليس بالمعارضه، و سَجَّلَ كَلَامَهُ، و حواره معه فى الكتب التى أنزلها على أنبيائه قال إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ

ص: ٦٧

١- سورة الزمر، الآيتان: ١٤-١٥.

٢- سورة الإسراء، الآية: ١٨.

٣- سورة النحل، الآية: ٩٣.

٤- سورة البقره، الآية: ٢٧٢.

٥- سورة الأنعام، الآية: ١٠٧.

٦- سورة الشورى، الآية: ٨.

لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَ عَنْ شَمَائِلِهِمْ وَ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)(١).

فهل هنالك من هو أعلى و أجل من رب العالمين، و هل هنالك من هو أحسّ و أزدل من إبليس، و قد عارض الله و لا يزال، و هو من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم؟

ثم إن الشورى فى الحكم يتطلب السماح للمعارضه، بشرط أن لا- يتحوّل إلى تمرد، و أن يخضع الأقلية للأكثرية، مع السماح للأقلية بالنشاط البناء غير المخرب، و بحريّة العمل لكسب التأييد من الناس، و التحوّل من أقلية معارضه، إلى أكثرية لها القرار، إن استطاعت..

و لقد كان الإمام على عليه السّلام قد ابتلى بمن عارضه كأفراد، كما ابتلى بمن عارضوه كجماعات.. فكثيرون عارضوه منذ أن بويع بالخلافه فرفضوا مبايعته منهم سعد بن أبى وقاص، و عبد الله بن عمر، و حسان بن ثابت، و زيد بن ثابت، و محمد بن مسلمه، فلم يجبرهم على البيعه، بل تركهم و شأنهم.

.. و منهم من رفض الخروج معه فى حروبه مع أعدائه،

ص: ٦٨

١- سورة الأعراف، الآيات: ١٥-١٧.

و منهم من خذّل عنه الناس، و منهم من أخذ بيثّ الدعايات ضدّه، و مع ذلك فإنّ الإمام - و هو على حق، و هم على باطل - لم يقيم بما يلي:

أولا - لم يكّم الأفواه.

ثانيا - لم يمنع المعارضين من التجمّع، و عقد الاجتماعات.

ثالثا - لم يضيق الخناق على المعارضه بأيّ شكل من الأشكال، فأعطاهم حقوقهم التاليه:

١ - حق الكلام.

٢ - حقّ الفیء.

٣ - حق التردد.

لقد بنى الإمام عليه السّلام حكمه على أساس الشورى و الحوار، و لم يتراجع عن هذين الأمرين فى أحلك الظروف، بالرغم من أنّ كثيرا من اللّذين عارضوه كانوا ينطلقون، ليس من خلاف فى الرأى، بل من طمع فى الحكم، أو حقه فى النفس، أو حب فى الاثره، أو فرار من عدل، أو رغبه فى الدنيا..

و لكن للمعارضه حقوق، و لا بدّ من مراعاتها، مع قطع النظر عمّن يكونوا، و عمّا ذا يريدون، و ماذا تكون منطلقاتهم.

و لذا فيما يلي نماذج من مواقف الإمام مع معارضيه..

الذى ابتلى الإمام بثلاث فئات منهم:

ص: ٦٩

١ - الناكثون، و هم الذين بايعوه ثم نقضوا البيعه مثل أصحاب الجمل.

٢ - المارقون، و هم الذين تمردوا عليه و هم أصحاب معاويه.

٣ - القاسطون، و هم الذين ظلموه و خرجوا عليه، و هم أصحاب النهروان.

و لقد كان تعامل الإمام معهم، قبل أن يشنوا الحرب عليه تعاملًا إنسانيًا رفيع المستوى. فقد سمح لهم بالعمل كأفراد، و كجماعات، و حاور معهم طويلا، و لم يبدأهم بقتال و لا مره واحده..

فمثلا مع طلحه و الزبير، اعتمد أسلوب السماح. فقد جاءاه و قال لاه: «نريد العمره»، فقال: «بل تريدان الغدره» و لم يمنعهما من الخروج من المدينه، مع علمه بأنهما ينويان الغدره و حينما جمعا الجيوش، و ألثبا عليه، و قتل بعض أصحابه، و طردا عامله «عثمان بن حنيف» حاول معهما أسلوب الهدايه، و كان يسمح لهما بالعمل كمعارضين، و لذلك حاججهم طويلا، و حاول إقناعهم بالعدول عن العدوان و الاكتفاء بالمعارضه، و قد صرح الإمام بذلك قبل الخروج إليهم..

ص: ٧٠

فقد روى أن رجلا سأل الإمام و هم فى الطريق إلى البصره فقال: «يا أمير المؤمنين أى شىء نريد»؟.

قال الإمام: «أما الذى نريد و ننوى فإصلاح إن قبلوا منّا».

قال: «فإن لم يقبلوا»؟

قال الإمام: «ندعوهم و نعطيهم من الحق ما نرجو أن يرضوا به».

قال: «فإن لم يرضوا»؟

قال أمير المؤمنين: «ندعوهم ما تركونا».

قال الرجل: «فإن لم يتركونا»؟

قال: «نمتنع عنهم»^(١).

و عند ما واجه أصحاب الجمل و قد بيتوا التيه لقتال الإمام، و باشروه فى طريقهم إلى البصره، نادى الزبير، و كان الإمام قد كتب إليه، و إلى طلحه كتابا جاء فيه:

«أما بعد، فقد علمتما أنى لم أرد الناس حتى أراذونى، و لم أباعهم حتى بايعونى، و إنكما لممن أراذنى و بايعنى، و أن العامه لم تباعنى لسلطان غالب و لا لعرض حاضر.

فإن كنتما بايعتمانى كارهين فقد جعلتما لى عليكما

ص: ٧١

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢٦٤.

السييل، بإظهاركما الطاعة، وإسراركما المعصية، وإن كنتما بايعتmani طائعين فارجعا، و توبا إلى الله.

إنك يا زبير لفارس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و حواريه، و إنك يا طلحه لشيخ المهاجرين، و إن دفاعكما هذا الأمر قبل أن تدخلوا فيه، كان أوسع عليكم من خروجكما منه بعد إقراركما به، و قد زعمتما للناس هنا أني قتلت عثمان، فبينى و بينكما فيه بعض من تخلف عني و عنكما من أهل المدينة. بل أنت يا طلحه من ألب عليه، و أنت يا زبير خذلت عنه!.. و زعمتما للناس هنا أني آويت قتله عثمان، فهؤلاء بنو عثمان معكم، فليدخلوا في طاعتي ثم يخاصموا إلى قتله أبيهم. و ما أنتما و عثمان إن كان قتل ظالما أو مظلوما؟! و قد بايعتmani، و أنتما بين خصلتين قبيحتين: نكث بيعتكما، و إخراج أمكما عائشه أم المؤمنين(1)!.!

ثم قال الإمام للزبير: «ما أخرجك أنت يا زبير»؟

فقال الزبير: «أنت..!»!

فقال له الإمام «تذكر يا ابن العمه يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنظر إليّ، فضحك و ضحكت. فقلت أنت:

ص: ٧٢

١- المقامات في مناقب أمير المؤمنين: أبو جعفر الإسكافي.

«لا يدع ابن أبي طالب زهوه». فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: «إنه ليس بزهو، و لتقاتلنه يا زبير و أنت له ظالم»(١).

فتذكر الزبير، و هزّه ضميره فقال: «و لكن كيف أرجع الآن؟.. هذا و الله هو العار الذى لا يغسله الدهر»!

فقال له الإمام: «يا زبير، ارجع بالعار، خير من أن ترجع بالعار و النار»(٢).

و كم من حوار جرى بينه و بين أصحاب الجمل، حتى بعد انتصاره عليهم، حيث كان فى مقدوره أن يبطش بهم، حتى لا تسمع منهم نأمة، غير أنه بالعكس من ذلك حيث نراه يستقبل وجوه القوم الذين حاربوه، و عفا عنهم و يتحاور معهم..

فقد روى أنه اجتمع نفر من أهل قریش فيهم مروان بن الحكم، و كانوا كلهم أسرى أطلقهم الإمام على، فقال بعضهم لبعض: «و الله لقد ظلمنا علياً، لقد بايعناه و نكثنا بيعته من غير حدث، و لقد أظهره الله علينا. فما رأينا أكرم سيره منه، و لا أحسن عفوا بعد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم. تعالوا حتى ندخل و نعتذر إليه فيما صنعناه».

و شفّعوا عنده ابن عمّه عبد الله بن عباس، فلما استقبلهم

ص: ٧٣

١- عبقرية الإمام على عليه السلام: ص ٢٤.

٢- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢٧١.

أمير المؤمنين، جعل متكلمهم يتكلم فيتعثر من الحرج، فقال الإمام لهم: «أنصتوا أكفكم!.. إنما أنا بشر مثلكم، فإن قلت حقًا فصدقوني، وإن قلت باطلا فردوا عليّ، أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله قبض و أنا أولى الناس به، و بالناس من بعده»؟.

قالوا: «اللهم نعم».

قال: «فعدلتم عنى و بايعتم أبا بكر، فأمسكت و لم أحب أن أشقّ عصا المسلمين، و أفزق بين جماعاتهم، ثم إن أبا بكر جعلها لعمر من بعده فكففت، و لم أهج الناس، و قد علمت أنى كنت أولى الناس بالله و رسوله و مقامه، فصبرت، فلما قتل عمر و جعلنى سادس سته، لم أحب أن أفرق بين المسلمين، ثم بايعتم عثمان، فطغيتم عليه، و قتل عثمان، و أنا جالس فى بيتى، فأتيمونى و بايعتمونى كما بايعتم أبا بكر و عمر، و لكنكم و فيتم لهما و لم تفوا لى! فما الذى منعكم من نكث بيعتهما و دعاكم إلى نكث بيعتى»؟.

قالوا: «يا أمير المؤمنين كن كالعبد الصالح يوسف إذ قال: لا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١)».

ص: ٧٤

فقال الإمام علي ضاحكا و هو يشير إلى مروان بن الحكم: «لا تثريب عليكم اليوم، و إن فيكم رجلا لو بايعنى بيده مائه مره لنكتح ياسته!.. و لكن لا بأس بهؤلاء إذا تابوا إلى الله توبه نصوحا، و أخلصوا و استقاموا و أصلحوا»(١).

لقد اعتمد الإمام لغه الحوار، و مقارعه الحجّه بالحجّه، و المنطق بالمنطق فى تعامله مع المعارضه، كما اعتمد لغه السن بالسنّ و الجروح قصاص فى تعامله مع الذين قاتلوه و حاربوه.

و لم يجزّد الإمام سيفه قط لمواجهه منطق، و لا- ردّ كلاما قط بالعنف.. و كان ينصح الذين يحاولون مواجهه المنطق بالقوه، بقوله: «إن الطيش لا يقوم به حجج الله..».

فقد روى أنه خطب أمير المؤمنين عليه السلام ذات مره، فقال:

«سلونى فإنى لا أسأل عن شىء دون العرش إلا أجبت فيه، لا يقولها بعدى إلا جاهل مدّع، أو كذّاب مفتر».

فقام رجل من جانب مجلسه و فى عنقه كتاب كأنه مصحف - و هو رجل آدم ضرب، أى: خفيف اللحم، طوال جعد الشعر كأنه من مهوده العرب، فقال رافعا صوته لعلّى عليه السلام: «أيها المدعى ما لا يعلم، و المقلد ما لا يفهم، أنا السائل فأجب!»!

ص: ٧٥

فوثب إليه أصحاب الإمام من كل ناحيه فهموا به.

فنهروهم على عليه السلام، وقال لهم: دعوه ولا تعجلوه فالطيش لا يقوم به حجج الله، ولا به تظهر براهين الله.

ثم التفت عليه السلام إلى الرجل وقال له:

«سل بكل لسانك وما في جوانحك فإني أجيبك».

فسأله الرجل عن مسائل فأجابته، فأطرق برأسه هنيئاً ثم قال:

– «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»^(١).

و روى في ذلك أيضاً: أن الحرith بن راشد السامى كان عدواً للإمام، فجاءه قائلاً له:

«و الله لا أطعت أمرك، ولا صليت خلفك».

فلم يغضب لذلك، ولم يبطش به، ولم يأمر به بالسجن أو العقوبه، وإنما دعاه إلى أن يناظر، حتى يظهر أيهما على الحق، و يبين له وجه الحق لعله يتوب، فقال له الحرith أعود إليك غداً، فقبل منه الإمام فانصرف الرجل إلى قومه، و لم يعد^(٢).

ثم إن الإمام تعامل مع معاويه فى المرحله الأولى،

ص: ٧٦

١- سفينه البحار: ج ١، ص ٥٨٦.

٢- السبيل إلى إنهاء المسلمين: ص ٤٤٩.

كمعارض له، فكم من رساله بعثها إليه، و كم مبعوث أرسله له ينصحه، نصيحه الشفيق الذي يريد مصلحته، و يدعوه إلى الحق. كما أنه عليه السلام لم يترك رساله من رسائل معاويه إلا أجاب عليها..

و يجد الباحث في «نهج البلاغه» و غيره عشرات من رسائل الإمام إلى معاويه، أو إلى بعض قادة جيشه..

أما في المرحله الثانيه، حينما بدأ معاويه يجهز للحرب، و يشن الغارات فقد اختلف الوضع، فواجه الإمام سيفه بالسيف و حربه بالحرب، و رجاله بالرجال..

أما مع الذين رفضوا الخروج معه في حروبه، و هم من أصحابه و مع جماعته فقد تساهل معهم، فمثلا رفض جماعه من أتباع عبد الله بن مسعود الخروج مع الإمام جاؤوه عليه السلام فقال قائلهم: «يا أمير المؤمنين إنا نخرج معكم و لا ننزل عسكركم، و نعسكر على حده حتى ننظر في أمركم و أمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد ما لا يحلّ له، أو بدا منه بغى كنا عليه».

فتبسم الإمام قائلا: «مرحبا و أهلا»^(١).

ص: ٧٧

١- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٢٣.

و لقد ظهر موقف الإمام العظيم من المعارضه ضد تشدد مسؤوليه معهم، بعد انتصاره على أعدائه.. فبعد معركة الجمل خطب الإمام فى أصحابه و قال:

«الحمد لله الذى نصر و ليته، و خذل عدوّه، و أعزّ الصادق المحق، و أذلّ الناكث المبطل، عليكم بتقوى الله، و طاعه الله، و أطيعوا أهل بيت نبيكم الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه، من المنتحلين المدّعين المغالين الذين يتفضّلون بفضلنا، و يجاهدوننا أمرنا، و ينازعوننا حقنا، و يدافعوننا عنه، فقد ذاقوا و بال ما اجترحوا، فسوف يلقون غيا، ألا إنه قد قعد عن نصرتى رجال منكم أنا عليهم عاتب، فاهجروهم و أسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا أو نرى منهم ما نرضى».

فقام إليه صاحب الشرطه فقال: «يا أمير المؤمنين، إنى و الله لأرى الهجر و إسماع المكروه لهم قليلا، و الله لئن أمرتنا لنقتلنهم».

فعجب الإمام و قال لصاحب شرطته: «سبحان الله! جزت المدى، و عدوت الحدّ، و أغرقت فى النزاع!!» فقال صاحب الشرطه: «يا أمير المؤمنين بعض الغشم (الظلم) أبلغ فى أمور تصيبك من مهادنه الأعداى». فقال: «ليس هكذا

قضى الله. قال تعالى: أَلْتَفْسَ بِالنَّفْسِ. فما بال الغشم؟! و قال تعالى: وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوِئِيهِ سُلْطٰناً فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً (١). و الإسراف فى القتل أن تقتل غير قاتلك. و ذلك هو الغشم، و قد نهى الله عنه!

فقام إليه رجل من الأزد ممن تخلف عنه فقال: «أمير المؤمنين، أ رأيت القتلى حول عائشه و الزبير و طلحه بم قتلوا؟» قال: «بما قتلوا من شيعتى و عميالى، و قتلوا أخوا ربيعه رحمه الله فى عصابه المسلمين لأنهم قالوا لهم: لا ننكث كما نكثتم و لا نغدر كما غدرتم! فوثبوا عليهم فقتلوهم. فسألتهم أن يدفعوا إلى قتله إخوانى أقتلهم بهم، ثم كتاب الله حكم بينى و بينهم، فأبوا على، فقاتلوني و فى أعناقهم بيعتى و دماء ألف رجل من إخوانى، فقاتلتهم بهم. أفى شك أنت من ذلك؟» قال: «قد كنت فى شك فأما الآن فقد عرفت و استبان لى خطأ القوم، و إنك أنت المهدى المصيب».

أما بالنسبه إلى الخوارج، و هم أبرز المعارضين لحكم الإمام فقد واجههم بالأسلوب الذى يليق بهم، حيث لم يصادر أى حق من حقوقهم، فسمح لهم بأن يقولوا ما يريدون،

ص: ٧٩

و يتهموا الإمام بما يرون، و يتجمعوا كما يشاؤون. و أجرى لهم أعطياتهم من بيت المال(١).

فقد روى أن عليًا عليه السلام، كان يخطب، فقام أحد الخوارج و قطع كلامه و قال: «الحكم لله لا لك يا علي».

فسكت علي عليه السلام حتى أتم الرجل كلامه.

ثم بدأ يتكلم فقطع كلامه مره أخرى و قال: «الحكم لله لا لك يا علي» فسكت علي عليه السلام حتى أتم كلامه.

و فى الثالثه، قال الإمام عليه السلام: «كلمه حق يراد بها باطل».

فلما كثروا. قال لهم الإمام عليه السلام:

«إن لكم علينا أن لا نبداكم بقتال، و أن لا نقطع عنكم الفىء، و أن لا نمنعكم مساجد الله»(٢).

و بذلك بين لهم حقوق المعارضه و هى ثلاث:

الأول - حق إبداء الرأى، من غير الصدّ بالقوه.

الثانى - حق الفىء، و ما لهم على الدوله من رواتب و نصيبهم من الغنائم و الصدقات.

الثالث - حق التردد إلى مساجد الله، و التى كانت حينئذ

ص: ٨٠

١- السبيل إلى إنهاء المسلمين: ص ٤٥٢.

٢- دراسات فى ولايه الفقيه: ج ٢، ص ٨٠٦.

مراكز الحكم. فمنها كانت تصدر القرارات صلحا أو حربا، و فيها كان القضاء يحكمون فى المرافعات..

و مع أن من المفترض أن يبين الإمام حقوق الطرفين:

المعارضه و الحكم معا، كما هو متبع عادة فى الدول المختلفه، إلا أن الإمام لم يفعل ذلك فقد اكتفى بأن يبين لهم ما لهم عليه، أما ما له عليهم فلم يقل عنه شيئا، و كأنه ليس للحكم شىء على المعارضه، إلا اللهم المحافظه على أمن الناس، فإذا بدأت المعارضه بإيذائهم، أو بقتالهم كان للحكم أن يردّ السيف بالسيف. و هذا كل ما فى الأمر..

أما «كم الأفواه» فهو أمر لم يكن واردا عند الإمام، فكم من مره سمع من المعارضه كلاما قاسيا، و لكنه لم يرد عليه إلا جميلا.

من ذلك ما روى «أن الإمام على» عليه السلام كان فى صلاه الصبح، فقرأ ابن الكواء (و كان من الخوارج): وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ
وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) (١) (معرضا بالإمام، و كان بعض قد أشرك
بقبوله التحكيم، كما كان هكذا رأى الخوارج) فأنصت على عليه السلام لقراءه القرآن اتباعا لقوله تعالى: وَ إِذَا قُرِئَ

ص: ٨١

١- سورة الزمر، الآية: ٦٥.

الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا (١) حتى فرغ ابن الكوّاء من الآيه، ثم عاد ابن الكوّاء في قراءتها، فأنصت الإمام أيضا، ثم قرأ الإمام فأعاد ابن الكوّاء المره الثالثه فأنصت على عليه السلام.

.. ثم لم يزد على أن يتلو الآيه المباركه: فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَا يَسِيخُفَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)(٢). ثم أتم السوره و ركع (٣).

و لقد وضع الإمام أسس التعامل مع المعارضه، فى كلام له مع أصحابه، حينما أراد أولئك قتال الخوارج، بادىء الأمر، فقد أبى الإمام عليه السلام عليهم ذلك و أنكره، و قال: «إن سكتوا تركناهم، و إن تكلموا حاججناهم، و إن أفسدوا قاتلناهم» (٤).

فإذا عارضوا، فلا ضير و لا كلام ضدّهم، و لكن إذا تكلموا فالردّ هو بالكلام وحده، أمّا إذا بدأوا الإفساد، فشأنهم شأن غيرهم من الناس لا بدّ من ردّهم.. هذا كل ما فى الأمر..

ص: ٨٢

١- سوره الأعراف، الآيه: ٢٠٤.

٢- سوره الروم، الآيه: ٦٠.

٣- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٤٨.

٤- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ٤٥٣.

و كم من نقاش حاد جرى بين الإمام و بين الخوارج، لم يكن الإمام يتخذ موقفا غير موقف المحاور معهم، رغم اتهاماتهم الرخيصة له..

من ذلك ما روى أنه: جاء إلى الإمام فتیان منهم فقالا:

«لا حكم إلا لله يا عليّ».

فقال عليّ: «لا حكم إلا لله».

قال أحدهما و اسمه حرقوص: «تب من خطيئتك، و ارجع عن قضيتك، و ارجع بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا».

قال الإمام: «قد أردتكم على ذلك فعصيتموني، و قد كتبنا بيننا و بين القوم كتابا، و شرطنا شروطا، و أعطينا عليها عهدا» و قد قال الله تعالى: وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ (١).

فقال الفتى الثانى و اسمه زرعه بن برج: «ذلك ذنب ينبغى أن تتوب منه يا عليّ».

قال الإمام: «ما هو ذنب و لكنه عجز من رأى، و قد نهيتكم».

قال الفتى لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا عليّ، لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنك أطلب وجه الله».

ص: ٨٣

قال الإمام: «بؤسا لك! ما أشقاك! كأنى بك قتيلا تسفى عليك الرياح»!.

قال الفتى: «وددت لو كان ذلك»!(١).

إنّ حديث المعارضه مهما كان قاسيا، لا يجوز ردّه إلاّ بحديث مثله فالكلمه هي الردّ على الكلمه، والمنطق هو الردّ على المنطق، ولا يمكن للسيف أن يردّ منطقا، كما لا يمكن للمنطق أن يردّ سيفاً..

ولقد اعتاد الإمام على ردّ المعارضين بمحاوله الإقناع، بالرغم من تطاول هؤلاء عليه، و تعرّضهم له بالتهمه، والسبّ، وليس مجرد النقاش الهادف، أو الإعلام المضاد..

وفيما يلي بعض كلامه مع الخوارج، و كان ذلك بعد نصف نهار من الخطاب فيهم و الذى ترك على أثره نصفهم مواقف الخلاف و انضموا إلى صفوف الإمام..

فقد سأل الإمام عن ابن الكوّاء - الذى سبق ذكره، و كان من أشدّ المعارضين، و من قاده الخوارج -، و كان ذلك قبيل معركة النهروان. أى إن المعارضه كانت قد تحوّلت إلى الحاله القتاليه، فأصبحت فى خانه «العدوّ» لا فى موقع «المعارض» و مع ذلك فقد رأى الإمام أن يحاججهم أولا، فسأل عن ابن

ص: ٨٤

١- على إمام المتقين: ج ٢، ص ١٥٤.

الكوّاء «أهو فيمن انصرف راشداً أم ما زال في الخوارج»، فلما علم أنه ما زال في الخوارج ناداه، فبرز له، و أتباعه الخوارج قد اصطفوا بقياده عبد الله بن وهب، و تهيأوا للقتال، و رجل منهم يمشى بين الصفوف يحرضهم على القتال، و صوته كالفحيح، و ريحه منتنه!!

قال الإمام: «يا ابن الكوّاء ما أخرجكم بعد رضاكم بالحكمين و مقامكم بالكوفه؟!» فقال ابن الكوّاء «قاتلت بنا عدوا لا نشكّ في جهاده، فزعمت أن قتلانا في الجنّة و قتلهم في النار، فبينما نحن كذلك إذ أرسلت منافقا، و حكمت كافرا»؟

فقال رجلا من الخوارج: «بل قل له يا علىّ إنك كفرت و نافقت»!

فلم يحفل به ابن الكوّاء، و استمرّ يقول للإمام: «و كان مما شكك في أمر الله أن قلت للقوم حين دعوتهم: كتاب الله بيني و بينكم، فإن قضى علىّ بايعتكم و إن قضى عليكم بايعتموني، فلو لا شكك لم تفعل هذا و الحق في يدك».

فقال الإمام: «يا ابن الكوّاء، إنما الجواب بعد الفراغ، أفرغت فأجيبك»؟.

قال: «نعم».

و قال أمير المؤمنين: «أما قتالك معي عدوا لا نشك في جهاده، فصدقت، و لو شككت فيهم لم أفاتلهم. و أما قتالنا و قتلاهم، فقد قال الله في ذلك ما يستغنى به عن قولي، و أما إرسالى المنافق و تحكيمي كافرا فأنت أرسلت أبا موسى مبرنسا (أى فى برنسه، و البرنس ثياب النسك)، و معاويه حكم عمرو بن العاص، أى (ما هما بمنافق و كافر). أنت أتيت بأبى موسى مبرنسا فقلت لا نرضى إلا أبا موسى، فهلاً قام إلى رجل منكم فقال: يا على، لا نعطى هذه الدينه فإنها ضلاله؟! و أما قولى لمعاويه إن جرنى إليك كتاب الله تبتك، و إن جرّك إلى تبعتنى، و زعمت أنى أعطى ذلك من شكك، فحدّثنى ويحك عن اليهودى و النصرانى و مشركى العرب، أهم أقرب إلى كتاب الله أم معاويه و أهل الشام»؟.

قال: «بل معاويه و أهل الشام أقرب».

قال الإمام: «أفرسول الله كان أوثق بما فى يديه من كتاب الله أو أنا»؟.

قال: «بل رسول الله».

فسكت الإمام مبتسما، ثم قال: «مرحى يا ابن الكوّاء،

أفرايت الله تبارك و تعالى حين يقول: قُلْ فَاتَّبِعُوا بِكِتَابِ مَنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا اتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١) (٤٩) أما كان رسول الله يعلم أنه لا يؤتى بكتاب هو أهدى ممّا فى يديه«؟.

قال: «بلى».

قال الإمام: «فلم أعطى رسول الله القوم ما أعطاهم«!؟.

قال: «إنصافا و حجّه».

قال: «فإني أعطيت القوم ما أعطاه رسول الله».

قال ابن الكوّاء و قد تفتّح عقله و قلبه: «فإني أخطأت. هذه واحده. زدنى».

قال أمير المؤمنين: «فما أعظم ما نقمتم علىّ«؟.

قال: «تحكيم الحكّمين، نظرنا فى أمرهما فوجدنا تحكيمهما شكّا و تبذيرا».

قال الإمام: «فمتى سمّى أبو موسى حكما: حين أرسل أو حين حكّم«؟.

قال ابن الكوّاء: «حين أرسل».

قال: «أليس قد سار و هو مؤمن و أنت ترجو أن يحكم بما أنزل الله«!؟.

ص: ٨٧

قال: «نعم».

قال الإمام: «فلا أرى الضلال في إرساله».

فقال ابن الكوّاء: «بل سمى حكما حين حكم».

قال: «نعم، إذن فإرساله كان عدلا. أ رأيت يا ابن الكوّاء لو أن رسول الله بعث رجلا إلى قوم مشركين يدعوهم إلى كتاب الله، فارتدّ على عقبه كافرا، كان يضرب نبيّ الله شيئا؟!»

قال: «لا».

قال: «فما ذنبي إن كان أبو موسى ضلّ؟ هل رضيت حكومته حين حكم أو قوله إذا قال»؟.

قال: «لا».

و أدرك ابن الكوّاء أن الإمام سيبهته و يقيم عليه الحجّ، و كان ما يزال في نفسه شيء من العناد في أمر الحكّمين، فهو يرى أن أبا موسى منافق و أن ابن العاص كافر، و قد أوشك الإمام أن يقنعه بأن أبا موسى ربما ذهب إلى التحكيم و هو مؤمن، و لكنه ضلّ في عمله فلا ذنب لمن أرسله، أما عمرو فهو مخادع، و ما يحمل وزر خديعته غير الذي أرسله.

فقال له كأنه يريد أن يفلت من حجّ الإمام عليه: «و لكنك جعلت مسلما و كافرا يحكمان في كتاب الله!»

قال: «يا ابن الكوّاء هل بعث عمرو بن العاص غير

معاويه؟! و كيف و حكمه على ضرب عنقى؟ إنما رضى به صاحبه كما رضيت أنت بصاحبك، و قد يجتمع المسلم و غير المسلم يحكمان فى أمر الله؟ أ رأيت لو أن رجلا مسلما تزوج يهوديه أو نصرانيه فخافا شقاق بينهما، ففزع الناس إلى كتاب الله، و فى كتاب الله: فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا (١) فجاء رجل من اليهود أو رجل من النصارى و رجل من المسلمين الذين يجوز لهما أن يحكما فى كتاب الله، فحكما».

و لم يجد ابن الكوّاء ردّا، فتنهّد و قال: «و هذه أيضا، أمهلنا حتى ننظر».

فجعل ابن الكوّاء يناجى أصحابه، و الإمام ينتظر نهايه نجواهم، و إذ بجماعات يقودها عبد الله بن وهب و حرقوص بن زهير و غيرهما تصيح: «إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ!».

و اختفى ابن الكوّاء، و تقدّمت صفوفهم بالحراب المشرعه..

فقال لهم الإمام: «إنكم أنكرتم علىّ أمرا أنتم دعوتموني إليه، فنهيتكم عنه فلم تقبلوا، و ها أنذا و أنتم فارجعوا إلى ما خرجتم منه، و لا تتركبوا محارم الله، فإنكم قد سوّلت لكم

ص: ٨٩

أنفسكم أمرا تقتلون عليه المسلمين، و الله لو قتلتم عليه دجاجة لكان عظيما عند الله، فكيف بدماء المسلمين؟ فيا أيها العصابة التي أخرجها المرء و اللجاجة، و صدّها عن الحق الهوى، و طمع بها النزق، و أصبحت في الخطب العظيم! إني نذير لكم أن تصبحوا تلعنكم الأمه غدا صرعى بأثناء هذا الوادى بغير بينه من ربكم و لا برهان مبين.

ألم تعلموا أنى نهيتكم عن الحكومه، و نبأتكم أنها مكيدة، و أن القوم ليسوا بأصحاب دين، فعصيتموني؟ فلما قبلت شرطت و استوثقت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن و يميتا ما أمات القرآن، فاختلفا و خالفا حكم الكتاب و السنّه، فنبذنا أمرهما و نحن على الأمر الأول. فمن أين أتيتم؟!.

فقال الرجل ذو الرأئحه المنتنه و الصوت الذى يشبه الفحيح: «إنا حكمنا فلما حكمنا أثمنا، و كنا بذلك كافرين، و قد تبنا، فإن تبت فنحن معك و منك، و إن أبيت فإننا منا بدوك على سواء (منذروك بالحرب)».

فقال الإمام: «أبعد إيماني برسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و هجرتى معه و جهادى فى سبيل الله أشهد على نفسى بالكفر؟! لقد ضللت و ما أنا من المهتدين! لقد أنبأتكم أن القوم إنما طلبوا الحكومه (التحكيم) مكيدة و وهنا، فأبيتم على إباء المخالفين، و عندتم

عناد النكداء العاصين، حتى صرفت رأبي إلى رأيكم، رأى معاشر و الله أخفاء الهام (الرؤوس) سفهاء الأحلام، فلم آت لا بألكم هجرا! و الله ما ختلتم عن أموركم، و لا أخفيت شيئا من هذا الأمر عنكم.. فيينوا لنا بماذا تستحلون قتالنا و الخروج عن جماعتنا و تضعون أسيافكم على عواتقكم ثم تستعرضون الناس تضربون أعناقهم؟! إن هذا لهو الخسران المبين»!.

فأوبوا شرّ مآب و ارجعوا على أثر الأعقاب، أما إنكم ستلقون بعدى ذلّا شاملا، و سيفا قاطعا، و أثره يتخذها الظالمون فيكم سنّه (١). فقال رجل من الخوارج: «لا تكلموه و اندفع بهم إلى جسر النهر».

كل هذا الكلام الطويل، و النقاش الموضوعى مع جماعه ترى أنه عليه السلام على باطل، و تنوى القتال معه.. و فعلا فقد وقعت المعركة بعد ذلك مباشرة و كانت فيها هزيمة الخوارج..

هذا.. و لم يكتف الإمام عليه السلام بالعدل مع الخوارج، و منحهم حقوقهم كاملة إبان الشورى، بل أوصى بهم خيرا بعد وفاته.. فقال قولته الشهيرة: «لا تقاتلوا الخوارج بعدى،

ص: ٩١

١- المسترشد: للطبرى، ص ١٦٢.

فإنه ليس من طلب الحق، فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه»(١).

كما أنّ قضاته عليه السّلام استشاروه و هم من البصره، فى القضاء بشهاده الخوارج أى من أهل البصره أو عدم قبول شهادتهم، فأمرهم عليه السّلام بقبولها(٢).

و لقد أذى التعامل الأخلاقى الرصين هذا مع المعارضه إلى أن يأبى المعارضون لأخذ حقوقهم، و أعطياتهم من الإمام مباشره.. و لا يرون فى معارضتهم ما يتناقض مع ذلك.. فقد روى «أن عبد الله بن عمر و سعد بن أبى وقاص و المغيره بن شعبه، جاؤوا إلى الإمام عليه السّلام يطلبون عطاءهم، و كانوا جميعا قد اعتزلوا، فلم يشهدوا الجمل و لا صفين».

و كان الإمام قد تركهم و شأنهم منذ اعتزلوا و لم يبايعوه، و لكن عطاءهم كان يصلهم فى منازلهم.

سألهم معاتبا: «ما أحرّكم عنى؟ أستم تعلمون أن الله عزّ و جلّ قد أمركم أن تأمروا بالمعروف و تنهوا عن المنكر.

فقال و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصّروا بينهما فإنّ بعت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله (٣)؟

ص: ٩٢

١- علل الشرائع: للصدوق، ص ٢٠١.

٢- ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين: ص ١٢١.

٣- سوره الحجرات، الآية: ٩.

فقال سعد بن أبي وقاص: «إنا عارفون بفضلك يا أمير المؤمنين و لكن أعطني سيفا يعرف الكافر من المؤمن..!!»

أخاف أن أقتل مؤمنا فأدخل النار».

قال الإمام: «إن عثمان كان إماما بايعتموه على السمع و الطاعة، فعلام خذلتموه إن كان محسنا، و كيف لم تقاتلوه إن كان مسيئا؟! فإن كان عثمان أصاب بما صنع فقد ظلمتم إذ لم تعينوا من أمر بالمعروف و نهى عن المنكر، و قد ظلمتم إذ لم تقوموا بيننا و بين عدونا بما أمركم الله، فإنه قال: فَقَاتِلُوا اللَّيَّ تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» (١).

فلم يرد أحد منهم.. و ما زاد الإمام على ما قاله لهم (٢).

ص: ٩٣

١- سورة الحجرات، الآية: ٩.

٢- على إمام المتقين: ج ٢، ص ١٤٢-١٤٣.

لو حذفنا العدالة من الحياه، لم يبق للكون وجود، لأن «العدل أساس به قوام العالم»^(١)، ففي البدء كانت الكلمه و وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَ عَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ^(٢).

فالعدالة سنّه الله في الحياه و أساسها «أقوى أساس»^(٣)، لأن «العدل ميزان الله الذى وضعه للخلق و نصبه لإقامه الحق»^(٤) و أى تخطّ عنه هو مخالفه لميزانه و معارضه لسلطانه.

و إذا كان العدل مطلوب فى كل شىء، و من كل أحد، و فى كل المواقع لأنه «فضيله الإنسان»^(٥) و من دونه يفقد الإنسان إنسانيته، فإنه مطلوب من الولاه أكثر من أى شىء

ص: ٩٤

١- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٨٣.

٢- سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

٣- غرر الحكم و درر الكلم.

٤- ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٧٨.

٥- غرر الحكم و درر الكلم.

آخر، لأن «العدل قوام الرعيه و جمال الولاه» (١) و هو «فضيله السلطان» (٢) و «جنّه الدول» (٣) و «نظام الأمر» (٤).

إن الناس لا يريدون الحاكم لأمواله، و لا لأولاده، و لا لهيئته، و جمال منظره، و لا حتى لزهده و عبادته و تقواه، بل يريدونه لعدله، و مراعاة لحقوقهم، و تأمينه لحاجاتهم. «فالله عزّ و جلّ، جعل العدل قواماً للأنام، و تنزيهاً من المظالم و الآثام، و تسنيه للإسلام» (٥).

من هنا فإن «عدل السلطان خير من خصب الزمان» (٦).

و قد سئل أمير المؤمنين عليه السّلام «أيّهما أفضل: العدل أو الجود»؟

فقال: «العدل يضع الأمور مواضعها، و الجود يخرجها عن جھتها. و العدل سائس عام، و الجود عارض خاص، فالعدل أشرفهما» (٧). و قال عليه السّلام: «حسبكم دلاله على فضيله العدل أن الجور الذي هو ضدّه لا يقوم إلّا به، و ذلك أن

ص: ٩٥

١- المصدر السابق.

٢- ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٨٠.

٣- غرر الحكم و درر الكلم.

٤- المصدر السابق.

٥- ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٧٨.

٦- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٠.

٧- نهج البلاغه: الحكم، ٤٣٧.

اللصوص إذا أخذوا الأموال و اقتسموها بينهم، احتاجوا إلى استعمال العدل في اقتسامهم، و إلا أضرت ذلك بهم»(١).

و في الحقيقة فإن «الأرض لترين في أعين الناس إذا كان عليها إمام عادل، و تقبح إذا كان عليها إمام جائر»(٢).

و قديما قيل: «لا سلطان إلا بالرجال، و لا رجال إلا بالمال، و لا مال إلا بالعمارة، و لا عمارة إلا بالعدل»(٣) إذن «ما عمرت البلاد بمثل العدل»(٤).

و هكذا فإن العدالة تشتمل على كل الفضائل، و هي الحقيقة المتحركة، التي تحرك البشرية كلها، في كل العصور.. و لذلك فإن «عدل ساعه خير من عباده سبعين سنه، قيام ليلها و صيام نهارها، و جور ساعه في حكم، أشد عند الله من معاصي ستين سنه»(٥).

ذلك أن العدل بيني، و الجور يهدم.

و العدل يصنع الحضارات، و الجور يبيدها.

و العدل يجمع، و الجور يفرق.

ص: ٩٦

١- قاموس الحكم و الأمثال: ص ٤٣٣.

٢- المصدر السابق: ص ٤٣٣.

٣- قاموس الحكم و الأمثال: ص ٤٣٢.

٤- مستدرک الوسائل: ج ٢، ص ٣١٠.

٥- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٣٥٢.

و العدل يزین البلاد، و یریح العباد، و الجور یقبح، و یتعب، و یفسد.

و العدل امتحان الله للحكام، و بلاؤهم فی الحياه، و علیه الحساب يوم القیامه.. و لذلك «یجب علی السلطان أن یتزم العدل فی ظاهر أفعاله لإقامه أمر سلطانه، و فی باطن ضمیره لإقامه أمر دینه، فإذا فسدت سیاسه ذهب السلطان، و مدار سیاسه کلها علی العدل و الإنصاف، فلا- یقوم سلطان لأهل الإیمان و الکفر إلاّ- بهما، و الإمام العادل كالقلب بین الجوارح تصلح الجوارح بصلاحه، و تفسد بفساده»(١).

و لأن للعدل هذا الموقع الحساس فی النظام الإنسانی فإنّ الله تعالى أمر أن: وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ (٢). فهو تعالى یأمرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ (٣) و أى تخطّ عن العدل یوجب زوال النعم، و عقاب الله تعالى فإنه «من ولیّ عشره فلم یعدل فیهم جاء يوم القیامه و یداه و رجلاه و رأسه فی ثقب فأس»(٤).

و قد قال رسول الله صلّى الله علیه و آله و سلّم: «أن أول من یدخل النار أمیر

ص: ٩٧

١- قاموس الحکم و الأمثال: ص ٤٣٣.

٢- سوره النساء، الآیه: ٥٨.

٣- سوره النحل، الآیه: ٩٠.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٣٤٥.

متسلط لم يعدل»(١) و «هو رابع أربعه، من أشد الناس عذابا يوم القيامة: إبليس، و فرعون، و قاتل النفس، و رابعهم الأمير الجائر»(٢).

و أى شىء أهم من العدل و هو أساس النظام، و به القوام، و عليه الحساب، و له الثواب، و به بينى، و بدونه يهدم، و عنه يصدر العباد، و به تصلح البلاد؟.

ثم إن أولياء الله كانوا يعملون لأجل العدل، و يعتبرونه ثمينا يستحق أن يدفعوا حياتهم لأجله، فهم يجاهدون الظالمين لإشاعة العدل، فإذا حكموا عملوا من أجله، من غير أن تأخذهم فى ذلك لومه لائم..

هذا أمير المؤمنين عليه السلام قال فى أول خطبه ألقاها بعد مبايعه الناس له، إنه سيلتزم بالعدل، و إنه يعيد الأمور إلى نصابها، عملا بالعدل، و مقاومه للظلم الذى لحق بالناس..

يقول عليه السلام:

«أيها الناس الدنيا دار حق و باطل، و لكل أهل، ألا و لئن غلب الباطل فقد يما كان و فعل، و لئن قل الحق فلربما و لعل!! و لقلما أدبر شىء و أقبل! و لئن ردّ عليكم أمركم إنكم لسعداء.

ص: ٩٨

١- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٣٤٠.

٢- ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٩٠.

إن الله عزّ وجلّ أدب هذه الأمة بالسيف و السوط فاستتروا في بيوتكم، و أصلحوا ذات بينكم، فإن التوبه من ورائكم، و ما عليّ إلاّ الجهد».

ألا و إن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها و خلعت لجمها، فتفحمت بهم إلى النار.

ألا- و إن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها و أعطوا أزمّتها، فأوردتهم الجنّه، و فتحوا لهم أبوابا، و وجدوا ريحها و طيبها و قيل لهم: أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينٍ (١).

اليمين و الشمال مضلّه و الطريق الوسطى هي الجاده عليها يأتي الكتاب و آثار النبوه، إن على الإمام الاستقامه، و على الرعيه التسليم. ليس أمرى و أمركم واحدا، و إنى أريدكم لله و أنتم تريدوننى لأنفسكم! و أيم الله لأنصحن للخصم، و لأنصفنّ للمظلوم.. ذمّتى بما أقول رهينه و أنا به زعيم، إن من صرّحت له العبر عمّا بين يديه من المثلاث، حجزته التقوى عن تقحّم الشبهات» (٢).

«ألا و إن كل ما أقطعه عثمان من مال الله مردود إلى بيت مال المسلمين، فإن الحق قديم لا يبطله شىء، و والله لو

ص: ٩٩

١- سورة الحجر، الآية: ٤٦.

٢- البيان و التبيين: ج ٢، ص ٦٥.

وجدته تفرّق في البلدان و تزوّج به النساء و ملك به الإمام، لرددته! فإن في العدل سعه، و من ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيّق، أقول قولي هذا و أستغفر الله لي و لكم»(١). فكان «العدل» هو البيان الأول الذي أذاعه الإمام في خلافته، و كان السبب في ذلك ميلان ميزان العدل في عهد عثمان بن عفّان لمصلحه حفنه من المترلّفين الّذين ظلموا العباد، و أشاعوا الفساد، و صادروا أموال العامّة، «فإن عثمان بن عفّان لما ولي أمر المسلمين أطلق أيدي الأقارب و الأعوان في كلّ مورد من موارد الجاه و الثروه، منقادا بذلك إلى آراء بطانه السوء»(٢).

و لقد حاول الإمام مع عثمان تصحيح ميلان الميزان، و لكنه لم يفلح..

فقد روى الواقدي عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال:

«شهدت عتاب عثمان لعلی عليه السّلام يوما فقال له في بعض ما قاله:

«نشدتك بالله يا أبا الحسن، أن تفتح للفرقه بابا»!.

فقال علی عليه السّلام: «أما الفرقة فمعاذ الله أن أفتح لها بابا، و أسهل إليه سبيلا، و لكنّي أنهاك عمّا ينهاك الله و رسوله عنه، ألا تنهى سفهاء بنی أمیه عن إغراض المسلمين و أبشارهم،

ص: ١٠٠

١- دعائم الإسلام: ج ١، ص ٣٩٦.

٢- علی و حقوق الإنسان: ص ٨٩.

و أموالهم.. و الله لو ظلم عامل من عمالك حيث تغرب الشمس لكان إثمه مشتركا بينه و بينك».

قال ابن عباس، فقال عثمان: «لك العتبي، و افعل و اعزل من عمالي كل من تكرهه و يكرهه المسلمون». ثم افترقا فصده مروان بن الحكم عن ذلك، و قال: يجترىء عليك الناس فلا تفعل و لا تعزل أحدا. ففعل عثمان ما أوصاه به مروان، لا ما أوصاه على عليه السلام(١).

من هنا فإن محور حياة الإمام على عليه السلام في أيام خلافته، كان أن يردّ الحق إلى نصابه، و يصدّ الظلم و العدوان، اللذين استشرىا في حياة المسلمين، آنذاك..

و لذلك فإن وصايا الإمام و رسائله إلى الولاة تكاد تدور حول محور واحد هو: العدل.. و ما تواطأ عليه مناوئوه، من أباعد و أقارب، إلا لأنه عليه السلام كان ميزان العدالة الذي لا يميل إلى قريب، و لا يساير نافذا، و لا يجوز فيه إلا الحق..

و لقد كان من أوائل ما ألقاه من الخطب بعد البيعه، خطبته التي يقول فيها: «إنّ الله عزّ و جلّ أنزل كتابا هاديا يبين فيه الخير و الشر، فخذوا بالخير و دعوا الشر.

الفرائض أدوها إلى الله سبحانه يؤدّكم إلى الجنة.

ص: ١٠١

١- شرح نهج البلاغه: ج ٩، ص ١٥-١٦.

إن الله حرّم حرماً غير مجهوله، و فضل حرمة المسلم على الحرم كلها، و شدّ بالإخلاص و التوحيد المسلمين، و المسلم من سلم الناس من لسانه و يده إلاّ بالحق، لا يحلّ أذى المسلم إلاّ بما يجب. بادروا أمر العامه..

أتقوا الله عباده فى عباده و بلاده. إنكم مسؤولون حتى عن البقاع و البهائم، أطيعوا الله عزّ و جلّ و لا تعصوه، و إذا رأيتم الخير فخذوا به، و إذا رأيتم الشرّ فدعوه، و اذكروا إذ أنتم قليلون مستضعفون فى الأرض..»(١).

يقول أحدهم: إن شعار على عليه السّلام كان «لا- ظالم، و لا مظلوم». و كانت تلك إرادة ابن أبى طالب، بالرغم من أن زمانه كان ياباه! و يتخلف عن مسيرته فى هذه الإرادة، حتى المظلومين أنفسهم لخوف قديم ألمّ بهم، فباتوا يخشون معانده ظالمهم. أو لجهل حملوا به على قبول الرشوة، إلاّ من خلق ربك من كبار القلوب».

«و لكن ابن أبى طالب عليه السّلام لن يتراجع عن محاربه البغى، و لن يضعف و فى الأرض عزيز يضطهد ذليلاً، و كبير يقهر صغيراً، لن يضعف و لن يتراجع و فى قلبه من الحنان و المحبه، ما يكفل له الثبوت فى الصراع بين العدل و الظلم و الحق و الباطل».

ص: ١٠٢

«إن الحنان العميق الذى يَكُنّه على عليه السّلام للناس كان يحمله على أن لا يهادن من أساء للناس و لو كانت حياته الثمن لذلك. و أنه ليجهل حقيقه الطّبائع من يظن أن من شروط الحنان و الرّقه القعود عن الثوره على الظالمين، و أن من مظاهر العاطفه و الودّ الاستسلام دون التمرد، و دون العنف فى هذا التمرد، فالحنان و العطف يحملانك دون تردد على أن تتمرد و ثور على الظالم تخلصا لمن تعطف عليهم مما يرسفون به من قيود، و إن العطف و الحنان و الحب للناس هى التى قد تدفعك فى بعض الحالات إلى العنف حتى أقصى حدوده ضد الظالمين»(١).

و كان الإمام يؤمن إيمانا وطيّدا بأنه «لا بدّ من إمام يؤخذ به للضعيف من القوى و للمظلوم من الظالم حتى ليستريح برّ، و يستراح من فاجر» و «إن الله قد أعاذ الناس من أن يجور عليهم»(٢). فكيف يجور عليه الجائرون و أنه تعالى «امتحن الأمراء بالجور» فإذا ظلموا انتهى أمرهم لأنّه: «لئن أمهل الظالم فلن يفوت أخذه و هو له بالمرصاد على مجاز طريقه»(٣)! و عند ذاك يكون «يوم العدل على الظالم أشدّ من

ص: ١٠٣

١- علىّ و حقوق الإنسان: ص ٢٣٢.

٢- المصدر السابق: ص ٢٣٣.

٣- حليه الأولياء: ج ١، ص ٧٦.

يوم الجور على المظلوم»(١). و لقد كان عليه السّلام يقول: «أمرتكم بالشّدّه على الظالم»(٢)، و يقول: «خذوا على يد الظالم السفية»(٣).

لقد خاض الإمام معركته الأساسيه ضد الظلم، و من أجل العدل:

أولا - لأن العدل واجب، و الظلم حرام.

ثانيا - لأنه كوال على المسلمين كان عليه أن يقيم الحق، و يدحض الباطل، و الباطل هو الظلم و الحق هو العدل. و هو القائل: «و أيم الله لأنصفنّ المظلوم من ظالمه، و لآخذنّ الظالم بخزامتة حتى أوردّه منهل الحق و إن كان كارها»(٤)، و القائل: «ما ضعفت و لا جبت! فلا نقبّن الباطل حتى يخرج الحق من خاصرته»(٥).

إن الذنب الذى لا يترك فى نظره كان «ظلم العباد بعضهم بعضا»(٦). كما أن «ظلم الضعيف أفحش الظلم»(٧).

ص: ١٠٤

١- الغرر و الدرر: ص ٤٠.

٢- علىّ و حقوق الإنسان: ص ٢٣٣.

٣- المصدر السابق.

٤- النهايه لابن الأثير، ج ٣، ص ٤٦٧.

٥- تحف العقول: ص ٥٢.

٦- الكافي: ج ٢، ص ٣٣١.

٧- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٢٢٧.

لقد حارب الإمام الظالمين، وربما كان ذلك هدفه الأساسي من قبول الخلافه لنفسه، و «بقيت بقيه من أهل البغي، و لئن أذن الله في الكثره عليهم لأدينن منهم إلا ما يتشدر في أطراف البلاد تشدرا»(١).

لقد كان تنفر الإمام من الظلم، بمقدار حبه للعدل، و كانت حروبه مع الجائرين، بقوه نصرته للمظلومين..

كان عليه السلام يرى أن «الظلم أم الرذائل»(٢) لأن «الظلم في الدنيا بوار، و في الآخره دمار»(٣) و هو «يزل القدم، و يسلب النعم، و يهلك الأمم»(٤) و الله لا يهدي القوم الظالمين(٥). و يرى أن «من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده»(٦).. و لذلك كان يطلب من أصحابه أن يختاروا خساره الدنيا على خسران الآخره و يقول: «أقدموا على الله مظلومين، و لا- تقدموا عليه ظالمين»(٧). و يعتبر «بئس الزاد إلى المعاد: العدوان على

ص: ١٠٥

١- الدرعيه: ج ٧، ص ٢٠٤.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- ميزان الحكمه: ج ٥، ص ٥٩٥.

٤- غرر الحكم و درر الكلم.

٥- سوره البقره، الآيه: ٢٥٨.

٦- غرر الحكم و درر الكلم.

٧- الطراز: ج ١، ص ٣٣٤.

العباد» (١)، لأن «الظلم أكبر المعاصي» (٢) و لذلك فإنه «ليس شيء أدعى إلى تغيير نعمه الله و تعجيل نقمته من إقامه على ظلم، فإن الله سميع دعوه المضطهدين، و هو للظالمين بالمرصاد» (٣).

فالظلم نوع من أنواع الإلحاد و مَنْ يُرَدُّ فِيهِ بِالْإِلْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٤) ف «كل الظلم فيه إلحاد، حتى ضرب الخادم من غير ذنب» (٥).

و لقد سئل الإمام مّره: أى ذنب أعجل عقوبه؟ فقال: «من ظلم من لا ناصر له، إلا الله، و جاور النعمه بالتقصير، و استطال بالبغي على الفقير» (٦).

و روى عليه السّلام: «أن الله تعالى قال و عزّتى و جلالى، لا يجوزنى ظلم ظالم، و لو كفّ بكف، و لو مسح بكف، و نطحه ما بين الشاه القرناء إلى الشاه الجماء فيقتصّ الله للعباد بعضهم

ص: ١٠٦

- ١- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٢٣٩.
- ٢- غرر الحكم و درر الكلم.
- ٣- نهايه الأرب: ج ٦، ص ١٩.
- ٤- سوره الحج، الآيه: ٢٥.
- ٥- نور الثقلين: ج ٣، ص ٤٨٣.
- ٦- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٣٢٠.

من بعض حتى لا يبقى لأحد عند أحد مظلّمه ثم يبعثهم الله للحساب»(١).

فالحساب يوم القيامة، بعد التقاص عن الظلم، لأنّ العدالة هناك على عجله من أمرها، لا تؤخر الظالمين من بعد النشور، إلى وقت المحاسبه!

إنّ أمر الظلم وخيم، إلى درجة أنّ الراضى به، حتى من دون المشاركة فيه، له حصه من العقاب، و كما يقول الإمام:

«العامل بالظلم، و المعين عليه، و الراضى به شركاء ثلاثه»(٢).

فمن يرضى بالظلم اليوم، قد يعين عليه غدا، و ربما يشارك فيه بعد غد، فلا بدّ من أن يكون ردع الظلم عميقا، و عنيفا، و شاملا لأنّ الظلم يدمّر البلاد، و يفسد العباد.. ف «من أعان ظالما على ظلمه جاء يوم القيامة و على جبهته مكتوب آيس من رحمه الله»(٣) و «من مشى مع ظالم ليعينه و هو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام»(٤).

من هنا فقد كان البند الثابت تقريبا في خطب الإمام على عليه السّلام و رسائله إلى عمّاله، الابتعاد عن الظلم، و الالتزام

ص: ١٠٧

١- المصدر السابق: ص ٣١٤.

٢- ميزان الحكمة: ج ٥، ص ٦١٢.

٣- كنز العمال: خ ١٤٩٥٠.

٤- المصدر السابق: خ ١٤٩٥٥.

بالعدل، ليس بالنسبه إلى المسلمين فحسب، بل بالنسبه إلى الجميع.

فقد اشتكى لبعض الموالى، من غير المسلمين، إلى الإمام أحد عمّاله، و كان لا يتورّع عن إلحاق بعض الظلم بهم. فكتب الإمام إلى و اليه يقول:

«اتق الله، و لا تبغ على أهل القبله، و لا تظلم أهل الذمه، فإن الله لا يحب المتكبرين، و اعلم أن من آذى إنجيليا فقد آذاني»(١).

و لقد كان الترام الإمام بالعدل، هو الذى دفع عدوّه إلى أن يطمئن إليه، فكان أعداؤه لا يخافون جوره، بينما كان أصحابه يخافون جور أعدائه.. فقد روى أنه فى ليله «الهرير» فى معاركه مع معاويه بصّفين، حيث كاد أصحاب الإمام أن ينتصروا على جيش معاويه، فى تلك الليله كان معاويه يضع رجله فى ركاب فرسه ليفرّ و ينجو بنفسه.. فنزل و قال: «يا عمرو، إنما هى الليله حتى يغدو علينا بالفيصل! فما ترى؟».

قال عمرو و قد برحت به الهزيمة: «إن رجالك لا يقومون لرجاله. و لست مثله! هو يقاتله على أمر و أنت تقاتله على

ص: ١٠٨

١- على إمام المتّقين: ج ٢، ص ٣٤.

غيره. أنت تريد البقاء و هو يريد الفناء، و أهل العراق يخافونك إن ظفرت بهم، و أهل الشام لا يخافون عليا إن ظفر بهم»(١).

فلا أحد كان يخاف الإمام إلا أهل الأثره، و الظلم، و طلاب الدنيا، و عبده الشهوات لأن الإمام كان عادلا، لا يظلم الأعداء، و لا يتحامل على الأصدقاء..

لقد جاءه أحد أصحابه فرآه، مفترشا الأرض، في فناء حائط، في الكوفة، و لا أحد يحرسه، فقال له: عدلت فاطمأنت!.

إن الظالم هو الذى يخاف من ظله، أما العادل، فلا يخاف بل هو مطمئن البال، و الناس منه فى راحه..

ثم إن عداله الإمام لم تكن لتشمل الآدميين وحدهم بل كانت لتشمل كل ما فى الوجود من حيوان و إنسان و نبات و حجر و مدر.. فالعداله لا تتجزأ.. فمن لا يظلم البشر لا يظلم الحيوان أيضا..

يقول عليه السلام: «و الله.. لئن أبيت على حسيك السعدان مسهدا، أو أجزّ فى الأغلال مصفدا، أحبّ إليّ من أن ألقى الله و رسوله يوم القيامة، ظالما لبعض العباد، و غاصبا لشيء

ص: ١٠٩

١- المصدر السابق: ص ١٠٢.

من الحطام، و كيف أظلم أحدا لنفس إلى البلى قفولها، و يطول فى الثرى حلولها».

«و الله.. لو أعطيت الأقاليم السبعه - بما تحت أفلاكها - على أن أعصى الله فى نمله أسلبها جلب شعيره ما فعلته»..

«ما لعلّى و لنعيم يفنى، و لذه لا تبقى»؟.

«نعوذ بالله من سبات العقل، و قبح الزلل و به نستعين»(١).

و كما يقول أحدهم فإن الإمام: «ليس فى هذا المجال قائلان ثم عاملان بل هو القول يجرى من طبيعه العمل الذى يعمل، و الشعور الذى يحسّ، و الحياه التى يحيا، فعلى أكرم الناس مع الناس، و أبعد الخلق عن أن ينال الخلق بأذى، و أقربهم إلى بذل نفسه فى سبيلهم، أو ليست حياته كلها سلسله معارك فى سبيل المظلومين و المستضعفين»(٢).

مفردات العدل

إشاره

و قد يتساءل البعض: ما هى مفردات العدل؟

و الجواب: أن العدل قبل كل شىء تجنّب البغى، و العدوان، و إعطاء كل ذى حقّ حقه. و مفرداته هى:

* التزام العدل فى تقسيم الأموال العامه.

ص: ١١٠

١- ربيع الأبرار: باب الخير و الصلاح.

٢- على و حقوق الإنسان: ص ٨٥.

* إنصاف المظلومين.

* الامتناع عن التعدي و البغى.

* الامتناع عن التكبر.

* التشدد مع المسؤولين لمصلحه العامه.

* الاهتمام بحاجات الناس، و طلبات الولاه.

* مساعده الجميع، و اللطف بهم.

* المساواه، و عدم التمييز.

* مجازاه المسىء، و الإحسان إلى المحسنين.

* الاهتمام بعامة الناس لا الخاصه فحسب.

* التزام الحق فى جبايه الضرائب.

تلك هى بعض مفردات العدالة المطلوبه من الحاكمين، باعتبارهم أمناء على أمور الناس، و أرزاقهم، و دمائهم..

و لنستعرض فيما يلى بعض كلمات الإمام علىّ، و مواقفه، و أعماله فى كل واحده من ذلك..

أولاً: التزام العدل فى تقسيم أموال العامه و هو يعنى أمرين:

الأول - بذل المال لمن يستحقّ.

الثانى - منعه عمّن لا يستحقّ.

ص: ١١١

فأموال الدولة ليست ملك الحاكم، بل هي للمحكومين، و ليس الحاكم إلا أميناً على جبايتها، و إيصالها لأهلها..

لقد كتب الإمام علي عليه السلام لأحد ولاته يقول:

«انظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله، فاصرفه إلى من قبلك (عندك) من ذوى العيال و المجاعه، مصيباً به مواضع الفاقه و الخلات (الحاجات) و ما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا»^(١).

و روى أنه جاء علياً «فىء» كثير ملاً بيت المال مره بعد مره، ثم مره ثالثه، فقام فوزعه بالسويه بين المسلمين كما تعود، و أخذ هو نصيبه كواحد منهم.. ثم جاءه مال آخر كثير من أصبهان فخطب الناس فقال: «اغدوا إلى عطاء رابع، فو الله ما أنا لكم بخازن» و بعد أن وزع الأموال كنس بيت المال و صلى فيه.. كما تعود.. ثم تمدد على أرضه، فأغفى..^(٢)، فالمال لا قيمه له إن لم يرفع حاجه الناس، و لم يبذل لمن يستحقه.

غير أنه لا بد أيضاً من منعه عمّن لا يستحق كئى لا يَكُون

ص: ١١٢

١- فقه القرآن للقطب الراوندى.

٢- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٣٠٨.

دَوْلَهُ بَيْنَ الْأَعْيَاءِ (١) فلا يجوز العطاء من غير استحقاق، أو لشراء الضمائر، أو للتوزيع على الأقرباء و الأنساب..

يقول الإمام علي عليه السلام في كتاب له إلى عامله على إحدى الولايات، و اسمه مصقله بن هبيرة الشيباني: «بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك، و عصيت إمامك: إنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم و خيولهم، و أريقت عليه دماؤهم، فيمن اعتماك (اختارك) من أعراب قومك؟!»

«فو الذي فلق الحبه، و برأ النسمه، لئن كان ذلك حقًا لتجدنّ لك على هوانا، و لتخفنّ عندي ميزانا، فلا تستهن بحق ربك، و لا تصلح دنياك بمحق دينك، فتكون من الأخسرين أعمالا»..

«ألا و إنّ حق من قبلك و قبلنا من المسلمين في قسمه هذا الفيء سواء يردون عندي عليه، و يصدرون عنه» (٢).

و حينما سأله عبد الله بن زمعه مالا- قال: «إنّ هذا المال ليس لي و لا- لك، و إنّما هو فيء للمسلمين و جلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، و إلا فجناه أيديهم لا تكون لغير أفواههم» (٣).

ص: ١١٣

١- سورة الحشر، الآية: ٧.

٢- التاريخ لابن واضح، ج ٢، ص ١٩٠.

٣- مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣١٢.

و جاء إليه عاصم بن ميثم و هو يقسم مالا، فقال: يا أمير المؤمنين إني شيخ كبير مثقل.

قال: و الله ما هو بكّد يدى و لا بترائى عن والدى، و لكنّها أمانه أوعيتها.

ثمّ قال للمسلمين: «رحم الله من أعان شيخا كبيرا مثقلا»^(١).

و كتب إلى زياد ابن أبيه، و كان عامله على البصره و فارس:

«و إني أقسم بالله صادقا، لئن بلغنى أنك خنت من فىء المسلمين شيئا صغيرا أو كبيرا لأشدنّ عليك شدّه تدعك قليل الوفرة، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر و السّلام»^(٢).

و كم له من مواقف رفض فيها الإمام أن يعطى أقرب الناس إليه فوق ما يستحقّ من قسمته، لأنه لا يجوز حرمان غيره من أجله؟.. هذا عقيل أخوه قدم عليه من المدينة فقال له: «ما أقدمك يا أخى»؟

قال: «تأخر العطاء عنا، و غلاء السعر ببلدنا، و ركبنى دين عظيم، فجئت لتصلنى».

ص: ١١٤

١- المصدر السابق: ص ٣١٢.

٢- المحاسن و المساوىء: ج ٢، ص ٢٠١.

فقال عليّ: «و الله ما لى مما ترى شيئاً إلا عطائي، فإذا خرج فهو لك».

قال عقيل: «أشخصى من الحجاز إليك من أجل عطائك؟ و ماذا يبلغ منى عطاؤك؟! و ما يدفع من حاجتى؟».

فقال الإمام: «هل تعلم لى مالا غيره؟ أم تريد أن يحرقنى الله فى نار جهنم فى صلتك بأموال المسلمين؟ و ما بقى من نفقتنا فى ينبع غير دراهم مضروره. و الله يا أخى إنى لأستحى من الله أن يكون ذنب أعظم من عفوى أو جهل أعظم من حلمى، أو عوره لا يوارىها ستري، أو خلّه لا يسدّها جودى».

فلما ألحّ عقيل عليه، قال لرجل: «خذ بيد أخى عقيل و انطلق به إلى حوانيت أهل السوق، فقل له: دق هذه الأقفال. و خذ ما فى هذه الحوانيت». فقال عقيل: «أتأمرنى أن أكسر صناديق قوم قد توكلوا على الله و جعلوا فيها أموالهم، أتريد أن تتخذنى سارقاً؟!»

فقال الإمام: أتأمرنى أن أفتح بيت مال المسلمين فأعطيك أموالهم و قد توكلوا على الله و أفلوا عليها؟ و أنت تريد أن تتخذنى سارقاً؟! أن آخذ من أموال المسلمين، فأعطيكها دونهم». و أضاف الإمام: «و إن شئت أخذت سيفى و أخذت

سيفك و خرجنا جميعا إلى الحيره فإن بها تجارا مياسير فدخلنا على بعضهم فأخذنا ماله».

فقال عقيل: أو سارقا جئت؟.

فقال له الإمام: «تسرق من واحد خير لك من أن تسرق من المسلمين جميعا»(١).

فقال: «و الله لأخرجنّ إلى رجل هو أوصل لي منك».

لآتين معاويه».

فقال الإمام: «أنت و ذاك، راشدا مهديا!».

فلما قدم على معاويه، رحّب به و قال: «مرحبا و أهلا بك يا عقيل بن أبي طالب، ما أقدمك عليّ؟!».

قال: «قدمت عليك لدين عظيم ركبني، فخرجت إلى أخي ليصلني فزعم أنه ليس له مما يلي إلاّ عطاؤه، فلم يقع ذلك مني موقعا، و لم يسدّ مني مسدا، فأخبرته أني سأخرج إلى رجل هو أوصل منه لي، فجئتك».

فازداد معاويه فيه رغبه، و قال للناس: «يا أهل الشام هذا سيد قريش و ابن سيدها، عرف الذي فيه أخوه من الغوايه و الضلاله، فجاءني، و لكنني أزعم أن جميع ما تحت يدي لي، فما أعطيت فقربه إلى الله، و ما أمسكت فلا جناح لي عليه».

ص: ١١٦

١- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١١٦.

ثم قال لعقيل: «يا عقيل بن أبي طالب: هذه مائة ألف تقضى بها ديونك، و مائة ألف تصل بها رحمك، و مائة ألف توسع بها على نفسك».

فوقف عقيل فقال: «صدقت، لقد خرجت من عند أخى على هذا القول، و قد عرفت من فى عسكره، لم أفقد و الله رجلا من أهل بدر و لا المهاجرين و الأنصار، و لا و الله ما رأيت فى معسكر معاوية رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه و آله و سلم».

و أضاف: «أيها الناس، إنى أردت أخى عليا على دينه فاختار دينه، و إنى أردت معاوية على دينه، فاختارنى على دينه»^(١).

ثانياً – إنصاف المظلومين

من غير الممكن إزالة الظلم من على وجه الأرض تماما، فأينما تذهب سيكون هنالك، ظالم و مظلوم، و جزار و ضحية، و واجب المؤمن الوقوف إلى جانب المظلوم، و مقاومه الظالم.

فإن «أحسن العدل إعانه المظلوم»^(٢). و لذلك «إذا رأيت مظلوما فأعنه على الظالم»^(٣) فإنه «ما من مؤمن يعين مؤمنا

ص: ١١٧

١- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٣٩.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- ميزان الحكمة: ج ٥، ص ٦١٥.

مظلوما، إلا كان أفضل من صيام شهر و اعتكافه في المسجد الحرام، و ما من مؤمن ينصر أخاه و هو يقدر على نصرته إلا نصره الله في الدنيا و الآخرة، و ما من مؤمن يخذل أخاه و هو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا و الآخرة»(١).

و جاء في وصيه الإمام لولديه الحسن و الحسين عليهم السلام قوله:

«كونا للظالم خصما، و للمظلوم عونا»(٢).

و لم يحدد الإمام أى ظالم، و لا أى مظلوم، و هكذا أوصاهما بأن يكونا للظالم خصما و لو كان ذا قرى، و أن يكونا للمظلوم عونا، و لو كان من أقاصى البلاد..

بل لا بدّ أن ننصف المظلومين حتى من أنفسنا و أهليتنا..

يقول عليه السلام: «أنصف الناس من نفسك و من خاصه أهلك، و من لك فيه هوى من رعيتك فإنك إن لم تفعل تظلم»(٣).

و تلك مهمه الحاكم، أن يأخذ حق المظلومين، و هى فلسفه وجود «الحكوم». إذ ما قيمه نظام لا يأخذ حق المستضعفين، و لا يضرب على أيدي الظالمين؟ و ما ضروره وجود الحكومه، إن لم يكن ذلك مهمتها الرئيسيه؟

ص: ١١٨

١- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٢٠.

٢- بحار الأنوار: ج ١٠٠، ص ٩٠.

٣- نهج البلاغه: الكتب، ص ٥٣.

و لقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: «لن تقدس أمه لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوى غير متعتع»(١).

ثالثا – الامتناع عن التعدّي و البغى:

كما أن آفه الغنى الاستعلاء، فإن آفه القوه البغى، و كما أن المال يغرى بالفساد، فإن القدره تغرى بالعدوان. فما دام الحاكم قويا فإن الشيطان يزین له البطش، و التنكيل، و مصادرته أموال الناس، و ظلم الرعيه، حيث لا يهاب من قانون، و لا يخشى من عقاب.. و لكن لا بدّ للحاكم أن يتذكّر قدره الله، و بطشه، فإن أخذ الله قد يأتي بطيئا، و لكنّه حتما سيكون رهيبا.

يقول الإمام على عليه السّلام: «إذا حدّثتك القدره على ظلم الناس فاذا ذكر قدره الله سبحانه على عقوبتك، و ذهب ما أتيت إليهم عنهم، و بقاءه عليك»(٢).

و يقول: «اذكر عند الظلم عدل الله فيك، و عند القدره، قدره الله عليك»(٣).

ص: ١١٩

١- دعائم الإسلام: ج ١، ص ٣٥٠.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٣٢٢.

و يقول فى عهدة إلى مالك الأشر: «و لا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك فى الدين، أو نظير لك فى الخلق. يفرط منهم الزلل و تعرض لهم العلل، و يؤتى على أيديهم فى العمد و الخطأ، فأعطهم من عفوك و صفحك مثل الذى تحب و ترضى أن يعطيك الله من عفوه و صفحه، فإنك فوقهم و وليّ الأمر عليك فوقك، و الله فوق من ولّاك» (١).

و يقول: «إذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهه، أو مخيله (الخيلاء) فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، و قدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإنّ ذلك يطمئن إليك من طماحك، و يكفّ عنك من غربك (نشوزك) و يفىء إليك بما غرب عنك من عقلك» (٢).

رابعا – الامتناع عن الكبر، و التكبر، و الترفع عن الناس:

مهما كانت مكانه المرء فإنه يبقى إنسانا، لا يختلف عن الآخرين فى حاجاته و قدراته و طاقاته. و لن يتحول أى شخص

ص: ١٢٠

١- نهج البلاغه: الكتب، ص ٥٣.

٢- المصدر السابق.

إلى إله بسبب منصبه أو مقامه. فالله واحد أحد لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ (٣) وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (١).

فلا ندُّ لله ولا نظير و ليسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (٢).

إلا أن الأبّه و السلطان من جهه، و مديح المتزلفين من جهه أخرى تزين للحاكمين الكبر، و قد يدفعهم ذلك إلى التصوّر بأنهم فعلا أكبر من الناس، و أن لهم قدرات إله. قال:

«رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ» قال: أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ (٣)، و هذا الإحساس قد يدفعهم إلى مساماه. الله في عظمته، إن لم يصرّحوا بذلك كما فعل فرعون فقال: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٤)، فلربما يصدّقون في قراره أنفسهم أنهم يختلفون عن البشر فعلا.

يقول الإمام على عليه السّلام لمالك الأشر: «إِيَّاكَ و مساماه الله في عظمته، و التشبّه به في جبروته، فإن الله يذلّ كل جبار، و يهين كل مختال»..

«و إِيَّاكَ و الإعجاب بنفسك، و الثقة بما يعجبك منها،

ص: ١٢١

١- سورة التوحيد، الآيتان: ٣، ٤.

٢- سورة الشورى، الآية: ١١.

٣- سورة البقره، الآية: ٢٥٨.

٤- سورة النازعات، الآية: ٢٤.

و حبّ الإطراء، فإنّ ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين»(١).

إن «من اختال في ولايته أبان عن حماقته»(٢). و قليل من الحكام هم الذين لم يبتلوا بالحمق، و لم يصدّقوا مديح المداحين، و أكاذيب المترلفين.

ثم إنّ الابتعاد عن الكبر يتطلّب الأمور التاليه:

الأول - أن لا يضيّع الحاكم نفسه.

الثاني - أن يتقيد هو بالقانون، فلا يسمح لنفسه بما يمنعه للآخرين، و أن لا يحلّل لها ما يحرمه على غيره.

الثالث - أن لا يفترض لنفسه من القسمة بأكثر مما يفترضه للناس.

الرابع: أن يسمح للرعيه، بأن يتعاملوا معه كأحدهم.

و بكلمه واحده أن يرى امتيازته في تقواه، و ما يكسبه من الأجر عند الله، و ليس فيما يحصل عليه من امتيازات ماديه في الحياه الدنيا.. إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم (٣)..

لهذا كله رفض الإمام على عليه السلام كل مظاهر الأبته و السلطان، و شرّد مع نفسه و مع أقاربه فلما دخل الكوفه لم

ص: ١٢٢

١- نهج البلاغه: الكتب، ص ٥٣.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- سوره الحجرات، الآيه: ١٣.

يدخل قصر الإمارة، و إنما آثر أن يسكن في بيت يشبه مساكن الفقراء(١).

و لم يكن يعطى لأقاربه زياده عما يحق لهم، و إذا كان أحدهم يأخذ شيئاً مهما قلّ أو كثر كان يتخذ منه موقفاً حازماً..

و من ذلك ما روى أنه أهدى إليه سمن و عسل، فضمّه إلى بيت المال، و خرج يتفقّد الأسواق ليقسمه عند ما يعود.

فلما عاد وجدته ناقصاً، و علم أن ابنته أم كلثوم التي توفى عنها عمر بن الخطاب، قد أخذت منه، فأرسل الإمام من يقوم ثمن ما أخذته من العسل بخمس دراهم، فبعثها و باع السمن و العسل، و قسم الثمن على الناس(٢).

و كان عليه السّلام يعطى كل ما يأتيه و لربما لم يأخذ أى شيء منه، فقد روى الشعبي قال: دخلت الرّحبه بالكوفه و أنا غلام فى غلمان، فإذا أنا بعلّى عليه السّلام قائماً على صرّتين من ذهب و فضّه، و معه مخفقه و هو يطرد الناس بمخففته، ثم يرجع إلى المال فيقسمه بين النّاس، حتى لم يبق منه شيء، ثم انصرف و لم يحمل إلى بيته قليلاً و لا كثيراً.

ص: ١٢٣

١- السبيل إلى إنهاء المسلمين: ص ٤٣٣.

٢- على إمام المتّقين: ج ٢، ص ٢٩٨.

فرجعت إلى أبي فقلت: لقد رأيت اليوم خير الناس أو أحق الناس.

قال: من هو يا بني؟

قلت: علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رأيتُه يصنع كذا فقصصت عليه، فبكي و قال: يا بني بل رأيت خير الناس (١).

و كان يتعامل مع الناس كأحدهم، و هم يتعاملون معه كأحدهم أيضا..

فقد روى ابن الأثير في التاريخ (الكامل): «أن عليا عليه السلام وجد درعه عند نصراني فأقبل إلى شريح قاضيه و جلس إلى جانبه يخاصم النصراني مخاصمه رجل من رعاياه، و قال: إنها درعى لم أبع و لم أهب.

قال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين عليه السلام؟

قال النصراني: ما الدرع إلا درعى، و ما أمير المؤمنين بكاذب.

فالتفت شريح إلى علي عليه السلام يسأله يا أمير المؤمنين هل من بينه؟

فضحك علي عليه السلام و قال: ما لي بينه، فقضى شريح بالدرع

ص: ١٢٤

للنصراني، فأخذها و مشى و أمير المؤمنين عليه السلام ينظر إليه، إلا أن النصراني لم يخط خطوات حتى عاد يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء!.. أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه، و قاضيه يقضى عليه»، و أضاف: «الدرع و الله درعك يا أمير المؤمنين»^(١).

و فى عهد الخليفة الثانى، شكّا أحد الناس علىّ بن أبى طالب إلى عمر بن الخطاب فى خصومه، فكان أن أحضرهما عمر، و قال لعليّ: «يا أبا الحسن.. قف إلى جانب خصمك»!.

فبدا التأثر على وجه عليّ!

فقال له عمر: «أكرهت يا عليّ أن تقف إلى جانب خصمك»؟.

فقال على عليه السلام: «لا.. و لكنى رأيتك لم تسوّ بينى و بينه، إذ عظمتنى بالتكنيه، و لم تكّنه»^(٢)!

إن القانون الذى يجب أن يمشى عليه الحاكم، هو أن يكون سيّد القوم بتواضعه لا بتكبره، و أن يكون أميرهم بالعتاء

ص: ١٢٥

١- السبيل إلى إنهاء المسلمين: ص ٤٥٢.

٢- عليّ و حقوق الإنسان: ص ٧١.

لا بالأخذ، و يكون عظيمهم، بالاهتمام بهم، لا بأن يهتموا به..

و هذا أمر واجب على الحاكم، و ليس مستحبًا..

يقول الإمام على عليه السلام: «إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفه الناس، كيلا ينيغ بالفقير فقره»(١).

خامسا – التشدّد مع المسؤولين لمصلحه العامه:

و قد أفردنا لهذا فصلا خاصا به نظرا لأهميته..

سادسا – الاهتمام بحاجات الناس، و طلبات الولاة:

إن الولاية بالنسبه إلى الوالى مسؤوليه لا ترفيه فيها فلا بد أن يعطى من راحته، و وقته، و نفسه لمصلحه الناس. و هذا يتطلّب منه المزيد من العمل، و المزيد من النشاط، و المزيد من العطاء..

و أول ما يخطر فى البال فى ذلك أن يكون فى متناول يد الجميع، فلا يحتجب عن أحد، و لا يتقمّط بحاشيه من المترلفين، و الموظفين، و لا يضع نفسه فى برج من العاج، يطلّ منه على الناس، و يلتقى بهم عبر صورته، و صوته ثم لا

ص: ١٢٤

١- قوت القلوب: ج ١، ص ٥٣١.

يرى الناس، ولا يرونه إلا في تشيع جنازته، حيث لا خدم ولا حشم!

فلاحتجاب عن الناس حرام.. و «أيما مؤمن كان بينه وبين مؤمن حجاب ضرب الله بينه وبين الجنّة سبعين ألف سور، ما بين السور إلى السور مسيره ألف عام»^(١)، بينما «من تولّى أمرا من أمور الناس فعدل، وفتح بابه ورفع ستره، و نظر في أمور الناس، كان حقا على الله، أن يؤمن روعته يوم القيامة، و يدخله الجنّة»^(٢).

و الحق، أن بدايه فساد الحاكم، هي في احتجابه عن العامه، حيث تتلقّفه أيادي بطانه السوء، و تلفه شهواتهم، و توجهه شهواتهم فيبتعد عن الناس و يبتعدون عنه، و يكره الناس و يكرهونه، و يكون للحاكم عالمه، و للناس عالمهم، و بينهما تناقض و تناطح، و ربما صراع و حروب..

و من هنا فإن أئمة العدل في التاريخ كانوا يتميّزون بكونهم يعيشون مع الناس، و للناس، و بين الناس. و يمنعون ولاتهم من أن تضرب بينهم و بين أحد الأستار و الكلل..

يقول أمير المؤمنين، في كتابه إلى «قثم بن العباس» و هو عامله على مكّه المكرّمه:

ص: ١٢٧

١- تنبيه الخواطر: ص ٣٩٧.

٢- المصدر السابق: ص ٣٩٩.

«و لا- يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك، و لا حاجب إلا وجهك، و لا تحجبين ذا حاجه عن لقائك بها، فإنها (الحاجه) إن زیدت عن أبوابك في أول و ردها، لم تحمد فيما بعد على قضائها»(١).

و يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ في عهده إلى مالك الأشر: «أما بعد.. فلا تطولن احتجاجك عن رعيتك، فإن احتجاج الولاه عن الرعيه شعبه من الضيق و قلّه علم بالأمر، و الاحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتجوا دونه فيصغر عندهم الكبير، و يعظم الصغير، و يقبح الحسن، و يحسن القبيح، و يشاب الحق بالباطل، و إنما الوالى بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، و ليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب. و إنما أنت أحد رجلين: إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق، فقيم احتجاجك من واجب حقّ تعطيه، أو فعل كريم تسديه، أو مبتلى بالمنع، فما أسرع كفّ الناس عن مسألتك إذا يسوا من بذلك! مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونه فيه عليك من شكاه مظلّمه، أو طلب إنصاف في معامله»(٢).

هذا عن منع الاحتجاج..

ص: ١٢٨

١- مستدرک الوسائل: ج ٢، ص ١٤٤.

٢- نهج البلاغه: الكتب، ص ٥٣.

أمّا عن أمور الولاء، والاهتمام برسائلهم، و تقاربهم، والإجابة عليها فقد قال أمير المؤمنين عليه السّلام لمالك الأشتر أيضا: «.. ثم أمور من أمورك لا بدّ لك من مباشرتها: منها إجابة عمالك بما يعيا (يعجز) عنه كتابك. و منها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تخرج به صدور أعوانك، و امض لكل يوم عمله، فإنّ لكل يوم ما فيه»(١).

سابعا - مساعده الجميع، و اللطف بهم:

إنّ الحكومه، ليست مجرد ناظمه لشؤون الناس، و الحاكم ليس مجرد قيّم على القاصرين، أو الشرطى الذى همّه ضبط الأمور، و العسكرى الذى تقع عليه مسؤوليه فرض القانون. بل الحكومه أيضا مؤسسه خدماتيه، واجبها تطوير شؤون المجتمع، و تنميه الكفاءات، و تقديم ما يمكن تقديمه إلى ذوى الحاجه. و الحاكم بالإضافة إلى مهماته كشرطى و كعسكرى، فهو «بمنزله الوالد» حسب تعبير الإمام على عليه السّلام و من واجباته تقديم العون، و مساعده الجميع..

من هنا فإنّ على الحاكم أن يملك قلبا رحيمًا، و ضميرا عطوفا، و خلقا كريما، حتى يكون ممّن يبحث عن المحتاجين ليقدم لهم يد العون، لا أن يهرب منهم حتى لا يشغلوه!.

ص: ١٢٩

و ممّن يلتذّ بمساعدته ذوى الحاجه، لا أن يطردهم حتى لا يزعجوه!

يقول الإمام على عليه السّلام فى عهده إلى مالك الأشر:

«و أشعر قلبك الرحمه للرعيه، و المحبه لهم، و اللطف بهم»^(١).

و يقول عليه السّلام فى وصفه لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و كيف كان يبحث عن ذوى الحاجات: «طيب دوّار بطبه، قد أحكم مراهمه، و أحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجه إليه، متتبع بدوائه مواضع الغفله، و مواطن الحيره»^(٢).

ثم إن حاجات الناس إلى الحاكم، هى نعم الله التى ترى عليه، فما أحسن أن يجرى الخير على يد إنسان إلى الآخرين؟ فإن «من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام لله فيها بما يجب عرضها للدوام و البقاء، و من لم يقم فيها بما يجب عرضها للزوال و الفناء»^(٣).

من هنا كان الإمام يكتب إلى ولاته أنصفوا الناس من أنفسكم و اصبروا لحوائجهم^(٤) و يقول: «و لا تحمشوا أحدا

ص: ١٣٠

١- نهج البلاغه: الكتب، ص ٥٣.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- مجمع الأمثال: ج ٢، ص ٤٥٤.

٤- كتاب صفين: لنصر بن مزاحم، ص ١٠٨.

عن حاجته (١) و كان عليه السّلام يطلب منهم أن يجلسوا بشكل خاص لذوى الحاجات من الناس. فيقول في عهده إلى مالك الأشر: «و اجعل لذوى الحاجات منك قسما تفرّغ لهم فيه شخصك، و تجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذى خلقك، و تقعد (تعيّد) عنهم جندك و أعوانك من حراسك و شرطك، حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع.. ثم احتمل الخرق منهم و العى، و نَحّ عنهم الضيق و الأنف، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، و يوجب لك ثواب طاعته، و اعط ما أعطيت هنيئا (بلا منه) و امنع فى إجمال و إعدار» (٢).

و لا- شك أن حاجات الناس كثيره و متنوّعه، و من أهمها حاجاتهم الماديّه، و التى يجب على الوالى الاهتمام بها لأنّ قضيه الأرزاق هى قضيه الحياه بالنسبه إليهم فى الحياه الدّنيا، و لا يمكن إهمالها بحجّه أن الآخره هى المنى، و المبتغى.

و لذلك فإن على الوالى تحمّل مسؤوليته تجاه طلبات الناس بما فيها تحمّل قضاء ديونهم. فلقد قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم:

«ما من غريم ذهب بغريمه إلى وال من ولاه المسلمين،

ص: ١٣١

١- المصدر السابق.

٢- نهج البلاغه: الكتب، ص ٥٣.

و استبان للوالى عسرته إلا يرى هذا المعسر من دينه و صار دينه على والى المسلمين فيما فى يديه من أموال المسلمين»(١).

ثامنا – المساواه، و عدم التمييز:

من أهم مظاهر العدالة، المساواه بين الناس، و عدم التمييز بينهم.. و لربما يعتبر الكثيرون المساواه هى العدالة، و العدالة هى المساواه. إذ لا معنى للعدالة من دونها..

و لعلّ من أخطر ما يتلى به الحاكمون هو تمييزهم غير المبرّر بين أبناء البشر، و ترجيح بعضهم على حساب البعض الآخر..

صحيح أنّ الحياه فيها ترجيح و تفضيل، غير أن قانون التقادم و التفاضل يجب أن يدور عنه الحاكم حول «الحاجه».

فالمحتاج إلى الرعايه له أفضليته على غيره، فالفقير له الأفضليه على الغنى، و الضعيف على القوى، و من ليست له عشيره، على صاحب العشيره. كما قال ذلك الرجل الذى سئل عن أحبّ أولاده إليه فقال: «صغيرهم حتى يكبر، و عائلهم حتى يغنى، و مريضهم حتى يعفى، و غائبهم حتى يعود».

و إذا عرفنا أن الوالى مع الناس بمنزله الوالد مع أولاده فلا بدّ أن يكون ذات القانون حاكما فى تصرفاته معهم..

ص: ١٣٢

١- تفسير على بن إبراهيم: ج ١، ص ٩٤.

و الحق، فإن التمييز الظالم بين البشر يقتل فيهم روح المبادره، كما يقضى على الثقه فيما بينهم، بينما المساواه يفتح باب التنافس، و ينمى كفاءاتهم، و لهذا يجب أن يكون الجميع متساوين أمام القانون و يجب أن يكون الوالى هو الحافظ على المساواه..

و فى هذا المجال روى: «أن أمير المؤمنين قال لعمر بن الخطاب: ثلاث إن حفظتهنّ، و عملت بهنّ كفتك ما سواهنّ، و إن تركتهن لم ينفكك شىء سواهنّ»..

قال عمر: «ما هنّ يا أبا الحسن»؟.

فقال عليه السّلام: «إقامه الحدود على القريب و البعيد و الحكم بكتاب الله فى الرضى و السخط. و القسم بالعدل بين الأحمر و الأسود».

فقال عمر: «لقد أوجزت و أبلغت»(١).

من هنا وجب على ولاة العدل، أن يبالغوا فى المساواه حتى تشمل النظر، و الكلام و ما شابه..

يقول الإمام على عليه السّلام فى عهده إلى محمد بن أبى بكر حين ولاء مصر: «فاخفض لهم جناحك، و ألن لهم جانبك، و ابسط لهم وجهك، و آس بينهم فى اللحظه و النظره، حتى لا

ص: ١٣٣

١- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٣٤٩.

يطمع العظماء فى حيفك لهم، و لا- يياس الضعفاء من عدلك عليهم، فإنّ الله تعالى يسائلكم معشر عباده، عن الصغيره من أعمالكم و الكبيره، و الظاهره و المستوره»(١).

و يقول عليه السّلام لأحد ولاته: «أحبّ لعامه رعيتك ما تحبّ لنفسك، و أهل بيتك، و اكره لهم ما تكره لنفسك، و أهل بيتك، فإن ذلك أوجب للحجّه، و أصلح للرعيه»(٢).

و هكذا، فإنّ على الوالى أن يلتزم بالمساواه فى مجالين:

الأول - مساواه نفسه و أهل بيته مع عامه الناس.

الثانى - مساواه أفرد المجتمع فيما بينهم.. خاصه فيما يرتبط بقضايا المال و الفىء، لأن أى تمييز فيما بينهم بالعطاء يعنى ميلان ميزان العدالة، و اختلال توازن المجتمع.. و من ثم تقسيم الناس إلى آكل، و مأكول، و ظالم و مظلوم، و متخم و فقير..

و هذا ما ياباه الله تعالى..

و فيه الدمار و الهلاك..

يقول سبحانه: وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦)(٣).

ص: ١٣٤

١- مجموعه الشيخ ورام: ص ١٢.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٢٧.

٣- سوره الإسراء، الآية: ١٦.

من هنا كان الإمام علي عليه السلام قد تميّز بتشّده في المساواه، و عدم التنازل عنه، حتى و لو على حساب سلطته، و حياته..

لقد كتب إلى بعض جنوده يقول:

«من عبد الله على أمير المؤمنين. أما بعد، فإن الله جعلكم في الحق جميعا سواء أسودكم و أحمركم (أى العرب و غير العرب) و جعلكم من الوالى بمنزله الولد من الوالد، و جعل الوالى منكم بمنزله الوالد من الولد. و إن حَقَّكم على الوالى إنصافكم و العدل بينكم، و الكفَّ عن فيئكم، فإذا فعل ذلك معكم و جبت عليكم طاعته بما وافق الحق، و نصرته فى سيرته، و الدفع عن سلطان الله، فإنكم وزعه الله فى الأرض (المدافعون عتيا أمر به) فكونوا له أعوانا، و لدينه أنصارا، و لا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها»(١).

فالطاعة من الناس للوالى مشروطه بإنصاف الوالى و عدله، و عدم تفضيل بعضهم على بعض.. فإذا فعل ذلك و جبت طاعته و إلا فلا!

و لقد التزم فى نفسه و خاصه أهله، حيث لم يميّز أحدا على أحد فيما يرتبط بالفىء..

ص: ١٣٥

١- على إمام المتقين: ج ٢، ص ١٨.

و من ذلك ما روى من «أن علياً عليه السّلام كسى الناس بالكوفه، و كان فى الكسوه برنس خزّ، فسأله إيّاه الحسن، فأبى أن يعطيه إيّاه، و أسهم عليه بين المسلمين فصار لفتى من همدان، فأخذه الهمدانى، فقيل له: إن الحسن كان سأله أباه فمنعه إيّاه، فأرسل به الهمدانى إلى الحسن عليه السّلام فقبله»(١).

و أصبحت المساواه، سياسه الإمام فى التقسيم من غير أن تأخذه فى ذلك لومه لائم، و قد سبّب له ذلك الكثير من المشاكل، حتى أن عددا من المهاجرين و الأنصار عاتبه لأنه يسوّى بين الجميع، بينما كان عمر يفضّل المهاجرين و أهل بدر و أهل السابقه فى الإسلام.

فقال لهم: «ألا إنه من استقبل قبلتنا و شهد أن لا إله إلاّ الله و أن محمدا رسول الله (يعنى المسلمين)، و من أكل ذبيحتنا (يعنى أهل الذمّه) أجرينا عليه أحكام القرآن، و أقسام الإسلام، ليس لأحد على أحد فضل إلاّ بتقوى الله و طاعته، جعلنا الله و إياكم من المتّقين، و أوليائه و أحبائه الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون..

ألا إن هذه الدنيا التى أصبحت تمنونها، و ترغبون فيها، و أصبحت تغضبكم و ترضيكم، ليست بداركم و لا منزلكم الذى

ص: ١٣٦

خلقتم له، و لا الذى دعيتم إليه، ألا و إنها ليست بباقيه لكم، و لا تبقون عليها..

فانظروا يا معشر المهاجرين و الأنصار ما وصفتم به فى كتاب الله و نزلتم به عند رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و جاهدتم عليه، فيم فضلتم؟ أبا لحسب و النسب؟ أم بعمل و طاعه، فاستتموا نعمه الله عليكم - رحمكم الله - بالصبر لأنفسكم، و المحافظه على ما استحفظكم الله من كتابه..

ألا و إنه لا يضرّكم تواضع شىء من دنياكم بعد حفظكم وصيه الله و التقوى، و لا ينفعكم شىء حافظتم عليه من أمر دنياكم بعد تضييع ما أمرتم به من التقوى، فعليكم عباد الله بالتسليم لأمره، و الرضا بقضائه، و الصبر على بلائه».

«فأما الفىء فليس لأحد فيه على أحد أثره، قد فرغ الله عزّ و جلّ من قسمه، فهو مال الله، و أنتم عباد الله المسلمون، و هذا كتاب الله، به أقررنا و عليه شهدنا، و له أسلمنا، و عهد نبينا بين أظهرنا، فسلموا - رحمكم الله - فمن لم يرض بهذا، فليتولّ كيف شاء، فإن العامل بطاعه الله و الحاكم بحكم الله لا - وحشه عليه، أولئك الذين لا - خوف عليهم، و لا - هم يحزنون و أولئك هم المفلحون».

فلا يقولنّ رجال قد كانت الدنيا غرّتهم، فاتخذوا العقار

و فجزوا الأنهار، و ركبوا أفره الدواب، و لبسوا ألين الثياب، فصار ذلك عليهم عارا و شنارا إن لم يغفر لهم الغفار فلا يقولنّ إذا منعهم ما كانوا فيه يخوضون، و صيرتهم إلى ما يستوجبون، فينقمون ذلك و يستنكرون، و يقولون ظلمنا ابن أبي طالب، و حرمانا و منعنا حقوقنا، فالله عليهم المستعان!!..

ألا و إن للمتقين عند الله أفضل الثواب، و أحسن الجزاء و المآب، لم يجعل الله تبارك و تعالى الدنيا للمتقين ثوبا، و ما عند الله خير للأبرار»(١).

و عند ما عاد بعض المهاجرين و الأنصار فألحوا عليه أن يفضلهم في العطاء لأنهم أصحاب سابقه في الإسلام - كما كان يفعل عمر - قال لهم مؤنبا: «إني لا أرزؤكم من فيئكم شيئا! أفترونني مانعا نفسي و ولدي و معطيكم؟!»

لأسويين بين الأسود و الأحمر.. و الله لقد أدركت أقواما كانوا يبيتون لله سجدا و قياما كأن صرير النار في آذانهم، و إذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجره في اليوم العاصف..

إن لله حدودا فلا تتعدوها، و لقد فرض فروضا فلا تنقصوها، و أمسك عن أشياء لم يمسك عنها نسيانا بل رحمه

ص: ١٣٨

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢٣٦-٢٣٧.

من الله لكم فاقبلوها و لا- تكلفوها. الحلال بين و الحرام بين و الشهيات بين ذلك، فمن ترك ما اشتبه عليه فهو لما استبان له أترك، و المعاصي حمي الله، فمن رتع حولها يوشك أن يقع فيها.. و من حام حول الحمى وقع فيه»(١)!

و تعود أن يوزع كل مال يجيئه و لا يبقى منه شيئاً في بيت المال.. و بعد أن يفرغ من توزيع المال يذهب إلى بيت المال فيكنسه، و يصلّي فيه..

و كان سبب ابتعاد بعض الصحابه عنه، و التمرد عليه من قبلهم فيما بعد هو رفضه أن يفضّ لهم على غيرهم من المسلمين.. فقد روى أنه جاءه مال كثير من الخراج، فقال الإمام على عليه السلام: «اعدلوا فيه بين المسلمين جميعاً، و لا تفضّوا أحداً على أحد لقرابه أو لسابقه». و كان قد جعل عمار بن ياسر على بيت المال.

فدفع عمار و مساعدوه إلى كل واحد ثلاثة دنانير، لم يفرّقوا بين عربي و لا أعجمي، فجاء طلحه و الزبير، فسألا عمّارا و مساعديه: «ليس هكذا كان يعطينا عمر! فهذا منكم أم أمر صاحبكم»؟.

قال عمّار: «هكذا أمرنا أمير المؤمنين».

ص: ١٣٩

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢٣٨.

فمضيا إليه، فوجداه قائما في الشمس، و معه أجيره، و قد أمسك كل منهما بأدوات الزراعة، و هو يغرس نخلا. فقالا له: «يا أمير المؤمنين ألا ترى أن ترتفع بنا إلى الظل»؟.

فجاءهما حيث أويا إلى الظل، فقالا: «إنا أتينا إلى عمالك على قسمه هذا الفيء فأعطوا كل واحد منا مثل ما أعطوا سائر الناس». قال: «و ما تريدان»؟.

قالا: «ليس كذلك كان يعطينا عمر».

قال الإمام: «فما كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يعطيكما»؟.

فسكتا.. فقال: «أليس كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقسم بالسويه بين المسلمين من غير زياده»؟. فسكتا. قال: «أسنّه رسول الله أولى بالاتباع أم سنّه عمر»؟.

قالا: «بل سنّه رسول الله. و لكن يا أمير المؤمنين لنا سابقه و غناء (نفع) و قرابه فإن رأيت ألا تسوينا بالناس فافعل».

قال: «سابقتكما أسبق أم سابقتي؟ و قرابتكما أم قرابتي؟ و غناؤكما أعظم أم غنائى»؟.

قالا: «بل أنت يا أمير المؤمنين أعظم غناء و قرابتك أقرب و سابقتك أسبق».

قال: «فو الله ما أنا و أجيرى هذا فى هذا المال إلا بمنزله واحده».

قالا: «جننا لهذا و لغيره فأنت تحرمانا حقوقنا!».

فقال لهما: «ألا- تخبرانى أى شىء لكما فيه حق دفعتمكما عنه؟ أم أى قسم استأثرت عليكما به؟ أم أى حق رفعه إلى أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته، أم أخطأت بابه، و الله ما كانت لى فى الخلافه رغبه، و لا فى الولاية إربه (حاجه)، و لكنكم دعوتمونى إليها، و حملتونى عليها، فلما أفضت إلى نظرت إلى كتاب الله و ما وضع لنا، و أمرنا بالحكم به فاتبعته، و ما استسن النبى صلى الله عليه و آله و سلم فافتديته، فلم أحتج فى ذلك إلى رأيكما، و لا رأى غيركما، و لا وقع حكم جهلته، فأستشير كما و إخوانى المسلمين، و لو كان ذلك لم أرغب عنكما و لا عن غيركما».

و أما ما ذكرتما من أمر الأسوه (التسويه بين المسلمين فى قسمه الأموال) فإن ذلك أمر لم أحكم فيه برأى، و لا وليته هوى منى، بل وجدت أنا و أنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد فرغ منه، فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ الله من قسمه، و أمضى فيه حكمه، فليس لكما و الله عندى و لا- لغيركما فى هذا عتبى، أخذ الله بقلوبنا و قلوبكم إلى الحق، و ألهمنا و إياكم الصبر.

ص: ١٤١

رحم الله من رأى حقا فأعان عليه أو رأى جورا فردّه، و كان عوننا بالحق على صاحبه»(١).

و انصرفا عنه مغضبين، و توجّس في نفسه خيفه منهما، و هجس في نفسه خاطرا أفزعه أيمن أن ينقضا البيعه؟ و يلحقا بمعاويه؟!.

و أمر بأن يحتشد الناس في مسجد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم، ثم خطب الناس فقال:

«أيها الناس إنكم بايعتموني على ما بويح عليه من كان قبلي، و إنما الخيار للناس قبل أن يبايعوا، فإن بايعوا فلا خيار لهم، و إن على الإمام الاستقامه و على الرعيه التسليم، و هذه بيعه عامه من رغب عنها، رغب عن دين الإسلام و أتبع غير سبيل أهل هذا الدين»(٢)!!

و فرح المساكين و الفقراء و عامه الناس فرحا عظيما بالتسويه في القسمه، و بما أحياه أمير المؤمنين من سنّه الرسول في هذا الأمر.. و فرح الموالى خاصه، و لكن بعض العرب داخل نفوسهم شيء من هذا الأسلوب في توزيع المال!

و لكن الإمام لم يعبأ بذلك و بقى يساوى بين الناس حتى

ص: ١٤٢

١- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١١٦.

٢- المصدر السابق.

مع أقرب الصحابه إليه. فقد روى أنه لما قام سهل بن حنيف فأخذ بيد عبده فقال: يا أمير المؤمنين قد أعتقت هذا الغلام، فأعطاه على عليه السلام ثلاثه دنانير مثل ما أعطى سهل بن حنيف.

و سأله بعض مواليه مالا فقال: يخرج عطائي فأقاسمكه.

فقال: لا أكتفى بذلك..

و خرج إلى معاويه فوصله، فكتب إلى أمير المؤمنين يخبره بما أصاب من المال.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام: أما بعد فإن ما فى يدك من المال قد كان له أهل قبلك، و هو سائر إلى أهل من بعدك، فإنما لك ما مهّدت لنفسك، فأثر نفسك على أحوج ولدك، فإنما أنت جامع لأحد رجلين: إما رجل عمل فيه بطاعه الله فسعد بما شقيت، و إما رجل عمل فيه بمعصيه الله فشقى بما جمعت له، و ليس من هذين أحد بأهل أن تؤثره على نفسك، و لا تبرد له على ظهرك، فارح لمن مضى رحمه الله، و ثق لمن بقى برزق الله (١).

لقد اتخذ موقفا حازما ضد التفرقه، حتى بالنسبه إلى أولاده، فقد روى أنه دخلت عليه أخته أم هانىء بنت أبى

ص: ١٤٣

١- مناقب آل أبى طالب: ج ١، ص ٣١٤.

طالب، فدفع إليها عشرين درهما، فسألت أم هانئ مولاتها الفارسيه: «كم دفع إليك أمير المؤمنين؟»

فقلت: «عشرين درهما».

فطلبت من أخيها أن ينصفها فيمّيزها فقال لها: «يا أختاه انصرفي رحمك الله. ما وجدنا في كتاب الله فضلا لآل إسماعيل على آل إسحاق» (١)!

و جاءه ذات مره، أخوه عقيل يطالبه بالمزيد، فكان موقفه أشدّ و أعنف. و ها هو أمير المؤمنين يروى الحادث..

يقول عليه السلام:

«و الله لقد رأيت عقيلاً، و قد أملق (افتقر) حتى استماحنى (استعطاني) من بركم (قمحكم) صاعاً، و رأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم، كأنما سؤدت وجوههم بالعظم (نبات يصنع به) و عاودنى مؤكداً، و كزر على القول مردداً، فأصغيت إليه سمعى، فظن أنى أبيع دينى، و اتبع قياده مفارقاً طريقتى، فأحميت له حديده، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضجّ ضجيج ذى دنف (مرض) من ألمها و كاد أن يحترق من ميسمها (مكواتها)..»

فقلت له: «ثكلتك الثواكل يا عقيل! أثنت من حديده

ص: ١٤٤

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢٣٧.

أحماها إنسانها للعبه، و تجزني إلى نار سجرها جبارها لغضبه؟!

أتئن من الأذى، و لا تئن من لظى؟! (١).

و كما كان يرفض تفضيل أحد من قراباته على الآخرين، كان عليه السّلام يرفض أن يفضّله الآخرون، فيقدمون له الهدايا، و ما شابه ذلك لكسبه إلى جانبهم..

و يرى في ذلك رشوه سافله و يرفضها بأشدّ ما يكون..

يقول عليه السّلام: «.. و أعجب من ذلك طارق طرقتنا بملفوفه (حلوى) في وعائها، و معجونه شنتتها، كأنما عجنت بريق حيه، أو قيها.. فقلت: أصله، أم زكاه، أم صدقه؟ فذلك محرّم علينا أهل البيت.

فقال: «لا ذا، و لا ذاك، و لكنّها هديه»!.

فقلت: «هبلتك الهبول (ثكلتك الثواكل) أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟ أمختبط أنت، أم ذو جنّه، أم تهجر؟! (٢).

و جاءته امرأتان فقالتا: «يا أمير المؤمنين، نحن امرأتان مسكيتان». فقال لهما: «قد وجب حقكما علينا و على كل ذى سعه من المسلمين إن كنتما صادقيتين». فلما تبين له صدقهما

ص: ١٤٥

١- تذكره الخواص: ص ١٥٥.

٢- الأمالى للصدوق: ص ٣٦٩.

قال لأحد أصحابه: «انطلق بهما إلى السوق فاشتر لكل واحد منهما طعاما و ثلاثه أثواب، و اعط كل واحد منهما من عطائي مائة درهم».

فلما ولتا عادت إحداهما فقالت: «يا أمير المؤمنين بما فضلك الله به و شرفك»؟.

فقاطعتها و قال: «و بماذا فضّلتني الله و شرفني»؟. قالت:

«برسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم».

قال: «صدقت، و ما أنت»؟.

قالت: «مرأه من العرب و هذه من الموالى أ فلا فضّلتني عنها»؟.

فقال: «قرأت ما بين الدفتين فلم أجد لولد إسماعيل (العرب) على ولد إسحق فضلا و لا جناح بعوضه»^(١).

و بعد أيام جاءه خراج جديد، فقال: «أيها الناس إن آدم لم يلد عبدا و لم يلد أمه، و إن الناس كلهم أحرار، فمن كان له بلاء فصبر في الخير فلا يمنّ به على الله عزّ و جلّ، ألا و قد حضر شيء و نحن مسوون فيه بين الأسود و الأحمر».

و لقد استغل أعداء الإمام و مناوئوه، مساواته للجميع في إثارة من شملتهم مساواته فبدأ معاويه مثلا بتوزيع الأموال

ص: ١٤٦

١- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١٣٧.

لشراء الضمائر، حتى من بين قادة جيش الإمام.. و كان منهم واحد اسمه «خالد بن معمر» و كان من قادة رهط من الفرسان و قد زحف إلى معسكر الشام حتى كاد أن يفضى إلى سرداق معاوية و يزيل قبتة العاليه، فإذا بمعاوية يهرب منهزما و يختفى.. ليرسل إلى خالد يسأله ألا يتقدم بعد، و ألا يغامر بحياته. فما عساه يكسب من عليّ؟!.

إن معاوية ليعده بأن يولّيه خراسان إن هو توقف عن الزحف!! و إن معاوية ليهدي خالدًا من التبر ما لا يستطيع أن يحصل على ذرّه منه من أبي تراب!!

و يتوقف خالد عن الزحف!!

و هكذا كان معاوية يملك مال الله يوزّعه على من يبيع ضميره.

أما الإمام عليّ فما عساه يملك؟!.

إنه لا يملك غير العدل في القسمة بين الناس!!

ما يملك إلا التقوى، و ما عساها تجدى مع الرجال الذين يصطنعهم معاوية، من الذين قال عنهم هو نفسه: «إنهم لا يعرفون غير المال»^(١). و لكنه لن يتراجع عن الحق، و لا يتجاوز العدل.

ص: ١٤٧

١- على إمام المتقين: ج ٢.

و لقد ذكر العذرين جاؤوا من الشام أن معاوية قد اصطنع أهل الشام جميعا، و كلهم حديث عهد بالإسلام، و كلهم لا يعرف إلا معاوية، و ما يصدقه معاوية، ثم إنه ليصطنع رؤساء القبائل العربية، فيجزل لهم فى العطاء أضعافا مضاعفة؛ من أجل ذلك نكث الولاة الذين خافوا الإمام على ما كسبوه بغير حق و فروا إلى معاوية!

فقال أصحاب الإمام له: «يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال، و فضل هؤلاء الأشراف من العرب و من قريش على الموالى و العجم، و استمل من تخاف خلفه من الناس».

فقال لهم متعجبا منكرًا: «أتأمروننى أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؟!.. لو كان المال لى لسويت بينهم، فكيف و إنما المال مال الله؟!.. ألا و إن إعطاء المال فى غير حقه تبذير و إسراف، و هو يرفع صاحبه فى الدنيا، و يضعه فى الآخرة، و يكرمه فى الناس، و يهينه عند الله و لم يضع امرؤ ماله فى غير حقه، و لا عند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم و كان لغيره ودهم، فإن زلت به النعل يوما فاحتاج إلى خدمتهم فشر خدين و الأم خليل!.. إنه لا يسعنا أن نعطى أحدا أكثر من حقه.. إن هذا المال لى لى و ليس لكم، و لكنه مال الله يقسم بين الناس بالسوية فلا فضل لأحد على أحد»^(١).

ص: ١٤٨

فقال أحدهم: «يا أمير المؤمنين أنت تنصف الوضيع من الشريف، فليس للشريف عندك فضل منزله على الوضيع، فضجت طائفه ممن معك من الحق إذ عملوا به، و اغتموا من العدل إذ صاروا فيه، و رأوا صنائع معاويه من أهل الغنى فباعوا أنفسهم و أكثرهم يشترى الباطل. فإن تبذل المال يمل إليك أعناق الرجال و يستخلص ودهم».

فرد الإمام: «أما ما ذكرت من عملنا و مسيرتنا بالعدل فإن الله عز و جل يقول: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١). و أنا من أن أكون مقصرا فيما ذكرت أخوف. و أما ما ذكرت أن الحق ثقل عليهم ففارقونا، فعلم الله أنهم لم يفارقونا عن جور، و لا لجأوا إذا فارقونا إلى عدل! و أما ما ذكرت من بذل الأموال و اصطناع الرجال فإنه لا يسعنا أن نؤتى أحدا من المال فوق حقه».

يقول فضيل بن الجعد، و قد كان من المعاصرين للإمام:

أكد الأسباب كان في تقاعد العرب عن أمير المؤمنين عليه السلام أمر المال، فإنه لم يكن يفضّل شريفا على مشروف و لا عربيا على عجمي، و لا يصانع الرؤساء و أمراء القبائل كما يصنع

ص: ١٤٩

١- سورة فصلت، الآية: ٤٦.

الملوك، و لا يستميل أحدا إلى نفسه، و كان معاويه بخلاف ذلك، فترك الناس عليًا و التحقوا بمعاويه، فشكا على عليه السلام إلى الأشتر تخاذل أصحابه و فرار بعضهم إلى معاويه.

فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين إنا قاتلنا أهل البصره بأهل الكوفه و أهل الشام بأهل البصره و أهل الكوفه و رأى الناس واحد و قد اختلفوا بعد و تعادوا، و ضعفت التيه و قلّ العدد، و أنت تأخذهم بالعدل و تعمل فيهم بالحق، و تنصف الوضيع من الشريف، فليس للشريف عندك فضل منزله، فضجت طائفه ممن معك من الحق إذ عموا به، و اغتموا من العدل إذ صاروا فيه، و رأوا صنائع معاويه عند أهل الغناء و الشرف، فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا، و قلّ من ليس للدنيا بصاحب، و أكثرهم يحتوى الحقّ و يشتري الباطل، و يؤثر الدنيا.

فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تملّ إليك أعناق الرجال، و تصفو نصيحتهم، و يستخلص ودهم، صنع الله لك يا أمير المؤمنين، و كبت أعداءك و فضّ جمعهم و أوهن كيدهم، و شتّت أمورهم إنّه بما يعملون خبيرٌ (١).

فقال على عليه السلام: «أما ما ذكرت من عملنا و سيرتنا بالعدل فإنّ الله عزّ و جلّ يقول: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ

ص: ١٥٠

فَعَلَيْهَا وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١) و أنا من أن أكون مقصيرا فيما ذكرت أخوف؛ و أميا ما ذكرت من أن الحق ثقيل عليهم ففارقونا بذلك فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور، و لا لجأوا إذ فارقونا إلى عدل، و لم يلتمسوا إلا دنيا زائله عنهم كانوا قد فارقوها، و ليسألنَّ يوم القيامة: للدنيا أرادوا أم لله عملوا؛ و أمّا ما ذكرت من بادل الأموال، و اصطناع الرجال فإنه لا يسعنا أن نوفى أحدا من الفياء أكثر من حقّه، و قد قال الله سبحانه و قوله الحقّ: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢).

و قد بعث الله محمدا صلى الله عليه و آله و سلم وحده و كثره بعد القله و أعزّفته بعد الذله، و إن يردّ الله أن يولينا هذا الأمر يذلّ لنا صعبه، و يسهّل لنا حزنه، و أنا قابل من رأيك ما كان لله عزّ و جلّ رضى و أنت من آمن الناس عندى و أنصحهم لى و أوثقتهم فى نفسى إن شاء الله» (٣).

تاسعا – مجازاه المسىء، و الإحسان إلى المحسنين:

بمقدار ما يجب الإحسان إلى المحسنين، تجب معاقبه

ص: ١٥١

١- سورة فصلت، الآية: ٤٦.

٢- سورة البقره، الآية: ٢٤٩.

٣- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١٣٤-١٣٥.

المسيئين. و الحاكم العادل هو الذى يحب الجمال بمقدار ما يكره القبح، و يقرب الطيبين بمقدار ما يبعد الخبيثاء، و ينفر من الجور بمقدار ما يطلب العدل.

أما إذا لم يجاز المحسن على إحسانه، و لم يعاقب المسيء على إساءته، فإن المحسنين يزهدون فى إحسانهم، كما أن المسيئين يزيدون فى إساءتهم..

يقول الإمام على عليه السلام: «ولا يكونن المحسن و المسيء عندك بمنزله سواء، فإن فى ذلك تزهيدا لأهل الإحسان، فى الإحسان، و تدريبا لأهل الإساءة على الإساءة، و الزم كلاً منهم ما ألزم نفسه(١).

و قد روى: ثلاثة تجب على السلطان للخاصه و العامه:

– «مكافأه المحسن بالإحسان ليزدادوا رغبه فيه».

«و تغمد ذنوب المسيء ليتوب و يرجع عن غيئه».

«و تألفهم جميعا بالإحسان و الإنصاف»(٢).

صحيح أن للحاكم أن يعفو عن المسيء، و لكن يجب أن يكون القانون واضحاً فى أن للإساءه جزاءها العادل، كما أن للإحسان جائزته العادله..

ص: ١٥٢

١- نهج البلاغه: الكتب، ص ٥٣.

٢- تحف العقول: ص ٢٣٥.

عاشرا – الاهتمام بعامة الناس دون الخاصه منهم:

فى كل مجتمع هنالك مجموعته من أهل الخاصه، و هم الذين يمتلكون بعض القدرات و الطاقات و المواقع الاجتماعيه المرموقه.. و هم عاده قله قليله، بينما الأكثرية من الناس، يعيشون فى مستوى أقل من الخاصه..

و مهمه الحاكم العادل أن يهتم بعامة الناس، لا بالخاصه.

كما أن من مهمته أن يبعد عن نفسه بطانه السوء، و التى تتكوّن هى الأخرى كطبقه خاصه حول الحاكم، فتجره إلى مستنقع شهواتها و رغباتها، و تمنعه من التوجّه نحو العامه..

يقول الإمام على عليه السلام لمالك الأشر حين ولّاه مصر: «إن للوالى خاصه و بطانه، فيهم استنثار و تطاول و قلّه إنصاف فى معاملته، فاحسم ماله أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، و لا تقطعن لأحد من حاشيتك و حامتك قطيعه، و لا يطمعن منك فى اعتقاد عقده، تضرّ بمن يليها من الناس، فى شر، أو عمل مشترك، يحملون مؤونته على غيرهم، فيكون مهناً ذلك لهم دونك، و عيبه عليك فى الدنيا و الآخرة»(١).

و الحق، فإن إبعاد بطانه السوء ضرورى للتواصل مع عامه الناس، إذ من غير الممكن العمل لأجل الأكثرية، و العطاء

ص: ١٥٣

لهم، مع وجود مجموعته من المتزلفين و أصحاب المصالح الخاصه. و لذلك فلا بد من إبعادهم أولاً، ثم التوجه نحو الناس بالعتاء.

يقول الإمام على عليه السلام لمالك الأشتر أيضاً: «و ليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحق، و أعمّها في العدل، و أجمعها لرضى الرعيه فإن سخط العامه يجحف برضى الخاصه، و أن سخط الخاصه يغتفر مع رضى العامه. و ليس أحد من الرعيه أثقل على الوالى مؤونه في الرخاء. و أقلّ معونه له في البلاء، و أكره للإنصاف، و أسأل بالإلحاف، و أقلّ شكراً عند الإعطاء.

و أبطأ عذراً عند المنع، و أضعف صبراً عند ملمات الدهر، من أهل الخاصه.

و إنما عماد الدين، و جماع المسلمين، و العده للأعداء:

العامه من الأئمه، فليكن صغوك لهم، و ميلك معهم، و ليكن أبعد رعيته منك، و أشناهم عندك، أطلبهم لمعاتب الناس»(١).

الحادى عشر – التزام الحق في جبايه الضرائب:

و قد أفردنا له فصلاً خاصاً لأهميته..

ص: ١٥٤

١- المصدر السابق.

التشدد مع النفس

التشدد مع النفس..

و التشدد مع الأقرباء..

و التشدد مع المسؤولين.. من سمات حكام العدل، كما أن التساهل مع الأقرباء و التراخي مع المسؤولين، و إعطاء النفس هواها، من سمات حكام الجور..

ذلك أن «السلطه» عند حكام العدل، فرصه للمزيد من الجهاد و العمل فى سبيل الله، و كسب رضاه، بينما هى عند حكام الجور فرصه لإشباع الرغبات و الشهوات و التمتع بالملذات..

فهى عند حكام العدل مسؤوليه. و عند حكام الجور ملهاه..

و إذا عرفنا أن أعدى أعداء الإنسان نفسه التى بين جنبيه، لأنها لأتَمَارَةُ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي (١)، فإن أصحاب

ص: ١٥٥

الإيمان ينصبون العداة لها عند الاستغناء، و يتهمونها عند الحكومات، و يعتبرون «الولايات مضامير الرجال»^(١)..

بينما حكام الجور يرون فيها المنى، و المبتغى و تحقيق الأمانى..

و فى الحق.. «إن النفس لأماره بالسوء و الفحشاء، فمن ائتمنها خائنه، و من استنام إليها أهلكته، و من رضى عنها أوردته شرّ المورد»^(٢) و المشكله هنا أن النفس «تملّق تملّق المنافق، و تتصنّع بشيمه الصديق الموافق، حتى إذا خدعت و تمكّنت، تسلّطت تسلّط العدو، و تحكّمت تحكّم العتو فأوردت موارد السوء»^(٣).

و من ثمّ، فإن ذروه الغايات لا- ينالها إلا ذوو التهذيب و المجاهدات^(٤) الذين يقاومون أهواءهم كما يقاومون أعداءهم، و يعتبرون جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، و يعتبرون «أن أنصح الناس، أنصحهم لنفسه، و أطوعهم لربّه»^(٥) بينما «من أهمل نفسه ضيّع أمره»^(٦)، و «من سامح نفسه فيما يحب

ص: ١٥٦

- ١- غرر الحكم و درر الكلم.
- ٢- غرر الحكم و درر الكلم.
- ٣- ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ١٣٠.
- ٤- غرر الحكم و درر الكلم.
- ٥- المصدر السابق.
- ٦- ميزان الحكمة: ج ١٠، ص ٥٨.

أُتعبته فيما يكره»(١)، و لذلك فإن «صلاح النفس مجاهدته الهوى»(٢).

ثم إن أولى الناس بمجاهدته النفس، و التشدد معها هم الحكام، حيث تجد نفوسهم المجال واسعا للفساد و الإفساد..

يقول الإمام على عليه السلام: «من نَصَّب نفسه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، و ليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، و معلّم نفسه و مؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس و مؤدبهم»(٣).

أما كيف يكون ذلك، فبمخالفه الهوى، ذلك أن «دواء النفس الصوم عن الهوى، و الحميه عن لذات الدنيا»(٤) فلا بدّ من اتهام النفس، و مخالفتها، و الإدبار عنها لكي نصلحها..

يقول الإمام على عليه السلام: «اقبل على نفسك بالإدبار عنها»(٥) أما «من لم يتدارك نفسه بإصلاحها أعضل داءه و أعيا شقائه، و فقد الطبيب»(٦) و حينئذ كيف يمكن لمريض أن يعالج غيره؟ و كيف

ص: ١٥٧

١- غرر الحكم و درر الكلم.

٢- المصدر السابق.

٣- المستطرف: ج ١، ص ٢٠.

٤- غرر الحكم و درر الكلم.

٥- ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ١٤٤.

٦- المصدر السابق: ص ١٤٥.

يمكن لضال أن يهدى الناس؟ و «كيف يصلح غيره من لا يصلح نفسه و كيف ينصح غيره من يغشّ نفسه» (١)، و «كيف يعدل في غيره من يظلم نفسه» (٢).

من هنا كان الإمام على عليه السّلام يشدّد مع نفسه، خاصه فيما يرتبط بقضايا المال، و الجاه، و الطعام. فقد روى عن جعفر بن محمّد عليهما السّلام قال: ما اعتلج على على عليه السّلام أمران في ذات الله تعالى إلا أخذ بأشدهما، و لقد كان في الكوفه يأكل من ماله بالمدينه (٣).

و جاءه غلامه قنبر ذات مره و قال له: «قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك خبيثًا».

قال: و ما هو ويحك؟

قال: قم معي، فقام فانطلق به إلى بيته فإذا بغراره مملوءه من جامات ذهباً و فضّه، فقال: يا أمير المؤمنين رأيتك لا تترك شيئاً إلا قسمته فأدخرت لك هذا من بيت المال!

فقال على عليه السّلام: «ويحك يا قنبر لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً عظيمة؟!».

ثم سلّ سيفه و ضربها ضربات كثيره، فانتثرت من بين إناء

ص: ١٥٨

١- غرر الحكم و درر الكلم.

٢- المصدر السابق.

٣- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١٣٧.

مقطوع نصفه و آخر ثلثه و نحو ذلك، ثم دعا بالناس فقال:

اقسموه بالحصص.

ثم قام إلى بيت المال فقسّم ما وجد فيه، ثم رأى في البيت أضرار سمل (الإبره و الخيط) فقال: و ليقسّموا هذا، فقالوا: لا حاجه لنا فيه. فضحك و قال: لتأخذن شرّه مع خيره(١).

و لقد كانت نفسه عليه السّلام، شأنه في ذلك شأن غيره من الناس تتوق إلى المملدّات، و لكنه كان يجاهدها.. و هو القائل: «و لو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفّى هذا العسل و لباب هذا القمح، و نساج هذا القرّ و لكن هيهات أن يغلبني هواي، و يقودني جشعي إلى تخير الأطمعه، و لعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، أو لا عهد له في الشبع»(٢).

فكان يواسى شعبه، فيجوع نفسه، لعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في قرص، أو لا عهد له في شبع: و كان يأكل اللحم كل سنه مره في عيد الأضحى، و يقول: إنى أعلم أن الكل يأكلون اللحم في هذا اليوم، فكان تركه للحم لمواساه المسلمين و سائر من في بلاده(٣).

ص: ١٥٩

١- المصدر السابق: ص ١٣٥.

٢- روضه الواعظين: ص ١٢٧.

٣- السبيل إلى إنهاء المسلمين: ص ٤٣٨.

و كان عليه السّلام إذا أعجبه شيء تركه، فقد اشترى ثوبا، فأعجبه فتصدّق به (١).

و كان عليه السّلام يمتنع من أخذ شيء من بيت المال حتى يبيع سيفه، و لا يكون له إلا قميص واحد في وقت الغسل لا يجد غيره، و رأى عقيل بن عبد الرحمن الخولانيّ عليا عليه السّلام جالسا على برذعه [ما يوضع على الحمار لركوبه] حمار مبتلّه، فقال لأهله في ذلك، فقالت: لا تلومنيّ فو الله ما يرى شيئا ينكره إلا أخذَه فطرّحه في بيت المال (٢).

و كان يصبر على الجوع، و لا يقبل أن ترتهن نفسه عند أحد.

و من ذلك ما روى: أن أمير المؤمنين مرّ بقصّاب فقال له:

يا أمير المؤمنين.. هذا اللحم سمين، اشتر منه..

فقال عليه السّلام: «ليس الثمن حاضرا».

فقال القصاب: «أنا أصبر على الثمن، يا أمير المؤمنين».

فقال الإمام على عليه السّلام: «و أنا أصبر على اللحم» (٣).

و كان عليه السّلام يطعم الناس الخبز و اللحم، بينما كان هو يأكل الثريد بالزيت (٤).

ص: ١٦٠

١- مسند الموصليّ.

٢- إحياء العلوم: للغزاليّ.

٣- لآلئ الأخبار: ص ١٢٧.

٤- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١٣٧.

تحت عباءة الزعيم، يحاول أقرباؤه الحصول على مآربهم بأي طريقة ممكنة، و يعتبرون حظوتهم لديه حقا من حقوقهم لا يجوز لأحد تنافسهم عليه.

و من جهته فإن الزعيم يميل بطبعه إلى قراباته، بحكم المحبة من جهة، و بحكم المعرفة و الصداقة من جهة أخرى، و لربما يرى - بمرور الزمن - باطلهم حقا و حق غيرهم باطلا، فيمنحهم ما ليس لهم، و يعطيهم ما يمنعه عن الآخرين..

و هكذا تتحوّل عشيره الرّجل إلى طبقه تتحكّم فى مصائر البلاد، و تصبح قراباته آفة تأكل خيرات العباد، و يخسر الناس حقوقهم الاجتماعيه و السياسيه و الاقتصاديه لتحكم هؤلاء فيها، و احتكارهم لها..

فإذا لم يضع حكام العدل، منذ البدايه حدّا لتصرفات القرابات فسرعان ما يبتلى بهم، محيطين به كإحاطه السوار

بالمعصم و يجزونه ذات اليمين و ذات الشمال، حتى يوردونه موارد الهلاك و ينتهون بأمره إلى الدمار..

من هنا فقد وجدنا الأنبياء و الصالحين، يقفون بحزم أمام الأقباء، و لا يسمحون لهم التعدي على القانون، و يأخذونهم بالشده، لربما أكثر من غيرهم..

لقد قال أحدهم لقريب له: «إن الحسن من كل أحد حسن، و منك أحسن. و إن القبيح من كل أحد قبيح، و منك أقبح لقربك منّا».

و لقد روى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في الحديث القدسي فقال:

«يقول الله تعالى خلقت الجنه لمن أطاعنى و لو كان عبدا حبشيا و خلقت النار لمن عصانى و لو كان سيدا قرشيا».

و قال لابنته فاطمه الزهراء عليهم السلام: «يا بتيه.. لا يخذعنك الناس، يقولون ابنه محمد، فإني لا أكفيك من الله شيئا».

و كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقدم أقباءه في الحروب، و يتقى بهم الموت عن صحابته..

يقول الإمام على عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إذا احمرّ البأس (اشتد القتال)، و أحجم الناس، قدم أهل بيته، فوقي بهم أصحابه حرّ السيوف و الأسنّه، فقتل عبيده بن الحارث يوم بدر، و قتل حمزه يوم أحد، و قتل جعفر يوم مؤته، و أراد من لو

شئت ذكرت اسمه مثل الذى أرادوا من الشهاده، و لكن آجالهم عجلت، و مئته أجلت»(١).

و لقد كان الإمام يوصى ولاته، و أصحابه ليس بعدم السماح للقرابات بتعدى الحدود، بل بعدم الانشغال بالأهل و الأقرباء عن الواجبات و أمور العامه..

و يقول لأحدهم: «لا تجعلن أكثر شغلك بأهلك و ولدك، فإن يكن أهلك و ولدك من أولياء الله، فإن الله لا يضيع أولياءه، و أن يكونوا أعداء الله، فما همك و شغلك بأعداء الله»(٢).

و كم من مژه منع الإمام أقربائه من الحصول على شىء بسيط من المال أو أى شىء يرجع إلى عامه المسلمين..

من ذلك ما روى أنه خرج ابن للحسن بن على عليه السّلام (حفيد الإمام) - و على فى الرحبه، و عليه قميص خزّ و طوق من ذهب.

فقال: ابنى هذا؟

قالوا: نعم، فطلبه الإمام فشقّ القميص الذى عليه، و أخذ الطوق منه فجعله قطعاً قطعاً(٣).

و من ذلك ما روى أنه نزل بابنه الحسن ضيف، فاشترى الحسن خبزا و احتاج لإدام، فطلب من قنبر غلام أبيه أن يفتح

ص: ١٦٣

١- العيون و المحاسن: ج ٢، ص ٧٦.

٢- ربيع الأبرار: ص ٣١١.

٣- مناقب آل أبى طالب: ج ١، ص ٣٠٤.

له زقا من زقاق عسل، جاء تهم هديه من اليمن، فأخذ منها ما أطعم به الضيف.

فلما جاء أمير المؤمنين، و طلب الزقاق ليفحصها قال:

«يا قنبر أظن أنه حدث بهذا الزق حدث!» فأخبره، فغضب و سأل الحسن: «ما حملك على أن أخذت منه قبل القسمة».

قال الحسن: «إن لنا فيه حقا فإذا أعطينا رددناه».

قال الإمام: «و إن كان لك حق فليس لك أن تنتفع به قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم».

ثم دفع إلى قنبر درهما، و قال: «اشتر به خير عسل تقدر عليه، ليقسم مع ما فى الزقاق».

قال الراوى: فكأنى أنظر إلى يدي على عليه السلام على فم الزق، و قنبر يقلب العسل فيه ثم شدّه، و قال: «اللهم اغفرها للحسن فإنه لا يعرف»^(١).

و روى أيضا أن عبد الله بن جعفر الطيار، ابن أخيه، و صهره على ابنته زينب الكبرى عليهم السلام. و كان رجلا صالحا، مؤمنا، من سادات بنى هاشم، كريما يطعم الناس و له سفره مفتوحه صيفا و شتاء، و ليلا و نهارا.

ضاق عليه الدنيا ذات مره فجاء إلى عمّه أمير

ص: ١٦٤

١- مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣١٢.

المؤمنين عليه السلام و قال: يا أمير المؤمنين لو أمرت لى بمعونه أو نفقه فو الله ما لى نفقه إلا أن أبيع دابتي.

فقال عليه السلام له: لا و الله ما أجد لك شيئا، إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك (١) و روت إحدى زوجاته و هى أم عثمان فقالت: «جئت عليا و بين يديه قرنفل مكتوب فى الرحبه، فقلت: يا أمير المؤمنين هب لابتى من هذا القرنفل قلاده، فقال: هاك ذا و نفذ بيده إلى درهما - فإنما هذا للمسلمين أولا، فاصبرى حتى يأتنا حظنا منه، فنهب لابتك قلاده» (٢).

و روى أيضا أنه أتى بترج، فذهب الحسن أو الحسين يتناول أترجه، فنزعها الإمام من يده، ثم أمر به فقسّم بين الناس (٣).

و روى أن رجلا- من خثعم رأى الحسن و الحسين عليهما السلام يأكلان خبزا و بقلا و خلا فقلت لهما: أتأكلان من هذا و فى الرحبه ما فيها؟

فقالا: ما أغفلك عن أمير المؤمنين عليه السلام (٤).

و كان شديدا فى مراقبه أهله، حتى لا يأخذوا أكثر مما

ص: ١٦٥

١- شرح نهج البلاغه: ج ١، ص ٢١٥.

٢- مناقب آل أبى طالب: ج ١، ص ٣١٢.

٣- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١١٣.

٤- المصدر السابق.

لهم من الحق، و قد روى فى ذلك «أن أمير المؤمنين سمع صوت مقلى فى بيته، فنهض و هو يقول:

«فى ذمه على بن أبى طالب مقلى الكراكر؟ (و هو صدر البعير، و قيل إحدى نفثاته).

ففرع عياله، و قالوا: يا أمير المؤمنين، إنها امرأتك فلانه، نحر جزور فى حيتها، فأعطى لها نصيب منه..

فقال: «فكلوا هنيئا مريئا».

فقد خاف أن يكون ذلك من بيت المال، أو هديته من بعض الرعيه، يمكن أن تستخدم كرشوه مثلا(١).

و روى أيضا عن على بن أبى رافع قال: كنت على بيت مال على بن أبى طالب عليه السلام و كاتبه، و كان فى بيته عقد لؤلؤ كان قد أصابه يوم البصره فأرسلت إلى بنت على بن أبى طالب عليه السلام فقالت لى: بلغنى أن فى بيت مال أمير المؤمنين عقد لؤلؤ و هو فى يدك، و أنا أحب أن تعيرنيه أتجمل به فى أيام عيد الأضحى.

فأرسلت إليها و قلت: عاريه مضمونه يا ابنه أمير المؤمنين.

ص: ١٦٦

١- الاختصاص: ص ١٥٤.

فقلت: نعم عاريه مضمونه مردوده بعد ثلاثه أيام، فدفعتة إليها.

ثم إنَّ أمير المؤمنين رآه عليها فعرفه، فقال لها: من أين صار إليك هذا العقد؟

فقلت: استعرتة من ابن أبي رافع، خازن بيت مال أمير المؤمنين لأتزيّن به في العيد ثمَّ أردّه.

فبعث إليّ أمير المؤمنين عليه السّلام فجنّته فقال: أتخون المسلمين يا ابن أبي رافع؟

فقلت له: معاذ الله أن أخون المسلمين.

فقال: كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذي في بيت مال المسلمين بغير إذني و رضاهم؟

فقلت: يا أمير المؤمنين إنّها ابنتك، و سألتني أن أعيرها إياه تتزيّن به، فأعرتها إياه عاريه مضمونه مردوده، و ضمته في مالي و عليّ أن أردّه مسلّمًا إلى موضعه.

فقال: «ردّه من يومك، و إيّاك أن تعود لمثل هذا فتناكك عقوبتي، ثم أولى لابنتي لو كانت أخذت العقد على غير عاريه مضمونه مردوده لكانت إذن أول هاشميه قطعت يدها في سرقه».

فبلغ مقالته ابنته فقالت له: يا أمير المؤمنين أنا ابتتك و بضعه منك فمن أحقّ بلبسه مني؟

فقال لها أمير المؤمنين عليه السّلام: «با بنت عليّ بن أبي طالب لا تذهبي بنفسك عن الحقّ، أكلّ نساء المهاجرين تتزيّن في هذا العيد بمثل هذا؟». و أضاف عليه السّلام:

«ليس إلى ذلك سبيل حتى لا تبقى امرأه من المسلمين إلّا و لها مثل ما لك» فقبضته و رددته إلى موضعه(١).

و روى أيضا: «أن عليّا عليه السّلام استعمل عمرو بن مسلمه على أصبهان، فقدم و معه مال كثير و زقاق فيها عسل و سمن فأرسلت إحدى بنات عليّ إلى عمرو تطلب منه سمن و عسلا، فأرسل إليها ظرف عسل و ظرف سمن.

فلما كان الغد خرج عليّ و أحضر المال و السمن و العسل، ليقسم فعّد الزقاق فنقصت زقّين، فسأله عنهما فكتمه، و قال:

«نحن نحضرهما»، فعزم عليه ألاّ ذكرهما له فأخبره، فأرسل عليّ إلى ابنته فأخذت الزقّين منها فرآهما قد نقصت منهما شيء فأمر التجار بتقويم ما نقصت منهما، فكان ثلاثه دراهم، فأرسل إلى ابنته فأخذها منها ثم قسم الجميع(٢).

ص: ١٦٨

١- تنبيه الخواطر: ج ٢، ص ٣-٤.

٢- السبيل إلى إنهاء المسلمين: ص ٤٣٤.

و جاءه عقيل - أخوه - فلما حضر العشاء فإذا هو خبز و ملح، فقال عقيل: ليس إلا ما أرى؟

فقال: أو ليس هذا من نعمه الله و له الحمد كثيرا.

فقال: أعطني ما أفضى به ديني و عجل سراحي حتى أرحل عنك.

قال: فكم دينك يا أبا يزيد؟

قال: مائه ألف درهم.

قال: لا- و الله ما هي عندي و لا أملكها، و لكن اصبر حتى يخرج عطائي فأواسيكه و لو لا أنه لا بد للعيال من شيء لأعطيتك كله.

فقال عقيل: بيت المال في يدك و أنت تسوفني إلى عطائك؟ و كم عطاؤك؟ و ما عساه يكون و لو أعطيتني كله؟

فقال: ما أنا و أنت فيه إلا بمنزله رجل من المسلمين، و مع إصرار عقيل، قال له أمير المؤمنين: «تقيم إلى يوم الجمعة فأرى في ذلك فأقام عقيل عنده، فلما صلى أمير المؤمنين الجمعة قال لعقيل: ما تقول فيمن خان هؤلاء أجمعين؟

قال: بئس الرجل ذاك.

قال: فأنت تأمرني أن أخون هؤلاء و أعطيتك(١).

ص: ١٦٩

١- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١١٦.

التشدد مع المسؤولين

مراقبه المسؤولين فى الدوله..

و محاسبتهم على أقل انحراف..

و عزلهم، بسبب الفساد..

و التشدد معهم فيما يرتبط بحقوق الناس..

و إصدار التعليمات اليوميه إليهم لمراعاة العامه..

مسؤوليه أساسيه من مسؤوليات حكام العدل، ذلك أن الولاه، و أعوانهم يشكّلون من غير شكّ الوسيط بين الرأس فى المجتمع، و هو الحاكم، و بين الأعضاء، و هم الناس، و بصلاحيهم يصلح الرأس، و يصلح الأعضاء، و بفسادهم ينتقل الفساد إليه، و إليهم..

و الذى يجب فعله فى هذا المجال أمران:

الأول - اختيار الولاه، من خيره أفراد المجتمع.

ص: ١٧٠

الثانى - الاستمرار معهم فيما سبق، من المراقبه و المحاسبه و التوجيه الدائم..

و لا- يجوز الاكتفاء، بأحدهما دون الآخر، فلا- يصحّ انتخاب شخص جيد لمسؤوليه الولا-يه، ثم تركه اعتمادا على ما فيه من الصفات الحسنه، لأنّ موقع المسؤوليه، قد تفسد الصالح كما أنه يزيد الفاسد فسادا.. و الشيطان على كل حال يتصيد الرجال فى «الولايات و التى هى بالطبع مضامير الرجال»(١)..

من هنا كان لا بدّ من أن يكون الولا.. الذين يعينهم الحاكم متحلّين بالأخلاق الفاضله، بالإضافة إلى صفات الإيمان، و العقل، و العداله و غيرها..

فلا بدّ من الحذر - كل الحذر - قبل تعيين أى مسؤول، حتى لا تبلى الأمه فيما بعد بوال تعجز عن تغييره..

فأول ما يجب على الحاكم العادل فى هذا المجال، هو عزل الظالمين منهم، و اختيار أفضل الناس كمسؤولين فى الدوله.. و لا بدّ من الإحجام عن تعيين أى فرد بمجرد ظهور أول شك فى أمانته، أو حتى مجرد رغبته فى أن يصبح مسؤولا.

ص: ١٧١

١- مجمع الأمثال: ج ٢، ص ٤٥٣.

و هذا ما فعله الإمام على عليه السلام الذى قام بعزل الولاة الذين ركبوا رقاب الناس، و استبدلوا بالحكم فى العهد السابق، وردّ ما أخذوه بغير حق من أموال و ضياع..

ثم رفض تعيين أى شخص يشكّ فى أمانته، حتى و إن كان من كبار الصحابة..

و قد ذكر المؤرخون فى هذا المجال أنه أتى طلحه و الزبير أمير المؤمنين فقالوا: «هل تدرى علام بايعناك يا أمير المؤمنين؟».

قال: «نعم. على السمع و الطاعة. و على ما بايعتم عليه الخلفاء من قبلى أبا بكر و عمر و عثمان».

فقالوا: «و لكننا بايعناك على أننا شريكاك فى الأمر».

قال: «لا، و لكنكما شريكان فى القول و الاستقامه و العون».

فقال طلحه: «استعملنى على البصره فأكون لك عدّه و قوه».

و قال الزبير: «ولّى الكوفه فأكون على الخيل معك و على عدوك».

فقال الإمام على: «حتى أنظر ذلك».

و كان ابن عباس حاضرا، فلما خرجا قال: «يا أمير المؤمنين أعط طلحه و الزبير ما يطلبان». فذكره أمير المؤمنين

بما تعلّمه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْوَلَايَةَ لَا تَعْطَى لِمَنْ يَطْلُبُهَا وَلَا لِمَنْ يَحْرُسُ عَلَيْهَا!

و لكن عبد الله بن عباس، و كان الإمام قد استوزره عاد يلحّ في أمر طلحه و الزبير قائلا: «أرى أنهما أحبا الولايه، فإن كنت عازلا عاملى عثمان على البصره و الكوفه، فاستعمل بدلا منهما الزبير والثيا على البصره، و طلحه على الكوفه».

فغضب الإمام على، و قال لوزيره: «ويحك يا عبد الله بن عباس: إن العراقيين بهما الرجال و الأموال، و متى تملكنا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع؛ و يضربا الضعيف بالبلاء، و يقويا على القوى بالسلطان! و لو لا ما ظهر لى من حرصهما على الولايه، لكان لى فيهما رأى و لو كنت مستعملا أحدا لضرّه أو نفعه لاستعملت معاويه على الشام».

فقال ابن عباس: «يا أمير المؤمنين، إن معاويه و أصحابه و عصبته و أقرباءه من بنى أميه أهل دنيا! إن أبقيتهم فى مناصبهم و أبقيت فى أيديهم أموالهم و ضياعهم، فلن يبالوا من ولى هذا الأمر! و إن تعزلهم، و تستردّ منهم ما تحت أيديهم ليقولنّ:

أخذها بغير شورى، و هو الذى قتل صاحبنا، و لا آمن طلحه و الزبير أن ينضما إليهم»^(١).

ص: ١٧٣

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢٣٠-٢٣١.

و كما رفض تعيين طلحه و الزبير نظرا لشكّه في أمانتهما، و مراعاة حقوق الناس فقد رفض المساومه في التعيينات مع أفراد آخرين كان يخشى منهم على حكمه، فقد روى أنه جاء ثلاثه نفر من قريش، هم وجوه بني أميّه، و هم: مروان، و سعيد بن العاص، و الوليد بن عقبه، فقال الوليد بن عقبه:

«إنك و ترتنا جميعا: أما أنا فقتلت أبى صبيرا يوم بدر، و أما سعيد فقتلت أباه يوم بدر؛ و أما مروان فقد شتمت أباه و عبت على عثمان حين ضمّه إليه. و نحن إخوتك و نظراؤك من بني عبد مناف فنبايعك على أن تترك لنا ما أصبنا من إماره و ما فى أيدينا من أموال و ضياع، و تقتل قتله صاحبنا».

فغضب الإمام على من هذه المساومه، و أبى أن يعدهم شىء، و رفض بيعتهم و شروطها، و قال: «أما ما ذكرت يا وليد من و ترى إياكم فالحق و تركم! و أما أن أضع عنكم ما فى أيديكم فليس لى أن أضع حق الله عنكم أو عن غيركم، و أما إعفائى عمّا فى أيديكم فما كان لله و للمسلمين فالعدل يسعكم و أما قتلى قتله عثمان، فلو لزمنى قتلهم اليوم لقتلتهم بالأمس، و لكن لكم أن أحملكم على كتاب الله و سنّه نبيه، فمن ضاق عليه الحق فالباطل عليه أضيّق، و إن شئتم فالحقوا بملاحقكم».

فقال مروان: «بل نبايعك و نقيم معك فترى و نرى»!..

و لكنهم فزوا إلى مكه جميعا..

فخرج الإمام إلى الناس يقول عن بنى أمية: «و الله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً إلاّ استحلّوه، و لا عقداً إلاّ حلّوه! و حتى لا يبقى بيت مدر و لا وبر إلاّ دخله ظلمهم (بيت مدر أى مبنى من الطوب أو الحجر أو نحوه، و بيت الوبر هو الخيمه)، و حتى يقوم الباكيان يبكيان: باك يبكى لدينه، و باك يبكى لديناه. و حتى تكون نصره أحدكم من أحدهم كنصره العبد من سيده إذا شهد أطاعه، و إذا غاب اغتابه، و حتى يكون أعظمكم فيها عناء أحسنكم بالله ظناً، فإن أتاكم الله بعافيه فاقبلوا و إن ابتليتكم فاصبروا، فإن العاقبه للمتقين»(١).

و هكذا فإن على الحاكم العادل أن يكون حذراً فى تعيين الولاه، و أن يهتم بأخلاقهم، و حرصهم على إجراء العدالة، كما يهتم بدينهم، فمثلاً «لا ينبغي أن يكون الوالى على الفروج و الدماء و المغانم و الأحكام و إمامه المسلمين:

البخيل، فتكون فى أموالهم نهمة. و لا الجاهل فيضلّهم بجهله. و لا الجافى (الخشى) فيقطعهم بجفائه. و لا الهاتف للدول (الظالم فى تقسيم الأموال) فيتخذ قوما دون قوم. و لا

ص: ١٧٥

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢٣١-٢٣٢.

المرتشى فى الحكم، فيذهب بالحقوق، و يقف بها دون المقاطع، و لا المعطل للسنة فيهلك الأئمة»(١).

و فى وصيته لمالك الأشر يقول الإمام على عليه السلام: «فول من جنودك أنصحهم فى نفسك لله و لرسوله، و لإمامك، و أتقاهم جييا (ظاهر الصدر و القلب) و أفضلهم حلما، مّمن يبطىء عن الغضب، و ليستريح إلى العذر و يرأف بالضعفاء، و ينبو عن الأقوياء، و مّمن لا يثيره العنف، و لا يقعد به الضعف. ثم ألصق بذوى المروءات و الأحساب، و أهل البيوتات الصالحه، و السوابق الحسنه، ثم أهل النجده و الشجاعه، و السخاء و السماحه.. فإنهم جماع من الكرم»(٢).

فالأخلاق الحسنه بمجملها شرط ضرورى من شروط تعيين الولاة و المسؤولين على الناس.. و لكن لا يمكن أن نستريح إلى الولاية و المسؤولين لمجرد أنهم كانوا حين تعيينهم مّمن اجتمعت الشروط اللازمه فيهم، بل لا بدّ من المراقبه الدائمه، و المحاسبه المستمره..

و بمقدار ما يجب أن يكون الحاكم حسن الظن بالناس لا بدّ أن يكون حذرا مع المسؤولين.

ص: ١٧٦

١- دعائم الإسلام: ص ٥٣١.

٢- نهج البلاغه: الكتب، ٥٣.

و لقد كان الإمام على عليه السّلام ليسأل الناس عن حال الولاية، و يهتّم بما يقولون عنهم، و يقرّر بناء على حكمهم، لأنه «إنما يستدلّ على الصالحين بما يجرى الله لهم على ألسن عباده»(١).

بل و كان الإمام يسأل الناس عن أعوان الولاية، فمره سأل بعض الناس عن أعوان الولاية، فعلم أن الولاية لا يحاسبونهم فقال: «يجب على الوالى أن يتعهّد أموره، و يتفقّد أعوانه، حتى لا يخفى عليه إحسان محسن و لا- إساءة مسيء، ثم لا يترك أحدهما بغير جزاء، فإنه إذا ترك أعوانه تهاون المحسن و اجترأ المسيء، و فسد الأمر»(٢). و كان عليه السّلام يتّهم المسؤولين و الأعوان، و يحذّر منهم، و يطلب تعيينهم أولاً- للامتحان و الاختبار، و يطالب بمراقبتهم سرا، و التجسس عليهم، فى إجراء العدل، و أداء الأمانة. لأن المسؤولين إذا تركوا و شأنهم يظلمون الناس ثم يزينون الظلم و الفساد للحاكم..

يقول الإمام على عليه السّلام لمالك الأشر: ثم انظر فى أمور عمالك، فاستعملهم اختباراً، و لا تولّهم محاباه (للميل إليهم) و أثره (بدون مشوره)، فإنهما جماع من شعب الجور و الخيانه.

«و توخّ منهم أهل التجربه و الحياء، من أهل البيوتات

ص: ١٧٧

١- المصدر السابق.

٢- على إمام المتّقين: ج ٢، ص ٣٣.

الصالحه و القدم فى الإسلام المتقدمه، فإنهم أكرم أخلاقا، و أصح إعراضا، و أقل فى المطامع إشراقا، و أبلغ فى عواقب الأمور نظرا، ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوه لهم على استصلاح أنفسهم، و غنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، و حجّه عليهم، إن خالفوا أمرك، أو ثلموا أمانتك».

«ثم تفقد أعمالهم. و ابعث العيون (الجواسيس) من أهل الصدق و الوفاء عليهم، فإن تعاهدك فى السرّ لأموهم، حدوده لهم، على استعمال الأمانه، و الرفق بالرعيه»..

«و تحفظ من الأعدان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانه اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهدا، فبسطت عليه العقوبه فى بدنه، و أخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبتة بمقام المذله، و رسمته بالخيانه، و قلّدتة عار التهمه»^(١).

فبالإضافه إلى ضروره الاختيار الجيد، لا بد من المراقبه الجيده، ثم إذا خان أحدهم، أو لم يراع الناس لا بد من عقابه عقابا شديدا و عدم المسامحه معه.

كل هذا، فى الوقت الذى يجب المسامحه مع عامه الناس. أى إن المعادله الصحيحه للحكم العادل تقوم على

ص: ١٧٨

١- نهج البلاغه: الكتب، ص ٥٣.

مراعاة حاله العامه و المسامحه معهم من جهه، و التشدد مع المسؤولين من جهه أخرى. و ليس العكس كما هو ديدن و لاه الجور!

و لقد كان الإمام يرى أن المناصب مسؤوليات، و ليست مغانم، و كان يؤكد هذا المعنى للمسؤولين دائما.. فقد كتب لأحدهم يقول له:

«إن عملك ليس لك بطعمه، و لكنه فى عنقك أمانه، و أنت مسترعى لمن فوقك، ليس لك أن تفتت فى رعيه و لا تخاطر إلا بوثيقه، و فى يديك مال من مال الله عزّ و جلّ، و أنت من خزانه حتى تسلّمه إلى»(١).

كان رقبيا على سير الولاه، حريضا على عدلهم بين الناس، و أدائهم للأمانه التى فى أعناقهم للمستضعفين منهم. شديدا عليهم إذا خانوا، أو ظلموا..

كتب إلى أحد ولاته بعد أن عرف بخيائته يقول له:

«أميا بعد.. فإنى كنت أشركتك فى أمانتى، و جعلتك شعارى و بطانتى، و لم يكن رجل من أهلى أوثق منك فى نفسى لمواساتى، و مؤازرتى و أداء الأمانه إلىّ، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب، و العدو قد حرب، و أمانه الناس قد

ص: ١٧٩

١- عيون الأخبار: ج ١، ص ١٥١.

خزيت، و هذه الأُمّه قد نكثت، و شغرت: قلبت لابن عمّك ظهر المجن. ففارقت مع الفارقين، و خذلت مع الخاذلين، و خنته مع الخائنين، فلا ابن عمك آسيت، و لا الأمانه أديت!

«و كأنك لم تكن الله تريد بجهادك، و كأنك لم تكن على بينه من ربك»؟.

«و كأنك إنما كنت تكيد هذه الأُمّه عن دنياهم، و تنوى غرتهم عن فيئهم؟.. فلما أمكنتك الشدّه في خيانه الأُمّه أسرعت الكره، و عاجلت الوثبه، و اختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونه لأراملهم، و أيتامهم، اختطاف الذئب الأزل داميه المعزى الكسيره، فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله، غير متأثم من أخذه، كأنك - لا أبا لغيرك - حدرت إلى أهلك تراثك من أبيك و أمك؟!».

«فسبحان الله! أما تؤمن بالمعاد؟ أو ما تخاف نقاش الحساب»؟.

«أيها المعدود - كان - عندنا من أولى الألباب، كيف تسيع شرابا و طعاما، و أنت تعلم أنك تأكل حراما، و تشرب حراما، و تبتاع الإمام، و تنكح النساء من أموال اليتامى و المساكين، و المؤمنين و المجاهدين، الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال، و أحرز بهم هذه البلاد»..

ص: ١٨٠

«فأثّق الله، و اردد إلى هؤلاء أموالهم، فإنّك إن لم تفعل، ثم أمكنني الله منك لأعذرني إلى الله فيك، و لأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحدا إلا دخل النار»..

«و والله، لو أن الحسن و الحسين فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندي هواده و لا ظفرا منّي بإرادته، حتى آخذ الحق منهما، و أزيح الباطل عن مظلّمتها!».

«و أقسم بالله رب العالمين ما يسرنى أن ما أخذته من أموالهم حلال لي، أتركه ميراثا لمن بعدى.. فضح رويدا، فكأنك قد بلغت المدى، و دفنت تحت الثرى، و عرضت عليك أعمالك بالمحلّ الذي ينادى الظالم فيه بالحسره، و يتمنى المضيق فيه الرجعه، و لات حين مناص»(١).

و لقد كان موقف الإمام الشديد هذا مع عمّاله، قد دفع بعضهم إلى الهروب منه و الالتحاق بأهل الغدر عند معاويه، إلا أن الإمام لم يكن يأبه لذلك و يقول: «و الله لا أراهن في ديني». و كان عليه السلام يضع بموقفه هذا منهجا للحكام من أهل العدل..

لقد عاتب أحدهم على استنثاره بالأموال التي هي للمسلمين، فكتب إليه عامله:

ص: ١٨١

١- رجال الكشي: ص ٥٨، و نهج البلاغه: الكتب، ص ٤١.

«أما بعد، فقد بلغني كتابك عن الذي أصبت من بيت المال، و لعمري إن حقي في بيت مال الله أكثر من الذي أخذت، و السلام».

فكتب إليه علي: «أما بعد، فإن العجب كل العجب منك، إذ ترى لنفسك في بيت مال الله أكثر مما لرجل من المسلمين!! و قد أفلحت إن كان تمنيك الباطل و ادعاؤك ما لا- يكون ينجيك من الإثم، و يحلّ لك ما حرم الله عليك: عمرك الله! إنك لأنت البعيد (يعني البعيد عن الصواب)، قد بلغني أنك اتخذت مكه و طنا، و ضربت بها عطنا (مرابض الغنم و الإبل و الأنعام) تشتري المولدات من المدينة و الطائف، و تختارهن على عينك، و تعطى بهنّ مال غيرك».

فكتب إليه ذلك العامل: «و الله، لئن لم تدعن من أساطيرك، لأحملنّ المال إلى معاويه يقاتلك به»^(١) و كان يهتم بأقل مخالفه، و يعاتب علي أقل تجاوز، و يحاسب أصغر زلّه.

من ذلك ما روى أنّ شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين عليه السلام اشترى على عهده دارا بثمانين ديناراً. فبلغه ذلك فاستدعاه و قال له: «بلغني أنك ابتعت دارا بثمانين ديناراً و كتبت لها كتاباً و أشهدت فيه شهوداً؟».

ص: ١٨٢

١- علي إمام المتقين: ج ٢، ص ٣٥١.

فقال له شريح: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين.

فنظر إليه نظر المغضب ثم قال: «يا شريح أما إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك، و لا يسألك عن بيتك، حتى يخرجك منها شاخصاً، و يسلمك إلى قبرك خالصاً، فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك أو نقدت الثمن من غير حلالك، فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا و دار الآخرة.

أما إنك لو كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت لك كتب لك كتابا على هذه النسخه فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوق.

و النسخه هذه: هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت قد أزعج للرحيل.. اشترى منه دارا، من دار الغرور من جانب الفنانين و خطه الهالكين.

و تجمع هذه الدار حدود أربعة: الحد الأول - ينتهي إلى دواعي الآفات، و الحد الثاني - ينتهي إلى دواعي المصيبات، و الحد الثالث - ينتهي إلى الهوى المردى، و الحد الرابع - ينتهي إلى الشيطان المغوى و فيه يشرع باب هذه الدار، اشترى هذا المغتر بالأمل من هذا المزعج بالأجل، هذه الدار بالخروج من عز القناعه و الدخول في ذل الطلب و الضراعه، فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى من درك، فعلى مبلبل

ص: ١٨٣

أجسام الملوكة، و سالب نفوس الجبابرة، و مزيل ملك الفراعنه مثل كسرى و قيصر، و تبع و حمير، و من جمع المال على المال فأكثر، و من بنى و شيد و زخرف و نجد، و آذر و اعتقد، و نظر بزعمه للولد، إشخاصهم جميعا إلى موقف العرض و الحساب و موضع الثواب و العقاب: إذا وقع الأمر بفصل القضاء وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (١).. شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى و سلم من علائق الدنيا (٢).

و حينما سمع الإمام عليه السلام أن أحد أخلص عماله، و هو عثمان بن حنيف قد دعى إلى وليمه قوم من أهل البصره الأغنياء، فلبى الدعوه، كتب إليه رساله مفصّله جدا، يعاتبه على ذلك عتابا شديدا، و ينصحه أن لا يعود لمثل ذلك، ما دام الفقراء و المعوزون لا يجدون مثل ذلك، و قد جاء في مقدمه تلك الرساله ما يلي:

«أما بعد، يا ابن حنيف، فقد بلغني أنّ رجلا من فتيه أهل البصره دعاك إلى مأدبه فأسرعت إليها، يستطاب لك الألوان، و تنقل إليك الجفان، و ما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّ و غنيهم مدعوّ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا

ص: ١٨٤

١- سورة غافر، الآية: ٧٨.

٢- دستور معالم الحكم: للقصاصي، ص ١٣٥.

المقضم، فما اشبه عليك علمه فالفظه، و ما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه، فاتق الله يا ابن حنيف و لتكفك أقراصك ليكون من النار خلاصك»(١) لقد كان كثير الكتابه إلى عماله، ينصحهم من جهه، و يوجههم من جهه أخرى، و يحاسبهم على أخطائهم من جهه ثالثه، كل ذلك بروح دينيه، تذكّرهم الآخره، و محاسبه الله يوم القيامه..

فقد كتب لأحد ولاته يقول: «أما بعد، فإن دهاقين بلدك شكوا منك غلظه و قسوه، و احتقارا و جفوه.. و لهم في ذمتنا عهد، فامزج لهم بين التقريب و الإدناء، و الإبعاد و الإقصاء إن شاء الله»(٢).

و كتب لثالث: «بلغنى أنك تعمر دنياك بأخرتك، و تصل عشيرتك بقطيعه دينك، لئن كان الذى بلغنى عنك حقا، لجمل أهلك و شسع نعلك خير منك، و من كان بصفاتك فليس بأهل أن يشرك فى أمانه، أو يؤمن على جبايه، فأقبل إلى حين يصل إليك كتابى هذا إن شاء الله»(٣).

و كتب لرابع: «بلغنى عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك، و أغضبت إمامك، أنك تقسم فى المسلمين الذى حازته

ص: ١٨٥

١- ربيع الأبرار: ص ٢١٦.

٢- التاريخ: لابن واضح، ج ٢، ص ١٩.

٣- أنساب الأشراف: ج ٢، ص ١٣.

رماحهم و خيولهم، و أريقت عليه دماؤهم، فيمن اعتماك (اختارك) من أعراب قومك.. لئن كان ذلك حقا، لتجدن بك علي هوانا، و لتخفن عندى ميزانا. فلا تستهن بحق ربك، و لا تصلح دنياك بمحق آخرتك، فتكون من الأخسرين أعمالا».

ألا و إن حق من قبلك و قبلنا من المسلمين فى قسمه هذا الفىء سواء، يردون عندى عليه و يصدرون عنه(١).

و كتب لعامل غيره: «أما بعد، فقد بلغنى عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، و عصيت إمامك و أخزيت أمانتك بلغنى أنك جرّدت الأرض، فأخذت ما تحت قدميك، و أكلت ما تحت يديك، فارفع إلى حسابك و اعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس و السلام»(٢).

و كتب لجميع عماله على أهل البلاد المفتوحة (أهل البلاد المفتوحة هم الموالى): «انظروا فى حال تشتتهم و تفرّقهم، لىالى كانت الملوك و الأكاسره و الأباطره أربابا لهم فتركوهم عاله مساكين»(٣)!

و كتب إلى أحد عماله: «أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين و أنت من المتكبرين؟!، أتطمع و أنت متمرّغ فى

ص: ١٨٦

١- نهج البلاغه: الكتب، ص ٤٣.

٢- العقد الفريد: ج ٤، ص ٣٥٥.

٣- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٣٥.

النعم، تستأثر فيه على الجار المسكين و الضعيف الفقير و الأرملة و اليتيم، أن يجب لك أجر الصالحين المتصدقين؟ فماذا لو أكلت طعامك مره و أطعمت الفقير الجائع مره؟! إنما المرء يجزى بما أسلف، و السلام»(١).

و كتب إلى آخر: «أما بعد فلا يكن حظك في ولايتك مالا تستفيده، و لا غيظا تشتفيه، و لكن إماته باطل و إحياء حق»(٢).

إن الإمام كان يهتم بالنظام، و بأدواته، و منها الجيش، و لكن ليس على حساب الناس، فكان يوصى الجيش بالناس خيرا، و يطلب من الناس مجازاه من يسىء إليهم من الجيش..

لقد سير جيشا إلى أحد المناطق، و كتب إلى أمراء بلاده التى سيمرّ بها الجند كتابا كان قد تعود أن يرسله كلما سير جندا: «من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من مرّ به الجيش من جباه الضرائب و عمال البلاد: أما بعد، فإنى سيرت جنودا هي ما ره بكم إن شاء الله، و قد أوصيتهم بما يجب عليهم من كفّ الأذى، و صرف الشدى (الشر). و أنا أبرأ إليكم و إلى ذمتكم من معره (أذى) الجيش إلا من جوعه المضطرّ الذى لا

ص: ١٨٧

١- أنساب الأشراف: ج ٢، ص ١٦٩.

٢- بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ٣٢٨.

يجد عنها مذهباً إلى شيعه فنكلوا (عاقبوا) من تناول منهم شيئاً ظلماً عن ظلمهم، و كَفَّوا أيدي سفهائكم عن مضارتهم و التعرّض لهم فيما استثنياه منهم،.. و أنا بين أظهر الجيش فارفعوا إليّ مظالمكم، و ما عراكم مما يغلبكم أمرهم، و ما لا تطيقون دفعه إلاّ بالله، و بي، فأنا أغيّره بمعونه الله، إن شاء الله (١).

و هكذا كان الإمام حريصاً على حمايه حقوق كل فرد من أفراد الرعيه، و على ضبط الأمور، و لكنه كان لحقوق الناس أكثر حرصاً من حقوق العمال و الولاة، و أفراد الجيش، فقد بيّن للناس الحدود التي رسمها للجيش حتى لا يتعدّوه، و سمح لهم التنكيل بأفراد الجيش الذين قد يخالفون أوامره بحقّهم، و لم يكشف بذلك بل طالبهم بأن يكتبوا إليه مظالمهم و ما قد يغلبون عليه، و وعدهم بأن يقف إلى جانبهم، و يغيّر ما يجب تغييره من أمر الجيش إذا تعرّضوا للناس بظلم.

و لقد بلغ من حرصه على الناس، أنه عزل قاضيه أبا الأسود الدؤلي مع علمه و عدالته و فضله، و علله بأنّه يعلو صوته صوت الخصمين، فإنه لما عزل أبا الأسود جاءه، و قال يا أمير المؤمنين: لم عزلتني و ما خنت و ما جنيت.

ص: ١٨٨

١- كتاب صفين: لنصر بن مزاحم، ص ١٢٥.

فقال عليه السلام: «نعم ما خنت و ما جنيت، و لكن صوتك يعلو صوت الخصمين»^(١).

و كان عليه السلام ربّما يؤلّب العلماء على الأُمراء الّذين يظلمون الناس. فقد روى أنه «جاءه بعض الموالى من أهل الكوفه يشكون الولاية و أعوانهم، فقال لهم: «و أين علماؤكم؟! لقد أخذ الله على العلماء ألاّ يقروا ظالما و لا يسكتوا عن مظلوم»^(٢)...

ص: ١٨٩

١- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ٤٣٢.

٢- على إمام المتّقين: ج ٢، ص ٣٢.

يولد الطاغوت، كما يولد غيره، على الفطره، و لكنه يتمرد عليها فيما بعد حينما يسلك الطريق الحرام، و لا يجد من يقف في وجهه، و يثنيه عن طغيانه.

و إذا كانت «كل نفس أضمرت ما أضمر فرعون»^(١)، كما يقول الحديث الشريف فإن إمكانه أن يتحوّل أى شخص إلى طاغوت، أمر وارد و طبيعى، إذا توفّرت له الظروف الموضوعيه.. إنما ضمانه منع الطغيان هى فى مواجهه المجتمع و المسؤولين فيه من أهل الحل و العقد، لكلّ من تسوّّل له نفسه ذلك، قبل أن يستفحل أمره، و يحصل على الأضرار و الجلاوزه..

و بدايه الطغيان هو الكبر.. و الاعتزاز بالنفس.. و تحقير الآخرين، ف «الكبر أن تغمص الناس، و تسفه الحق»^(٢) و هو

ص: ١٩٠

١- راجع كتب الحديث.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٢١٧.

يظهر فى البوادر الأولى على الشخص كطريقه مشيه، أو كلامه مع الناس، و تعامله مع العامه. فقد مرّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على جماعه فقال: «على م اجتمعتم؟ فقالوا: يا رسول الله هذا مجنون يصرع، فاجتمعنا عليه.

فقال صلى الله عليه و آله و سلم: «ليس هذا بمجنون و لكنه المبتلى» و أضاف:

«ألا- أخبركم بالمجنون حق الجنون؟» قالوا: بلى يا رسول الله! فقال: «المتبختر فى مشيه، الناظر فى عطفيه، المحرّك بمنكبيه، يتمنى على الله جنّته و هو يعصيه، الذى لا يؤمن شرّه، و لا يرجى خيره، فذلك المجنون، و هذا المبتلى»^(١).

فمن تبختر فى مشيه و نظر فى عطفيه، و حرّك منكبيه، فهو متكبر لا بدّ من الحذر منه.. و الاجتماع ضده و الابتعاد عنه..

ف «إياكم و الكبر، فإن الكبر يكون فى الرجل و أن عليه العباءه»^(٢)(سائر) فلا بدّ من كشفه فى مراحل الأولى، و منع تفاقمه، لأن «الكبر رأس الطغيان، و معصيه الرحمن»^(٣).

لقد كان الإمام يرفض مهاده الطغاه، و التغاضى عن المتكبرين، مهما كلفه من أمر، فكم كان فى غنى عن

ص: ١٩١

١- بحار الأنوار: ج ٧٣، ج ٢٣٣.

٢- كنز العمال: خ ٧٧٣٥.

٣- غرر الحكم و درر الكلم.

المشاكل، و الحروب التي خاضها لو قبل السكوت عن المتكبرين، و التغاضى عنهم..

و لقد دخل عليه المغيره، بعد مبايعته بالخلافه. فقال له:

يا أمير المؤمنين إن لك عندى نصيحه. قال: «و ما هي؟» فقال: «إن أردت أن يستقيم لك الأمر فاستعمل طلحه على الكوفه، و الزبير على البصره، و ابعث لمعاويه بعهدده على الشام حتى تلزمه طاعتك، فإذا استقرت لك الخلافه فادرأهم كيف شئت برأيك».

فقال على: «أما طلحه و الزبير فسأرى رأىي فيهما، و أما معاويه فلا يرانى الله مستعملا له و لا مستعينا به ما دام على حاله، و لكنى أدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المسلمون، فإن أبى حاكمته إلى الله تعالى».

فانصرف المغيره عن الإمام مغضبا لما لم يقبل منه النصيحه. ثم أصبح فجاءه قائلا: «يا أمير المؤمنين، نظرت فيما قلت بالأمس و ما جاوبتنى به، فوجدت أنك قد وفقت للخير و طلبت الحق».

و انصرف فلقية الحسن بن على عليه السلام و هو خارج، فسأل أباه عما قال المغيره، قال على: «أتانى أمس بكذا، و أتانى اليوم بكذا».

قال الحسن: «نصحك و الله أمس، و خدعك اليوم».

ص: ١٩٢

فقال له علي: «إن أقررت معاويه على ما فى يده كنت متخذ المضللين عضدا، و لا يرانى الله كذلك أبدا».

و قال المغيره فى ذلك:

نصحت عليا فى ابن هند نصيحه فردت فلا يسمع لها الدهر ثانياه

و قلت له: أرسل إليه بعهدہ على الشام حتى يستقيم معاويه

و يعلم أهل الشام أن قد ملكته فأمر ابن هند بعد ذلك هاويه

و تحکم فيه ما تريد فإنه لداهيه - فارفق به - و ابن داهيه

فلم يقبل النصح الذى جئته به و كانت له تلك النصيحه كافيہ

و قال له عبد الله بن العباس رضى الله عنه: «يا أمير المؤمنين أنا أشير عليك أن تثبت معاويه وحده فإن فيه جرأه، فإن بايع لك فعلى أن أقلعه من منزله».

فقال علي: «و الله لا أعطيه إلا السيف» ثم تمثّل بقول الأعشى:

ص: ١٩٣

و ما ميته إن مهّا غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غولها

فقال عبد الله بن عباس: «يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع: أما والله لئن أطعنتي لأصدرنّهم بعد ورد، و لأتركنّهم ينظرون في دبر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها، في غير نقصان عليك و لا إثم لك».

و لكن الإمام رفض أن يكيد كما يكيد معاويه.

فلما رآه ابن عباس سيعالج المكر بشجاعه الصراحه و نبالتها، و لن يردّ على الكيد بالكيد قال له: «أطعني، و الحق بمالك بينع، و اغلق بابك عليك، فإن العرب تجول جوله تضطرب و لا تجد غيرك. فإنك و الله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدا!».

قال الإمام: «تشير عليّ و أرى. فإذا عصيتك فأطعني».

قال: «افعل، إن أيسر ما لك عند الطاعه».

فقال الإمام: «تسير إلى الشام فقد وليتها».

فقال ابن عباس: «ما هذا برأى، معاويه رجل من بنى أميه، و هو ابن عم عثمان و عامله، و لست آمن أن يضرب عنقي بعثمان. و إن أدنى ما هو صانع أن يجبسني فيتحكّم عليّ لقرابتي منك. إن كل ما حمل عليك حمل عليّ، و لكن اكتب إلى معاويه فمّنّه و عدّه».

فقال الإمام: «لا والله لا كان هذا أبدا».

و عزل أمير المؤمنين عمّال عثمان.. لم يثبت منهم غير أبي موسى الأشعري على الكوفه.. فولّى على البصره عثمان بن حنيف الأنصارى، و أخاه سهل بن حنيف الأنصارى على الشام. و قيس بن سعد بن عباده الأنصارى على مصر..

و فرح الأنصار بهذا الاختيار..

و بعث عبيد الله بن العباس أخا عبد الله بن العباس إلى اليمن..

فأما عامل عثمان على البصره و هو ابن خاله عبد الله بن عامر فقد أخذ ما فى بيت المال و فرّ به إلى مكه حيث كان بنو أميه الذين فرّوا من المدينه ينتظرون!

و وافاهم عامل عثمان على اليمن أبو يعلى بن أميه و معه ما نهبه من بيت المال، و هو مال كثير و نحو ستمائه بعير، و توافى عليهم فى مكه من خلعهم على من عمال عثمان. كلّ منهم بما نهبه من بيت مال ولايته!!

و أرسل أبو موسى الأشعري ببعه أهل الكوفه، كما أرسل قيس بن سعد بن عباده ببعه أهل مصر، إلّا قليلا لزموا قريه فى إقليم البحيره اسمها خربتا و اعتزلوا فيها.. فتركهم قيس آمنين..

أما سهل بن حنيف الذى ولّاه الإمام على الشام فقد لقيه

جماعه من فرسان الشام بتبوك بين وادى القرى و الشام، فهددوه بالقتل إن هو دخل الشام، و ردّوه إلى المدينه.

فلما عاد إلى المدينه دعا على كبار الصحابه و فيهم طلحه و الزبير فقال: «إن الأمر الذى كنت أهدركم منه قد وقع..

و إنها فتنه كالنار، كلما سعرت ازدادت اضطرابا و استثارت» فقال طلحه و الزبير: «أئذن لنا نخرج من المدينه، فأما أن نكاثروا و إما أن تدعنا». فقال: «سأمسك الأمر ما استمسك، فإذا لم أجد بدا فآخر الدواء الكى»^(١).

إن مواجهه المتكبرين، واجب شرعى مهما كلف الأمر، لأن المواجهه وحدها هى التى تنفع معهم، و هى وحدها تمنع المجتمع من نمو الطغيان فيه.

و فى ذلك يجب أن لا نهادن، و لا تأخذنا لومه لائم.

يقول الإمام على عليه السلام: «و لعمرى، ما على من قتال من خالف الحق، و خابط الغي من ادهان، و لا إيهان، فاتقوا الله عباد الله، و فرّوا إلى الله من الله، و امضوا فى الذى نهجه لكم، و قوموا بما عصبه لكم، فعلى ضامن لفلجكم آجال إن لم تمنحوه عاجلا»^(٢).

ص: ١٩٦

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢٤٠-٢٤٣.

٢- النهايه: ج ٣، ص ٢٤٤.

الاحتياط في إراقه الدماء

إراقه الدماء، من عاده الطغاه، لا- من شيمه المصلحين في الحياه. ذلك أن المصلح يريد الناس أحياء ليقوم بإصلاحهم، فإذا أماتهم فما يصلح حينئذ؟

أما الطغاه فملهااتهم القتل، و ديدنهم الفساد، و لذتهم التنكيل.. و لربما يعتبرون ذلك وسيله لتقويه سلطانهم.

غير أن للحياه البشريه قدسيته التي لا تدانيها قدسيه أخرى، فقد خلق الله الأرض، و الشمس، و القمر للإنسان فهو أعلى من هذه جميعا، و لذلك فلا يجوز سفك دمه، و التوسل بقتله من غير أن يكون ذلك في مصلحه الحياه نفسها..

يقول ربنا: مَنْ أَجْرِلْ ذَلِكْ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا (١).

ص: ١٩٧

١- سورة المائده، الآية: ٣٢.

و لقد عيّر الله بنى إسرائيل لأنهم كانوا يسفكون الدماء، بعد أن كان قد أخذ منهم المواثيق أن لا يفعلوا ذلك فقال سبحانه:

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَ هُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتَوَمُنُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضِ (١).

و لا شك أنّ من يتجرأ على قتل الناس، هو طاغ زنيم ذلك أن: «أعتى الناس من قتل غير قاتله، أو ضرب غير ضاربه» (٢).

إن القتل لأمر عظيم عند الله، «فلو أن السماء و الأرض اجتمعوا على قتل رجل مسلم لعذبهم الله بلا عدد و لا حساب» (٣)، بل إن «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمه، لقي الله يوم القيامة مكتوبا بين عينيه: آيس من رحمه الله» (٤). حتى «إن الرجل ليدفع عن باب الجنه أن ينظر إليها بمحجمه من دم

ص: ١٩٨

١- سورة البقره، الآيتان: ٨٤-٨٥.

٢- الأمالى: للمفيد، ص ١٢٦.

٣- كنز العمال: خ ٣٩٩٥٢.

٤- ميزان الحكمة: ج ٨، ص ٤١.

يريقه من مسلم بغير حق»(١)، و هكذا فإن «زوال الدنيا أهون على الله من دم يسفك بغير حق»(٢).

وقد أوحى الله إلى موسى بن عمران: «أن يا موسى.. قل للملأ من بنى إسرائيل: إياكم و قتل النفس الحرام بغير حق، فإن من قتل منكم نفسا فى الدنيا، قتلته مائه ألف قتله مثل قتل صاحبه»(٣).

من هنا كان من وصايا أمير المؤمنين عليه السلام للناس أن: «من استطاع منكم أن يلقي الله تعالى و هو نقيّ الراحه من دماء المسلمين و أموالهم، سليم اللسان من أعراضهم، فليفعل»(٤).

و لربما يظن البعض أن عليًا الذى دخل الحرب و لما يبلغ العشرين، و استمر يخوض المعارك، حتى ذرف على السبعين كانت الدماء بالنسبه إليه سهله، و سفكها أمرا عاديا، غير أن قليلا من التدقيق يكشف عن ورع شديد عند الإمام فى سفك الدماء.. فهو الذى كاد أن يخسر معارك عديده لأنه رفض أن يبدأ مناوئيه بقتال..

ففى معركة الجمل مثلا ناشد الإمام كلاً من عائشه و طلحه

ص: ١٩٩

١- كنز العمال: خ ٣٩٩٢١.

٢- الترغيب و التهيب: ج ٣، ص ٣٩٦.

٣- الوسائل: ج ١٩، ص ٦.

٤- نهج البلاغه: الخطب، ص ١٧٦.

و الزبير أكثر من مره أن يحقنوا الدماء، بالرغم من أنهم بدأوا ذلك، و كانت دعوته إلى حقن الدماء قد تكررت «حتى أوشك أصحابه أن يسأموا، و حتى خشوا أن يظن عدوهم بهم الضعف»(١).

و عاد يكرر: «لا- تبدأوا أنتم بالقتال! لا- ترموا بسهم، و لا تطعنوا برمح، و لا تضربوا بسيف، و اعدروا». و امثل أصحابه لما يسمعون.

لكم يشقّ على الإمام أن يرى مسلما يرفع السيف في وجه أخيه، أو عربيا يقتل عربيا!!.. كل هذا بشع و آثم و زرى!! و سيفتح باب الخلاف بين المسلمين، و تأتي عصور كقطع الليل المظلمه.. ظلمات من فوقها ظلمات، فإذا الواحد منهم يشرب دم أخيه، و يقتات بأشلائه، و إذا الإنسان الذي شرّفه الله، و خلقه على صورته، و جعله خليفته في الأرض، قد أصبح إما وحشا مفترسا، أو فريسه ممزقه!!

و أوشك بعض أصحاب عائشه أن يلقوا السلاح، و إذ بسهم يقتل أحد أصحاب على.. فيقول الإمام: «اللهم

ص: ٢٠٠

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢٧٦.

فاشهد!.. لا ترموا بسهم ولا تطعنوا برمح ولا تضربوا بسيف.. و اعذروا»(١).

و يقتل من أصحاب الإمام رجل ثان و ثالث، و الإمام يصبر و يصابر و يحتسب و يقول لأصحابه: «اعذروا إلى القوم».

و يكلف أحد فتياناه بأن يرفع القرآن الكريم و يدعو أصحاب عائشه إلى كتاب الله، فتنهال السهام على الفتى، و يسقط صريعا يخضب دمه كتاب الله.

و تتوالى السهام، فيقول محمد بن أبي بكر: «إلى متى نعذر يا أمير المؤمنين؟! لقد و الله أعذرنا و أعذرت، و إنهم ليرموننا بالسهام، و يقتلوننا رجلا رجلا، و الله لتأذن لنا فى لقاء القوم أو لتصرفنّ قبل أن تقتلنا سهامهم و نحن ننظر»!.

و نظر الإمام فوجد السهام تنهمر على أصحابه، فأعطى الرايه ابنه محمد ابن الحنفية، و أذن بالقتال، و اندفع إلى الأعداء صائحا فى رجاله: «تقدّموا»...

و بالرغم من أن معركة الجمل كانت معركة شرسه، و غير سهله فإن الإمام كان يؤثر انسحاب المقاتلين من أصحابه على

ص: ٢٠١

١- المصدر السابق: ص ٢٧٧.

تزايد عددهم و الذى كان يؤدى بلا شك إلى زياده إراقه الدماء من كلا الطرفين..

و قد روى أن «المغيره» قال للإمام:

«اختر منى واحده من اثنتين: إما أن أقاتل معك بأربعة آلاف رجل، و إما أن أكفّ عنك عشره آلاف سيف».

فقال الإمام: «اكفف عنا عشره آلاف سيف».

فنادى المغيره حلفاءه من معسكر عائشه، و قومه من جيش على، فلم يبق أحد إلا أجابه، و اعتزل بهم، فلما انتهى القتال، بايعوا كلهم علينا..(١).

و فى معركة صفين استبطأ أصحابه إذنه لهم فى القتال، حتى أن بعضهم اتهمه عليه السلام بأنه يخشى الموت.. فقال لهم:

«أمّا قولكم: أكل ذلك كراهيه للموت؟ فو الله ما أبالى دخلت إلى الموت، أو خرج الموت إليّ، و أمّا قولكم شكّا فى أهل الشام فو الله ما دفعت الحرب يوماً إلا و أنا أطمع أن تلحق بى طائفه فتهدى بى، و تعشو إلى ضوئى، و ذلك أحبّ إليّ من أن أقتلها على ضلالها، و إن كانت تبوء بآثامها(٢).

فهو إذن مصلح يريد هدايه الناس، حتى الأعداء، و لا

ص: ٢٠٢

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢٧٦.

٢- نهج البلاغه: الخطب، ص ٥٥.

يريد قتلهم، و إن كانوا يستحقون ذلك.. «و لقد أجمع الرواه و المؤرخون أن عليا كان يأنف القتال إلا إذا حمل عليه، فكان يسعى أن يسوّى الأمور مع أخصامه و من يبادره بالعداوه على وجوه سليمه تحقن الدم و تحول دون النزال»(١).

نعم حينما تقع الواقعة، و يحاول أهل الشر أن يهلكوا الحرث و النسل، فإن الإمام كان يقاتلهم من غير هواده، و هذا هو القصاص العادل بحق الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون فى الأرض فسادا.

فالسيف هو جواب السيف.

و القتل هو جزاء القتل.

و لكن إراقه الدماء أمر آخر.. فالقتال لأجل مبادئ العدل، و الحق، و الحرية، و استتباب الأمن يختلف عن القتل لأجل تقويه السلطه مثلا، و لذلك فإن الإمام كان يوصى ولاته بالتورّع عن إراقه الدماء فيقول لمالك الأشتر، حين ولّاه مصر:

«إياك و الدماء و سفكها بغير حلّها، فإنه ليس شىء أدنى لنقمه، و لا- أعظم تبعه، و لا- أحرى بزوال نعمه، و انقطاع مدّه من سفك الدماء بغير حقها، و الله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد، فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوّن سلطانك

ص: ٢٠٣

١- على و حقوق الإنسان: ص ٨٢.

بسفك دم حرام، فإن ذلك ممّا يضعفه و يوهنه، بل يزيله و ينقله، و لا عذر لك عند الله و لا عندى فى قتل العمد، لأن فيه قود البدن، و إن ابتليت بخطأ و أفرط عليك سوطك، أو سيفك أو يدك بالعقوبه، فإن فى الوكزه فما فوقها مقتله فلا تطمحن بك نخوه سلطانك عن أن تؤدى إلى أولياء المقتول حقهم»(١).

فلم يكتف الإمام بنصيحه و اليه حول إراقه الدماء، و مواعظته فى ذلك و تذكيره بيوم الحساب، بل و أعلمه أن سفك الدماء يوهن السلطان، و يأتى بعكس النتائج التى قد يرجوها الحاكمون من ذلك، ثم هددّه بأنه لا عذر له، إن قتل نفسا عن عمد، و سيقتص منه بلا- مبالاه لوجهته و مقامه «لأن فيه القود» و القصاص، و ذكره بأنّ فى قتل الخطأ أيضا الدية التى يجب أن يعطيها لأهل المقتول مع الاعتذار إليهم و الاعتراف بخطئه..

لقد كان الإمام يرى: «أن لكل دم نائرا(٢)»، و أن هذا الثأر سوف يؤخذ به إن عاجلا أو آجلا، فلا يجوز الشرع فى إراقه الدم».

و حتى مع الأعداء، إذا لم تكن هنالك الضروره القصوى فلم يكن الإمام يريق دماءهم. و قد روى عن يزيد بن بلال، قال: «شهدت مع عليّ عليه السلام «صفين» فكان إذا أتى له بالأسير

ص: ٢٠٤

١- نهج البلاغه: الكتب، ص ٥٣.

٢- المصدر السابق: الخطب، ص ١٠٥

قال: «لن أقتلك صبرا، إني أخاف الله رب العالمين» و كان يأخذ سلاحه و يحلّفه أن لا يقاتله، و يعطيه أربعة دراهم»(١).

و طلب عليه السّلام من أصحابه بصقّين، أن يطلبوا من الله حقن دماء الطرفين بقولهم: «اللّهم احقن دماءنا و دماءهم»(٢).

و أوصى أقرباءه و أصحابه، أن لا يسفكوا الدماء باسم الثأر من أجله، و ذلك بعد أن ضربه ابن ملجم.. و قال:

«يا بنى عبد المطلب.. لا- ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضا، تقولون: قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلنّ بى إلا قاتلى»(٣). و حسب ما ذكره بعض المحققين فإن الإمام لم يقتل من الذين هم فى بلاده الواسعه، الذين أجزموا أكثر من مائه شخص فى مده حكمه البالغ زهاء خمس سنوات (باستثناء الذين قتلوا فى معاركه الثلاثه)(٤).

و كان عليه السّلام يقول لولده الحسن عليه السّلام: «لا تدعون إلى مبارزه، فإن دعيت إليها فأجب، فإن الداعى إليها باغ و الباغى مصروع»(٥).

ص: ٢٠٥

١- كنز العمال: خ ٣١٧٠٣.

٢- نهج البلاغه: الخطب، ص ٢٠٦.

٣- المصدر السابق: الكتب، ص ٤٧.

٤- السبيل إلى إنهاء المسلمين: ص ٤٥٠.

٥- نهج البلاغه: الحكم، ص ٢٣٣.

تظهر أخلاق الرجال الحقيقيه فى التعامل مع العدو، أكثر مما تظهر فى التعامل مع الصديق. إذ من الطبيعى أن يتعامل المرء مع أصدقائه بالعدل و الإنصاف. و لكن ماذا عن الأعداء؟

كثيرون هم الذين يسمحون لأنفسهم، فى التعامل مع العدو، ما لا يسمحون لها فى التعامل مع الصديق، فكأن الأمر حينما يتعلّق بالمناوئين يجوز فيه ما لا يجوز فى غيره، من التنكيل، و البطش، و الافتراء، و الدسّ، و الوقيعه، و الفتك. و الغدر..

بينما «أعدل الناس من أنصف من ظلمه»^(١)، كما أن «أجور الناس من ظلم من أنصفه»^(٢).

فالالتزام بقواعد السلوك الإنسانى، إنما تكون له قيمته،

ص: ٢٠٦

١- غرر الحكم و درر الكلم.

٢- المصدر السابق.

إذا كان نابعا من قدره على تجاهلها، لا من الضعف، و الاضطرار إلى ذلك.. من هنا فإن «أعدل الناس من أنصف عن قوه»^(١)، ذلك أن «أعدى عدو للمرء غضبه و شهوته فمن ملكهما علت درجته، و بلغ غايته»^(٢).

فالذى يملك غضبه مع عدوه، و يتجاوز هواه فيه، و لا يظلم من له هوى فى ظلمه، هو صاحب الخلق الرفيع حقا..

أما من يصب غضبه على من يعاديه، و لا يرمى فيه إلا و لا ذمه، فلا يمكن اعتباره من الملتزمين بالأخلاق، لأنه ينطلق حينئذ من الحقد، أو الغضب و كلاهما من الأخلاق الذميمة..

إن أصحاب الرسالات يختلفون عن غيرهم، فى أنهم ينظرون إلى العدو باعتباره من يجب إصلاحه، و لذلك فإن لمعاداتهم حدودا، و لقتالهم حدودا و هم يرغبون فى الدرجة الأولى إصلاح العدو لا القضاء عليه.

يقول الإمام على عليه السلام: «الاستصلاح للأعداء بحسن المقال، و جميل الأفعال، أهون من ملاقاتهم و مغالبتهم بمضيض القتال»^(٣).

ص: ٢٠٧

١- ميزان الحكمه: ج ٦، ص ٨٨.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- المصدر السابق.

و على كل حال فإنَّ أهمَّ ما يجب التمتع به هو العدل مع العدو، و عدم الانجرار وراء الغضب، فى مواجهته..

يقول الإمام فى وصيه له إلى ولده الحسن عليه السّلام: «أوصيك بتقوى الله فى الغنى و الفقر.. و بالعدل على الصديق و العدو»(١).

و فى وصيه أخرى يقول: «أوصيك يا بنى بالصلاه عند وقتها.. و العدل فى الرضى و الغضب»(٢).

و نعم كلام الله الذى يقول: «و لا يجرمكم شئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى»(٣).

فلو افترضنا أن العدو لا يلتزم بأصول العدل، فإنَّ علينا أن نلتزم بها حيث إن ذلك جزء من احترامنا لقيمنا و تعاليم ديننا. فلا تجاوز للعدل حتى مع العدو، و لا تنازل عن الأخلاق حتى فى مواجهه من يدوس عليها ف «كفى بنصر الله لك، أن ترى عدوك يعمل بمعاصى الله فيك»(٤).

لقد أوصى النبى صلى الله عليه و آله و سلم علينا ذات مره فقال:

ص: ٢٠٨

١- بحار الأنوار: ج ٧٧، ص ٢٣٦.

٢- بحار الأنوار: ج ٤٢، ص ٢٠٣.

٣- سوره المائده، الآية: ٨.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٣٦.

ينبغي للمؤمن أن تكون فيه ستّ خصال:

«وقور عند الهزاهز».

«صبور عند البلاء».

«شكور عند الرخاء».

«لا يتحامل على الأصدقاء».

«و لا يظلم الأعداء».

«الناس منه فى راحه».

«و بدنه منه فى تعب».

فكانت هذه الوصية، منهج الإمام فى الحياه، فلم يتزلزل فى مواجهه العدو، و لا تززع عند البلاء، و لم ينس الشكر عند الرخاء، و لا تحامل على صديق، و لم يظلم عدواً. و كان بدنه منه فى تعب لزهده و تقواه، و شدّه تتمرّه فى ذات الله، و الناس كانوا منه فى راحه لعدله و إنصافه.

و قد وضع الإمام، بكلامه و مواقفه أصول التعامل مع العدو، و ذلك فى النقاط التاليه:

أولاً - لا مواجهه مع العدو إلا بعد إتمام الحجّه عليه لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنِهِ وَ يُحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنِهِ (١).

ففى كل مواجهه بينه و بين عدوّه، كان يدعو إلى الحق،

ص: ٢٠٩

١- سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

و يطلب منه الأوبه إلى الرشد، ابتداء من عمرو بن ودّ العامري، و انتهاء بمعاويه بن أبي سفيان.. و مرورا بطلحه و الزبير و عائشه و عمرو بن العاص، و غيرهم من مناوئيه و أعدائه..

فلقد دعا، قبيل معركة الجمل كلاً- من طلحه و الزبير، لكي يناقشهما، و يتمّ الحجّه عليهما، فخرج الزبير على فرسه في عدّه الحرب، فقال الإمام: «أما إنه لأحرى الرجلين إن ذكّر بالله أن يذّكر»!

و خرج طلحه، فخرج إليهما على، فدنا منهما فقال:

«لعمري لقد أعددتما سلاحا و خيلا و رجالا!! لا تكونا كالتبيّ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا (١)» ألم أكن أخاكما في دينكما تحرّمان دمي و أحزّم دماءكما: فهل من حدث أحل دمي؟! فقال طلحه: «الانتظار على دم عثمان».

فدهمت المراره قلب الإمام.. أهو طلحه الذي يقول هذا أمام الناس، و ما من أحد يجهل أنه قد حرّض على قتل عثمان؟!..

قال الإمام و وجهه تغشاه ابتسامه ساخره مشفقته: «يا طلحه! أهو أنت من يطلب دم عثمان؟! فلعن الله قتله عثمان!

ص: ٢١٠

يا طلحه، أتيت بامرأه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تقاتل بها، وخبأت امرأتك في البيت!».

و أضاف: «إنكما ممن أراذني و بايعني، فإن كنتما بايعتماي طائعين فارجعا و توبا إلى الله من قريب، و إن كنتما بايعتماي كارهين، فقد جعلتما لي عليكما السبيل، بإظهاركما الطاعة، و إسراركما المعصية».

«و لعمرى ما كنتما بأحق المهاجرين بالتقيه و الكتمان، و إن دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلا فيه كان أوسع عليكما، من خروجكما منه، بعد إقراركما به».

«و قد زعمتما أني قتلت عثمان، فييني و بينكما من تخلف عني و عنكما من أهل المدينة، ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل، فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما فإن الآن أعظم (ما يترتب على رجوعكما) العار، من قبل أن يجتمع العار و النار».

و قال لهما أيضا: «استحلفا عاتشه بحق الله و بحق رسوله على خصال أن تصدق فيها: هل تعلم رجلا من قريش أولى مني بالله و رسوله؟ و إسلامي قبل كآفه الناس أجمعين؟ و كفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي و رمحي، و على براءتي من دم

عثمان، و على أنى لم أستكره أحدا على بيعه، و على أنى لم أكن أحسن قولاً فى عثمان منكما»(١).

إن الحجّه الوحيدّه التى التجأ إليها مناوئو الإمام لتبرير تمرّدهم عليه كانت التهمه بالمشاركه، أو السكوت على مقتل عثمان، و كان الإمام فى ذلك الأبرأ منهم جميعاً. و كانوا يعرفون هذا الأمر جيداً. غير أن الإمام لم يشأ أن يبقى لهم عذراً يوم القيامه، و لذلك ما فتئ يتبرأ من قتل عثمان، و يلقى عليهم الحجّه تلو الحجّه، ليكونوا على بينه من أمرهم، و تكون معذره للإمام عند الله يوم يلقاه.

يقول عليه السلام فى رساله له إلى معاويه: «أما بعد.. فإن الله سبحانه قد جعل الدّنيا لما بعدها، و ابتلى فيها أهلها، ليعلم أيّهم أحسن عملاً، و لسنا للدّنيا خلقنا، و لا بالسعى فيها أمرنا، و إنّما وضعنا فيها لنبتلى بها. و قد ابتلانى الله بك، و ابتلاك بى، فجعل أهدنا حجّه على الآخر، فعدوت على الدّنيا بتأويل القرآن، فطلبتنى بما لم تجن يدى و لا لسانى، و عصيته أنت و أهل الشام بى، و ألبّ عالمكم جاهلكم، و قائمكم قاعدكم. فاتق الله فى نفسك، و نازع الشيطان قبادك، و اصرف إلى الآخره وجهك، فهى طريقنا و طريقك.

ص: ٢١٢

و احذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعه تمسّ الأصل، و تقطع الدابر»(١).

و كما فعل مع طلحه و الزبير و معاوية فعل مع الخوارج، أتمّ الحجّ عليهم أكثر من مرّه، و كان مما قال لهم فى إحداهما: «.. ألم تعلموا أنى نهيتكم عن الحكومه (التحكيم)، و أخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم دهن و مكيده لكم، و نبأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين و لا- قرآن، و أنى أعرف بهم منكم، عرفتهم أطفالا- و رجالا- فهم أهل المكر و الغدر، و إنكم إن فارقتم رأبى جانبتم الحزم، فعصيتمنى، حتى أقررت بأن حكمت، فلما فعلت شرطت و استوثقت، فأخذت على محكمين أن يحييا ما أحيا القرآن، و أن يميتا ما أمات القرآن، فاختلفا و خالفا حكم الكتاب و السنّه، فنبذنا أمرهما، و نحن على أمرنا الأوّل. فما الذى بكم، و من أين أتيتم؟».

يا هؤلاء.. إن أنفسكم قد سوّلت لكم فراق هذه الحكومه التى أنتم ابتدأتموها، و سألتموها و أنا لها كاره، فأبيتى على إباء المخالفين، و عدلتى على عدول النكداء العاصين حتى صرفت رأبى إلى رأيكم.. فلم آت لا أبا لكم حراما، و الله ما خبلتكم عن أموركم، و لا أخفيت شيئا من هذا الأمر عنكم..

ص: ٢١٣

١- الطراز: ج ٢، ص ٣٩٣.

فبينوا لنا بماذا تستحلون قتالنا و الخروج عن جماعتنا، أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم، ثم تستعرضون الناس تضربون رقابهم، و تسفكون دماءهم إن هذا لهو الخسران المبين»(١).

و أضاف عليه السيد السلام: «إن أبيتم إلا أن تزعموا أنني أخطأت و ضللت، فلم تضلّون عامّة أمه محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم بضاللي، و تأخذونهم بخطئي، و تكفرونهم بذنوبي، سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرّ و السقم، و تخلطون من أذنّب بمن لم يذنب، و قد علمتم أن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم رجم الزاني المحصن، ثم صلّى عليه، ثم ورّثه أهله. و قتل صلّى الله عليه و آله و سلّم القاتل و ورّث ميراثه أهله. و قطع السارق و جلد الزاني غير المحصن، ثم قسّم عليهما من الفىء و نكح المسلمات، فأخذهم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بذنوبهم، و أقام حق الله فيهم، و لم يمنعهم سهمهم من الإسلام، و لم يخرج أسماءهم من بين أهله.. ثم أنتم شرار الناس، و من رمى به الشيطان مراميه، و ضرب به تيهه، و سيهلك فيّ صنفان: محبّ مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، و مبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، و خير الناس فيّ حالا التّمط الأوسط فالزموه...»(٢).

ص: ٢١٤

١- تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٨٥.

٢- معدن الجواهر: للكراچكي، ص ٢٢٦.

و هكذا كان الإمام لا يقاتل أحدا إلا بعد إتمام الحجّه عليه، و لم يكن يستخفّ بعدوّه من أن يكلمه، و ينبذ إليه على سواء.. و قد قال عليه السّلام في ذلك قولا صريحا، و بيّن طريقته بشكل لا لبس فيه، و ذلك حينما جاء رجل فقال: «يا أمير المؤمنين: في أصحابك رجال قد خشيت أن يفارقوك فما ترى فيهم»؟.

فقال عليه السّلام: «إني لا- آخذ على التهمه، و لا أعاقب على الظنّ، و لا أقاتل إلا من قاتلني، و ناصبني و أظهر لى العداوه، و لست مقاتله حتى أدعوه، و أعذر إليه، فإن تاب و رجع إلينا قبلنا منه، و هو أخونا، و إن أبى إلا الاعتزام على حربنا استعنا عليه الله، و ناجزناه»(١).

ثانيا - ردّ التهديد بمثله، و قبول طلب الصلح بمثله أيضا.

فلا يجوز التنازل لتهديدات العدو، كما لا يجوز ردّ الصلح معه..

فلا ضعف أمام الأعداء، و لا تحامل عليهم.

أمّا عن قبول طلب الصلح فيقول الإمام عليه السّلام في عهده إلى مالک الأشر: «و لا تدفعنّ صلحا دعاك إليه عدوك، و لله فيه رضا، فإن في الصلح دعه لجنودك، و راحه من همومك، و أمنا

ص: ٢١٥

١- الإمام القائد: ص ١٩١.

لبلادك، و لكنّ الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل»(١).

و أما عن رد التهديد بمثله، فنجد نموذجا له فى الرساله التاليه التى أرسلها الإمام إلى معاويه، ردّا على رساله يتهدّد فيها الإمام بالحرب..

«يا معاويه إن الدنيا مشغله عن غيرها، و لم يصب صاحبها منها شيئا إلا فتحت له حرصا عليها، و لن يستغنى صاحبها بما نال فيها عمّا لم يبلغه منها، و من وراء ذلك فراق ما جمع، و نقض ما أبرم! و لو اعتبرت بما مضى، حفظت ما بقى.

و أما تمييزك بين الشام و البصره و ذكرك طلحه و الزبير رحمهما الله، فلعمري ما الأمر إلا واحدا! و أما ولوعك بى فى أمر عثمان فو الله ما قلت ذلك عن حق العيان، و لا عن يقين الخبر. و أما فضلى فى الإسلام، و قرابتى من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و شرفى فى قريش، فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته!

و أقسم بالله أنه لو لا بعض الاستبقاء، لوصلت إليك منى قوارع تفرع العظم و تهلس اللحم (أى تذيبه).

و اعلم أن الشيطان قد ثبطك عن أن تراجع أحسن أمورك، و تأذن لمقال نصيحتك. فكيف أنت صانع إذا انكشفت عنك

ص: ٢١٤

جلاليل ما أنت فيه من دنيا قد تبهجت بزيتها، و خدعت بلدتها، و قادتك فاتبتها، و أمرتك فأطعتها؟. خذ أهيه الحساب، و شمّر لما نزل بك، و لا تمكّن الغواه من سمعك، فإنك مترف قد أخذ الشيطان منك مأخذه، و بلغ فيك أمله، و جرى منك مجرى الروح و الدم!..

و متى كنتم يا معاويه ساسه الرعيه، و ولاه أمر الأمه، بغير قدم سابق، و لا شرف باسق. و نعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء؟! أحذرك أن تكون متماديا في غره الأمنيه، مختلف العلانيه و السريره.

و قد دعوت إلى الحرب فمدع الناس جانبا، و اخرج إلى، و اعف الفريقين من القتال، ليعلم أيننا المرين عن قلبه، المغطى على بصره، فأنا أبو حسن قاتل جدك عتبه و خالك الوليد و أخيك حنظله شدخا يوم بدر، و ذلك السيف معي، و بذلك القلب ألقى عدوى! ما استبدلت دنيا، و لا استحدثت نجيا، و إنى لعلى المنهاج الذى تركتموه طائعين، و دخلتم فيه كارهين!

يا معاويه كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إذا احمرّ البأس، و أحجم الناس، قدم أهل بيته، فوقى بهم أصحابه حرّ الأسنه و السيوف فقتل ابن عمه عبيده بن الحارث يوم بدر، و قتل حمزه يوم

أحد، و قتل جعفر بن أبي طالب يوم مؤته، و أراد من شئت ذكرت اسمه مثل العذرين أرادوا من الشهاده، (يعنى نفسه) و لكن آجالهم عجلت، و منيتهم أجلت فيا عجباً للدهر إذ صرت يقرن بى من لم يسع بقدمى، و لم تكن له كسابقتى!

لقد خبأ الدهر لنا منك عجباً! فارجع إلى معرفه ما لا تعذر بجهالته، لقد ابتلانى الله بك، و ابتلاك الله بى، و أرى نفسك قد أولجتك شراً، و أقحمتك غيماً، و أوردتك المهالك، و أوعرت عليك المسالك، فأثق الله فى نفسك، و نازع الشيطان قيادك، و اصرف إلى الآخره وجهك، فهى طريقنا و طريقك، فانزع عن غيئك و شقاقك».

«أما إصرارك على أنه ليس لى و لأصحابى عندك إلا السيف، فلقد أضحكت بعد استعبار! و متى ألفت بنى عبد المطلب عن الأعداء ناكلين، و بالسيف مخوفين!؟..»

فسيطلبك من تطلب، و يقرب منك ما تستبعد.

و أنا مرفل (مسرع) نحوك فى جحفل من المهاجرين و الأنصار، و التابعين لهم بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قتالهم، متسرلين سربال الموت، أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذريه بدريه، و سيوف هاشميه، قد عرفت مواقع نصالها فى أخيك و خالك و جدك و أهلك (و ما هى من

الظالمين ببعيد).. و السلام لأهله. السلام على من اتبع الهدى»(١).

إن الردّ على تهديدات العدو، لا تعنى ظلمه، بل هو العدل بعينه لأنّ العدل أساساً لا يتجزأ، فإذا اعتدى أحد عليه، و بدأ يردد و يزد ليخوّف أهل الحق فلا بدّ من رده بالشكل المناسب له..

و لقد ردّ الإمام، فى رساله أخرى، تهديدات معاويه، بفضحه و فضح بنى أمّيه فى الجاهليه و الإسلام.. فقال له فيها:

«.. إنك لذهاب فى التيه، رَوّاع عن القصد، ألا ترى - غير مخبر لك و لكن بنعمه الله أحدث - إن قوما استشهدوا فى سبيل الله تعالى من المهاجرين و الأنصار، و لكلّ فضل حتى إذا استشهد شهيدنا قيل: «سيد الشهداء» و خصّه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بسبعين تكبيره عند صلاته عليه، أو لا- ترى أن قوما قطعت أيديهم فى سبيل الله - و لكلّ فضل - حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل: «الطيار فى الجنه ذو الجناحين»، و لو لا ما نهى الله عنه من تزكيه المرء نفسه، لذكر ذاكر فضائل جمّه، تعرفها قلوب المؤمنين، و لا تمجّها آذان السامعين، فدع عنك

ص: ٢١٩

١- صبح الأعشى: ج ١، ص ٢٢٩.

من مالت به الرّميه، فإنّا صنائع ربّنا، و الناس بعد صنائع لنا..

لم يمنعنا قديم عزّنا، و لا- عادي طولنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا و أنكحنا فعل الأكفاء، و لستم هناك. و أنى يكون ذلك و منّا النبي، و منكم المكذب! و منّا أسد الله و منكم أسد الأحلاف! و منّا سيدا شباب أهل الجنه، و منكم صبيه النار! و منّا خير نساء العالمين، و منكم حمّاله الحطب، في كثير مما لنا عليكم..»(١).

«فإني أولى (أحلف) لك بالله إليه غير فاجره، لئن جمعتني و إياك جوامع الأقدار لا أزال باحتك حتى يحكم الله بيننا، و هو خير الحاكمين»(٢).

ثالثا - الالتزام بمبادئ الفروسيه، و أصول الأخلاق، في القتال، و الصلح معا. أمّا في القتال مع البغاه فقد أمر الإمام بما يلي:

١ - منع قتل الجرحى.

٢ - منع تعقيب الفارين.

٣ - منع الكشف عن العورات.

٤ - منع التمثيل بالقتلى.

ص: ٢٢٠

١- نهاية الإرب: ج ٧، ص ٢٣٣.

٢- نهج البلاغه: الكتب، ٥٥.

٥ - منع هتك الأستار.

٦ - منع توزيع أموال الأعداء، إلا ما كان فى معسكرهم.

٧ - اعتبار من يلقى سلاحه آمناً، و كذلك من يمتنع عن المشاركة فى القتال.

لقد خطب الإمام فى رجاله قبل معركة الجمل، فقال: «يا أيها الناس إذا هزمتموهم فلا تجهزوا على جريح، و لا تتبعوا مولياً، و لا تطلبوا مدبراً، و لا تكشفوا عوره، و لا تمثلوا بقتيل، و لا تهتكوا سترأ، و لا تفرّقوا شيئاً من أموالهم إلا ما تجدونه فى عسكرهم من سلاح أو كراع (الدواب) أو عبد أو أمه، و ما سوى ذلك فهو ميراث لورثتهم. و من ألقى سلاحه فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن».

و أما فى الصلح، و حالات السّلام مع العدو، فقد أمر الإمام بما يلى:

١ - الالتزام بينود الصلح، و عدم مخالفتها.

٢ - الابتعاد عن الغدر و الفتك و نقض العهود.

٣ - مراعاة الأمانه، و الابتعاد عن الإدغال و المدالسه.

٤ - عدم المطالبه بفسخ العهود بغير الحق.

يقول عليه السّلام فى عهده إلى الأشر: «.. إن عقدت بينك و بين

ص: ٢٢١

عدوك عقده، أو ألبسته منك ذمه، فحط عهدك بالوفاء، و ارع ذمتك بالأمانه، و اجعل نفسك جنه دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيء، الناس أشدّ عليه اجتماعا، مع تفرّق أهوائهم و تشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود، و قد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولوا من عواقب الغدر، فلا تغدرنّ بذمتك، و لا تخيّن بعهدك، و لا تختلن عدوك، فإنه لا يجترىء على الله إلا جاهل شقيّ. و قد جعل الله عهده و ذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته، و حرّما يسكنون إلى منعه، و يستفيضون إلى جواره، فلا إدغال، و لا مدالسه، و لا خداع فيه»(١).

رابعا: تجنب إيذاء العوائل، من النساء و الأطفال: فلا ذنب لهم، و لا يجوز بأى حال من الأحوال التعرّض لهم، و تهيجهم.

و قد روى أن بعض النسوة فى حروب الإمام على عليه السّلام بدأن يسبين أصحابه و يسبوننه و كان بعض أصحابه قد حاول أن ينال من النسوة اللائى سببته فقال: «لا تؤذوا النساء و إن شتمن أعراضكم و سبين أمراءكم و صلحاءكم، فالنساء ضعيفات، و لقد كنّا ننهى عنهن و هنّ مشركات، و كان الرجل ليضرب

ص: ٢٢٢

المرأه بالهراوه، فيعتير بها هو و ولده من بعده، كان هذا و هنّ مشركات، فكيف و هنّ مؤمنات؟!

لقد حاربنا الرجال فحاربناهم، و أما النساء و الذراري فلا سبيل لنا عليهم، لأنهنّ مسلمات، و في دار هجره، فليس لكم عليهن سبيل.

فأما ما أجبوا عليكم به و استعانوا به على حربكم، و ضمّه عسكرهم و حواه فهو لكم، و ما كان في دورهم فهو ميراث على فرائض الله لذراريهم فليكن هذا سنّه لمن يأتي من بعدنا»(١).

و روى أنه قيل لعلّى عليه السّلام بعد معركة الجمل: إن رجلين وقفا على باب عائشه يغلظان لها القول. فأمر الإمام بهما فجلد كل واحد منهما ثمانين جلده(٢)!.

خامسا - تحريم سبى النساء و الذراري في الحروب مع المسلمين:

روى أنه حينما تراءى الجمعان و اقتربا في قبيل معركة الجمل قال الأحنف بن قيس لعلّى عليه السّلام و كان قد بايعه بالمدينه: «إن قومنا بالبصره يزعمون أنك إن ظفرت عليهم قتلت رجالهم و سبيت نساءهم!» فقال عليه السّلام: «ما مثلى يخاف

ص: ٢٢٣

١- مروج الذهب: ج ٢، ص ٧٣١.

٢- على إمام المتقين: ج ١، ص ٢٨٤.

هذا منه! و هل يحلّ هذا إلا لمن تولّى و كفر؟ و هم قوم مسلمون؟!.

و بعد الحرب، و انتصار الإمام منع عليه السّلام أصحابه أن يسبوا النساء و الذراري و قال: «ليس على الموجودين سبى و لا يغنم من أموال إلا ما قاتلوا به أو عليه، فدعوا ما لا تعرفون.

و الزموا ما تؤمرون!». فراجعوه، و أكثروا عليه فقال ضيقاً بهم: «هاتوا أسهمكم و اضربوا أيها المؤمنون على أمكم عائشه، أيكم يأخذها؟!.

فنزعوا قائلين: «نستغفر الله».

فتنفّس الصعداء قائلاً: «و أنا أستغفر الله»^(١).

سادسا - معالجه الجرحى من الأعداء:

حينما يجرح أحد أفراد العدو، و يقع في الأسر، فلا بدّ من معالجته، لأنه حينئذ ليس عدوا، بل هو أسير.. و للأسرى احترامهم، و حقوقهم..

و قد كان الإمام عليّ يراعى تلك الحقوق، و يحترم الأسرى، و من ذلك ما روى أنه عليه السّلام دعا الإمام إليه محمد بن

ص: ٢٢٤

١- المصدر السابق: ص ٢٦٨.

أبى بكر فقال: «انظر هل وصل إلى أم المؤمنين شىء من مكروه»؟ (١).

فجاءها فضرب الهودج بيده فقالت: «من أنت»!.

قال: «أقرب الناس منك قرابه، و أبغضهم إليك! أنا محمد أخوك! يقول لك أمير المؤمنين هل أصابك شىء»؟

قالت: «ما أصابنى إلا سهم لم يضرنى».

فقال لها: «أما سمعت الرسول يقول: على مع الحق، و الحق مع على؟ ثم خرجت تقاتلينه».

قالت: «فليغفر الله لى»!.

و قال لها عمّار بن ياسر: «أين أنت اليوم يا أم المؤمنين و العهد الذى عهد إليك»؟

فقالت: «إنك و الله قوّال بالحق»! (٢).

ثم إن أمير المؤمنين لم يكتف بالتعامل الإنسانى العادل، مع أعدائه، بل إنّه أضاف العنصر الأخلاقى إليه، فلم يرض مثلا أن يسبّ أعداءه، أو يتّهموا بما ليس فيهم.. فقد روى أن الإمام بعد معركة الجمل لم يقل فى أعدائه إلا «أنهم ذاقوا

ص: ٢٢٥

١- الكامل فى التاريخ: ج ٣، ص ١٣٣.

٢- على إمام المتّقين: ج ١، ص ٢٨١.

ويقال أمرهم» و حدث أن رجلا- من أصحابه وثب فقال متقربا للإمام متوددا إليه: «أى و الله يا أمير المؤمنين الحمد لله الذى نصرک على الباغين الظالمين الكافرين المشركين».

فقال له الإمام غاضبا: «ثكلتك أمك! ما أقواك بالباطل، و أجرأك على أن تقول ما لا تعلم! ليس القوم كما تقول!.. لو كانوا كافرين مشركين، لسبينا نساءهم، و غنمنا أموالهم، و لما صاهرناهم و لا أورثناهم»^(١). و هكذا رفض أن ينعثوا بما ليس فيهم، و ينسبوا إلى الكفر و هم منه براء.

ثم إنه عليه السلام اهتم بقتلى أعدائه، كما اهتم بأصحابه، فصلى على القتلى من الجانبين، و بكى أعداءه كما بكى أحبائه.

فقد روى سفيان الثورى فقال: «لما انقضى يوم الجمل خرج على بن أبى طالب فى ليله ذلك اليوم و معه مولاه و بيده شمعه يتصفح وجوه القتلى، حتى وقف على طلحة بن عبيد الله فى بطن واد متعفرا، فجعل يمسح الغبار عن وجهه و يقول:

أعزز على يا أبا محمد أن أراك متعفرا تحت نجوم السماء و فى بطون الأودية، إننا لله و إننا إليه راجعون»^(٢).

ص: ٢٢٤

١- المصدر السابق: ص ٢٩٣.

٢- على إمام المتقين: ج ٢، ص ٣٣٨.

و أضاف: لقد كنت كارها لهذا.. أنت و الله كما قال القائل:

فتى كان يدينه الغنى من صديقه إذا هو ما استغنى و يبعده الفقر

كأن الثريا علقت فى يمينه و فى خده الشعرى، و فى الآخر البدر

و وجد الإمام جثمان محمد بن طلحه فقال: «أما و الله لقد قتلك برك بأبيك! رحمك الله يا محمد.. لقد كنت فى العباده مجتهدا»(١).

و كان عليه السّلام يقبل الحق فى الأمور الصغيره كما يقبله فى الأمور الكبيره، و كان يقبل من عدوّه الحق الذى له، كما يقبل من أصحابه ذلك..

فقد قبل أن تمحى من اسمه لقب «أمير المؤمنين» و هو اللقب الذى منحه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم له فى حياته، لأن عدوّه رفض الاعتراف بكونه أميرا للمؤمنين، و ذلك فى كتابه وثيقه التحكيم فى حرب صفّين، فقد روى، أنه عليه السّلام، و بحضور جمع من الطرفين، فيهم عمرو بن العاص، أخذ يملى وثيقه

ص: ٢٢٧

١- المصدر السابق.

التحكيم، فأملى عليه السّلام: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين..» فقال عمرو للكاتب: «بل اكتب اسمه و اسم أبيه، هو أميركم و ليس أميرنا».

فقال الأحنف للإمام: «لا تمح اسم أمير المؤمنين فإنى أتخوّف إن محوتها ألا ترجع إليك أبدا».

فقال الإمام: «الله أكبر! سنه بسنّه! و الله إنى لكاتب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يوم الحديبيه، فكتبت: محمد رسول الله، فقال سهيل بن عمر مبعوث كفار قريش إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: لو كنت رسول الله لا تبعناك، و لكن اكتب اسمك و اسم أبيك».

فأمرنى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بمحوه، فقلت: لا أستطيع! فقال: يا علىّ إنى لرسول الله، و إنى لمحمد بن عبد الله، و لن يمحو عنى الرساله كتابى إليهم من محمد بن عبد الله. و إنك ستدعى إلى مثلها فتجيب!».

فقلت لسهيل بن عمرو مبعوث كفار قريش: إنه لرسول الله و إن رغم أنفك.

فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «يا على اكتب محمد بن عبد الله».

إن لك مثلها ستعطيها و أنت مضطهد!».

و سكت علىّ ثم أضاف: «فاليوم أكتبها إلى أبنائهم كما كتبها رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إلى آبائهم سنه و مثلاً».

فقال عمرو: «سبحان الله، تشبهنا بالكفار و نحن مؤمنون»؟!، و أضاف: «لا يجمع بينى و بينك مجلس أبدا بعد هذا اليوم».

فقال له الإمام: «و إنى لأرجو أن يطهر الله عزّ و جلّ مجلسى منك و من أشباهك»^(١).

و لقد ظهر عدل الإمام كأروع ما يكون مع قاتله عبد الرحمن بن ملجم قبل أن يرتكب جريمته، و بعدها أيضا..

فلقد كان الإمام يتنبأ بأنه سيتعرض لعملية اغتيال على يد ابن ملجم، و كان كلما رآه يقول:

أريد حياته، و يريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد^(٢).

و لقد صرح لبعض أصحابه، بأنه يتوقع أن يغتاله ابن ملجم، فقليل له: «يا أمير المؤمنين.. دعنا نقتله..».

فقال: «أترون أن أقتل رجلا لم يصنع بى شيئا»^(٣).

كان ذلك قبل أن يرتكب الرجل جريمته.. أما بعد أن اغتال الإمام بسيف مسموم، ضربه و هو عليه السلام فى محراب عبادته، و الصلاة بين شفتيه، ضربه قال عنها: «إنها لو كانت بأهل مصر جميعا لأتت عليهم»؟؟.

ص: ٢٢٩

١- تاريخ الطبرى: ج ٥، ص ٥٤-٥٥.

٢- الاستيعاب: ج ٣، ص ١٢٧.

٣- الطبقات الكبرى: ج ٣، ص ٣٤.

فقد أخذوه إلى الإمام مخفورا، فنظر في وجهه مليا، ثم قال و كأنه عليه السّلام يذكره بماضى عطاياه له:

«أبئس الإمام كنت لك؟»

فقال المرادى - الذى كان مدفوعا، فى عمله الجبان ذاك بحقد الخوارج و غرام قظام :-

«أفأنت تنقذ من فى النار، يا على؟!»^(١).

فأمر الإمام أن يؤخذ معه إلى داره، و أوصى به خيرا فقال:

«أطيبوا طعامه، و لينوا فراشه»^(٢)!.

و كان عليه السّلام كلّما شرب اللبن، الذى أوصى به الطيب لدفع السم يبقى منه نصفه، و يقول لولده:

«أطعموه أسيركم..»، و يقصد ابن ملجم^(٣).

حتى إذا جىء له فى أواخر لحظات حياته، بشربه قليله فشربها كلها، قال:

«اعلموا، أن هذا آخر رزقى من الدّنيا، و قد شربت الجميع، و لم يبق لأسيركم..».

ثم التفت إلى ولده الحسن عليه السّلام، و قال:

ص: ٢٣٠

١- علىّ من المهد إلى اللّحد.

٢- مقاتل الطالبين: ص ٣٨.

٣- المعمرن و الوصايا: ص ١٤٩.

«بحقّى عليك يا بنى، إلا ما سقيته مثل ما شربت..».

و أضاف: «يا بنى، أنت وليّ الأمر من بعدى، و وليّ دمي، فإن عفوت فلك، و إن قتلت فضربه مكان ضربه..»^(١).

و التفت إلى من كان معه فى الحجره فقال:

«يا بنى عبد المطلب، لا ألفتينكم تخوضون دماء المسلمين خوفا تقولون: قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلنّ بى إلا قاتلى.

انظروا إذا أنا متّ من ضربتى هذه، فاضربوه ضربه بضربه، و لا يمثّل بالرجل، فإنى سمعت رسول الله يقول: «إياكم و المثلّه، و لو بالكلب العقور..»^(٢).

و أضاف: «ارفقوا به، و أطعموه مما تأكلون، و اسقوه مما تشربون»^(٣).

ص: ٢٣١

١- السبيل إلى إنهاء المسلمين: ص ٤٤٨.

٢- المعارف: ج ٢، ص ١٧٨.

٣- غزوات أمير المؤمنين: ص ٢٢٥.

الأهم من الانتصار هو العفو مع الاقتدار.

فالانتصار عمليه ماديه، تتحدّد بالزمان و المكان، أمّا العفو فهو عمل إنساني عظيم يستعصى على الحدود، و يتجاوز الزمان لأن «العفو زكاه الظفر»^(١).

و الحقيقه فإن «أولى الناس بالعفو، أقدرهم على العقوبه»^(٢). بينما «قله العفو، أقبح العيوب و التسرّع إلى الانتقام أعظم الذنوب»^(٣)، و لا- شك أن «شر الناس من لا- يعفو عن زلّه، و لا- يستر العوره»^(٤)، و حتماً فإن «من لم يحسن العفو أساء بالانتقام»^(٥).

ص: ٢٣٢

١- نهج البلاغه: الحكم، ٢١١.

٢- شرح نهج البلاغه: ج ١٨، ص ١٨٣.

٣- غرر الحكم و درر الكلم.

٤- المصدر السابق.

٥- ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٣٧٠.

و هكذا فإن «العفو تاج المكارم»^(١).

بالإضافة إلى «أن الله تعالى عفو يحب العفو»^(٢)، وقد ذكر للعافين ثوابا عظيما «فإذا كان يوم القيامة ينادى مناد يسمعه أهل الحشر»، فيقول: «أين أهل الفضل؟ فيقوم عنق من الناس، فتستقبلهم الملائكة»، فيقولون: «ما فضلكم هذا الذي نوديتم به؟» فيقولون: «كنا يجهل علينا في الدنيا فنحلم. و يساء إلينا فنعفو». فينادى مناد من الله تعالى: «صدق عبادى خلّوا سبيلهم، ليدخلوا الجنة بغير حساب»^(٣).

و قد يظن بعض الحكّام أنّ الانتقام يمده بالسلطان أكثر من العفو، لأنه يظن أن في العفو ضعفا. غير أنّ التاريخ يثبت أن «عفو الملك أبقى للملك»^(٤)، و «العفو لا يزيد العبد إلا عزا»^(٥)، بل إنه من «حق من ساءك أن تعفو عنه، و إن علمت أن العفو يضرّ انتصرت». قال الله تعالى: وَ لَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١)(٦)(٧).

ص: ٢٣٣

- ١- غرر الحكم و درر الكلم.
- ٢- كنز العمال، خ ٧٠٠٥.
- ٣- الفقه: الاجتماع، ص ٥٤٥.
- ٤- الوسائل: ج ٨، ص ٥١٩.
- ٥- كنز العمال: خ ٧٠١٢.
- ٦- سورة الشورى، الآية: ٤١.
- ٧- بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ٩.

لقد كان الإمام أمير المؤمنين يوصي كل واحد من أصحابه فيقول: «إذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه» (١).

و يقول: «العفو أعظم الفضيلتين» (٢).

و يقول: «شيئان لا يوزن ثوابهما: العفو و العدل» (٣).

و يقول: «أحسن المكارم عفو المقتدر، و وجود المفتقر» (٤).

و كان هو متخلقا بأخلاق الله عظيم العفو حسن التجاوز..

و لربما يظهر من كلام له قبل موته، أنه كان ينوى العفو عن قاتله «عبد الرحمن بن ملجم» فقد قال:

«إن ابق، فأنا وليّ دمي، و إن أفن فالفناء ميعادي، و إن أعف فالعفو لى قربه، و هو لكم حسنه، فاعفوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم» (٥)؟.

لقد انتصر الإمام فى بعض المعارك، فاستولى على كثير من أعدائه الذين ظلموه و قاتلوه، فأسرهم، و لكن لم يقم بأية

ص: ٢٣٤

١- لباب الآداب: ص ٣٣٥.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- المصدر السابق.

٤- ميزان الحكمة: ج ٦، ص ٣٧١.

٥- إثبات الوصية: ص ١٠٣.

تصفيات، أو حتى إلغاء مناصب مخالفيه، أو مصادرهم أموالهم، بل أطلق سراحهم و عفا عنهم و أعطاهم الأموال..

فلقد جرى إليه بموسى بن طلحه بن عبيد الله فقال له الإمام:

«قل: أستغفر الله و أتوب إليه ثلاث مرات». و لما قالها خلّى سبيله، و قال له: «أذهب حيث شئت، و ما وجدت لك في عسكرنا من سلاح أو كراع فخذ، و اتق الله فيما تستقبله من أمرك، و اجلس في بيتك»^(١).

و كان عليه السلام إذا أخذ أسيرا في حروب الشام، أخذ سلاحه و دابته، و استحلفه أن لا يعين عليه، و يتركه و شأنه^(٢). و كان يفعل ذلك رجاء ثواب الله أليس هو القائل «ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجرا ممن قدر فعفّ.. لكاد العفيف أن يكون ملكا من الملائكة»^(٣).

و لقد ظهر عفوه عليه السلام كأعظم ما يكون في معركة الجمل، و هي من أخطر المعارك التي خاضها، لأنها فتحت عليه باب التمرد، و أضعفت جبهته الداخليه، و لولاها لم تكن معركة صفين و النهروان..

ص: ٢٣٥

١- مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٣١٧.

٢- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٥٠.

٣- نهج البلاغه: الحكم، ٤٧٤.

وقد قتل فى تلك المعركة عشرة آلاف، نصفهم كانوا من أصحابه و كانت «عائشه بنت أبى بكر» هى المحور، و هى المسؤوله عنها، مع كل من طلحه و الزبير، و كان من المفترض أن الإمام حينما ينتصر عليهم، أن يضع السيف فى رقابهم، و ينكّل بمن تبقى منهم ليغلق على نفسه باب التمرد و المعارضه.

و لكنه عليه السلام لم يفعل..

بل صفح و عفا «فآمن الأسود و الأحمر»^(١) على حدّ تعبير اليعقوبى فى تاريخه.

و حينما واجه «عائشه» بادرته بقولها:

«ملكك فاسجح»، أى قدرت فاعفو.

فعفا عنها، فطلبت منه أن يعفو عن عبد الله بن الزبير، و هو الذى دفع أبيه إلى التمرد على الإمام حتى قال عليه السلام: «ما زال الزبير رجلا منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤوم عبد الله»^(٢)، و هو الذى كان يؤلّب الناس على الإمام فى المعركة و يقول عنه: «قد جاءكم الوغد اللئيم على بن أبى

ص: ٢٣٦

١- تاريخ اليعقوبى: ج ٢، ص ١٥٩.

٢- نهج البلاغه: الحكم، ص ٤٥٣.

طالب». تشفّعت له عائشه فقبل شفاعتها فيه، و لم يزد على قوله له: «أذهب فلا أرينك»^(١).

ثم أمر مناديه أن ينادى فى أقطار المعسكر:

«ألا لا يتبع مولّ، و لا يجهز على جريح، و لا يقتل مستأسر. و من ألقى سلاحه فهو آمن، و من تحيّر إلى عسكرى فهو آمن»^(٢).

و لم يأخذ الإمام أثقالهم، و لا- سبى ذراريتهم، و لا- غنم شيئاً من أموالهم، بل أبى إلا العفو و الصفح، و قال: «منت على أهل البصره، كما منّ رسول الله على أهل مكه»^(٣).

ثم إن الإمام عمد إلى بيت المال فقسم ما وجد فيه على الناس بالسواء، من دون أن يمنع أصحاب الجمل منه شيئاً، كما سار إلى عائشه وزارها فى دار عبد الله بن خلف حيث كانت تقيم فيه، فأمرها بالانصراف إلى المدينه لتقرّ فى بيتها كما أمرها الله تعالى فى قوله: وَقَرْنَ فى بُيُوتِكُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأولى^(٤).

و جهّزها الإمام بخير جهاز من مركب و زاد و متاع، و بعث

ص: ٢٣٧

١- السبيل إلى إنهاء المسلمين: ص ٤٤١.

٢- المصدر السابق: ص ٤٤٢.

٣- المصدر السابق.

٤- سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

معها كل من نجا ممن خرج معها، إلا من آثر البقاء في البصره و انضم إلى الإمام.

و شيعها الإمام عليّ أميالا، و سرح أبناءه معها يوما.. كل ذلك تكريما لها و إعزازا.

و اختار لها أربعين سيده من شريفات نساء البصره و مقاتلاتها، ألبسهن ملابس الرجال، و سلّهن بالسيوف و الدروع، و أمرهن أن يلزمنها، و سير معها أخاها محمد بن أبي بكر، و كانت عائشه تظن طوال الطريق، أن تلك النسوة رجال، و لذلك كانت تتأفف قائلة: «هتك عليّ ستري، و وكلّ بي الرجال» و لكنهنّ لم يكشفن عن وجوههن إلا بعد الوصول إلى المدينة، و حينئذ ألقين عمائمهنّ، و قلن لها:

«إنما نحن نسوة يا عائشه، و لم يهتك عليّ سترك، بل هتك سترك من أخرجك من دارك»^(١).

لقد كان الإمام عظيم العفو، و قد جعل الآية الكريمة:

وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠)(٢). نصب عينيه في كل موقف انتصر فيه على عدوّه.

ص: ٢٣٨

١- عليّ من المهد إلى اللحد.

٢- سورة الشورى، الآية: ٤٠.

و من ذلك أنه بعد معركة الجمل، و انتهاء ذبولها، و فيما كان يهَمّ بالخروج، وقف على فرسه و نادى فى أهل البصره قائلا:

«يا أهل البصره: دخلت بلادكم بأشمالي هذه و رحلى و راحلتى ها هي، فإن أنا خرجت منها بأكثر مما دخلت فإنى من الخائنين»^(١)!

و أضاف و هو يشير إلى القميص الذى عليه:

«يا أهل البصره.. ما تنقمون منى.. إن هذا من غزل أهلى»^(٢).

فلم يكتف بأَن عفا عنهم، و قسّم بينهم بيت المال، و نهى تعقيبهم، و إنما طلب منهم «وثيقه براءه» لنفسه أيضا!

و من عفوه أيضا ما روى: أن رجلا- اسمه «ليبد بن عطارد» التميمى، كان مطلوبا من قبل الإمام، لما كان يبتّه من روح سلبيه و تشبیط للعزائم، فمرّ به الإمام فى «بنى أسد». فقام إليه نعيم بن دجاجه الأسدى فأفلته، فبعث إليه أمير المؤمنين عليه السلام فأتوه به، و أمر به أن يضرب فقال لبيد للإمام:

ص: ٢٣٩

١- بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ٣٢٥.

٢- مناقب آل أبى طالب: ج ١، ص ٣٠٥.

نعم و الله إن المقام معك لذلل، و إن فراقك لكفر.

فلما سمع ذلك منه قال:

قد عفونا عنك إن الله عزّ و جلّ يقول: إِذْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ (١) أما قولك: إن المقام معك لذلل فسيئه اكتسبتها، و أمّا قولك إن فراقك لكفر فحسنه اكتسبتها، فهذه بهذه (٢).

و من عفوه، ما روى عن رجل من مراد قال: كنت واقفا عند أمير المؤمنين يوم البصره إذ أتاه ابن عباس بعد القتال فقال: «إن لي حاجة»، فقال عليه السلام: «ما أعرفنى بالحاجه التى جئت فيها، تطلب الأمان لابن الحكم»؟.

فقال ابن عباس: «نعم، أريد أن تؤمنه»..

فقال عليه السلام: «آمنته، و لكن اذهب و جئنى به و لا تجئنى به إلا رديفا فإنه أذلّ له».

فجاء به ابن عباس ردفا خلفه كأنه قرد.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أتبايع؟.

قال: نعم، و فى النفس ما فيها.

ص: ٢٤٠

١- سورة المؤمنون، الآية: ٩٦.

٢- بحار الأنوار: ج ٤١، ص ٤٩.

قال عليه السّلام: «اللّٰه أعلم بما فى القلوب»..

فلما بسط يده لبيايحه سحب كفه عن كف مروان فنترها قائلاً:

«لا حاجه لى فيها، إنها كف يهوديه لو بايعنى بيده عشرين مرّه لنكث بإسته»، ثم قال عليه السّلام: هيه!.. يا ابن الحكم خفت على رأسك أن تقع فى هذه المعممه؟^(١)

و من عفوه عليه السّلام أنه «كان إذا أخذ أسيراً فى حروب الشام، صادر منه سلاحه، و دابّته، و استحلّفه أن لا يعين عليه، و عفا عنه، و تركه».

و من عفوه: و دعا عليه السّلام غلاماً له مرارا فلم يجبه، فخرج فوجده على باب البيت، فقال: ما حملك على ترك إجابتى؟ قال: كسلت عن إجابتك و أمنت عقوبتك، فقال: الحمد لله الذى جعلنى ممّن يأمنه خلقه، امض فأنت حرّ لوجه الله^(٢).

و هكذا فإن العفو عنده كان هو الأصل، لا العقوبه، إذ لم يكن عليه السّلام ينطلق من الحب، أو البغض الشخصى فى مواقفه،

ص: ٢٤١

١- بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٩٨.

٢- المصدر السابق: ص ٥٠.

بل من القيم والمبادئ التي آمن بها وجاهد من أجلها، وكان يرى أن «العفو مع القدره جنة من عذاب الله سبحانه» (١)، إذ عند كمال القدره تظهر فضيله العفو» (٢)، وإلا ما قيمه عفو ينطلق من عجز؟

يقول الإمام عليه السلام: «متى أشفى غيظي إذا غضبت؟ أحين أعجز عن الانتقام فيقال لي: لو صبرت؟ أم حين أقدر عليه فقال لي: لو عفوت» (٣)؟

ولكنه كان إذا قدر يعفو، بل إنه عفا عن بيت التيه لقتله وحاول، ولكنه انكشف أمره، فاعتقل وجيء به إلى الإمام عليه السلام فعفا عنه، وفيما يلي قصته:

«حاول معاوية بن أبي سفيان مرارا قتل أمير المؤمنين عليه السلام فقد أسر إلى بعض خاصته أن من يقتل عليا، فله عشرة آلاف دينار، وانبرى لذلك أحدهم، ولكنه تراجع في اليوم التالي، معتذرا منه، وقال: «أسير إلى ابن عم رسول الله، وأبي ولديه، وأقتله؟ لا والله.. لا أفعل!»!

فزيد معاوية الأجر، فجعله عشرين ألف دينار، فقبله أحدهم، ولكنه - هو الآخر - تراجع و امتنع.

ص: ٢٤٢

١- غرر الحكم و درر الكلم.

٢- المصدر السابق.

٣- نهج البلاغه: الحكم، ص ١٩٤.

فزَيِّده إلى ثلاثين ألف، فقبل المهمه رجل من «حمير»، و خرج من الشام قاصدا الكوفه، فجاء حتى دخل على أمير المؤمنين في الكوفه، و عليه ثياب السفر. فقال له الإمام:

«من أين الرجل»؟.

قال: «من الشام».

و كانت عند الإمام أخباره، فاستنطقه، فاعترف، فقال له الإمام:

«فما رأيك الآن؟ أتمضى إلى ما أمرت به؟ أم ماذا؟»

فقال الرجل: «لا.. و لكنى أنصرف».

فقال الإمام لقنبر:

«يا قنبر. أصلح راحلته، و هبىء له زاده، و أعطه نفقته»^(١)!

تلك كانت عينات من عفو الإمام مع أعدائه، و خصمائه أما مع الرعيه، فكان لهم أبا رحيمًا، يعطف على صغيرهم و يواسى كبيرهم، و يعفو عن مذنبهم.

و كان يوصى ولاته بذلك أيضا.

هذا مالک الأشر، يقول له في عهده إليه، حين ولّاه مصر:

ص: ٢٤٣

١- السياسة من واقع الإسلام: ص ١٧١-١٧٢.

«و أشعر قلبك الرحمة للرعيه، و المحبّه لهم، و اللطف بهم، و لا- تكوننّ عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، و تعرض لهم العلل و يؤتى على أيديهم في العمد و الخطأ، فأعطهم من عفوك و صفحك مثل الذى تحب و ترضى أن يعطيك الله من عفوه و صفحه، فإنك فوقهم و والى الأمر عليك فوقك و الله فوق من ولّاك. و قد استكفأك أمرهم، و ابتلاك بهم، و لا تنصبنّ نفسك لحرب الله فإنه لا يد لك بنقمته، و لا غنى بك عن عفوه و رحمته. و لا تندمن على عفو.

و لا تبجن بعقوبه، و لا تسرعنّ إلى بادره وجدت منها مندوحه»(١).

إذن القاعده الأساسيه كانت عند الإمام: فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٢).

غير أن الإمام كان يستثنى منها أمرين:

الأول - العفو عن اللئيم.. و هم على كل حال قلّه قليله من أهل الذنوب. يقول الإمام عليه السّلام: «العفو يفسد من اللئيم، بقدر إصلاحه من الكريم»(٣).

ص: ٢٤٤

١- نهج البلاغه: الكتب، ٥٣.

٢- سوره الحجر، الآيه: ٨٥.

٣- الاحتجاج: ج ٧٨، ص ٩٣.

الثانى - العفو الذى يؤدى إلى وهن سلطان الإسلام، و تلم الدين، يقول عليه السلام: «جاز بالحسنه و تجاوز عن السيئه ما لم يكن
ثلما فى الدين، أو وهنا فى سلطان الإسلام»(١).

أما الميزان فى تشخيص ذلك فهو سيره الإمام نفسه، و ما فعله مع خصمائه، و أعدائه، أو مع عامه الناس..

ص: ٢٤٥

١- غرر الحكم و درر الكلم.

الرفق فى جبايه الخراج

موارد الدوله فى الإسلام، لا تتعدى الخراج، و الجزيه و بعض الحقوق الشرعيه، و ما قد تضطر إليه فى حالات استثنائيه محدوده جدا.

و هذه إذ تؤخذ من الناس، فليس لكى تتحول الدوله إلى جهاز بديل عنهم، أو قيم عليهم. فليس الوالى إلا بمنزله الوالد إلى أولاده الكبار، ينظم شؤونهم، و يرفعى حقوق ضعيفهم، و يدافع عن مظلومهم.. و ليس بديلا عنهم.

فالدوله لا تتورط، بمواردها المحدوده، فى الزراعه، و التجاره، و الشؤون الأخرى.. فذلك شأن الناس.

و إنما هى تضع القانون العادل، و تشرف على تنفيذه.

و لعمري إن ذلك لا يتطلب موارد ماليه كثيره بأى شكل من الأشكال..

و القاعده الذهبية، فى استيفاء ما للدوله على الناس هى:

ص: ٢٤٤

عداله فى التحصيل، و عداله فى التوزيع.. فبمقدار ما يجب الاهتمام باستيفاء الحق العام، فلا بد من التوزع عن مصادره حقوق الأفراد..

ف «أعظم الخطايا اقتطاع مال امرؤ مسلم بغير حق»^(١) كما أن «شر الأموال ما لم يخرج منه حق الله سبحانه»^(٢) و حق الله هنا هو حق الناس، بلا شك!

و على كل حال، فإن للاستيفاء قيودا، و آدابا لا بد من مراعاتها فى التحصيل، حتى لا يتحول تحصيلها إلى سطوه للحكم، و مورد من موارد الظلم و التعدى، كما هو شأن الظالمين، الذين يظلمون الناس فى حقوق الدوله عليهم، و يظلمونهم فى توزيعها كذلك..

و الحق، فإن «الناس يستغنون إذا عدل بينهم، و تنزل السماء رزقها، و تخرج الأرض بركتها بإذن الله»^(٣).

و تتطلب العدالة هنا، أن يهتم الولاة بأموال الأرض، و أصحاب الأموال، و مصانعهم و معاملهم و مزارعهم، أكثر من اهتمامهم بالخراج نفسه.. فلا يجوز إرهاب أحد، و لا إتلاف أمواله باسم الصالح العام.

ص: ٢٤٧

١- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ٥٥.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- الصياغه الجديده: ص ٤٧٤.

يقول الإمام على عليه السلام فى عهده إلى مالك الأشر:

«.. و تفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإنّ فى صلاحه و صلاحهم، صلاحاً لمن سواهم، و لا صلاح لمن سواهم إلاّ بهم، لأنّ الناس كلّهم عيال على الخراج و أهله..».

«و ليكن نظرك فى عماره الأرض أبلغ من نظرك فى استجلاب الخراج، لأنّ ذلك لا يدرك إلاّ بالعماره، و من طلب الخراج بغير عماره، أخرب البلاد، و أهلك العباد، و لم يستقم أمره إلاّ قليلاً.. و إنما يأتى خراب الأرض من اعواز أهلها، و إنما يعوز أهلها لأشراف أنفس الولاه على الجمع، و سوء ظنّهم بالبقاء، و قلّه انتفاعهم بالعبد»(١).

إذن، فلا بد أن يكون الهدف ليس جبايه الخراج، بل إصلاح الأرض، و إعناء أهلها. بالرغم من أن نفسه الولاه الضيقه الأفق تتوجّه نحو جمع الخراج..

ثم أنه لا بدّ و أن يراعى الولاه الأخلاق فى طريقه الاستيفاء فلا قيمه لمال يجمع بظلم و عدوان..

و لقد كان الإمام على عليه السلام يوصى كل عامل يوليه على الخراج بقوله:

«لا تضربنّ رجلاً سوطاً فى جبايه درهم، و لا تتبعنّ لهم

ص: ٢٤٨

رزقا، و لا- كسوه شتاء و لا- صيف و لا دابه يعملون عليها، و لا تقيمن رجلا قائما في طلب درهم» فقال له أحد عماله: «يا أمير المؤمنين إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك»؟.

قال الإمام: «أمرنا نأخذ منهم الفضل (ما زاد عن الحاجة)»(١).

عن رجل من ثقيف قال: استعملني علي بن أبي طالب عليه السلام على بانقيا و سواد من سواد الكوفة، فقال لي و الناس حضور: انظر خراجك فجدّ فيه، و لا تترك منه درهما، و إذا أردت أن تتوجه إلى عملك فمرّ بي.

فأتيته فقال لي: «إنّ الذي سمعت منّي خدعه، إياك أن تضرب مسلما أو يهوديا أو نصرانيا في درهم خراج، أو تبيع دابه عمل في درهم، فإنّما أمرنا أن نأخذ منهم العفو»(٢).

و روى أنه «بعث أمير المؤمنين عليه السلام مصدقا من الكوفة إلى باديتها، فقال: يا عبد الله انطلق و عليك بتقوى الله وحده لا شريك له، و لا تؤثرن دنياك على آخرتك، و كن حافظا لما ائتمتتك عليه، مراعيّا لحقّ الله فيه، حتّى تأتي نادى بنى فلان،

ص: ٢٤٩

١- علي إمام المتقين: ج ٢، ص ٤٠.

٢- فروع الكافي: ج ٣، ص ٥٤٠.

فإذا قدمت فانزل بمائهم من غير أن تخالط آياتهم، ثم امض إليهم بسكينه و وقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم.

ثم قل لهم: يا عباد الله أرسلني إليكم ولي الله لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه؟

فإن قال لك قائل: لا فلا تراجع، وإن أنعم لك منهم منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو تعده إلا خيرا، فإذا أتيت ماله فلا تدخله إلا بإذنه فإن أكثره له، فقل: يا عبد الله أتأذن لي في دخول مالك؟ فإن أذن لك فلا تدخل دخول متسلط عليه فيه، ولا عنف به، فاصدع المال صدعين، ثم خيره أي الصدعين شاء، فأيهما اختار فلا تعرض له، ثم اصدع الباقي صدعين، ثم خيره فأيهما اختار فلا تعرض له ولا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله تبارك و تعالی في ماله، فإذا بقي ذلك فاقبض حق الله منه، و إن استقالك فأقله، ثم أخلطهما و اصنع مثل الذى صنعت أولا حتى تأخذ حق الله في ماله، فإذا قبضته فلا توكل به إلا ناصحا شفيقا أميناً حفيظاً، غير معنف بشيء منها.

ثم اجلب كل ما اجتمع عندك من كل ناد إلينا نصيره حيث أمر الله عز و جل، فإذا انحدر فيها رسولك فأوعز إليه أن لا

يحول بين ناقيه و بين فصيلها، و لا يفرّق بينهما، و لا يمصرنّ لبنها فيضّر ذلك بفصيلها، و لا يجهد بها ركوبا، و ليعدل بينهما في ذلك، و ليوردهنّ كلّ ماء يمرّ به، و لا يعدل بهنّ عن نبت الأرض إلى جوادّ طريق في الساعه التي فيها تريح و تغبق، و ليرفق بهن جهده حتى يأتينا بإذن الله سحاحا سمانا غير متعبات و لا مجهدات، فنقسّمهنّ بإذن الله على كتاب الله و سنّه نبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم على أولياء الله فإنّ ذلك أعظم لأجرك و أقرب لرشدك، ينظر الله إليها و إليك و إلى جهدك و نصيحتك لمن بعثك و بعثت في حاجته، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: ما ينظر الله إلى وليّ له يجهد نفسه بالطاعه و النصيحه له و لإمامه إلاّ كان معنا في الرفيق الأعلى»(١).

إن مراعاة حقوق الناس، كمراعاه حقوق الدوله، واجب شرعى و إنسانى فالدوله و الناس يكمل أحدهما الآخر، و ليس كل واحد منهم عدوا، أو منافسا للثانى، و لا بدّ من أن يراعى كل واحد منهما الثانى. و هنا الدوله أكثر مسؤوليه، لأنها الأقوى، فهى المطالبه أولا بمراعاه حقوق الناس.

و كما فى أمر الخراج، كذلك فى أمر الجزية من غير

ص: ٢٥١

١- المصدر السابق: ص ٥٣٦-٥٣٨.

المسلمين، الذين وضع عنهم أداء الحقوق، وفي المقابل كان عليهم أداء الجزية، إزاء الخدمات التي تقدم لهم ضمن حدود الدولة في الإسلام، فلا بد من مراعاة حقوق الأفراد، و الامتناع عن أخذ ما يرهقهم..

فلقد كان أمير المؤمنين يأخذ منهم الشيء القليل، و «قله الضرائب هذه كانت السبب وراء أن حكم المسلمين كان أحب إلى أهل الذمة من حكم بنى دينهم فإن الجزية التي تؤخذ من الكفار قليلة جدا(1).

و من ذلك ما روى عن مصعب بن يزيد الأنصارى، قال:

استعملنى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام على أربعة رساتيق، و أمرنى أن أضع على كل جريب زرع غليظ: درهما و نصفاً. و على كل جريب وسط: درهما. و على كل جريب زرع رقيق: ثلثي درهم. و على كل جريب كرم: عشرة دراهم.

و على كل جريب نخل: عشرة دراهم. و على كل جريب البساتين التي تجمع النخل و الشجر: عشرة دراهم.

«و أمرنى أن ألقى كل نخل شاذ عن القرى (بعيد عنها) لمارّه الطريق و ابن السبيل، و لا آخذ منه شيء».

«و أمرنى أن أضع على الدهاقين الذين يركبون البراذين،

ص: ٢٥٢

و يتختمون بالذهب على كل رجل منهم: ثمانى و أربعين درهما، و على أوساطهم من التجار على كل رجل منهم: أربع و عشرين درهما، و على فقرائهم: اثنى عشر درهما على كل واحد منهم»(١).

و إذا أخذنا بعين الاعتبار أن كل ذلك، إنما هو فى العام الواحد و ليس فى الشهر أو الأسبوع، تبين كم كان قليلا، و هو كل ما كان ليجيبه أمير المؤمنين من أهل الذمه..

و حينما نضيف إلى ذلك العدالة فى التوزيع، و عدم احتكار الدوله للخراج و الجزية و الحقوق تظهر العدالة فى الحكم الإسلامى.

ص: ٢٥٣

١- المصدر السابق: ص ٤٧٤.

لا يكتب النجاح لمجتمع إلا إذا كان متماسكا..

و لا يكون المجتمع متماسكا، إلا إذا حصل فيه من لا معين له و لا معيل، كالأرمل و اليتيم، الرعايه اللّازمه و الاهتمام الكبير.

فالمجتمع الذى لا يضع فيه اليتيم و الأرمل، مكتوب له النجاح، و التقدّم و الازدهار.

أما المجتمع الذى يضع فيه اليتيم و الأرمل، و تهضم فيه حقوقهم، فإن عاقبته إلى بوار. ليس لأن الله يرزق العباد بضعفائهم فحسب - كما يقول رسول الله -، بل لأن فقدان التكافل الاجتماعى، و التراحم الإنسانى يؤدى - إن عاجلا- أو آجلا- إلى تفكك المجتمع و انهياره.

فاليتم - إذن - عنصر «شدّ» للمجتمع إذا تمت رعايته.

و هو عنصر «فكّ» له إذا فقد الرعايه.

و لذلك فإن كل القيم الروحيه، و المثل الأخلاقيه، تدعو إلى الاهتمام بمن يفتقد الاهتمام.. و إلى الرعايه لمن يفتقد الرعايه.. و إلى العطاء لمن يحتاجه.. و إلى التربيه لمن ليس له مربى. و أى شخص أكثر من اليتيم هو بحاجة إلى ذلك؟ و أى عنصر أكثر من الأرملة يحتاج إلى العطاء و الرعايه؟

و إذا افترضنا أن القيم الأخلاقيه، فى مجتمع ما، تعرّضت للإهمال و الانتقاص فهل تستطيع القوانين أن تسدّ الخلل؟

فمثلا- لو لم يجد الأيتام من يرعاهم و يربيههم، و يزرع فيهم حب الناس، ثم تحوّلوا فيما بعد إلى مجرمين و قتلهم، أهمل تكفى العقوبات لدرء المجتمع أخطار الجرائم؟

لقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشكّ أنّ الإجرام ينمو فى أوساط المهملين فى طفولتهم، كما أنّ العلماء و العباقرة، و العظماء هم من ذوى الأصول الحسنه ممّن كانوا فى رعايه جيده فى عهد الطفوله..

فاليتيم الذى يجد العطف و الحنان اللّازمين، سيعطى للناس فيما بعد أفضل ما يمكن للإنسان أن يعطيه..

ألم يكن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلمّ يتيما و قد تكفّله أبو طالب، و رعاه أفضل رعايه و هو صغير، ثم وقف معه وقفه الأبطال

حينما نزل عليه الوحي، و تعرّض للظلم و العدوان من كفّار قريش؟

إن رعايه الأيتام، عدل الإحسان إلى الوالدين، و هما واجبان كعباده الله و إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله و بالوالدين إحساناً و ذى القربى و الأيتام و المساكين و قولوا للناس حسناً (١).

و كما يحتاج اليتيم إلى الرعايه و الإحسان، فهو بحاجة إلى الحفاظ على أمواله و أملاكه، لو كان له ذلك و لا تقرّبوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده (٢). كما هو بحاجة إلى أن لا يتعرّض لظلم، أو عدوان: و آتوا الأيتام أموالهم و لا تتبدّلوا الخبيث بالطيب و لا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً (٣)، إن الذين يأكلون أموال الأيتام ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا و سيصلون سعيراً (١٠) (٤).

و ليس أفضل من الإنفاق على الأيتام، فمن كان غنيا و آتى المال على حبه ذوى القربى و الأيتام و المساكين (٥)،

ص: ٢٥٦

١- سورة البقره، الآيه: ٨٣.

٢- سورة الأنعام، الآيه: ١٥٢.

٣- سورة النساء، الآيه: ٢.

٤- سورة النساء، الآيه: ١٠.

٥- سورة البقره، الآيه: ١٧٧.

فإنه أجزا كبيرا، ذلك لأن ما أنفقتم من خير فلولو الدين و الأقربين و اليتامى (١).

و لليتيم حقوق واجبه على أعناق ذوى اليسر، و المجاهدين فى سبيل الله، فلهم حصتهم من الغنيمه كما أن لهم حصتهم فى أموال الأغنياء و اعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسَهُ و للرسول و لذى القربى و اليتامى (٢).

ثم إن الأيتام منطقهُ الخطر، و إن خفتهم ألا تُقسطوا فى اليتامى فأنكحوا ما طاب لكم من النساء (٣).

و كما يجب على و لاه الأمر أن يتعهدوا الأيتام و الأرامل، فإن ذلك واجب أيضا على أحاد الناس كذلك.

يقول الإمام على عليه السلام: «الله، الله فى الأيتام، فلا تغبوا أفواههم، و لا يضيعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: من عال يتيما حتى يستغنى، أوجب الله عز و جل له الجنة، كما أوجب لآكل مال اليتيم النار» (٤).

و قد كان الإمام يوصى و لاته بقوله: «تعهد أهل اليتيم و ذوى الرزقه فى السنّ ممن لا حيله له، و لا ينصب للمسأله

ص: ٢٥٧

١- سورة البقره، الآية: ٢١٥.

٢- سورة الأنفال، الآية: ٤١.

٣- سورة النساء، الآية: ٣.

٤- فروع الكافى: ج ٧، ص ٥١.

نفسه، و ذلك على الولاة ثقیل، و الحق كله ثقیل، و قد يخففه الله على أقوام طلبوا العافیه فصبروا أنفسهم، و وثقوا بصدق موعود الله لهم»(١).

و كان الإمام عليه السلام يتعهد شخصيا الأيتام، و الأرامل، و يقوم بخدمتهم..

فقد روى: «أن عليا عليه السلام كان يدعو اليتامى فيطعمهم العسل، حتى قال بعض أصحابه: لوددت أنى كنت يتيما، و كان ذلك منه اقتداء برسول الله، حيث كان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لا تخلو داره على صغرها من يتيم، و كان يقول: «خير بيوتكم بيت فيه يتيم». و يقول: «أنا و اليتيم كهاتين فى الجنة» - و يشير إلى السبابة و الوسطى من أصابعه» - (٢).

أليس الإمام هو القائل: «ما من مؤمن و لا مؤمنة يضع يده على رأس يتيم إلا كتب الله له بكل شعره مائة ألف حسنة» (٣). و القائل: «أحسنوا فى عقب غيركم، تحسنوا فى أعقابكم» (٤).

ص: ٢٥٨

١- نهج البلاغه: الكتاب، ص ٥٣.

٢- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ٤٣٥.

٣- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٣.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٤.

الاحتكام إلى الشرع و العقل و الخلق الإنسانى الرفيع فى حلّ المشاكل السياسيه، و القضايا الاجتماعيه، بدل الاحتكام إلى الأهواء، و دوافع الحب و البغض الشخصيين، كان ديدن بطل العقل و القلب و الضمير: على بن أبى طالب عليه السلام..

فلقد واجهت الإمام، الكثير من المشاكل الاجتماعيه و المسائل القضائيه المعقده، التى لم تواجه أحدا من قبل، و كان يحتكم فى حلّها إلى الأصول التى التزم بها فى مواجهه المشاكل السياسيه، و هى «الشرع» و «العقل» و «الأخلاق».

و لكم أعيت المشاكل الخلفاء الذين عاصرهم، فحلّها لهم فى إطار الشرع، بكل سهوله و يسر حتى قال أبو بكر أكثر من مرّه: «لا أبقانى الله لمعضله ليس لها أبو الحسن»، و قال

عمر بن الخطاب: «لو لا عليّ لهلك عمر»؟ و قال عثمان بن عفّان أيضا: «لو لا عليّ لهلك عثمان»^(١).

و لكم وضع الإمام، في حل تلك المشاكل، أسسا راسخه أصبحت - فيما بعد - مصدرا من مصادر التشريع.

و لكن أثارت طريقته، من كوامن الخير، في نفوس الناس، وردعت العصاه، و أهل الفساد من دون استعمال القوه و العسف؟.

و علي كل حال فإن «الرّوح الإنسانيه هي قوام الأحكام التي أصدرها الإمام في مختلف المجالات - كما يقول العقّاد -»^(٢).

و إليكم نماذج من أحكامه و قضاياها في شتّى الأمور، و هي نماذج تكشف ليس فقط عن علم الإمام، و فهمه العميق لأحكام الشرع فحسب، بل عن أخلاقه العظيمة أيضا..

ص: ٢٦٠

١- «الغدير»: للأميني، ج ٨، ص ٢١٤.

٢- عبقرية الإمام علي: ص ١٧١.

لا حكم على من لا يعرف الحكم

إن أحكام العقوبات هي للردع، فإذا لم يكن مرتكب المعصية عالماً بأوامر الشريعة فلا يجوز عقابه.. هذا ما كان يقوله الإمام. فقد رفعت امرأه إلى عمر بن الخطاب قد زنت.

فسألها عن ذلك. فقال في يسر: «نعم يا أمير المؤمنين».

و أعادت ذلك و أيدته، كأنها لم تقترب ذنباً! و على يسمع و يتأمل!..

فقال على عليه السلام: «إنها لتستهلّ به استهلال من لا يعلم أنه حرام».

فأعلمها بحرمه الزنا، و درأ عنها الحد(١).

و في عهد أبي بكر، شرب رجل الخمر، فرفع إلى الخليفة فقال له: «أشربت خمرًا؟».

ص: ٢٤١

١- على إمام المتقين: ص ١٠٨.

قال: نعم.

قال: ولم وهي محرّمة؟

فقال الرجل: إني أسلمت و حسن إسلامي و منزلي بين ظهرا نى قوم يشربون الخمر و يستحلّونها و لو علمت أنّها حرام اجتنبتها. فالتفت أبو بكر إلى عمر فقال: ما تقول فى أمر هذا الرجل؟

فقال عمر: معضله و ليس لها إلاّ أبو الحسن.

فقال أبو بكر: ادع لنا عليّ: فقال عمر: يؤتى الحكم فى بيته، فقاما و الرجل معهما و من حضرهما من الناس حتّى أتوا أمير المؤمنين عليه السّلام، فأخبراه بقصّه الرجل و قصّ الرجل قصّته.

فقال الإمام: ابعثوا معه من يدور به على مجالس المهاجرين و الأنصار من كان تلا عليه آيه التحريم فليشهد عليه، ففعلوا ذلك فلم يشهد عليه أحد بأنّه قرأ عليه آيه التحريم، فخلّى عنه و قال له: إن شربت بعدها أقمنا عليك الحدّ (١).

ص: ٢٤٢

١- فروع الكافى: ج ٧، ص ٢١٦-٢١٧.

إلغاء الحدّ مع الاضطرار

قد يضطر الإنسان إلى ارتكاب المعصية، وحينئذ فلا حدّ عليه.. هكذا كان حكم الإمام على عليه السّلام، فقد أفتى بأن كل من يستكره على ذنب، يعفى من العقاب، و يعاقب من أكرهه..

فإذا اضطر أجير على السرقة لأنه لم يجد ما يأكله، لم تقطع يده، و إنما قطعت يد الذى استأجره و لم يعطه أجره، فهو الذى أكرهه على السرقة.. أو بالقليل و جب عليه التعويض مضعفا! (١)..

و قد روى فى ذلك أنّ امرأه شهد عليها الشهود أنّهم وجدوها فى بعض مياه العرب مع رجل يطأها ليس ببعل لها، و كانت ذات بعل فأمر عمر بن الخطاب بـرجمها بعد اعتراف الشهود عليها.

فقال: اللهم إنك تعلم أنّى بريئه.

ص: ٢٦٣

١- على إمام المتّقين: ج ١، ص ١٠٨.

فغضب عمر و قال: و تجرح الشهود أيضا؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ردّوها و أسألوها فلعن لها عذرا».

فردّت و سئلت عن حالها، فقالت:

كان لأهلى إبل، فخرجت فى إبل أهلى و حملت معى ماء، و لم يكن فى إبل أهلى لبن، و خرج معى خليطنا و كان فى إبله لبن، فنقد مائى فاستسقيته، فأبى أن يسقيني حتى أمكنه من نفسى، فأبيت، فلما كادت نفسى تخرج أمكنته من نفسى كرها.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله أكبر فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ (١).

فلما سمع ذلك عمر خلّى سبيلها (٢).

ص: ٢٦٤

١- سورة البقره، الآية: ١٧٣.

٢- الإرشاد - للمفيد - ص ٩٨-٩٩.

إثارة الوجدان و الضمير للتراجع عن الرجل

قد يرتكب الإنسان ذنبا، و يصرّ عليه، إلا أن ضميره يبقى حيا، يمكن إثارتته، للردع عن الذنب، و التوبه من الاستمرار فيه هذا ما فعله الإمام على عليه السلام في الحادثه التاليه:

روى عن عاصم بن ضميره السلولى قال: سمعت غلاما بالمدينه و هو يقول: يا أحكم الحاكمين احكم بينى و بين أمى.

فقال له عمر بن الخطاب: يا غلام لم تدعو على أمك؟

فقال يا أمير المؤمنين: إنَّها حملتني في بطنها تسعا و أرضعتني حولين كاملين، فلما ترعرعت و عرفت الخير من الشرّ و يمينى عن شمالى طردتني و انتفت منى، و زعمت أنَّها لا تعرفنى.

فقال عمر: أين تكون الوالده؟

قال: فى سقيفه بنى فلان.

ص: ٢٤٥

فقال عمر: علىّ بأمّ الغلام: فأتوا بها مع أربعه إخوه لها و أربعين قسامه يشهدون لها أنها لا تعرف الصبي، و أنّ هذا الغلام مدّع ظلوم غشوم يريد أن يفضحها في عشيرتها، و أنّ هذه جاريه من قريش لم تتزوج قطّ، لأنّها بختام ربّها.

فقال عمر: يا غلام ما تقول؟

فقال: يا أمير المؤمنين هذه و الله أمّي حملتني في بطنها تسعا و أرضعتني حولين كاملين، فلمّا ترعرعت و عرفت الخير و الشرّ و يميني من شمالي طردتني و انتفت منّي، و زعمت أنّها لا تعرفني.

فقال عمر: يا هذه ما يقول الغلام؟

فقلت: يا أمير المؤمنين و الذي احتجب بالنور فلا عين تراه و حقّ محمّد ما أعرفه و لا أدري من أيّ الناس هو، و إنّ غلام يريد أن يفضحني في عشيرتي، و أنا جاريه من قريش لم أتزوج قطّ، و إنّني بخاتم ربّي.

فقال عمر: ألك شهود؟

فقلت: نعم هؤلاء، فتقدّم الأربعون قسامه فشهدوا عند عمر أنّ الغلام مدّع يريد أن يفضحها في عشيرتها، و أنّ هذه جاريه من قريش لم تتزوج قطّ، و أنّها بخاتم ربّها.

ص: ٢٦٦

فقال عمر: خذوا بيد الغلام وانطلقوا به إلى السجن حتى نسأل عن الشهود، فإن عدلت شهادتهم جلدته حدّ المفترى.

فأخذوا بيد الغلام و انطلقوا به إلى السجن فتلقّاهم أمير المؤمنين عليه السلام فى بعض الطريق، فنادى الغلام: يا ابن عمّ رسول الله إني غلام مظلوم، فأعاد عليه الكلام الذى تكلم به عمر، ثم قال: وهذا عمر قد أمر بى إلى السجن.

فقال علىّ عليه السلام: ردّوه إلى عمر، فلمّا ردّوه قال لهم عمر:

أمرت به إلى السجن فرددتموه إليّ؟

فقالوا: يا أمير المؤمنين أمرنا على بن أبى طالب أن نردّه إليك، فسمعناك تقول: أن لا تعصوا لعلىّ أمرا.

فبينما هم كذلك إذ أقبل علىّ عليه السلام فقال: علىّ بأمّ الغلام، فأتوا بها، فقال علىّ عليه السلام: يا غلام ما تقول؟ فأعاد الكلام علىّ عليه السلام، فقال علىّ عليه السلام لعمر: أتأذن لى أن أفضى بينهم؟ فقال عمر: سبحان الله و كيف لا و قد سمعت المجتمع يقول:

أعلمكم على بن أبى طالب عليه السلام؟

فقال علىّ للمرأة: يا هذه المرأه ألك شهود؟ قالت: نعم.

فتقدّم الأربعون قسامه فشهدوا بالشهادة الأولى.

فقال علىّ عليه السلام: لأفضينّ اليوم بينكم بقضيه هي مرضاه الربّ من فوق عرشه، علّمنيها حبيبي رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم.

ص: ٢٤٧

ثم قال لها: أ لك وليّ؟ قالت: نعم هؤلاء إخوتي.

فقال لإخوتها أمرى فيكم و فى أختكم جائز؟

قالوا: نعم يا ابن عمّ محمّد أمرك فىنا و فى أختنا جائز.

فقال على عليه السّلام: أشهد الله و أشهد من حضر من المسلمين أنّى قد زوّجت هذا الغلام من هذه الجارية بأربعمائة درهم و النقء من مالى.

ثم نادى يا قنبر علىّ بالدرهم، فأتاه قنبر بها فصبّها فى يد الغلام، قال الإمام للغلام: خذها فصبّها فى حجر امرأتك، و لا تأتنا إلاّ و بك أثر العرس - يعنى الغسل -، فقام الغلام فصبّ الدرهم فى حجر المرأة ثمّ تلبّتها و قال لها: قومى.

فنادت المرأة: النار النار يا ابن عمّ محمّد أترىء أن تزوّجنى من ولدى؟ هذا و الله ولدى زوّجنى إخوتى هجينا فولدت منه هذا، فلما ترعرع و شبّ أمرونى أن أنتفى منه و أطرده، و هذا و الله ولدى، و فؤادى يتغلى أسفا على ولدى، ثمّ أخذت بيد الغلام و انطلقت، و نادى عمر: «لولا علىّ لهلك عمر»(١).

ص: ٢٤٨

١- التهذيب: ج ٢، ص ٩٢-٩٣.

مما لا شك فيه أن حياة الفرد، تتأثر بأعمال والديه، قوه و ضعفه. فالأطفال الذين يولدون من زوجين شابين يختلفون عن الأطفال الذين يولدون من زوجين جاوزا مرحلة الشباب إلى الشيخوخة(١).

كما أن الأطفال الذين يولدون من زوجين في ريعان الشباب يعيشون، عادة، أطول من الذين يولدون من زوجين يقتربان من مرحلة الشيخوخة، و بذلك فاحتمال زياده مدى حياة الأبناء تقلّ تبعا لزياده الترتيب الميلادى للطفل، أى إن مدى حياة الطفل الأول، أكبر من مدى حياة الطفل الأخير،

ص: ٢٦٩

و نسيه الأطفال المشوهين و المعتوهين، تزداد تبعا لزيادة عمر الأم.. أيضا(١).

و من هنا فإن الوهن يدب في الطفل الذى يكون أحد أبويه طاعنا فى السن، أكثر من أترابه الذين يكون آباؤهم فى ريعان الشباب.

و لقد استخدم الإمام على عليه السلام هذه الحقيقه لدرء الحدّ عن امرأه اتهمت بالزنى فى عهد عمر.

و إليكم قصتها حسب نصها التاريخى:

أتى عمر بامرأه تزوجها شيخ، فلمّا أن واقعها مات على بطنها، فجاءت بولد، فادّعى بنوه أنّها فجرت، و تشاهدوا عليها، فأمر بها عمر أن ترحم.

فمرّ بها على عليه السلام فقالت:

يا ابن عمّ رسول الله إننى لست بزانيه، ولى على ذلك حجّج.

فقال: هاتى حجّجتك، فدفعت إليه كتابا فقرأه فقال:

هذه المرأه تعلمكم بيوم تزوّجها و يوم واقعها زوجها، و كيف كان جماعه لها، ردّوا المرأه.

ص: ٢٧٠

١- الأسس النفسيه للنمو: ص ٦٥.

فلما كان من الغد دعا بصبيان أتراب و دعا بالصبيّ معهم، فقال لهم:

العبوا، حتّى إذا ألهاهم اللعب فقال لهم: اجلسوا، حتى إذا تمكّنوا صاح بهم بأن قوموا، فقام الصبيان و قام الغلام فأتكأ على راحتيه، فدعا به عليّ عليه السّلام فورّثه من أبيه و جلد إخوته حدّ المفترى.

فقال له عمر: كيف صنعت؟

قال: عرفت ضعف الشيخ (أى أبوه) فى اتكاء الغلام على راحتيه(١).

ص: ٢٧١

١- التهذيب: ج ٢، ص ٩٣.

التشدد مع المحتالين و الذين يؤذون الناس

فى كل مجتمع هنالك من يرضى لنفسه بأن يعيش على الاحتيال و كسب المال عن طريق الدّجل، و الخديعه، و الفساد.
و كما يجب أن نكون رحماء مع الناس، فلا بد أن نكون أشدّاء مع المحتالين، لأن التساهل مع أمثالهم يؤدّي إلى يأس المحسن و تشجيع المسيء..

فلا بد من إيذاء، من يؤذى الناس، و الضرب بيد من حديد لكل من تسوّّل له نفسه الاحتيال، و العيش على حساب الآخرين..
و هكذا كان الإمام(١) على عليه السّلام و من ذلك ما روى أن

ص:٢٧٢

١- على إمام المتّقين: ج ١، ص ٧٥.

رجلين، احتالا على الناس، فأصابا منهم أموالا طائلة و ذلك أن كل واحد منهما كان يبيع الآخر على أنه عبد، ثم يهربان من بلد إلى بلد، يكرران الفعل نفسه، فحكم الإمام بقطع أيديهما، لأنهما سارقان لأموال الناس!..

و من ذلك أيضا ما روى: إنّ رجلا قال لرجل - فى عهد أمير المؤمنين عليه السّلام:

إنّى احتلمت بأّمك.

فرفعه إلى أمير المؤمنين عليه السّلام قال: إنّ هذا افترى على أمّى.

فقال له الإمام:

و ما قال لك؟

قال: زعم أنّه احتلم بأّمّى.

فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: فى العدل إن شئت أقمته لك فى الشمس فاجلد ظلّه، فإنّ الحلم مثل الظلّ، و لكنّا سنضربه حتّى لا يعود يؤذى المسلمين.

و فى روايه أخرى أن الإمام ضربه ضربا وجيعا(١).

إن إبداء الناس، و إهانتهم، و الاحتيال عليهم أمور

ص: ٢٧٣

١- فروع الكافى: ج ٧، ص ٢٦٣.

محرمه، و عليها العقاب فأعرض الناس محترمه، كما هي دماؤهم، و أموالهم.. وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا
اَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَ إِثْمًا مُّبِينًا (١)، فلا يحل لمسلم أن يروّع مؤمناً (٢). بل إن «من نظر إلى مؤمن نظره يخيفه بها أخافه
الله تعالى يوم لا- ظلّ إلا ظله» (٣). و «من أحزن مؤمناً ثم أعطاه الدنيا لم يكن ذلك كفّارته و لم يؤجر عليه» (٤) لأن «المؤمن
نفسه منه في تعب و الناس منه في راحة» (٥)، بينما «أذلّ الناس من أهان الناس» (٦).

و لقد كان الإمام شديداً مع من يؤذى.

و من ذلك ما روى: أن أمير المؤمنين توضأ مع الناس في ميضأه المسجد، فزحمه رجل، فرمى به.

فأخذ الدرّه فضربه، ثم قال له: «ليس هذا لما صنعت بي، و لكن يجيء من هو أضعف مني فتفعل به مثل هذا فتضمن» (٧).

ص: ٢٧٤

- ١- سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.
- ٢- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٤٨.
- ٣- الوسائل: ج ٨، ص ٦١٤.
- ٤- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٥٠.
- ٥- المصدر السابق، ص ٥٣.
- ٦- بحار الأنوار: ج ٧٨، ص ١٩٢.
- ٧- السياسة من واقع الإسلام: ص ١٧٩.

و من ذلك أيضا ما روى أن امرأه تزوّجت في عصر الإمام، فلما كانت ليله زفافها أدخلت صديقها مخدعها سرا، و دخل الزوج المخدع فوجد العشيق فاقتتلا، فقتل الزوج غريمه فقتلت المرأة زوجها. فقضى الإمام عليه السّلام حينما رفعت القضية إليه بقتل المرأة اقتصاصا لزوجها الذي قتلتها، و قضى بإعطاء الدية لأهل العشيق على المرأة، لأنها هي التي عرضته لأن يقتله زوجها فهي المتسببة في قتله، أما الزوج فإنما قتل غريمه دفاعا عن العرض. فهو قتل مشروع لا عقاب عليه و لا دية و لا تعويض (١).

ص: ٢٧٥

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٧٥.

كان شديدا في الاقتصاص من الباطل، و هو القائل:

«و أيم الله لأبقرن الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته»^(١) فلم يكن يسمح لأحد أن يظلم أحدا ثم يهرب من القصاص..

و كان يتدخل في أى صراع لينصر المظلوم، و ينتقم من الظالم..

من ذلك ما نقله الطبرى عن بعض الأسانيد حيث قال:

رأيت عليا عليه السلام خارجا من همدان، فرأى فتيين يقتتلان، ففرق بينهما، ثم مضى فسمع صوتا: «يا غوثاه بالله..» فخرج عليه السلام يركض نحوه حتى سمعت خفق نعله، و هو يقول: «أتاك الغوث». فإذا رجل يلازم رجلا (يمسك به) فقال للإمام:

«يا أمير المؤمنين.. بعث هذا ثوبا بتسعه دراهم،

ص: ٢٧٦

و شرطت عليه ألا يعطيني مغموزا و لا مقطوعا، فأتيته بهذه الدراهم بيدلها لى فأبى، فلزمته، فلطمنى».

فقال الإمام لغريمه: «ابدله له».

ثم سأل المشتكى: «أين يبتتك على اللطمه؟ فأتى الرجل بها.

فقال له الإمام: «دونك، فاقتص!»!

قال المشتكى: «يا أمير المؤمنين.. قد عفوت عنه».

فقال له الإمام: «إنما أردت أن أحتاط فى حقك.

فاذهب».

و فيما كان الرجل يهّم بالذهاب، رفع الإمام درّته، و بدأ يضرب غريمه تسع درّات.

فقال المشتكى: «يا أمير المؤمنين، ألم أعف عنه».

قال الإمام عليه السّلام: «بلى.. و لكنك عفوت عن حق الرعيه، و هذا حق الرّاعى»^(١).

ففى ظلّ دوله الحق، لا يجوز أن يلطم رجل صاحبه على باطل ثم تحت الخوف منه، يعفو عنه، و لا يجد عقابا..

إن حق الراعى هنا أن يمنع وقوع مثل ذلك بتسع سياط من درّته.

ص: ٢٧٧

١- عبقرية الإمام على عليه السّلام، ص ١٧٣.

و «من ذلك أيضا أن رجلا فرّ من رجل يريد قتله، فأمسكه له آخر حتى أدركه فقتله، و كان بقربه رجل ينظر إليهما، و هو يقدر على إنقاذه، و لكنه وقف ينظر.

فأفتى الإمام على عليه السّلام بأن يقتل القاتل، و يحبس الذى أمسك به حتى مكن القاتل من قتله، حتى يموت، و تفقأ عين الناظر الذى وقف ينظر إلى الجريمه، و لم يمنع وقوعها و هو قادر على ذلك بلا حرج!«(١).

إن الظالم يجب أن يعاقب على ظلمه، حتى لا يصاب المظلومون باليأس، و يتشجع الظالمون على ظلمهم..

يقول الإمام عليه السّلام: «و أيم الله، لأنصفنّ المظلوم من ظالمه، و لأقودنّ الظالم بخزامتة (شعره) حتى أوردته مناهل الحق و إن كان كارها»(٢).

و يقول: «فلأنقبنّ الباطل حتى يخرج الحق من جنبه»(٣).

ص: ٢٧٨

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ٧٥.

٢- الإرشاد: ص ١٤٢.

٣- الخصائص: ص ٧٠.

كان الإمام على عليه السلام يوصى بالنساء خيراً، و يقول: «إن المرأة ريحانه و ليست بقهرمانه»^(١).

و يقول: «و لا تهيجوا النساء بأذى و إن شتمن أعراضكم و سببن أمراءكم».

و يقول: «اللّه.. اللّه فى النساء، فإن آخر ما تكلم به نبيكم أن قال: «أوصيكم بالضعيفين: المرأة و اليتيم»^(٢).

و كما يقول أحدهم: «كانت للإمام فطره الفارس المطبوع فى آداب الفروسية، و منها التلطف بالمرأة و الصفح عن عدوانها، فما انتقم قطّ من امرأة لأنها أساءت إليه، و لا غفل قط عن الوصية بها فى موطن يستدعى هذه الوصية، بالرغم من

ص: ٢٧٩

١- نهج البلاغه: الكتب، ص ٣١.

٢- الفتوح: ج ٣، ص ٤٤.

أن الإمام واجه حرباً ضروساً من امرأه وهي عائشه، كما كانت حياته الغالية مهراً لامرأه وهي قظام»(١).

و لقد كانت مواقفه مع المرأه، مواقف متميزه، متواضعه، معطاءه.

ثلاث نماذج من مواقفه مع المرأه

اشاره

و فيما يلي ثلاث نماذج منها:

الأولى - مع شاكبه.

و الثانيه - مع أرملة.

و الثالثه - مع زانيه.

أمّا الأولى اى

مع شاكبه

فتتلخّص، من أن امرأه شكّت إلى الإمام أمر أحد ولايته الكبار، و هو والى صدقاته على الأهواز، و كانت تحت سلطته منطقته واسعاً جداً، و بالرغم من أن ما اشتكت منه لا يعتبر فى أى منطق جريمه كبرى يعاقب عليها بالعزل من منصبه، إلا أن الإمام لم يتردّد أبداً فى إصدار أمر العزل له، و قد سلّم كتاب عزله إلى نفس المرأه التى اشتكت منه، بعد أن اعتذر إلى الله تعالى من فعله..

و لنستمع إلى صاحبه الشكايه، و قد روت القصة لألد أعداء الإمام، و هو «معاويه»، و ذلك بعد مقتل الإمام و فيما يلي النص التاريخي:

ص: ٢٨٠

«دخلت سوده بنت عماره الهمدانيه على معاويه بعد موت عليّ، فجعل يؤنّبها على تحريضها عليه أيام صفّين، و آل أمره إلى أن قال:

ما حاجتك؟

قالت: إنّ الله مسائك عن أمرنا و ما افترض عليك من حقّنا، و لا يزال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك، و يبطش بقوّه سلطانك، فيحصدنا حصد السنبل، و يدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف، و يذيقنا الحتف، هذا «بسر بن أرطاه» قدم علينا فقتل رجالنا، و أخذ أموالنا، و لو لا الطاعه لكان فينا عزّ و منعه، فإن عزلته عنّا شكرناك و إلّا كفرناك.

فقال معاويه: إيّاي تهدّدين بقومك يا سوده؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشوس فأردك إليه فينفذ فيك حكمه.

فأطرت سوده ساعه، ثمّ قالت:

صلّى الإله على روح تضمّنها قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحقّ لا يبغى به بدلا فصار بالحقّ و الإيمان مقرونا

فقال معاويه:

من هذا يا سوده؟

قالت: هو و الله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب.

ص: ٢٨١

و الله لقد جئته في رجل كان قد ولّاه صدقاتنا فجار علينا، فصادفته قائما يصلي، فلما رأني انفتل من صلاته! ثم أقبل عليّ برحمه و رفق و رأفه و تعطف. و قال:

ألك حاجة؟

قلت: نعم، فأخبرته الخبر، فبكي ثم قال:

اللهم أنت الشاهد عليّ و عليهم، و أنى لم أمرهم بظلم خلقك و لا بترك حقك، ثم أخرج قطعه جلد فكتب فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، قد جاءتكم بيّنه من ربكم فأوفوا الكيل و الميزان و لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين (١) ، فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من علمنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك، و السلام».

ثم دفع الرقعه إليّ، فو الله ما ختمها بطين و لا خزمها فجئت بالرقعه إلى صاحبه فانصرف عنا معزولا.

فقال معاوية: اكتبوا لها كما تريد، و اصرفوها إلى بلدها غير شاكيه (٢).

ص: ٢٨٢

١- سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

٢- كشف الغمّة: ص ٥٠.

فقد كان الإمام علي عليه السلام بالرغم من قوه شخصيته، و جلاله سلطانه، و عظمه مكانه، لا يتمالك نفسه أمام امرأه محتاجه، فيترك كل أموره ليرفع حاجتها و يسدّ عوزها، بل و يبكي إذا واجه موقفا من أمثال ذلك..

و كما وصفه «حريث» فقد كان علي عليه السلام بشره دائم، و ثغره باسم، غيث لمن رغب، و غياث لمن ذهب، مآل الأمل، و ثمال الأرامل، يتعطف على رعيته، و يتصرف للمحتاج على مشيته، و يكفيه مهجته»(١).

و فيما يلي قصه امرأه أرملة، رآها الإمام صدفة في الطريق و هي تحمل على كتفها قربه ماء، فهاله منظرها، فحمل عنها القربه، و بدأ يسألها عن أحوالها، و هي لم تكن تعرف الإمام شخصيا فسمع منها كلاما قاسيا، و لكنه لم يزد إلا تعظفا عليها، و خدمه لها. و لنستمع إلى النص التاريخي في ذلك..

نظر علي عليه السلام إلى امرأه على كتفها قربه ماء، فأخذ منها القربه فحملها إلى موضعها. و سألها عن حالها فقالت:

بعث علي بن أبي طالب صاحبى إلى بعض الثغور فقتل،

ص: ٢٨٣

و ترك عليّ صبيانا يتامى، و ليس عندي شيء، فقد ألجأتني الضرورة إلى خدمه الناس.

فانصرف عنها الإمام عليه السلام و بات ليلته قلقا، فلما أصبح حمل زنبیلا فيه طعام.

فقال بعضهم: أعطني أحمله عنك.

فقال: من يحمل وزري عني يوم القيامة؟

فأني و قرع الباب.

فقلت: من هذا؟

قال: أنا ذلك العبد الذي حمل معك القربة، فافتحي فإنّ معي شيئا للصبيان.

فقلت: رضی الله عنك و حكم بيني و بين عليّ بن أبي طالب!.

فدخل و قال:

إنني أحببت اكتساب الثواب، فاختر بين أن تعجنين و تخبزين و بين أن تعللين الصبيان لأخبز أنا.

فقلت: أنا بالخبز أبصر و عليه أقدّر، و لكن شأنك و الصبيان، فعملهم حتى أفرغ من الخبز.

فعمدت إلى الدقيق فعجنته، و عمد عليّ عليه السلام إلى اللحم

فطبخه، و جعل يلقم الصبيان من اللحم و التمر و غيره، فكلما ناول الصبيان من ذلك شيئاً قال له:

يا بنى اجعل على بن أبى طالب فى حلّ ممّا مرّ من أمرك.

فلما اختمر العجين قالت:

يا عبد الله أسجر التّور.

فبادر الإمام لسجره فلما أشعله و لفتح فى وجهه جعل يقول:

ذق يا علىّ هذا جزاء من ضيّع الأرامل و اليتامى.

فراته امرأه تعرفه فقالت للأرملة:

ويحك هذا أمير المؤمنين.

فبادرت المرأة إلى الإمام و هى تقول:

و احيائى منك يا أمير المؤمنين.

فقال: بل و احيائى منك يا أمه الله فيما قصّرت فى أمرك (١).

أما الزانية:

فهى امرأه متزوجه، زنت، فندمت، فأرادت أن تتطهر من فعلتها، فجاءت إلى الإمام تعترف له بما فعلت و لكن الإمام تمنى مرارا أن يدرأ عنها الحدّ. فكان يحوّل أمرها إلى «عمل

ص: ٢٨٥

ما «معتبرا اعترافها فى كل مره تأتى إليه، شهاده واحده، و الأمر يتطلب بالطبع أربع شهادات..

و مرّت أكثر من ثلاث سنوات منذ الشهاده الأولى، حتى أجرى الإمام الحدّ عليها بعد إصرارها المتكزّر، و اكتمال الشهادات أربعاً.

و فيما يلى النص التاريخى لقصتها:

أت امرأه مجّح أمير المؤمنين عليه السّلام، فقالت:

يا أمير المؤمنين إئى زنى فطهرنى طهرك الله، فإنّ عذاب الدنيا أيسر من عذاب الآخره الذى لا ينقطع.

فقال لها: ممّا أطهرك؟

فقال: إئى زنى.

فقال لها: أو ذات بعل أنت أم غير ذلك؟ قالت: بل ذات بعل.

فقال لها: أفحاضرا كان بعلك إذ فعلت ما فعلت أم غائبا كان عنك؟

فقال: بل حاضرا.

فقال لها: انطلقى فضعى ما فى بطنك ثم ائتى أطهرك.

فلما ولّت عنه المرأه فصارت حيث لا تسمع كلامه قال:

اللهم إنّها شهاده.

فلم يلبث أن أتته فقالت:

قد وضعت فطهرني.

فتجاهل عليها، فقال:

أطهرك يا أمه الله ممّاذا؟

فقالت: إني زنيت فطهرني.

فقال: أو ذات بعل أنت إذ فعلت ما فعلت؟

قالت: نعم، قال: أفكان زوجك حاضرا أم غائبا؟

قالت: بل حاضرا.

قال: فانطلقى فأرضعيه حولين كاملين كما أمرك الله.

فانصرفت المرأة، فلما صارت منه حيث لا تسمع كلامه قال:

اللهم إنها شهادتان.

فلما مضى حولان أتت المرأة فقالت:

قد أرضعته حولين فطهرني يا أمير المؤمنين.

فتجاهل عليها و قال:

أطهرك ممّاذا؟

قالت: إني زنيت فطهرني.

فقال: أو ذات بعل أنت إذ فعلت ما فعلت؟

فقالت: نعم.

قال: أو كان بعلك غائبا إذ فعلت ما فعلت أو حاضرا؟

قالت: بل كان حاضرا.

قال: انطلقى فاكفليه حتى يعقل أن يأكل ويشرب ولا يتردى من سطح ولا يتهوّر فى بئر.

فانصرفت وهى تبكى، فلما ولّت فصارت حيث لا تسمع كلامه قال:

اللهم إنّها ثلاث شهادات.

فاستقبلها عمرو بن حريث المخزوميّ فقال لها:

ما يبكيك يا أمه الله وقد رأيتك تختلفين إلى علىّ تسألينه أن يطهرك؟

فقالت: إنّى أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فسألته أن يطهرنى فقال:

اكفلى ولدك حتى يعقل أن يأكل ويشرب ولا يتردى من سطح ولا يتهوّر فى بئر، وقد خفت أن يأتى علىّ الموت و لم يطهرنى.

فقال لها عمرو بن حريث: ارجعى إليه فأنا أكفله.

فرجعت فأخبرت أمير المؤمنين عليه السلام بقول عمرو، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام وهو متجاهل عليها:

و لم يكفل عمرو ولدك؟

فقلت: يا أمير المؤمنين إنني زويت فطهرني.

فقال: أو ذات بعل أنت إذ فعلت ما فعلت؟

قالت: نعم.

قال: أفغائبا كان بعلك إذ فعلت ما فعلت أم حاضرا؟

فقلت: بل حاضرا.

فرفع رأسه على عليه السلام إلى السماء و قال:

«اللهم إنه قد ثبت لك عليها أربع شهادات، و إنك قد قلت لنبيك صلى الله عليه و آله و سلم فيما أخبرته به من دينك: «يا محمد من عطل حدا من حدودي فقد عاندني، و طلب بذلك مصادتي» اللهم فإني غير معطل حدودك و لا طالب مصادتك، و لا مضيع لأحكامك بل مطيع لك و متبع سنه نبيك.

فنظر إليه عمرو بن حريث و كأنما الزمان يفتأ في وجهه فلما نظر إلى ذلك عمرو قال:

يا أمير المؤمنين إنني إنما أردت أن أكفله إذ ظننت أنك تحب ذلك، فأما إذا كرهته فإني لست أفعل.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أبعد أربع شهادات؟ و الله لتكفلنه و أنت صاغرا».

ثم أن الإمام قال لقنبر: يا قنبر ناد في الناس: الصلاة جامعة.

ص: ٢٨٩

فنادى قنبر فى الناس، فاجتمعوا حتّى غصّ المسجد بأهله، وقام أمير المؤمنين عليه السّلام فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال:

أيّها الناس إن إمامكم خارج بهذه المرأه إلى ظهر الكوفه ليقيم عليها الحدّ إن شاء الله، فعزم عليكم أمير المؤمنين لّمّا خرجتم و أنتم متنكّرون و معكم أحجاركم لا يتعرّف منكم أحد إلى أحد حتّى تنصرفوا إلى منازلكم إن شاء الله.

فلّمّا أصبح الناس بكره خرج بالمرأه، و خرج الناس متنكّرين متلثمين بعمائمهم و بأرديتهم، و الحجاره فى أرديتهم و فى أكمامهم حتّى انتهى بها، و الناس معه إلى الظهر بالكوفه، فأمر أن يحفر لها حفيره، ثم دفنها فيها، ثم ركب بغلته و أثبت رجله فى غرز الركاب، ثم وضع إصبعيه السبّابتين فى أذنيه، ثم نادى بأعلى صوته:

يا أيّها الناس إنّ الله تبارك و تعالى عهد إلى نبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم عهدا عهدده محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم إلىّ بأنّه لا يقيم الحدّ من لله عليه حدّ، فمن كان لله عليه مثل ما له عليها فلا يقيم عليها الحدّ.

فانصرف الناس يومئذ كلّهم ما خلا أمير المؤمنين و الحسن و الحسين (صلوات الله عليهم)، فأقام هؤلاء الثلاثة عليها الحدّ يومئذ و ما معهم غيرهم(1).

ص: ٢٩٠

١- فروع الكافى: ج ٧، ص ١٨٧.

التدقيق فى الشهود للاحتياط فى إجراء الحدود

إجراء أحكام الله تعالى فى الموبقات يجب أن يتم فى منتهى الحيطة و الحذر حتى لا يعاقب البرىء فإفلات المذنب أفضل من معاقبه من لا يستحقها..

و لذلك كان لا بدّ من شهود.

و لا بد أن يكتمل العدد.

و لا بدّ أن تتفق شهاداتهم.

و لا بدّ أن يكونوا صادقين، يعرف ذلك منهم سلفا.

و لا بدّ من الاطمئنان إلى شهاداتهم.

فاتهام الشهود خير من إجراء الحدود على الأبرياء.

و يظهر من حوادث كثيره وقعت فى عهد الإمام على عليه السلام أنه كان «يتهم الشهود» و لا يأخذ بشهادتهم إلا بعد تمحيص

كبير، و تدقيق فى شهاداتهم، حتى لا يعاقب بريئا فى حدّ من حدود الله تعالى.

و فيما يلى نموذج من ذلك، حيث استخدم عليه السلام أسلوب التفريق بين الشهود لكشف الحقيقه..

أتى عمر بن الخطاب بجاريه قد شهدوا عليها أنها بغت، و كان من قصّيتها أنها كانت يتيمه عند رجل، و كان الرجل كثيرا ما يغيب عن أهله، فشبتّ اليتيمه فتخوّفت المرأه أن يتزوّجها زوجها، فدعت بنسوه حتى أمسكنها فأخذت عذرتها بإصبعها، فلما قدم زوجها من غيبته رمت المرأه اليتيمه بالفاحشه، فأقامت البيّنه من جاراتها اللّاتى ساعدنها على ذلك.

فرجع ذلك إلى عمر فلم يدر كيف يقضى فيها، ثم قال للرجل: ائت على بن أبى طالب و اذهب بنا إليه، فأتوا عليا عليه السلام و قصّوا عليه القصّه، فقال لامرأه الرجل: ألك بيّنه أو برهان؟

قالت: لى شهود هؤلاء جاراتى يشهدون عليها بما أقول، و أحضرتهنّ.

فأخرج على عليه السلام السيف من غمده فطرح بين يديه، و أمر بكلّ واحده منهنّ فأدخلت بيتا، ثم دعا امرأه الرجل فأدارها

بكل وجه فأبت أن تزول عن قولها فردّها إلى البيت الذي كانت فيه، و دعا إحدى الشهود و جثا على ركبتيه، ثم قال:

«تعرفيني؟ أنا علي بن أبي طالب، و هذا سيفي، و قد قالت امرأه الرجل ما قالت، و رجعت إلى الحقّ، فأعطيتها الأمان، و إن لم تصدّقيني لأمكنن السيف منك».

فالتفت إلى عمر فقالت: يا أمير المؤمنين الأمان على الصدق.

فقال لها علي عليه السلام: فاصدقي.

فقالت: لا- و الله إن اليتيمه ما فعلت فاحشه إلا أن زوجة الرجل رأت فيها جمالا و هيئه فخافت فساد زوجها، فسقتها المسكر و دعتنا فأمسكناها، فافتضتها بإصبعها.

فقال عليّ عليه السلام: الله أكبر أنا أول من فرّق بين الشهود إلا دانيال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و ألزمنّ جميعا العقر، و جعل عقرها أربع مائه درهم، و أمر المرأة أن تنفى من الرجل و يطلقها زوجها، و زوجة الجارية و ساق عنه عليّ عليه السلام المهر..

فقال عمر: يا أبا الحسن فحدّثنا بحديث دانيال عليه السلام.

قال: إنّ دانيال كان يتيما لا أمّ له و لا أب، و إنّ امرأه من بنى إسرائيل عجوزا كبيره ضمّته فربّته، و إنّ ملكا من ملوك بنى

إسرائيل كان له قاضيان، و كان لهما صديق، و كان رجلا- صالحا و كانت له امرأه بهيه جميله و كان يأتي الملك فيحدثه، فاحتاج الملك إلى رجل يبعثه في بعض أموره، فقال للقاضيين اختارا رجلا أرسله في بعض أموري فأشارا إليه بشخص، فوجهه الملك.

فقال الرجل للقاضيين: أوصيكما بامرأتي خيرا، فقالا:

نعم، فخرج الرجل، فكان القاضيان يأتیان باب الصديق، فعشقا امرأته فراوداها عن نفسها فأبت.

فقالا لها: و الله لئن لم تفعلی لنشهدنّ عليك عند الملك بالزنى، ثم ليرجمتك.

فقالا: افعلما ما أحببتما.

فأتيا الملك فأخبراه و شهدا عنده أنها بغت فدخل الملك من ذلك أمر عظيم و اشتدّ بها غمّه، و كان بها معجبا، فقال لهما: إنّ قولكما مقبول و لكن ارجموها بعد ثلاثة أيام، و نادى في البلد الذي هو فيه: احضروا قتل فلانه العابده فإنّها قد بغت. و إنّ القاضيين قد شهدا عليها بذلك، و أكثر الناس في ذلك.

و قال الملك لوزيره: ما عندك في هذا من حيله؟ فقال: ما

عندى فى ذلك من شىء، فخرج الوزير يوم الثالث و هو آخر أيامها فإذا هو بغلمان عراه يلعبون و فيهم دانيال و هو لا يعرفه.

فقال دانيال: يا معشر الصبيان تعالوا حتّى أكون أنا الملك، و تكون أنت يا فلان العابده و يكون فلان و فلان القاضيين الشاهدين عليها، ثمّ جمع ترابا و جعل سيفا من قصب، و قال للصبيان: خذوا بيد هذا فنحوه إلى مكان كذا و كذا، و خذوا بيد هذا فنحوه إلى مكان كذا و كذا، ثمّ دعا بأحدهما فقال له: قل حقًا فإنّك إن لم تقل حقًا قتلتك، بم تشهد؟ - و الوزير قائم يسمع و ينظر - فقال: أشهد أنّها بعت، قال متى؟ قال: يوم كذا و كذا. قال: مع من؟ قال: مع فلان ابن فلان، قال: و أين؟ قال: موضع كذا و كذا. قال: ردّوه إلى مكانه و هاتوا الآخر، فردّوه إلى مكانه و جاؤوا بالآخر، فقال له: بم تشهد؟ قال: أشهد أنّها بعت، قال: متى؟ قال:

يوم كذا و كذا، قال: مع من؟ قال: مع فلان ابن فلان، قال:

و أين؟ قال: موضع كذا و كذا، فخالف كلامه كلام صاحبه، فقال دانيال: الله أكبر شهدا بزور، يا فلان ناد فى الناس إنّما شهدا على فلانه بزور، فاحضروا قتلهما، فذهب الوزير إلى الملك مبادرا فأخبره الخبر، فبعث الملك إلى القاضيين و فرّق بينهما ثم أخذ شهادتهما فاختلفا فى الشهاده كما اختلف

الغلامان، فنأدى الملك فى الناس يعلمهم خبر القاضيين و كذبهما و أمر بقتلهما(١).

و فى حادثه أآرى مشابهه فرق الإمام بين الشهود و دقق فى أمورهم حتى كشف الحقيقه.. و هذا نصها التاريخى:

روى «أن أمير المؤمنين عليه السلام دخل ذات يوم المسجد فوجد شابا حدثا يبكى و حوله قوم، فسأل أمير المؤمنين عليه السلام عنه فقال:

إن شريحا قضى على قضيه لم ينصفنى فيها.

فقال: و ما شأنك؟

قال: إن هؤلاء نفر - و أوماً إلى نفر حضور - أخرجوا أبى معهم فى سفر فرجعوا و لم يرجع أبى، فسألتهم عنه فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله الذى استصحبه فقالوا: ما نعرف له مالا.

فاستحلفهم شريح و تقدم إلى بترك التعرض لهم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: اجمع القوم و ادع لى شرطه الخميس ثم جلس و دعا نفر و الشاب معهم، ثم سأله عما قال، فأعاد الدعوى و جعل يبكى و يقول:

ص: ٢٩٤

١- التهذيب: ج ٢، ص ٩٣-٩٤.

أنا و الله أتهمهم على أبى يا أمير المؤمنين، فإنهم احتالوا عليه حتى أخرجوه معهم، و طمعوا فى ماله.

فسأل أمير المؤمنين عليه السلام القوم فقالوا له - كما قالوا لشريح :-

مات الرجل و لا نعرف له مالا.

فنظر فى وجوههم ثم قال:

ماذا تظنون؟ أتظنون أنى لا أعلم ما صنعتم بأب هذا الفتى إنى إذا لقليل العلم؟

ثم أمر بهم أن يفرقوا، ففرقوا فى المسجد، و أقيم كل رجل منهم إلى جانب أسطوانه من أساطين المسجد، ثم دعا عبيد الله بن أبى رافع كاتبه يومئذ فقال له: اجلس، ثم دعا واحدا منهم فقال له:

أخبرنى و لا ترفع صوتك: فى أى يوم خرجتم من منازلكم و أبو هذا الغلام معكم؟

فقال: فى يوم كذا و كذا.

فقال لعبيد الله: اكتب، ثم قال له:

فى أى شهر كان؟ قال:

فى شهر كذا، قال: اكتب.

ثم قال: فى أى سنه؟

ص: ٢٩٧

قال: فى سنة كذا، فكتب عبيد الله ذلك كله.

قال: فبأى مرض مات؟

قال: بمرض كذا.

قال: فى أى منزل مات؟

قال: فى موضع كذا.

قال: من غسله و كفنه؟

قال: فلان.

قال: فبم كفتموه؟

قال: بكذا.

قال: فمن صلى عليه؟

قال: فلان.

قال: فمن أدخله القبر؟

قال: فلان.

و عبيد الله بن أبى رافع يكتب ذلك كله.

فلما انتهى إقراره إلى دفنه كبر أمير المؤمنين عليه السلام تكبيره سمعها أهل المسجد ثم أمر بالرجل فردّ إلى مكانه، و دعا بآخر من القوم فأجلسه بالقرب منه، ثم سأله عمّا سأل الأوّل عنه، فأجاب بما خالف الأوّل فى الكلام كله، و عبيد الله بن أبى رافع يكتب ذلك.

فلما فرغ من سؤاله كبر تكبيره سمعها أهل المسجد، ثم أمر بالرجلين جميعا أن يخرجوا من المسجد نحو السجن فيوقف بهما على بابيه، ثم دعا بالثالث فسأله عمّا سأل الرجلين، فحكى خلاف ما قالوا، و أثبت ذلك عنه، ثم كبر و أمر بإخراجه نحو صاحبيه، و دعا برابع القوم فاضطرب قوله و تلجلج فوعظه و خوّفه، فاعترف أنّه و أصحابه قتلوا الرجل و أخذوا ماله، و أنّهم دفنوه فى موضع كذا و كذا بالقرب من الكوفة، فكبر أمير المؤمنين عليه السّلام و أمر به إلى السجن، و استدعى واحدا من القوم و قال له:

زعمت أنّ الرجل مات حتف أنفه و قد قتلته أصدقنى عن حالك و إلّا نكّلت بك، فقد وضح الحقّ فى قضيتكم.

فاعترف من قتل الرجل بما اعترف به صاحبه، ثم دعا الباقين فاعترفوا عنده بالقتل و سقط فى أيديهم، و اتّفقت كلمتهم على قتل الرجل و أخذ ماله.

فأمر من مضى معهم إلى موضع المال الذى دفنوه، فاستخرجوه منه و سلّموه إلى الغلام ابن الرجل المقتول.

ثم قال له: ما الذى تريد؟ قد عرفت ما صنع القوم بأبيك.

قال: أريد أن يكون القضاء بينى و بينهم بين يديّ الله:

عزّ وجلّ، وقد عفوت عن دمائهم في الدنيا فدرأ عنهم أمير المؤمنين عليه السّلام حدّ القتل و أنهكهم عقوبه.

فقال شريح: يا أمير المؤمنين كيف هذا الحكم؟

فقال له: إنّ داود عليه السّلام مرّ بغلمان يلعبون و ينادون بواحد منهم يا «مات الدين» و الغلام يجيبهم، فدنا داود عليه السّلام منهم فقال له:

يا غلام ما اسمك؟

فقال: اسمي «مات الدين».

قال له داود: من سمّاك بهذا الاسم؟

قال: أمّي.

فقال داود: أين أمّك؟

قال: في منزلها.

قال داود: انطلق بنا إلى أمّك، فانطلق به إليها فاستخرجها من منزلها، فخرجت، فقال لها:

يا أمه الله ما اسم ابنك هذا؟

قالت: اسمه «مات الدين».

قال لها داود عليه السّلام: و من سمّاه بهذا الاسم؟

قالت: أبوه.

قال لها: و ما كان سبب ذلك؟

ص: ٣٠٠

قالت: إنه خرج في سفر له و معه قوم و أنا حامل بهذا الغلام، فجاء القوم و لم يأت زوجي معهم، فسألتهم عنه؟
قالوا: مات.

فسألتهم عن ماله؟ قالوا: ما ترك مالا.

فقلت لهم فهل أوصاكم بوصيته؟

قالوا: زعم أنك جبلي، فإن ولدت جاريه أو غلاما فسميه «مات الدين» فسميته كما وصى و لم أحب خلافه.

فقال لها داود عليه السلام: فهل تعرفين القوم؟

قالت: نعم.

قال: انطلقى مع هؤلاء - يعنى قوما بين يديه - فاستخرجيهم من منازلهم.

فلما حضروا حكم فيهم بهذه الحكومه، فثبت عليهم الدم و استخرج منهم المال.

ثم قال لها: يا أمه الله سمى ابنك هذا بعاش الدين(1).

ص: ٣٠١

١- بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ٢٥٩-٢٦٠.

التوبه فى البيت أفضل من إقامه الحدّ على الملاء

ليست الحدود فى الإسلام انتقاما من العصاه، بل هى وسيله لمنع ارتكاب الجرائم و المعاصى من قبل الناس، و زجرهم عن الانحراف، و من هنا كان الاعتراف بالمعصيه أمام الملاء حراما، و أمّا عند القاضى، فإن التوبه فى البيت أفضل بكثير من الاعتراف له لإجراء الحدّ..

هذا بالإضافة إلى أن الحدود تدرأ بالشبهات..

فالتوبه باب مفتوح لكل العصاه لكى يلجوه، و يتخلّصوا من عذاب الله فى القيامة، و من العقاب فى الدنيا قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا (١)» و ما كان الله ليفتح باب التوبه و يغلق عنه

ص: ٣٠٢

باب المغفره»(١) و «من أعطى التوبه لم يحرم القبول»(٢) ، «فطوبى لذى قلب سليم أطاع من يهديه و استفتح التوبه و أماط الحوبه»(٣).

و لهذا كله كانت التوبه أفضل من الاعتراف بالذنب، و تلقى العقاب.

هكذا كان يرى الإمام على عليه السلام فقد روى: «أن علياً أمير المؤمنين عليه السلام أتاه رجل بالكوفه فقال له:

يا أمير المؤمنين إني زيت فطهرنى قال: ممن أنت؟

قال: من مزينه.

قال: أتقرأ من القرآن شيئاً؟

قال: بلى.

قال: فاقراً، فقراً فأجاد.

فقال: أبك جنه؟

قال: لا.

قال: فاذهب حتى نسأل عنك فذهب الرجل ثم رجع إليه بعد فقال: يا أمير المؤمنين إني زيت فطهرنى.

فقال: ألك زوجه؟

ص: ٣٠٣

١- نهج البلاغه: الحكم، ٤٣٥.

٢- تذكره الخواص: ص ٦٣٣.

٣- شرح نهج البلاغه: ج ٣، ص ٢٣.

قال: بل.

قال: فمقيمہ معك فى البلد؟

قال: نعم.

فأمره أمير المؤمنين عليه السلام فذهب و قال: حتى نسأل عنك.

فبعث إلى قومه فسأل عن خبره، فقالوا: يا أمير المؤمنين صحيح العقل، فرجع إليه الثالث فقال له مثل مقالته.

فقال له: اذهب حتى نسأل عنك، فرجع إليه الرابع، فلما أقر قال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: احتفظ به، ثم غضب ثم قال:

ما أقبح بالرجل منكم أن يأتي بعض هذه الفواحش فيفضح نفسه على رؤوس الملائم: أ فلا تاب فى بيته؟ فو الله لتوبته فيما بينه و بين الله أفضل من إقامتى عليه الحد، ثم أخرجه و نادى فى الناس: «يا معشر الناس اخرجوا ليقام على هذا الرجل الحد و لا يعرفن أحدكم صاحبه، فأخرجه إلى الجبانة فقال: يا أمير المؤمنين أنظرنى أصلى ركعتين.

فصلى ركعتين ثم وضعه فى حفرتة، و استقبل الناس بوجهه فقال:

يا معاشر المسلمين إن هذا حق من حقوق الله فمن كان لله

ص: ٣٠٤

فى عنقه حقّ فلينصرف، و لا يقيم حدود الله من فى عنقه لله حدّ.

فانصرف الناس و بقى هو و الحسن و الحسين عليهم السّلام، فأخذ حجرا فكبر ثلاث تكبيرات ثمّ رماه بثلاثة أحجار فى كلّ حجر ثلاث تكبيرات، ثمّ رماه الحسن مثل ما رماه أمير المؤمنين، ثمّ رماه الحسين فمات الرجل، فأخرجه أمير المؤمنين عليه السّلام فأمر فحفر له و صلّى عليه و دفنه، فقيل:

يا أمير المؤمنين ألا تغسله؟

فقال: قد اغتسل بما هو طاهر إلى يوم القيامة. لقد صبر على أمر عظيم (١).

و فى حادثه أخرى روى أنه بينا أمير المؤمنين عليه السّلام فى ملاء من أصحابه إذ أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنى أوقبت على غلام فطهرنى.

فقال له: يا هذا امض إلى منزلك لعلّ مرارا هاج بك.

فلما كان من غد عاد إليه فقال له: يا أمير المؤمنين إنى أوقبت على غلام فطهرنى.

ص: ٣٠٥

فقال له: يا هذا امض إلى منزلك لعلّ مرارا هاج بك حتى فعل ذلك ثلاثا بعد مرّته الأولى، فلمّا كان في الرابعه قال له:

يا هذا إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم حكم في مثلك بثلاثه أحكام فاختر أيهنّ شئت.

قال: وما هنّ يا أمير المؤمنين؟

قال: ضربه بالسيف في عنقك بالغه ما بلغت، أو دهدهاه من جبل مشدود اليدين والرجلين، أو إحراق بالنار.

فقال: يا أمير المؤمنين أيهنّ أشدّ عليّ؟

قال: الإحراق بالنار.

قال: فإنّي قد اخترتها يا أمير المؤمنين.

قال: فخذ لذلك أهبتك.

فقال: نعم.

فقام فصلّى ركعتين، ثمّ جلس في تشهّده فقال: اللهمّ إنّني قد أتيت من الذنب ما قد علمته، وإنّني تخوّفت من ذلك فجنّت إلى وصيّ رسولك و ابن عمّ نبيك فسألته أن يطهّرني، فخيّرني بين ثلاثه أصناف من العذاب، اللهمّ فإنّي قد اخترت أشدها، اللهمّ فإنّي أسألك أن تجعل ذلك كفّاره لدنوبي، وأن لا تحرقني بنارك في آخرتي.

ص: ٣٠٦

ثمّ قام و هو باك، ثم جلس فى الحفرة التى حفرها له أمير المؤمنين عليه السّلام و هو يرى النار تتأجج حوله.

فبكى أمير المؤمنين عليه السّلام و بكى أصحابه جميعا، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: قم يا هذا فقد أبكيت ملائكة السماء و ملائكة الأرض، فإنّ الله قد تاب عليك، فقم لا تعاودنّ شيئا ممّا قد فعلت (1).

ص: ٣٠٧

١- فروع الكافى: ج ٧، ص ٢٠١-٢٠٢.

العفو عن القائل لنجاته بريئاً باعترافه

روى أنه جاؤوا الإمام على عليه السّلام برجل وجد في خربه بيده سكين ملطخه بالدم، و بين يديه قتيل غارق في دمه، فسأله أمير المؤمنين على عليه السّلام فقال الرجل: «أنا قتلته».

قال: «اذهبوا به فاقتلوه».

فلما ذهبوا به، أقبل رجل مسرعاً، فقال:

«يا قوم لا تعجلوا ردّوه إلى أمير المؤمنين، فردّوه».

فقال الرجل: «يا أمير المؤمنين: ما هذا صاحبه، أنا قتلته».

فقال علىّ للرجل الأوّل: «ما حملك على أن قلت، أنا قاتله، و لم تقتله».

قال: «يا أمير المؤمنين، و ما أستطيع أن أصنع و قد وقف العسس على الرجل يتشّط في دمه، و أنا واقف، و في يدي سكين، و فيها أثر الدم، و قد أخذت في خربه؟.. ألا يقبل منى

ص: ٣٠٨

و أضرب على ذلك ثم أقتل فاعترفت بما لم أصنع، و احتسبت نفسى عند الله!

فقال عليّ: «بئسما صنعت. فكيف كان حديثك»؟.

قال الرجل: «إني رجل قصاب، خرجت إلى حانوتي في الغلس، فذبحت بقره و سلختها، فبينما أنا أسلخها و السكين في يدي أخذني البول، فأتيت خربه كانت بقربي فدخلتها، فقضيت حاجتي، و عدت أريد حانوتي، فإذا أنا بهذا المقتول يتشخّط في دمه فراعني أمره، فوقف أنظر إليه و السكين في يدي فلم أشعر إلا بأصحابك قد وقفوا عليّ، فأخذوني. فقال الناس: هذا قتل هذا ما له قاتل سواه، فأدركت أنك لا تترك قولهم لقولي، فاعترفت بما لم أجنه».

فسأل عليّ الرجل الثاني الذي أقر بالقتل: «فأنت كيف كانت قصتك»؟.

قال: «أغواني إبليس، فقتلت الرجل طمعا في ماله، ثم سمعت حسّ العسس فخرجت من الخربه، و استقبلت هذا القصاب على الحال التي وصف، فاستترت منه ببعض الخربه حتى أتى العسس، فأخذوه و أتوك به فلما أمرت يا أمير المؤمنين بقتله علمت أني سأبوء بدمه أيضا، فاعترفت بالحق».

فقال عليّ لابنه الحسن: «ما الحكم في هذا»؟.

فقال الحسن: «يا أمير المؤمنين إن كان قد قتل نفساً فقد أحيانا نفساً. وقد قال الله تعالى: وَ مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً
(١).

فأقر الإمام الحكم، و خلى عن الرجلين، و أخرج ديّه القليل من بيت المال» (٢).

ص: ٣١٠

١- سورة المائدة، الآية: ٣٢.

٢- فروع الكافي: ج ٧، ص ٢٨٩-٢٩٠.

روى «أن رجلا أقبل على عهد علي عليه السلام من الجبل حاجا و معه غلام له، فأذنب فضربه مولاه، فقال: ما أنت مولاي بل أنا مولاك.

فما زال كل واحد منهما يتواعد الآخر و يقول: كما أنت حتى نأتى الكوفه يا عدو الله فأذهب بك إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

فلما أتيا الكوفه أتيا أمير المؤمنين عليه السلام فقال الذى ضرب الغلام:

أصلحك الله إن هذا غلام لى و إنه أذنب فضربته، فوثب على.

و قال الآخر: هو و الله غلام لى أرسلنى أبى معه ليعلمنى، و إنه وثب على يدعىنى ليذهب بمالى.

فأخذ هذا يحلف و هذا يحلف، و ذا يكذب هذا و ذا يكذب هذا.

فقال على عليه السّلام: فانطلقا فتصادقا في ليلتكم هذه، و لا تجيئاني إلا بحقّ.

فلما أصبح أمير المؤمنين عليه السّلام قال لقنبر: اثقب في الحائط ثقبين - و كان إذا أصبح عقّب حتّى تصير الشمس على رمح - فجاء الرجلان و اجتمع الناس، فقالوا: لقد وردت علينا قضيه ما ورد علينا مثلها لا يخرج منها، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السّلام:

قوما فإنّي لست أراكما تصدقان، ثمّ قال لأحدهما:

أدخل رأسك في هذا الثقب، و قال للآخر: أدخل رأسك في ذلك الثقب ثمّ قال: يا قنبر علىّ بسيف رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عجل اضرب رقبه العبد منهما، قال: فأخرج الغلام رأسه مبادرا و مكث الآخر في الثقب، فقال على عليه السّلام للغلام:

أ لست ترعم أنّك لست بعبدا؟

قال: بلى و لكنّه ضربني و تعدّى علىّ!

فتوثّق له (أخذ منه الموثيق) أمير المؤمنين و دفعه إليه (1).

ص: ٣١٢

١- قضاء أمير المؤمنين: ص ٧. و الجدير بالذكر أن بعض الحكّام في العصور المتأخّره أخذ هذا الحكم عن أمير المؤمنين عليه السّلام، فقد ترفع إليه في قتيل، و التهمه موجّهه إلى جماعه، و لم يتمكّن من تشخيص القاتل من بينهم، مع كثره المرافعات، و في آخر جلسه، صرخ فيهم جميعا: «لقد برأتكم المحكمه فاذهبوا إلى بيوتكم»، و فيما هم يهّمون بالخروج، صاح فيهم: القاتل يقف. فتوقّف أحدهم، و أخيرا اعترف بالحقيقه.

التوسل بعاطفه الأومه لمعرفه الحقيقه

روى أن امرأتين تنازعتا على عهد عمر في طفل ادّعتاه كلّ واحده منهما ولدا لها بغير بينه، و لم ينازعهما فيه غيرهما، فالتبس الحكم في ذلك على عمر، و فزع فيه إلى أمير المؤمنين عليه السّلام، فاستدعى المرأتين و وعظهما و خوّفهما فأقامتا على التنازع و الاختلاف.

فقال عليه السّلام عند تماديهما في النزاع:

«أتونى بمنشار».

فقال المرأتان: و ما تصنع؟

فقال: أقده نصفين لكلّ واحده منكما نصفه، فسكتت إحداهما، و قالت الأخرى:

اللّه الله يا أبا الحسن، إن كان لا بدّ من ذلك فقد سمحت به لها.

ص: ٣١٣

فقال: الله أكبر هذا ابنك دونها، و لو كان ابنها لرقّت عليه و أشفقت.

فاعترفت المرأة الأخرى أنّ الحق مع صاحبها و الولد لها دونها، فسرى عن عمر و دعا لأمير المؤمنين عليه السّلام بما فرّج عنه في القضاء(١).

ص: ٣١٤

١- الإرشاد: ص ٩٦.

تشريعات لأصحاب الحيوانات

لم تكن قد وضعت أيه تشريعات، أو أصول قانونيه فيما يرتبط بإتلاف حيوان يملكه شخص، لحيوان آخر، أو لممتلكات الآخرين، و كانت الذهنيه العامه تعتقد أن الحيوان، حيوان فلا- يترتب على عمله أى شىء. أفهل يعقل مثلا حبس حيوان، أو مقاضاته على تصرفاته؟.

كان الأمر كذلك، حينما وقعت الحادثه التاليه:

«كان رسول الله جالسا مع عليّ و جماعه من الصحابه فجاء خصمان فقال أحدهما: «يا رسول الله إن لى حمارا، و إن لهذا بقره، و إن بقرته قتلت حمارى».

فقال رجل من الحاضرين: «لا ضمان على البهائم».

فقال النبي: «اقض بينهما يا عليّ».

فقال عليّ لهما: «أكانا مرسلين أم مشدودين أم كان أحدهما مشدودا و الثانى مرسلا»؟.

فقالا: «كان الحمار مشدودا و البقره مرسله و صاحبها معها».

فقال عليّ: «على صاحب البقره ضمان الحمار» (أى تعويضه).

فأقرّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حكمه و أمضى قضاءه. و قال:

«أقضاكم عليّ»^(١).

ص: ٣١٦

١- على إمام المتّقين: ج ٢، ص ٧٤.

أحكام صائبه و أخلاقيات رفيعه

كانت للإمام على عليه السلام أحكام صائبه، في قضايا كثيره من الأمور المشكله و القضايا الصعبه، و بعضها كان في حد ذاته طريفاً.

و في الحق، فإن أحكام الإمام و قضاءه، هو الحق الذي لا لبس فيه، ألم يقل فيه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «علّي مع الحق و الحق مع علّي يدور معه حيثما دار»^(١).

و إذا كان البعض يرى قضاء الإمام «اجتهادا» في الرأي من قبله، فهو بلا شك اجتهاد قائم على كتاب الله و سننه نبيه و العقل الحصيف و الأخلاق الرفيعة.

نماذج من الاحكام الصائبه و الاخلاقيات الرفيعة

و فيما يلي نماذج من ذلك..

ص: ٣١٧

١- كلمه الرسول الأعظم.

«حين قاد خالد بن الوليد أحد جيوش الفتح كتب إلى الخليفة أبي بكر: «وجدت في بعض ضواحي العرب رجلا- ينكح كما تنكح المرأة فما عقابه؟».. و لم يجد أبو بكر نصيحا في القرآن و لا- في السّنة عن جزاء هذه الجريمة.. فجمع نفرا من الصحابه فسألهم، و فيهم عليّ بن أبي طالب، و كان أشدهم يومئذ قولاً. قال: «إن هذا ذنب لم تعص به أمه من قبل إلا قوم لوط، فعمل بها ما قد علمتم فأحرقهم الله تعالى و أحرق ديارهم. أرى أن تحرقوه بالنار».

فكتب أبو بكر إلى خالد «أحرقه بالنار»^(١).

سئل الإمام علي عليه السّلام عن فداء أسرى المسلمين الجرحى من أيدي المرتدّين فقال: «نفادى من كانت جراحاته بين يديه دون من كانت من ورائه، فإنه فار»^(٢).

جاء رجل إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و عليّ يومئذ باليمن فقال الرجل: «شهدت عليّنا أتى في ثلاثه نفر ادّعوا ولد امرأه.

ص: ٣١٨

١- عليّ إمام المتّقين: ج ١، ص ٧٤.

٢- المصدر السابق: ص ٧٥.

فطلب عليّ من كل واحد منهم أن يدع الولد للآخر، فأبوا جميعاً قال: أنتم شركاء مشاكسون، و سأقرع بينكم فأيتكم أصابته القرعه فهو له و عليه ثلثا الدية». فضحك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حتى بدت نواجذه، و قال: «ما أعلم فيها إلا ما قاله عليّ» (١).

٤

«جاؤوا برجل إلى عمر بن الخطاب سأله جماعه من الناس: كيف أصبحت؟».

فقال: «أصبحت أحب الفتنه، و أكره الحق، و أصدق اليهود و النصارى، و أومن بما لم أره، و أقرّ بما لم يخلق».

فأرسل عمر إلى علي عليه السلام، فلما جاءه أخبره بمقاله الرجل.

فقال عليّ ضاحكاً: «صدق الرجل. قال الله تعالى:

إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ (٢) فهو يحب المال و البنين. و هو يكره الحق يعنى الموت. قال تعالى: وَجَاءَتْ سَيِّكْرُهُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (٣). و يصدق اليهود

ص: ٣١٩

١- عليّ إمام المتقين: ج ١، ص ٧٤.

٢- سورة التغابن، الآية: ١٥.

٣- سورة ق، الآية: ١٩.

و النصارى وَ قَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ ۚ وَ قَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ (١) وَ هُوَ يُؤْمِنُ بِمَا لَمْ يَرَهُ أَيُّ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ يَقَرُّ بِمَا لَمْ يَخْلُقْ يَعْنِي السَّاعَةَ».

فضحك عمر و أطلق سراح الرجل! (٢).

٥

روى «أنه أتى عمر بن الخطاب بامرأه قد تعلقت بشاب من الأنصار، و كانت تهواه فلما لم يساعدها احتالت عليها، فأخذت بيضه
فألقت صفرتها، و صبّت البياض على ثوبها و بين فخذيهما.. ثم جاءت بالشاب إلى عمر صارخه، فقالت:

«هذا الرجل غلبنى على نفسى و فضحنى فى أهلى و هذا أثر فعاله».

فسأل عمر النساء فقلن له: «إن بيدنها و ثوبها أثر المنى».

فهمّ عمر بعقوبه الشاب، فجعل الشاب يستغيث و يقول:

«يا أمير المؤمنين، تثبت فى أمرى، فوالله ما أتيت بفاحشه، و لا هممت بها، فلقد راودتنى عن نفسى فاعتصمت». فقال

ص: ٣٢٠

١- سورة البقره، الآيه: ١١٣.

٢- المصدر السابق: ص ١١٠.

عمر (رضى الله عنه) لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما؟»

فنظر على عليه السلام إلى المرأة يقرأ صفحه وجهها، و نظر إلى ما على الثوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصبّه على الثوب فجمد ذلك البياض، ثم أخذه و اشتّمه و ذاقه، فعرف رائحه البيض و طعم القلى، و زجر المرأة فاعترفت! فأطلق الشاب البرىء، و أقيم عليها حدّ القذف (١)..

٦

سئل أمير المؤمنين عن رجل ضرب رجلا على هامته، فادّعى المضروب أنه لا يبصر شيئا، و لا يشم رائحه، و أنه قد ذهب لسانه..

فقال الإمام: «إن صدق فله ثلاث ديّات».

ف قيل له: «و كيف نعلم صدقه، يا أمير المؤمنين»؟.

فقال: «أما ما ادّعاه أنه لا يشم رائحه، فإنه يدنى منه الحراق، فإن كان كما يقول فلن يفعل شيئا، و ألاّ ينحى رأسه و تدمع عيناه. و أمّا ما ادّعاه فى عينه، فإنه يقابل بعينه الشمس، فإن كان كاذبا لم يتمالك حتى يغمض عينيه، و إن

ص: ٣٢١

١- فروع الكافى: ج ٧، ص ٤٢٢.

كان صادقاً بقيتا مفتوحتين. و أما ما ادّعاه في لسانه، فإنه يضرب على لسانه يابره فإن خرج الدم أحمر فقد كذب، وإن خرج الدم أسود فقد صدق(١).

٧

جاء رجلان إلى امرأه من قريش، فاستودعاها مائه دينار و قالوا: «لا تدفعيها إلى واحد منّا، دون صاحبه حتى نجتمع».

فلبثا عاما ثم جاء أحدهما إليها، وقال: «إن صاحبي قد مات فادفعي إليّ الدنانير»، فأبت المرأة. فنقل الرجل بأهلها، فلم يزالوا بها حتى دفعتها إليه.

ثم لبث عام آخر، فجاء الرجل الثاني، و قال لها: «ادفعي إليّ الدنانير»!

فقلت: «إن صاحبك جاءني، و زعم أنك قد متّ، فدفعتها إليه».

فاختصما إلى عمر بن الخطاب، فأراد أن يقضى عليها بالضمان فقد قال لها: «ما أراك إلا ضامنه».

فقلت: «أنشدك الله أن لا تقضى بيننا، و ارفعنا إلى عليّ بن أبي طالب» فرفعهما إلى علي عليه السلام فعرف الإمام أنهما قد مكرتا بها.

ص: ٣٢٢

١- الوسائل: ج ١٩، ص ٢٧٩.

فقال للرجل: «أليس قلتما، لا تدفعيها إلى واحد منّا دون صاحبه»؟.

قال الرجل: «بلى، فلم دفعتهما إلى صاحبي»؟.

فقال الإمام: «إن مالك عندنا، فاذهب فجي بصاحبك حتى ندفعه لكما».

فبلغ قضاء الإمام إلى عمر فقال: لا أبقاني الله لمعضله ليس لها أبو الحسن (١).

٨

روى: «أن رجلين اصطحبا في سفر، فلما أرادا الغداء، أخرج أحدهما من زاده خمسه أرغفه، و أخرج الآخر ثلاثه أرغفه، فمرّ بهما عابر سبيل، فدعوه إلى طعامهما. فأكل الرجل معهما حتى لم يبق شيء، فلما فرغوا، أعطاهما الضيف ثمانيه دراهم، ثواب ما أكله من طعامهما.

فقال صاحب الثلاثه أرغفه لصاحبه: «اقسمها نصفين بيني و بينك».

و قال صاحب الخمسه: «لا. بل يأخذ كل منّا من الدراهم على عدد ما أخرج من الزاد».

فأتيا أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك، فلما سمع مقالتهما قال

ص: ٣٢٣

١- ذخائر العقبى: ص ٨٠.

لهما: «اصطلحا، فإن قضيتكما دتية. فقالا: بل اقض بيننا بالحق.

فقضى الإمام لصاحب الخمسه أرغفه بسبعه دراهم، بينما قضى لصاحب الثلاثه أرغفه بدرهم واحد! ولما سألاه عن السبب فى هذا الحكم قال عليه السلام:

«أليس أخرج أحدكما من زاده خمسه أرغفه، و أخرج الآخر ثلاثه؟».

قالا: «نعم».

قال عليه السلام: «أليس أكل ضيفكما معكما، مثل ما أكلتما؟»، قالا: «نعم».

قال عليه السلام: «أليس أكل كل واحد منكما ثلاثه أرغفه غير ثلث؟»، قالا: «نعم».

قال عليه السلام: «أليس أكلت أنت يا صاحب الثلاثه، ثلاثه أرغفه إلا ثلاثا، و أكلت أنت يا صاحب الخمسه، ثلاثه أرغفه إلا ثلاثا، و أكل الضيف مثلكما، ثلاثه أرغفه إلا ثلاثا؟ أليس قد بقى لك يا صاحب الثلاثه أرغفه، ثلث رغيف من زادك، و بقى لك يا صاحب الخمسه، رغيفان و ثلث، و أكلت ثلاثه أرغفه إلا ثلاثا. فأعطاكما لكل ثلث رغيف درهما، فأعطى صاحب

ص: ٣٢٤

«الرغيفين و ثلث» سبعة دراهم، و أعطى صاحب الثلاثة أرغفه، و حصّته مما أكل منه الثلث: درهما واحدا(١).

٩

جاءت امرأه إلى الإمام فقالت: «إن زوجي وقع على جاريتي بغير أمرى».

فقال للرجل: «ما تقول»؟.

قال: «ما وقعت عليها إلا بأمرها».

فقال على: «إن كنت صادقاً رجمته، و إن كنت كاذباً جلدتك حدّ القذف» (ثمانين جلده)!. ..

و أقيمت الصلاة، فقام علىّ كرم الله وجهه ليصلّى.

و فكّرت المرأة، فلم تر لها فرجا في أن يرحم زوجها، و لا في أن تجلد، فوّلّت هاربه، و لم يسأل علىّ عنها!(٢).

١٠

يروى أن عليّاً عليه السّلام كان في مجلس يعلم الناس بالمسجد، إذ سمع ضججه، فلما سأل عنها قيل له: «رجل سرق و معه من يشهد عليه».

ص: ٣٢٥

١- أئمتنا: ص ٧٥.

٢- علىّ إمام المتّقين: ج ١، ص ١٠٨.

فشهد شاهدان عليه أنه سرق، فجعل الرجل يبكي، و يناشد علياً أن يتثبت في أمره.

فخرج الإمام إلى الناس بالسوق، فدعا بالشاهدين، فناشدهما الله و خوّفهما، فأقاما على شهادتهما، فلما رآهما لا يرجعان دعا بالسكين و قال: «ليمسك أحد كما يده و يقطع الآخر». فتقدّما ليقطعاه، فهاج الناس، و اختلط بعضهم ببعض.

و قام عليّ من مكانه، فترك الشاهدان الرجل، و هربا.

و عاد عليّ فقال: «من يدلّني على الشاهدين الكاذبين»؟ فلم يعثر الناس لهما على أثر.

و قد قال عليّ: «يبدأ الشهود بالرجم إذا شهدوا بالزنى، فإن كانوا كاذبين، لم يستطيعوا أن يرموا»^(١).

١١

كان عمر يتمشى في الأسواق و الأزقة ذات ليله، فسمع امرأة تتوجّع في فراشها مهمهمة:

لقد طال هذا الليل و ازورّ جانبه و ليس إلى جنبى خليل الأعبه

ص: ٣٢٤

١- المصدر السابق: ص ١٠٩.

فو الله لو لا الله تخشى عواقبه لزلزل من هذا السرير جوانبه

مخافه ربي و الحياء يعفنى و إكرام بعلى أن تنال مراتبه

و تألم عمر مما سمع!!

فلما أصبح الصباح، حكى لعلى ما سمعه، فلم يجد علىّ فيما قالتها المرأة ما يستوجب العقاب، و إن كان فيه ما يعاب!

و رأى عمر أن يرسل إلى المرأة فيسألها عمّا سمعه البارحة.. فأشار علىّ بأن يسأل عنها، قبل أن يروّعها بسؤالها عن مهمتها.

فسأل عنها فقالوا: «هى امرأه فلان و له فى الغزاه ثمانيه أشهر». فسأل بعض نساء بيته عن أقصى ما تستطيع المرأة أن تصبر عن زوجها من غير عنت أو تكلف، فقلن له: «أربعه أشهر».

فأمر ألا يغيب الرجل عن زوجته أكثر من أربعه أشهر..(١).

١٢

و رفعت إلى عمر قضيه امرأه ولدت لسته أشهر، فأمر

ص: ٣٢٧

١- على إمام المتقين: ج ١، ص ١٢٢.

برجمها فجاءت أختها إلى عليّ تستصرخه. فذهب إلى عمر و قال: «إن الله عزّ وجلّ يقول: وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضَيْنَ مِنْ أَوْلَادِهِنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ (١). و قال تعالى: وَ حَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا (٢).

فالفصال أربعة و عشرون شهرا و الحمل ستة أشهر، تلك ثلاثون شهرا».

فخلّى عمر سبيلها و قال: «أعوذ بالله من معضله ليس لها أبو الحسن» (٣).

١٣

و بلغ عمر بن الخطاب أن امرأه بغيه يدخل عليها الرجال، فبعث إليها رسولا- فأتاها الرسول فقال لها: «أجيبى أمير المؤمنين». ففزعت المرأة فزعا شديدا، فأجهضها الفزع، و أسقطت حملها ميتا، فحزن عمر و أرسل إلى بعض الصحابه، فقصّ عليهم ما كان من أمره و أمر المرأة فقالوا: «ما نرى عليك شيئا يا أمير المؤمنين، إنما أنت معلم و مؤدّب». فسأل عليّ، فقال عليّ: «إن كانوا قاربوك فى الهوى فقد أثموا، و إن

ص: ٣٢٨

١- سورة البقره، الآية: ٢٢٣.

٢- سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

٣- قضاء أمير المؤمنين.

كان هذا جهد رأيهم فقد أخطأوا. و أرى عليك الدية». فقال عمر: «صدقت يا أبا الحسن».

ثم عاد يكرر: «و الله لو لا عليّ لهلك عمر. أعود بالله من معضله لا عليّ لها»^(١).

١٤

و جاؤوا عمر بامرأه حامل قد اعترفت بالفجور، فأمر برجمها، فقال له علي: «هذا سلطانك عليها فما سلطانك علي ما في بطنها؟ فأطلقها عمر حتى تضع حملها.

و جاؤوا عمر بامرأه أجهدها العطش، فمّرت علي راع فاستسقته فأبى إلا أن تمكّنه من نفسها، ففعلت فشاور الناس في رجمها فقال علي: «هذه مضطره، فخلّ سبيلها». و أشار برجم الراعى وحده. و أخذ عمر بهذا الرأي^(٢).

١٥

استشار عمر عليا في رجل و امرأه مّربهما عمر في دجى الليل، فوجد بينهما ما بين الرجل و زوجته، و فى الصباح علم أنهما ليسا زوجين، فأمر بأن يحدّا.

و لكن عليا عليه السلام قال له: «أجئت عليهما بأربعة شهداء».

ص: ٣٢٩

١- علي إمام المتقين: ج ١، ص ١١٠.

٢- المصدر السابق: ص ١٠٤.

فقال عمر إنه هو الذى شهدهما وحده، فأفتاه على عليه السّلام بأنه لا يحقّ له أن يحكم بعلمه هو وحده. فعسى أن يكون قد شبّه له، أو أخطأ، فلا بد من الشهداء كما نصّ القرآن و جرت السنّه (١).

١٤

روى «أن عمر استشار عددا من الصحابه فى امرأه قد زنت، و شهد عليها أربعة شهداء عدول، فأجمعوا على رجمها، فلما ذهبوا ليرجموها، مرّ بهم الإمام على عليه السّلام فقال:

«ما شأن هذه»؟. قالوا: «مجنونه بنى فلان زنت فأمر بها أن ترحم».

فانتزعها على من أيديهم، و ردّهم، فرجعوا إلى عمر، فقال: «ما ردّكم»؟. قالوا: «ردّنا على».

فقال عمر: «ما فعل أبو الحسن هذا إلّا لشيء قد علمه».

فجاء على شبهه غاضب، فسأله عمر: «ما بالك قد رددت هؤلاء»؟. فقال على: «أما سمعت قول رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم رفع القلم عن ثلاث: عن المجنون حتى يبرأ، و عن النائم حتى يستيقظ، و عن الصبيّ حتى يعقل»؟.

قال عمر: «بلى».

ص: ٣٣٠

فقال الإمام: «فهذه مبتلاه (مجنونه) بنى فلان، فلعله أتاها الرجل و هو (الجنون) بها».

قال عمر: «لا أدري».

فقال الإمام: «و أنا لا أدري»!

فترك رجمها للشكّ في عقلها حين الزنى(1).

ص: ٣٣١

١- عبقرية الإمام على عليه السلام: ص ١٧١.

أخلاقيات الحاكم ٧

اعتماد الشورى فى الحكم ٩

حقوق متبادله ١٤

الأول - تأمين الحرّيات ٢٠

أولا - حرّيه إبداء الرأى ٢٢

ثانيا - حرّيه الاجتماع و التنظيم ٢٤

ثالثا - حرّيه المعارضه ٢٥

الثانى - حاكميه الناس ٢٦

الثالث - قداسه القانون ٥٩

الرابع - احترام حقوق الإنسان ٦٣

الاعتراف بحق المعارضه ٦٥

الالتزام بالعدل ٩٤

أولا: التزام العدل فى تقسيم أموال العامه و هو يعنى أمرين ١١١

ص: ٣٣٣

ثانيا - إنصاف المظلومين ١١٧

ثالثا - الامتناع عن التعدي و البغى ١١٩

رابعا - الامتناع عن الكبر، و التكبّر، و الترفّع عن الناس ١٢٠

خامسا - التشدد مع المسؤولين لمصلحه العامه ١٢٦

سادسا - الاهتمام بحاجات الناس، و طلبات الولاة ١٢٦

سابعا - مساعده الجميع، و اللطف بهم ١٢٩

ثامنا - المساواه، و عدم التمييز ١٣٢

تاسعا - مجازاه المسىء، و الإحسان إلى المحسنين ١٥١

عاشرا - الاهتمام بعامه الناس دون الخاصه منهم ١٥٣

الحادى عشر - التزام الحق فى جبايه الضرائب ١٥٤

التشدد مع النفس ١٥٥

التشدد مع الأقرباء ١٦١

التشدد مع المسؤولين ١٧٠

مواجهه المتكبرين بالحزم ١٩٠

الاحتياط فى إراقه الدماء ١٩٧

إنصاف العدو ٢٠٦

العفو مع الاقتدار ٢٣٢

الرفق فى جبايه الخراج ٢٤٦

الاهتمام الشخصى بالآيتام ٢٥٤

اعتماد لغه الرحمه فى القضاء ٢٥٩

لا حكم على من لا يعرف الحكم ٢٦١

إلغاء الحدّ مع الاضطرار ٢٦٣

إثاره الوجدان و الضمير للتراجع عن الرجل ٢٦٥

اعتماد الحقائق العلميه فى المسائل القضائيه ٢٦٩

التشدّد مع المحتالين و الذين يؤذون الناس ٢٧٢

الاقتصاص من الباطل ٢٧٦

ثلاث نساء و ثلاث قضايا ٢٧٩

أما مع الأرملة ٢٨٣

أمّا الزانيه ٢٨٥

التدقيق فى الشهود للاحتياط فى إجراء الحدود ٢٩١

التوبه فى البيت أفضل من إقامة الحدّ على المأ ٣٠٢

العفو عن القاتل لنجاته بريثا باعترافه ٣٠٨

التوسل باللاشعور للكشف عن الحقيقه ٣١١

التوسل بعاطفه الأمومه لمعرفة الحقيقه ٣١٣

تشريعات لأصحاب الحيوانات ٣١٥

أحكام صائبه و أخلاقيات رفيعه ٣١٧

ص: ٣٣٥

پدیدآوران: مدرسی، هادی (نویسنده)

اخلاقیات الامام علی امیر المومنین (علیه السلام)

عنوان های دیگر: قراءه فی تعاملات الإمام من موقع المؤمن الصادق و المعارض المخلص، و الحاكم العادل

ناشر: دار العلوم

مکان نشر: بیروت - لبنان

سال نشر: ۱۴۳۱ ق یا ۲۰۱۰ م

چاپ: ۱

موضوع: اخلاق اسلامی

علی بن ابیطالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - اخلاق

علی بن ابیطالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - خطبه ها

زبان: عربی

تعداد جلد: ۳ ج

کد کنگره: ۳۷/۴ BP / م ۴ الف ۳

ص: ۱

أخلاقيات الإمام على أمير المؤمنين عليه السّلام

قراءه فى تعاملات الإمام من موقع المؤمن الصادق و المعارض المخلص، و الحاكم العادل

هادى المدرسى

الجزء الثالث

ص: ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
(٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

ص: ٥

وئاق هامه

اشاره

ص: ٧

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥)(١).**

وقال في حديث قدسى: «إن عليا رايه الهدى، و إمام أوليائي، و نور من أطاعنى، و هو الكلمه التى ألزمتها المتقين، من أحبه أحببني، و من أطاعه أطاعنى»(٢).

«على بابى الذى أوتى منه، و بيتى الذى من دخله كان آمنا من نارى، و حصنى الذى من لجأ إليه حصنته من مكروه الدنيا»(٣).

ص: ١١

١- سورة المائدة، الآية: ٥٥.

٢- كلمه الله ص ١١٠.

٣- المصدر ص ١١١.

قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم: «علِيّ مع الحق، و الحق مع علي يدور حيثما دار»(١).

«علي مع القرآن، و القرآن مع علي، و لن يفترقا حتى يردّا عليّ الحوض يوم القيامة»(٢).

«علي عتبه علمي(٣). أنا مدينه العلم و عليّ بابها فمن أراد العلم فليأت الباب»(٤).

«أنا و علي من شجره واحده، و سائر الناس من أشجار شتى»(٥). «إن عليا مني و أنا منه(٦) لحمه من لحمي و دمه من دمي»(٧).

ص: ١٢

١- شرح نهج البلاغه، ج ٢، ص ٢٩٧.

٢- تاريخ ابن عساكر، ج ٣، ص ١٢٤.

٣- كنز العمال، خ ٣٢٩١١.

٤- تاريخ ابن عساكر، ج ٢ - خ ٩٨٣.

٥- كنز العمال، خ ٣٢٩٤٣.

٦- سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٤٤.

٧- كنز العمال، خ ٣٢٩٣٦.

«على منى بمنزله هارون من موسى»(١).

«من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، و إلى نوح في فهمه، و إلى إبراهيم في حلمه، و إلى يحيى بن زكريا في زهده، و إلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب»(٢).

«من كنت مولاه فهذا علي مولاه»(٣).

«كفى و كفى علي في العدل سواء»(٤).

«ذكر عليّ عباده(٥) و من لم يقل عليّ خير الناس فقد كفر»(٦).

و قال صَلَّى الله عليه و آله و سلم لعليّ عليه السّلام: «يا عليّ.. أنت سيّد في الدنيا، و سيّد في الآخرة: حبيّك حبيبي، و حبيبي حبيب الله و عدوك عدوي، و عدوي عدو الله، و الويل لمن أبغضك، و كذب عليك»(٧).

ص: ١٣

- ١- صحيح البخارى، ج ٢، ص ٣٠٠.
- ٢- تاريخ ابن عساكر، ج ٢، ص ٢٨٠.
- ٣- الدرّ المنثور، ص ١٨٢.
- ٤- تاريخ ابن عساكر، ج ٢، ص ٤٣٩.
- ٥- المصدر، ج ٢، ص ٤٠٨.
- ٦- المصدر، ج ٢، ص ٤٤٤.
- ٧- مستدرک الصحيحين، ج ٣، ص ١٢٧.

وقال: «أيها الناس: علي بن أبي طالب كثر الله، من أحبه و تولاه، فقد أوفى بما عاهد عليه، و أدى ما وجب عليه، و من عاداه جاء يوم القيامة أعمى و أصم لا حجه له عند الله»(١).

«ألا إن عليا خيره الله و مختاره. ألا إنه وليّ الله في أرضه و أمينه في سرّه. ألا إنه الناصر لدين الله»(٢).

يا علي.. لو لا أن أخاف أن تقول فيك طائفه من أمّتي، ما قاتله النصارى في عيسى ابن مريم، لقلت فيك، كلمه لا تمرّ بها على ملاء إلا- و أخذوا من تراب نعليك، و من طهورك ما يستشفون به، و لكن حسبك أنك منى و أنا منك، و أنت أخى و صاحبي»(٣).

«يا علي.. لا يحبك إلا مؤمن، و لا يبغضك إلا منافق»(٤).

«حب علي يأكل الذنوب، كما تأكل النار الحطب»(٥).

«عنوان صحيفه المؤمن: حب علي بن أبي طالب»(٦).

ص: ١٤

-
- ١- ناسخ التواريخ، ج ٣ من آخر خطبه خطبها رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم.
 - ٢- كلمه الرسول الأعظم ص ٧١.
 - ٣- أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٢٠٦.
 - ٤- كثر العمال، خ ٣٢٨٧٨ / خ ٣٢٨٨٣.
 - ٥- كثر العمال، خ ٣٣٠٢١.
 - ٦- كثر العمال، خ ٣٢٩٠٠.

«علی إمام البرره، و قاتل الفجره، منصور من نصره، مخذول من خذله»(١).

«علی باب فتحه الله من دخله كان مؤمنا، و من خرج منه كان كافرا»(٢).

«أفضاكم علی. أعلمکم علی. أعدلکم علی. أفضلکم علی»(٣).

«أنا و علی أبوا هذه الأمة»(٤).

ص: ١٥

١- كتر العمال، خ ٣٢٩٠٩.

٢- الغدير، للأميني.

٣- المصدر.

٤- المصدر.

قال علي عليه السلام عن نفسه: «أنا كاتب الدنيا لوجهها، وقادرها بقدرها، وراذها على عقبها(١). أنا الذي أهنت الدنيا»(٢).

«إنى لأرفع نفسي أن تكون حاجه لا- يسعها جودي، أو جهل لا يسعه حلمي، أو ذنب لا يسعه عفوي، يكون زمان أطول من زمانى»(٣).

«إنى لم أفز من الزحف قط، و لم يبارزنى أحد إلا سقيت الأرض من دمه»(٤).

أنا وضعت فى الصفر بكلا كل العرب، و كسرت نواجم

ص:١٦

١- شرح نهج البلاغه، ج ٨، ص ١٢٥.

٢- تاريخ ابن عساکر، ج ٣، ص ٢٠٢.

٣- غرر الحكم و درر الكلم.

٤- نور الثقلين، ج ٢، ص ١٣٩.

قرون ربيعه و مضر، و قد علمتم موضعي من رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلمَ بالقرابه القريبه، و المنزله الخصيصة، وضعني في حجره و أنا ولد يضمني إلى صدره، و يكتفني في فراشه، و يمسنني جسده، و يشمني عرقه، و كان يمضغ الشيء ثم يلقمني، و ما وجد لي كذبه في قول و لا خطله في فعل، و لقد كنت أتبعه أتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما، و يأمرني بالاعتداء به، و لقد كان يجاور في كل سنه بحراء، فأراه و لا يراه غيري، و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلمَ و خديجه، و أنا ثالثهما. أرى نور الوحي و الرساله، و أشم ريح النبوه.

«و إنى لمن قوم لا- تأخذهم في الله لومه لائم. سيماهم سيما الصديقين، و كلامهم كلام الأبرار: عمّار الليل و منار النهار، متمسكون بحبل القرآن يحبون سنن الله و سنن رسوله.

لا يستكبرون و لا يعلون، و لا يغلّون و لا يفسدون، قلوبهم في الجنان، و أجسادهم في العمل»(١).

«أنا قد ركزت فيكم رايه الإيمان، و وقفتم على حدود الحلال و الحرام، و ألبستكم العافيه من عدلي، و فرشتكم المعروف من قولي و فعلي، و أريتكم كرائم الأخلاق من نفسي»(٢).

ص: ١٧

١- من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ١٥٢.

٢- نهج البلاغه، الخطبه ٧٨.

«إني للمحقّ الذي يتّبع، وإن الكتاب لمعنى ما فارقتة مذ صحبته، فلقد كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأن القتل ليدور على الآباء والأبناء والإخوان والقربات، فما نزداد على كل مصيبه وشده، إلاّ إيماناً ومضياً على الحق، وتسليماً للأمر، و صبراً على مضض الجراح»(١).

«و لقد كنا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً، ومضياً على اللّقم، وصبراً على مضض الألم، وجدّاً في جهاد العدو. ولقد كان الرجل منّا، والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما: أيهما يسقى صاحبه كأس المنون، فمره لنا من عدوّنا، ومرّه لعدوّنا منّا، فلما رأى الله صدقنا، أنزل بعدوّنا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى استقرّ الإسلام ملقياً جرانه، ومتبوّناً أوطانه»(٢).

ص: ١٨

١- الاحتجاج، ج ١، ص ٢٧٤.

٢- كتاب صفّين، ص ٥٢٠.

قال صعصعه بن صوحان: كان فينا كأحدنا، لين جانب و شدّه تواضع و سهوله قياد، و كُنّا نهابه مهابه الأسير المربوط للسيّاف الواقف على رأسه.

و قال معاوية لقيس بن سعد: رحم الله أبا حسن فلقد كان هُشًا بشًا ذا فكاكه، قال قيس: نعم نعم، كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يمزح و يبسم إلى أصحابه و أراك تسرّ حسوا في ارتغاء رفعه، و تعيبه بذلك، أما و الله لقد كان مع تلك الفكاهه و الطلاقه أهيب من ذى لبدتين قد مسّه الطوى، تلك هيبه التقوى، ليس كما يهابك طعام أهل الشام، و قد بقى هذا الخلق متوارثا متناقلا- في محبّيه و أوليائه إلى الآن، كما بقى الجفاء و الخشونه و الوعوره في الجانب الآخر، و من له أدنى معرفه بأخلاق الناس و عوائدهم يعرف ذلك»^(١).

ص: ١٩

١- شرح نهج البلاغه، ج ١، ص ٢١٥.

قالت عائشه: «قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: خير إخوتي علي، و خير أعمامي حمزه».

و قالت: «كانت فاطمه أحب الناس إلى الرسول و زوجها عليّ أحب الرجال»(١).

قال ابن عباس: «لعلي أربع خصال ليست و حد غيره: هو أول عربي و عجمي صَلَّى مع رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و هو الذي كان لواء الرسول إليه في كل زحف، و هو الذي صبر معه يوم فرّ عنه غيره. و هو الذي غسله و أدخله قبره»..

أما حسن البصرى فقد سأله رجل عن علي بن أبي طالب فقال: «كان و الله سهما صائبا من مرامي الله على عدوّه، و كان ربّاني هذه الأمم، و ذا فضلها، و ذا سابقتها، و ذا قرابتها من رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم. أعطى القرآن عزائم، ففاز منه برياض موقنه. ذلك علي بن أبي طالب رضی الله عنه يا لكّع!».

و في الحق أنه شهد منذ صباه نزول آيات القرآن الكريم، منذ كان في حجر النبوّ، و تفقّه في أسباب النزول، و التفسير، و عايش أغلب السنّه الشريفه عملا و قولاً فتفقّه فيها جميعاً..

ص: ٢٠

١- علي إمام المتقين: ج ٢، ص ٦٦.

حتى لقد صحّ ما قاله فيه الرسول: «أنا مدينة العلم و علي بابها، فمن أراد العلم فليأتته من بابها».

و قال الإمام أحمد بن حنبل: «لم ينقل لأحد من الصحابه ما نقل لعلي من مناقب. فمناقبه كثيره».

و زاد غيره: «و سبب ذلك بغض بني أميّه له، فكان كل من عنده علم عن شيء من مناقبه من الصحابه يثبته. و كلما أراد بنو أميّه إخماده، و هددوا من حدّث بمناقبه لا يزداد إلا انتشارا»^(١).

ص: ٢١

١- علي إمام المتقين، ج ١، ص ٢٤.

قال الزمخشري: «فى على عليه السلام ثمانى عشره خاصه نوجز ست عشره منها فيما يلى..

الخاصه الأولى: أنه أول من أسلم و أول من يدخل الجنة فى هذه الأمه، و قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «يا على إنك أول من يقرع باب الجنة فتدخلها بغير حساب بعدى».

الخاصه الثانيه: إنه المتخلف على الودائع من قبل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى وقت الهجره.

و بقى بمكه ثلاث ليال بأيامها حتى ردّ ما كان عند الرسول من ودائع لأصحابها..

ثم خلفه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم على العيال و النساء بالمدينه فى وقت الخروج إلى غزوه تبوك حتى بكى - رضى الله عنه - قال:

«يا رسول الله إن قريشا تقول إن رسول الله قد استقله فتركه».

فقال النبي: «أما ترضى أن تكون منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

الخاصه الثالثه: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لما آخى بين المهاجرين و الأنصار جعل عليا آخا نفسه الكريمه، و قال له: «أنت أخي و صاحبى فى الدنيا و الآخره».

الخاصه الرابعه: أنه الممدوح بالسياده لما روى: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال لفاطمه رضى الله عنها: «زوجك سيد فى الدنيا و الآخره».

الخاصه الخامسه: أنه ولى الله و ولى رسوله، و ولى المؤمنين. قال الله تعالى: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) (١)**.

نزلت هذه الآيه الكريمه فى حق على حين كان يصلّى فى المسجد و هو راکع، قام سائل يسأل، فمدّ على يده إلى خلفه و أوماً إلى السائل بخاتمه، فأخذه من إصبعة.

و قد قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من كنت مولاه فعلى مولاه».

اللهمّ و ال من والاه و عاد من عاداه».

و هذا الحديث الشريف فى مسند الإمام أحمد بن حنبل.

ص: ٢٣

١- سورة المائدة، الآيه: ٥٥.

وفيه روايات مختلفه منها أن الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم قال للناس يوم غدیر خم (وخم اسم الغدير) قال: «اللهم من كنت مولاه فعليّ مولاه. اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه».

و زاد أحد رواه الحديث: «و انصر من نصره و اخذل من خذله».

الخاصه السادسة: أنه أقضى الصحابه. لقول الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم:

«أقضاكم عليّ».

الخاصه السابعه: أنه محبوب المؤمنين و مبغوض المنافقين.

قال له النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم: «لا يحبك إلا مؤمن و لا يبغضك إلا منافق» (و هذا الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، و أخرجه كثير غيره مع اختلاف في الألفاظ).

الخاصه الثامنه: أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم انقطع عن أصحابه لأجل عليّ، فنادى الناس بعضهم بعضا: «أفيكم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم؟». حتى جاء الرسول و معه علي بن أبي طالب، فقالوا: «يا رسول الله فقدناك». فقال: «إن أبا الحسن وجد مغصا في بطنه فتخلفنا عليه»..

الخاصه التاسعه: أنه باب مدينه العلم كما جاء في الحديث الشريف: «أنا مدينه العلم و عليّ بابها» (الحديث).

الخاصه العاشره: أنه ذو الأذن الواعيه.

روى أنه لما نزل قوله تعالى: وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاَعِيَهُ (١)، قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: «سألت الله - عزّ وجلّ - أن يجعلها أذنك يا علي».

قال عليّ: «فما نسيت شيئاً بعد ذلك و ما كان لى أن أنسى».

و شرح الزمخشري عبارته «أذن واعيه» فى تفسيره المعروف باسم «الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل فى وجوه التأويل»: «أذن واعيه من شأنها أن تعى و تحفظ ما سمعت به و لا تضيّعه بترك العمل. و كل ما حفظته من نفسك فقد وعيته و ما حفظته من غير نفسك فقد أوعيته».

أى إن الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم دعا له بالتفوق فى الفهم و الوعى و العمل. و هذا ما لم يدع به لغيره بل اختصّه به هو وحده.

و نلاحظ أن الزمخشري لم ينفرد بهذا التفسير فقد جاء فى تفسير ابن كثير أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم قال لما نزلت عليه هذه الآية: «سألت ربّي أن يجعلها أذن عليّ». فكان عليّ يقول:

«ما سمعت من رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم شيئاً قط فنسيته»، و فى تفسير

ص: ٢٥

١- سورة الحاقه، الآية: ١٢.

ابن جرير أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم قال لعلي: «إني أمرت أن أدنيك و لا أقصيك و أن أعلمك، و أن تعي، و حق لك أن تعي».

فنزلت هذه الآية.

الخاصه الحاديه عشره: أنه جمع ثلاث مفاخر لم تجمع لأحد سواه، لما روى أن الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم قال له: «يا علي! أعطيت ثلاثا لم يعطها أحد غيرك: صهرا مثلي، و زوجه مثل فاطمه، و ولدين مثل الحسن و الحسين».

الخاصه الثانيه عشره: أنه صعد على منكبى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم، لما روى عن عليّ كرم الله وجهه فى قصه قمع الأصنام.

قال: «انطلق رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم إلى الكعبه فقال لى:

«اجلس» فجلست، فصعد على منكبى.

فقال لى: «انهض»، فنهضت، فعرف ضعفى تحته.

قال لى: «اجلس» فجلست.

ثم نهض بى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم فخيّل إليّ أننى لو شئت نلت أفق السماء، فصعدت إلى الكعبه.

و تنحى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم و قال: «ألق صنمهم الأكبر، صنم قريش».

و كان من نحاس مَوْتَدٍ بأوتاد من حديد فى الأرض. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «عالجه».

فجعلت أعالجه، حتى استمكنت منه فقال: «اقذفه»، فذفته حتى انكسر.

و نزلت من فوق الكعبة، و انطلقت أنا و النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نسعى، و خشينا أن يرانا أحد من قريش و غيرهم».

الخاصه الثالثه عشره: أنه حاز سهم جبريل عليه السلام، من غنائم تبوك.

روى أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لما غزا تبوك، استخلف عليا على المدينة.

فلما نصر الله رسوله و غنم المسلمون أموال المشركين و رقابهم، جلس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و جعل يقسم السهام على المسلمين سهما سهما.

و دفع إلى علي بن أبي طالب سهمين.

فقام أحد الصحابه يسأل: «يا رسول الله! أوحى نزل من السماء أم أمر من نفسك»؟

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أنشدكم الله! هل رأيتم فى رأس ميمتكم صاحب الفرس الأغرّ المحجلّ و العمامه الخضراء،

لها ذؤابتان مرخاتان على كتفيه، بيده حربه، قد حمل على الميمنه فأزالها، و حمل على الميسره فأزالها، و حمل على القلب فأزاله؟

قالوا: «نعم لقد رأينا ذلك».

قال: «هو جبريل، و إنه أمرنى أن أدفع بسهمه لعلى».

الخاصه الرابعه عشره: أن النظر إلى وجهه عباده، لما روت عائشه (رضى الله عنها) قالت: «رأيت أبى يديم النظر إلى وجه على (رضى الله عنهما) فسألته عن ذلك، فقال: ما يمنعنى من ذلك و رسول الله يقول: النظر إلى وجه على عباده»؟.

الخاصه الخامسه عشره: أنه أحب الخلق إلى الله بعد رسوله صلى الله عليه و آله و سلم لما روى أنس بن مالك الأنصارى رضى الله عنه قال: «أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فرخان مشويان، فقال:

«اللهم سق أحب خلقك إليك، ليأكل معى».

قال أنس: و كنت على الباب فجاء رجل فرددته، رجاء أن يجىء رجل من الأنصار.

ثم جاء على رضى الله عنه فأذنت له، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «لتأكل يا على، فأنت أحب خلق الله إليه،

فقد دعوت الله تعالى أن يسوق أحب خلقه إليه». (أخرجه عدد من أهل الثقة من رواه الأحاديث مع اختلاف في الألفاظ) (١).

الخاصه السادسة عشره: أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سماه يعسوب المؤمنين.. و يعسوب أمير النحل الذي تنقاد إليه و يقوم بمصالحها، و يرجع إليه في أمورها.

ص: ٢٩

١- ربيع الأبرار: (الباب الأول).

قال عنه عليه السّلام ميخائيل نعيمة: «إن بطولات الإمام عليّ، ما اقتصررت يوماً على ميادين الحرب. فقد كان بطلاً في صفاء بصيرته، و طهاره وجدانه، و سحر بيانه، و عمق إنسانيته و حراره إيمانه، و سموّ دعتة، و نصرتة للمظلوم و المحروم، و تعبده للحق أينما تجلّى له الحق، و هذه البطولات - و مهما تقادم بها العهد - لا تزال مقلعا غنيا نعود إليه اليوم، و في كل يوم، كلما اشتدّ بنا الوجد إلى بناء حياه صالحه فاضله».

«و إنه يستحيل على أى مؤرخ أو كاتب، مهما بلغ من الفطنه و العبقرية، أن يأتيك حتى في ألف صفحه بصوره كامله لعظيم من عيار الإمام عليّ، و لحقبه حافله بالأحداث الجسام التي عاشها. فالذى فكّره و تأمله و قاله و عمله ذلك العملاق بينه و بين نفسه و ربّه لمّا لم تسمعه أذن و لم تبصره عين، و هو أكثر

بكثر مما عمله بيده أو أذاعه بلسانه و قلمه، و إذ ذاك فكلّ صورته نرسمها له هي صورته ناقصه لا محاله»(١).

و قال عنه «شبلى الشميل»: «الإمام على بن أبى طالب عظيم العظماء لنسخه مفرد له لم ير لها الشرق و لا الغرب صورته طبق الأصل لا قديما و لا حديثا»(٢).

قال فيه الكاتب المسيحى سليمان كتانى:

قله أولئك الرجال المذنبين هم على نسج على بن أبى طالب.. تنهّد بهم الحياه، موزعين على مفارق الأجيال كالمصاييح، تمتصّ حشاشاتها لتفتتها هديا على مسالك العابرين.

و هم، على قلتهم، كالأعمده، تنفرج فيما بينها فسحات الهياكل، و ترسو على كواهلها أثقال المداميك، لتومض من فوق مشارفها قبب المنائر.

و إنهم فى كل ذلك كالزواسى، تتقبّل هوج الأعاصير

ص: ٣١

١- على و حقوق الإنسان: ص ٢٠-٢١.

٢- المصدر: ص ٣٥.

و زمجره السّحب لتعكسها من مصافياها على السفوح خيران رقيقه رفيقه عذبه المدافق.

هؤلاء هم فى كل آن و زمان، فى دنيا الإنسان، أقطابه و رواده.

إنّهم فى حقول البحث و التنقيب مرامى حدوده، و فى كل خط ضارب فى مهمّه الوجود أفاصى مجالاته، و أنّهم له على كلّ المفارق إشارات تردّ سبله عن جوامحها، و فى كلّ تيه ضوابط تلملم عن الشطط شوارده، و هم له فى دجيه الليل قبله من فجر، و فوق كلاحه الرّمس لملمه من عزاء.

من بين هؤلاء القلصه يبرز وجه على بن أبى طالب فى هاله من رساله و فى ظلّ من نبوّه، فاضتا عليه انسجاما و اكتمالا- كما احتواهما لونا و إطارا.

و هكذا توفّرت السائحه لتحلّق فى أكلح ليل طالب دحسه على عصر من عصور الإنسان فيه من الجهل و الظلم و الحيف ما يضمّ و يندلّ.. رجلا- تراحت فيه و فره كريمه من المواهب و المزايا، لا- يمكن أن يستوعبها إنسان دون أن تقذف به إلى مصافّ العباقره(1).

ص: ٣٢

١- الإمام علىّ نبراس و قدّاس: ص ٥١-٥٢.

وقال: من ذلك المعدن الطيب كفكفت شخصيه الإمام مستكملة كل مقوماتها.. شخصيه برز العقل فيها السيد المطلق، فإذا هي منه كما هي الديمة من الغمام، تستمطره فينهمر بها انسجاما بانسجام.

و هكذا بسط عليها لواء كما أسلست له قيادها، فامتصته و امتصها، قوه بقوه، و لونا بلون..

حتى لكأن الهيكل المتين كحبيكه الفولاذ، ما استجمعت أوصاله إلا ليكون قاعده جباره لقائد جبار..

فإذا السيف في كفه و امض بكر، له حدان متساندان.

حدّ على الترس و حدّ على القرطاس، في حله أبدا بيضاء ذات وجهين:

وجه على الجهاد و وجه على السداد..

ازدواجيه في البطولات، لملمها التوحيد فانسقت إلى المضممار كانسيق الجوارف تلاحت إليها الجداول.

و جداول من المواهب تلبست المزايا و الصفات كما تتلبس الأفانين أوراق الربيع، و تضافرت في تساجمها و تناسقها كحبال الشمس، وحدها المصدر و كالمصهر، تتداوب فيه المعادن.

هكذا انصهرت في هذه الشخصيّه مجموعه المواهب و مجموعه الصفات و مجموعه المزاياء، قيمه بقيمه، و وزنا بوزن، و مقدارا بمقدار.. فإذا هي يتزواج بعضها من بعض كما تتزواج الألوان في لوحه رسام.. و إذا المعطيات كالفيض، ترجى كأنها في سباق، و تتساند كأنها أنداد.

فالعفّه و الصدق ريشتان ناعمتان كان لهما من القوّه لديه ما كان لهما منها في زنديه: الترس و الفرند، و الزهد و الجود..

جناحان رهيفان أفاء عليهما من ظلّه، فإذا هما بعين المدى يتباعدان ثم لديه يلتقيان.. فإذا الزهد بالدنيا جود بها، و إذا الجود بالزهد اكتماله.

و التقوى و الإيمان شعوران صميان و منبعان صافيان، غارا في جناحه و اندفقا على لسانه، فإذا هما به على نصب الكعبه حسام، و من ورعه قبله للإسلام.

و الحق و العداله صفتان متلازمتان، و قلادتان فريدتان، و حجتان لامعتان.. و شم بهما وجدانه، و حلى بهما بيانه، و سنّ عليهما سنانه.. فإذا القيم بين الحق و العدل تتلمّس في معتقده تراثها.

و الحبّ و الإخلاص جبلان وثيقان، و دفقتان ستيّتان،

ترابط بهما فؤاده و لسانه.. فإذا الأرض، بجماعاتها، تنشُد الدفء لتمرع.

و الحزم و العزم نتيجتان منبثقان من صلابتين متكاتفتين:

القوه و الإراده.

كأنّ لهما من عينيه انعكاس على ساعديه و ثوره في منهجيه، فإذا الدّين و الدّنيا في ناظره قالبان يستكملان وحده الوجود من حدّيه من كل تلك المقادير.

مواهب و صفات شربت شخصيه عليّ بن أبي طالب، فإذا هي في وجود الإنسان دعامة تتشبّث بها قيمه الإنسان(1).

قال عنه الكاتب المسيحي بولس سلامه:

و ربّ معترض قال: ما بال هذا المسيحي يتصدّى لملحمه إسلاميه بحته؟ أجل إنني مسيحي و لكن التاريخ مشاع للعالمين.

أجل إنني مسيحي ينظر من أفق رحب لا من كوّه ضيقه، فيرى في غاندى الوثنى قدّيسا، مسيحي يرى (الخلق كلهم عيال الله) و يرى أن (لا فضل لعربي على عجمي إلاّ بالتقوى).

مسيحي ينحني أمام عظمه رجل يهتف باسمه مئات

ص: ٣٥

١- الإمام عليّ نبراس و قدّاس: ص ٧٧-٧٨.

الملايين من الناس في مشارق الأرض و مغاربها خمسا كل يوم. رجل ليس في مواليد حواء أعظم منه شأنًا، و أبعد أثرا، و أخلد ذكرا. رجل أطلّ من غياهب الجاهليه فأطلّت معه دنيا أظّلّها بلواء مجيد، كتب عليه بأحرف من نور: لا إله إلا الله! الله أكبر!

قد يقول قائل، و لم آثرت عليا دون سواه من أصحاب محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم بهذه الملحمة (١)؟ و لا- أجيب على هذا السؤال إلا- بكلمات فالملحمه كلها جواب عليه، و سترى في سياقها بعض عظمه الرجل الذى يذكره المسلمون فيقولون: (رضى الله عنه، و كرم وجهه، و عليه السلام) و يذكره النصارى في مجالسهم فيتمثلون بحكمه و يخشعون لتقواه، و يتمثل به الزهاد في الصوامع فيزدادون زهدا و قنوتا، و ينظر إليه المفكر فيستضيء بهذا القطب الوضاء و يتطلّع إليه الكاتب الألمعى فيأتم بيانه، و يعتمده الفقيه المدره فيسترشد بأحكامه.

أما الخطيب فحسبه أن يقف على السفح، و يرفع الرأس إلى هذا الطود لتنهلّ عليه الآيات من عل، و ينطلق لسانه بالكلام العربى المبين الذى رسّخ قواعده أبو الحسن إذ دفعها

ص: ٣٦

١- ملحمة عيد الغدير: ص ١٢.

إلى أبى الأسود الدؤلى فقال: انح هذا النحو. و كان علم النحو. و يقرأ الجبان سيره على فتهدر فى صدره النخوه و تستهويه البطوله، إذ لم تشهد الغبراء، و لم تظل السماء أشجع من ابن أبى طالب، فعلى ذلك و خبير و الخندق و حنين و وادى الرمل و الطائف و اليمن.

و هو المنتصر فى صفين، و يوم الجمل، و النهروان، و الدافع عن الرسول يوم أحد، و قيدوم السرايا و لواء المغازى.

و أعجب من بطولته الجسديه بطولته النفسيه، فلم ير أصبر منه على المكاره. إذ كانت حياته موصوله الآلام منذ فتح عينيه على النور فى الكعبه حتى أغمضهما على الحق فى مسجد الكوفه.

و بعد فلم تساءلنى بأبى الحسن؟ أو لم تقم فى خلال العصور فئات من الناس تؤلّه الرجل؟ و لا ريب أنها الضلاله الكبرى، و لكنها ضلاله تدلّك على الحق إذ تدلّك على مبلغ افتتان الناس بهذه الشخصيه العظمى.

و لم يستطع خصوم على أن يأخذوا عليه مأخذاً فاتهموه بالتشدد فى إحقاق الحق، أى إنهم شكوا كثره فضله فأرادوه دنيويا يمارى و يدارى، و أراد نفسه روحانيا رفيعا يستमित فى

سبيل العدل، لا تأخذه في سبيل الله هواده. وإنما الغضبه للحق ثوره النفوس القدسيه، التي يؤلمها أن ترى عوجا أو لم يغضب السيد المسيح و هو الذروه في الوداعه و الحلم، يوم دخل الهيكل فوجد فيه باعه الحمام و الصيارف المرابين فأخذ بيده السوط و قلب موائدهم و طردهم قائلا: بيتي بيت الصلاه يدعى و أنتم جعلتموه مغاره للصوص.

بقي لك بعد هذا أن تحسبني شيعيا. فإذا كان التشيع تنقضا لأشخاص، أو بغضا لفئات، أو تهوؤا في المزلق الخطره فلست كذلك. أما إذا كان التشيع حبا لعلی و أهل البيت المطيبين الأكرمين، و ثوره على الظلم و توجعا لما حلّ بالحسين و ما نزل بأولاده من النكبات في مطاوى التاريخ، فإني شيعي.

فيا أبا الحسن! ماذا أقول فيك، و قد قال الكتاب في المتنبي: (إنه مالىء الدنيا و شاغل الناس) و إن هو إلا شاعر له حفته من الدرّ إزاء تلال من الحجاره، و ما شخصيته حيال عظمتك إلا مدره على النيل خجلى من عظمه الأهرام.

حقا إن البيان ليسفّ و إن شعري لحصاه في ساحلك يا أمير الكلام، و لكنها حصاه مخضوبه بدم الحسين الغالى،

فتقبّل هذه الملحمة و انظر من رفارف الخلد إلى عاجز شرف قلمه بذكرك.

قال فيه في مقدمه ملحمته:

يا مليك الحياه أنزل عليا عزمه منك تبعث الصخر حيا

جود كفيك إن تشأ يملأ العيش نماء و يفرش الجذب فيا

يوقظ الورد فالربيع على التلّ ضحوك الألوان طلق المحيا

كلما افتّر برعم داعبته كفّ ريح تقول للطيب هيا

واهب النور و الندى للروابي أولنى من جمال وجهك شيا

طال في منقع العذاب مقامى و استراح الشقاء فى مقلتيا

فنسيت النهار من طول ليلي أترى الليل شرعك الأبديا

ليتنى أبصر النجوم فأهدى فى العشيات بسمه للثريا

ص: ٣٩

يا إلهى سدّد خطاي فإني قد تمرّست بالضلاله غيّا
منشئ القطر من أجاج كريبه و محيل الخضم طلاً مرّياً
عن مهاوى الآثام نزه جناني و عن المين و الهوى شفّيتا
فى سبيل الكمال أجر يراعى ملهم البثّ فيصلّا عربيّا
فأصوغ الألفاظ أقمار ورد خالعا فوقها الصباح النديا
و إذا آذن البيان بحرب ألهب الطرس مرقمى و الرويا
أين منى الشباب يوم حيالى يرتقى سدّه السنى عبقرّياً
فيه من رفّه الجناح دوىّ و يكاد السهى يجيب الدويّا
هات يا شر من عيونك و اهتف باسم من أشبع السباسب رّيّا

باسم زين العصور بعد نبى نور الشرق كوكبا هاشميا

باسم ليث الحجاز نسر البوادي خير من هز في الوغى سمهريا

خير من جلل الميادين غارا و انطوى زاهدا و مات ابينا

كان رب الكلام من بعد طه و اخاه و صهره و الوصيا

بطل السيف و التقى و السجايا ما رأت مثله الرماح كميئا

يا سماء اشهدى و يا ارض قرى و اخشعى ابنى اُردت عليا(1)

و قال فيه عباس محمود عقاد:

فى كل ناحيه من نواحي النفوس الإنسانية ملقى بسيره على بن أبى طالب رضوان الله عليه..

لأن هذه السيره تخاطب الإنسان حيثما اتجه إليه الخطاب

ص: ٤١

١- ملحمه عيد الغدير: ص ١٣-١٤.

البلوغ من سير الأبطال والعظماء، وثير فيه أقوى ما يثيره التاريخ البشري من ضروب العطف ومواقع العبره والتأمل.

في سيره ابن أبي طالب ملتقى بالعاطفه المشبوهه والإحساس المتطّلع إلى الرحمه والإكبار، لأنه الشّهيد أبو الشهداء، يجرى تاريخه وتاريخ أبنائه في سلسله طويله من مصارع الجهاد والهزيمه، ويتراوون للمتتبع من بعيد واحدا بعد واحد شيوخا جليلهم وقار الشيب يحال بينهم وبين متاع الحياه، بل يحال بينهم أحيانا وبين الزاد والماء، وهم على حياض المتيه جياع ظماء.. و أوشك الألم لمصرعهم أن يصبغ ظواهر الكون بصبغتهم و صبغه دمائهم، حتى قال شاعر فيلسوف كأبي العلاء المعري:

ولى الأفق من دماء الشّهيد ين على و نجله شاهدان

فهما في أواخر الليل فجران، و في أولياته شفقان

وهذه غايه من امتزاج العاطفه بتلك السيره قلما تبلغها في سير الشهداء غايه، و كثيرا ما تتعطش إليها سرائر الأمم في قصص الفداء التي عمرت بها تواريخ الأديان.

و تلتقى سيرته (عليه رضوان الله) بالفكر كما تلتقى بالخيال

ص: ٤٢

و العاطفه، لأنه صاحب آراء فى التصوّف و الشريعة و الأخلاق سبقت جميع الآراء فى الثقافه الإسلاميه، و لأنه أحجى الخلفاء الراشدين أن يعدّ من أصحاب المذاهب الحكيمه بين حكماء العصور، و لأنه أوتى من الذكاء ما هو أشبه بذكاء الباحثين المنقيين منه بذكاء الساسه المتغلبين فهو الذكاء الذى تحسّسه فى الفكره و الخاطره قبل أن تحسّسه فى نتيجة العمل و مجرى الأمور.

و للذوق الأدبى - أو الذوق الفنى - ملتقى بسيرته كملتقى الفكر و الخيال و العاطفه، لأنه رضوان الله عليه كان أديبا بليغا له نهج من الأدب و البلاغه يقتدى به المقتدون، و قسط من الذوق مطبوع يحمده المتذوقون، و إن تناولت بينه و بينهم السنون. فهو الحكيم الأديب، و الخطيب المبين، و المنشئ الذى يتّصل إنشأؤه بالعربيه ما اتصلت آيات الناثرين و الناظمين..

و ناحيه أخرى من نواحي النفس الكثيره تلاقيها سيره الإمام فى أكثر من طريق: و تلك هى ناحيه الشكوى و التمرد أو ناحيه الشوق إلى التجديد و الإصلاح.

فقد أصبح اسم عليّ علما يلتفّ به كل مغصوب، و صيحه

ينادى بها كل طالب إنصاف، وقامت باسمه الدول بعد موته لأنه لم تقم له دوله فى حياته، و جعل الغاضبون على كل مجتمع باغ، و كل حكومه جائره، يلودون بالدعوه العلويه كأنها الدعوه المرادفه لكلمه الإصلاح، أو كأنها المنفس الذى يستروح إليه مكظوم.. فمن نازع فى رأى، ففى اسم على شفاء لنوازع نفسه، و من ثار على ضيم ففى اسم على حافر لثورته و مرضاه لغضبه، و من واجه التاريخ العربى بالعقل أو بالذوق أو بالخيال أو بالعاطفه فهناك ملتقى بينه و بين على فى وجه من وجوهه، و على حاله من حالاته. و تلك هى المزيه التى انفرد بها تاريخ الإمام بين تواريخ الأئمه الخلفاء، فأصبحت بينه و بين قلوب الناس و شائج تخلقها طبيعه الآدميه إن قصر فى خلقها التاريخ و المؤرخون(1).

قال فيه جورج جرداق:

هلاً أعرت دنياك أذنا صاغيه فتخبرك بما كان من أمر عظيم ما أعطت الدنيا أن تحدّثك عن مثله إلا قليلا بين جيل و جيل!

ص: ٤٤

١- عبقرية الإمام على: ص ٥-١١.

هلاً- أعرت دنياك أذنا وقلبا و عقلا فتلقى إلى كيانك جميعا بخير عبقرى حملت منه فى وجدانها قصه الضمير العملاق يعلو و يعلو حتى لتهون عليه الدنيا و تهون الحياه. و يهون البنون و الأقربون و المال و السلطان و رؤيه الشمس المشرقه الغاربه، و حتى يندفع بصاحبه ارتفاعا فما هو من الآدميين إلا بمقدار ما يسمون بمقياس الضمير و الوجدان!

هلاً- أعرت دنياك هذه الأذن و هذا القلب و هذا العقل، فتروى لك مع المعزى، و مع الطيبين من الأقربين و الأبعدين، قصه الشهاده تصبغ الفجر و الشفق بدم العدل و الحق الصريعين، فإذا دماء الشهيد فى أواخر الليل فجران و فى أولياته شفقان!

هلاً ضربت بعينيك حيث شئت من تاريخ هذا الشرق، سائلا عن فكر هو من منطلق الخير نقطه الدائره، تشد إليها آراء جديده فى الحياه و الموت، و نظرات عميقه فى الشرائع و الأنظمه و الدساتير و قوانين الأخلاق، و فى مكانها من المجموعه البشريه على صعيد التعامل و التعاطى و ربط الإنسان بالإنسان فى مجتمع هو من الكلّ و للكلّ على السواء!

هلاً سألته عن فكر أنتج الناس مذهباً فى الحكمه هو من

مذاهب العصور و من نتاجها القيم يرثه الأولون فيورثونه الأبناء و الأحفاد، فيجتمعون له، فيأخذون منه بقدر طاقتهم على الأخذ و ما يتركونه فهو للطالعين المقبلين!

هلاً سألته عن ذكاء غريب أورث صاحبه الشقاء و الناس منه فى نعيم. و مدّ أمام أنصاره و أخصامه الطريق و ما يزال! ذكاء العالم الباحث عن كل علّة و كل نتيجة، العميق الواسع الإدراك، السابر الأغوار حتى لا تفوته أعمال الناس و هى ما تزال فى نفوسهم خواطر و فى رؤوسهم أفكار! ذكاء العالم الذى أوتى من المواهب ما جعل علمه متّصلاً بكل علم أخلاقى جاء بعده فى هذا الشرق، بل أصلاً له!

هلاً عرفت بين العقول عقلاً نافذا كانت له السابقة فى إدراك حقيقه كبرى هى أصل الحقائق الاجتماعيه و علّة تركيب المجتمع و تسييره على هذا النحو دون ذاك، و هى الموضوع الذى تدور عليه دراسات الباحثين العلماء فى الشرق و الغرب اليوم بعد ألف و أربعمائه عام و ما ينيف تمّر على إدراكه إياها.

و لا نعى بها إلاّ واقع الاستغلاليه و أساليبها فى الاحتيال على قواعد الطبيعه، و فى تضليل العقول عن أسبابها الصحيحه و نتائجها المحتومه، و تفاهه منطقتها الذى صنعه الأغنياء

لاستثمار الفقراء، و الحكام لاحتكار مجهود الناس، و بعض الإلهيين لتثبيت سلطانهم على الأرض!

هل عرفت العقل الجبار يقزّر، منذ بضعة عشر قرنا، الحقيقه الاجتماعيه الكبرى التى تضع حدا لأوهام لها ألف مصدر و مصدر فيعلن أنه «ما جاع فقير إلا- بما متّع به غنى» ثم يردف قائلا- لتقييم هذه الحقيقه: «ما رأيت نعمه موفوره إلا- و إلى جانبها حقّ مضيع!» أمّا إلى أحد عمّاله فيبعث بهذا القول فى صدد الحديث عن الاحتكار، باب الغبن الاجتماعى و دعامته: «و ذلك باب مضرّه للعامه، و عيب على الولاه، فامنع من الاحتكار»!.

هل عرفت عظيما دلّه عقله الجبار، منذ بضعة عشر قرنا، على اكتشاف سرّ الإنسانيه الصحيح فإذا سرّها متّصل اتصالا عميقا بالشعب الذى لم يكن حكام زمانه و ملوكه ليقيموا له وزنا أو ليشعروا له بوجود إلا فى نطاق ما يكون لهم سلّما و مطيّه. فإذا كان رافيل قد اتّخذ من إحدى فلاّحات الريف الإيطالى نموذجا للعدراء أمّ المسيح ليضع فى هذا النموذج كل ما يحبّه و يريده من معانى الكرم الإنسانى، و إذا كان تولستوى و قولتير و غيتى قد عملوا فى صنيعهم الفكرى و الاجتماعى ما هو من روح رافيل فى صنيعه هذا، فإن ذاك العظيم قد سبقهم

ص: ٤٧

إليه بمئات السنين مع الفارق بين ظرفه الصعب وظروفهم المؤاتية، و بين مجتمعه الضيق و مجتمعاتهم الواسعه، فإذا هو يحارب الملوك و الأمراء و الولاة و الأثرياء! يحارب عبثهم و سخف تفكيرهم في سبيل الشعب المظلوم المهان فيقسم قائلاً: «و أيم الله، لأنصفنّ المظلوم من ظالمه و لأقودنّ الظالم بخزامة حتى أورده منهل الحق و إن كان كارها». ثم يطلق في آذان أمراء زمانه العابثين هذه الصيحة المدويّة التي يكمن وراءها من المعرفة لحقيقه أهل الأرسقراطيه التافهين، المتعاليين على تفاهتهم، و لحقيقه الشعب البائس الشقى، ما لا مزيد عليه، فيقول بإيجاز كأنه صوت القدر: «أسفلكم أعلاكم، و أعلاكم أسفلكم!». و ما يقصد من وراء هذا إلاّ-الإشارة الصريحه إلى ما يخفى الحرمان و الجور من مواهب أبناء الشعب في الخير. و إلى ما يستتر في ثياب الإقطاعيين و الحكّام و المحتكرين من شياطين الشر و أبالسه الأذى و المكر!

هل عرفت عظيمًا ساق إلى مدار الناس حقيقه إنسانيه قديمه كالأزل، باقيه كالأبد، عميقه حتى ليستشفّها كبار العقول و النفوس كلّ منهم على نهجه و وفق مزاجه، و حتى ليأبى العاديون إلاّ-العيش في ظلالها و هم لا يعرفون. فإذا بهم يرضون بما قسط لهم الأجداد و الآباء من أفكار و آراء لا

تتطلب منهم عناء و لا جهدا لأنها أنزلت فيهم منزله العاده و التقليد. حقيقه كانت أساسا لفلسفات إيجابيه، و أخرى سلبيه، و أعنى بها البحث عن المطلق للاستقرار، و البحث عن المطلق لا يعنى فى أعماقه إلا البحث عن الحقيقه فى وجه من الوجوه. يتعاون فى هذا البحث العقل و القلب و الخيال و ما ينبثق عنها من خلق، ثم الظرف و المناسبه و الدوافع و النوازع على اختلاف معانيها و أشكالها، و قد أدرك هذا المطلق على نحو معين. ثم أدرك بعقله و قلبه أن فى كل استقرار على المطلق قوه، فإذا هو مثال هذه القوه، و إذا قوته تبدو فى انتصاره و انكساره على السواء لأنها، هنا و هناك، هى الغالبه القاهره، سيان عندها النصر و الهزيمه فى ميدان القتال و ميدان السياسه و كل ميدان. فليس فى الغلبه أو الهزيمه محك لها، فهى إنما تحمل بذاتها كل مقياس و كل ميزان!

هل سألت تاريخ هذا الشرق عن صلابه العقيده لا تخرّجها الزلازل و لا يشوبها من البراكين وهن! و أى زلزال أشدّ على العقيده من ائتمار أقله إجماع الخصوم، و هم كثر أقوياء، على التخطئه و التكفير و ما إليهما من ذنوب! و أى بركان أحرق للعقيده من التهديد بالموت المحتوم، ثم من الموت نفسه! ثم هل سألت كيف يكون الصراع من أجل

العقيدہ لا یوارب و لا یساوم، و لا ینطوی علی نفع و لا یدور فی نطاق من الأثره و الاستعلاء، اللہمّ إلا إذا کان نجاح العقیدہ هو النفع و الإثرہ!

هل طلبت إلى الدنيا أن تناجيك بحديث الرحمة تنطلق من قلب ملأته الرحمة و من لسان تجرى عليه بردا و سلاما، فإذا هي القوه الغالبه تتحطم على بابها مغريات الأرض المتفجّره بالمغريات تأتي من غير مصدرها، في عهد هو عهد القسوه و الاستغلال و احتكار المنافع يتقاتل عليها الخصوم ثم يلتقون على قتال صاحب القلب و اللسان الرحيمين!

هل عرفت البراءه في قاموس الكلمات التي يردّها الناس و يكتبونها و يعيشونها في كثيرهم أو قليلهم و كلّ منهم يأخذ منها بحكم تكوينه، تنادى إليها إخوانها جميعا من سلامه القلب و صفاء النيّه، و الطهاره الخالصه التي لو مثّلتها لما أحسنت لها تشبيها بدموع الليل و أنداء الفجر لأنها طهاره الإنسان ما فضله فجر و لا ليل! البراءه الصافيه الطاهره تنبع من القلب السليم الطاهر الذي تطمئنّ إلى صاحبه كما يطمئنّ الشتاء إلى حراره الشمس، و تثق به كما تثق الأرض بالماء فتحيا و تخضر!

هل عرفت عظيما أدرك من أسباب المحبه و الوفاء فوق ما

أدرك الآخرون! ثم ما أدرك هذه المحبه و هذا الوفاء إلا فى نطاق الطبع الخالص، الذى يجرى بنفسه من نفسه، فأحبّ حسّه أن الحريه لها قدسيه يريد لها الوجود و يأبى عنها بدىلا و فى رحبها تدور كل عاطفه و كل فكر، و فى رحبها يكون الحبّ و يجرى الوفاء صريحين طليقين، فإذا «شرّ الإخوان من تكلف له» و إذا خيرهم غير هذا!

هل سألت عن حاكم يحذّر نفسه أن يأكل خبزا فيشبع فى مواطن يكثر فيها من لا عهد لهم بشبع، و أن يلبس ثوبا ناعما و فى أبناء الشعب من يرتدى خشن اللباس، و أن يقتنى درهما و فى الناس فقر و حاجه، و يوصى أبناءه و أنصاره ألا يسيروا مع نفوسهم غير هذه السيره، ثم يقاضى أخاه لمكان دينار طلبه من مال الشعب من غير بلاء، و يقاضى أعوانه و مبايعيه و ولاته من أجل رغيف يأكلونه فى رشوه من غنى، فيتهدّد و يتوعّد و يبعث إلى أحد ولاته بأنه يقسم بالله صادقا إنّ هو خان من مال الشعب شيئا صغيرا أو كبيرا ليشدّن عليه شدّه تدعه قليل الوفّر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر. و يخاطب آخر بهذا القول الموجز الرائع الإيجاز: «بلغنى أنك جرّدت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، و أكلت ما تحت قدميك، فارفع لى حسابك». و يتوعّد ثالثا ممّن يرتشون و يسعون فى الإثراء على حساب

المستضعفين، يقول: «فاتق الله و اردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرني إلى الله فيك، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحدا إلا دخل النار»!.

هل عرفت من الخلق أميرا على زمانه و مكانه يطحن لنفسه فيأكل ما يطحن خبزا يابسا يكسره على ركبتيه، و يرقع خفّه بيديه، و لا يكتنز من دنياه كثيرا أو قليلا على ما مرّ، لأن همّه ليس إلا أن يكون للمستضعف و المظلوم و الفقير ينصفهم من المستغلين و المحتكرين و يمسك عليهم الحياه و كريم العيش، فما يعنيه أن يشبع و يرتوى و ينام هائئا و في الأرض «من لا- طمع له في القرص» و فيها «بطون غرثى و أكباد حرّى» قائلان و يا لسرف القول: «أقنع من نفسى بأن يقال أمير المؤمنين و لا- أشاركهم مكاره الدهر»؟ و لأنّ أقلّ ما فى هذه الدنيا شأننا هو خير عنده من ولايه الناس إن لم يقم و يزهد باطلا؟!

هل عرفت، فى موطن العدالة، عظيما ما كان إلا على حق و لو تألّب عليه الخلق فى أقاليم الأرض جميعا. و ما كان عدوّه إلا على باطل و لو ملأ السهل و الجبل. لأن العدالة فيه ليست مذهبا مكتسبا و إن أصبحت فى نهجه مذهبا فيما بعد، و ليست خطه أو ضحتها سياسه الدوله و إن كان هذا الجانب من

مفاهيمها لديه، و ليست طريق يسلكها عن عمد فتوصله من أهل المجتمع إلى مكان الصداره و إن هو سلكها فأوصلته إلى قلوب الطيبين، بل لأنها فى بنيانه الأخلاقى و الأدبى أصل يتحد بأصول، و طبع لا يمكنه أن يجوز ذاته فيخرج عليها، حتى لكأن هذه العدالة ماده ركب منها بنيانه الجسمانى نفسه فى جملة ما ركب منه، فإذا هى دم فى دمه و روح فى روحه!

هل عرفت، فى موطن الخصومات، عظيما حاربه ذوو المنافع و فيهم نفر من ذوى قرباه، و قاتلوه، فخذلت المفاهيم الإنسانيه المنتصرين عليه لأنه المنكسر لأن انكساره، فى ضوء العقل و القلب، يتضمّن جوهر الشهاده فى سبيل كرامه الإنسان و حقوقه و ما يتوق إليه من بلوغه العدالة و المساواه. و هكذا كان نصرهم هزيمه و انكساره انتصارا عظيما لقيمه الإنسان!.

هل سألت التاريخ عن محارب شجاع فائق الشجاعه، يبلغ به حبه لصفه الإنسان فى مقاتليه، و يبلغ عطفه عليهم أن يوصى أصحابه، و هو المصلح الصالح الكريم المغدور به، فيقول: «لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم، فإذا كانت الهزيمه بإذن الله فلا تقتلوا مدبرا، و لا- تصيوا معوزا، و لا- تجهزوا على جريح، و لا- تهيجوا النساء بأذى!» ثم تجليه عن الماء عشرات الألوف المؤلفه من طالبى دمه على غير حقّ، و يبلغونه أنهم

سيمنعون عنه الماء الجارى حتى يموت عطشا. فيزلزلهم عن الماء و يحتله. ثم يدعوهم إلى هذا الماء أسوه بنفسه و بصحبه و بالطير الشارب و لا- زاجر له، ثم يقول: «ما المجاهد الشهيد فى سبيل الله بأعظم أجرا ممن قدر فعفا: «لكاد العفيف أن يكون ملاكا من الملائكه» حتى إذا هو طالته اليد الآثمه فقضت عليه، قال لصحبه بشأن قاتله: «لأن تعفو أقرب إلى التقوى»!.

محارب شجاع تتصل فى قلبه أسباب الشجاعه الغريبه و الفروسيه النادره، بأسباب العطف و الحنان العجيبين، فيعاتب المتآمرين به و له القدره على أن يضرب فيصرع. و هو لا يعاتبهم إلا منفردا، أعزل، حاسر الرأس، و هم مدججون بالسلاح لا يكاد يبدو لهم وجه إلا من خلاله، ثم يذكّرهم بالإخاء الإنسانى و بالموادّات، ثم يبكى لهم إذا هم حثّوا السير فى هذه الطريق، حتى إذا أبوا إلا دمّه و هو سيف المستضعف و المحروم، صبر لهم حتى يبدأوه القتال، ثم راح يزلزلهم زلزله و يقصفهم قصفا و يعصف بمطامعهم كما تعصف الرياح السافيات برمال الصحراء فتدروها بددا بددا. و هو لا يصرّح منهم إلا الطاغيه الباغيه الذى تبين فيه العدا و القصد للشر! ثم إذا هو ظفر بكى قتلاهم و هم فى الواقع قتلى الأنانيه و الأثره تأتيهم من المطمع السقيم و الهوى المنحرف!

هل عرفت من الخلق أميرا توافرت لديه أسباب السلطان و الثروه كما لم تتوافر لسواه فإذا هو منها جميعا في شقاء و حسره دائمين. و توافرت لديه محاسن الحسب الشريف فقال:

«لا حسب كالتواضع». و أحبه محبوه فقال: «من أحبني فليستعد للفقر جلبابا». و غالوا في حبه فقال: «هلك في محب غال» بعد أن خاطب نفسه يقول: «اللهم اغفر لنا ما لا يعلمون!» فألهوه، فعاقبهم أشد عقاب! و كرهه آخرون فوقف منهم موقف الناصح لإخوانه في الخلق. و سبوه فاستاء صحبه و أجابوهم بالسباب فقال لهم: «أكره لكم أن تكونوا سبائين».

و خاصموه و أسأؤوا إليه و ما حفظوا له غيبه ثم خرجوا عليه، فكان يقول: «عاب أخاك بالإحسان إليه و اردده بالإنعام عليه». و «لا يكونن أخوك على مقاطعتك أقوى منك على صلته، و لا يكونن على الإساءه أقوى منك على الإحسان».

و أغروه بمسايره بعض الأثمين، و لو إلى حين، حفاظا على سلطانه، فقال: «صديقك من نهاك و عدوك من أغراك» ثم أردف: «آثر الصدق حيث يضربك على الكذب حيث ينفعك». و حاربه من أسدى إليهم معرفه، فخاطب نفسه يقول: «لا يزهدنك بالمعروف من لا يشكر لك»، و تحدّثوا لديه عن نعيم الأرض فنظر إلى المتحدث يقول: «كفى بحسن

الخلق نعيماً». ثم عادوا يغرونه بالنصر يأتيه على أسلوب الحاكمين، فقال: «ما ظفر من ظفر الإثم به، و الغالب بالشر مغلوب». و علم من سيئات أخصامه ما لا يعرفه سواه، فغضّ عنها طرفه و سلا خاطره و هو يردّد: «أشرف أعمال الكريم غفلته عمّا يعلم». و أعان أعداؤه و الجهله من أنصاره الدهر عليه بما يدخل التشاؤم بالناس في كل قلب، فإذا به ما يزال يقول: «لا تظننّ بكلمه خرجت من أحد سوءاً و أنت تجد لها في الخير محتملاً»!

هل عرفت إماماً لدين يوصى ولاته بمثل هذا القول في الناس: «فإنهم إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، أعطهم من عفوك و صفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه و صفحه»! هل عرفت صاحب سلطان تمرّد على سلطانه لإقامه الحق في الشعب، و صاحب ثروه أنكر منها إلا القرص الذي يمسك عليه الحياه و ما الحياه لديه إلا نفع إخوانه في الخلق.. أما الدنيا فلتغرّ سواه!

ثم، هل سألت تاريخ هذا الشرق عن نهج للبلاغه آخذ من الفكر و الخيال و العاطفه آيات تتصل بالذوق الفنّي الرفيع ما بقى الإنسان و ما بقى له خيال و عاطفه و فكر، مترابط بآياته متساوق، متفجّر بالحس المشبوب و الإدراك البعيد، متدفّق

بلوعه الواقع و حراره الحقيقه و الشوق إلى معرفه ما وراء هذا الواقع، متآلف يجمع بين جمال الموضوع و جمال الإخراج حتى ليندمج التعبير بالمدلول، أو الشكل بالمعنى، اندماج الحراره بالنار و الضوء بالشمس و الهواء بالهواء، فما أنت إزاءه إلا ما يكون المرء قبالة السيل إذ ينحدر و البحر إذ يتموّج و الريح إذ تطوف، أو قبالة الحدث الطبيعي الذي لا بدّ له أن يكون بالضروره على ما هو كائن عليه من الوحده التي لا تفرّق بين عناصرها إلاّ لتمحو وجودها و تجعلها إلى غير كون!

بيان هو من مشاركه الحسّ السمعي للعقل بحيث يحوّل لك المعانى إلى أنغام هي في حدّ ذاتها المعانى الكامله كما تشاء الطبيعه الحيّه و تريد. و هو من مشاركه الحسّ النظرى للعقل بحيث يحوّل لك المعانى إلى لوحات فتيه لها خطوطها و أشكالها و ألوانها، فإذا بك من ذلك في عالم زاخر بروائع الفن تتمازج به صور و موسيقى، و أنغام و ألوان!

بيان لو نطق بالتقريع لا نقضّ على لسان العاصفه انقضاضا. و لو هدّد الفساد و المفسدين لتفجّر براكين لها أضواء و أصوات. و لو انبسط في منطق لخاطب العقول و المشاعر فأقفل كلّ باب على كلّ حجّه غير ما ينبسط فيه. و لو دعا إلى تأمل لرافق فيك منشأ الحسّ و أصل التفكير فساقك

إلى ما يريده سوقا، و وصلك بالكون وصلا. و وَّحِدَ فيك القوى للاكتشاف توحيدا. و هو لو راعك لأدركت حنان الأب و منطق الأبوه و صدق الوفاء الإنسانى و حراره المحبه التى تبدأ و لا تنتهى! أمّا إذا تحدّث إليك عن بهاء الوجود و جمالات الخلق و كمالات الكون، فإنما يكتب على قلبك بمداد من نور النجوم! بيان هو بلاغه من البلاغه، حتى قال أحدهم فى صاحبه: إن كلامه دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوق!

هل عرفت عقلا- كهذا العقل، و علما كهذا العلم، و بلاغه كهذه البلاغه، و شجاعه كهذه الشجاعه، تكتمل من الحنان بما لا يعرف حدودا حتى ليبهرك هذا القدر من الحنان كما يبهرك ذلك القدر من المزايا تلتقى جميعا و تتحد فى رجل من أبناء آدم و حواء. فإذا هو العالم المفكّر الأديب الإدارى الحاكم القائد الذى يترك الناس و الحكّام و ذوى المطامع و الجيوش يتأمرون به، ليقبل عليك فيهنّ فيك مشاعر الإنسان الذى له عواطف و أفكار، فيهمس فى قلبك هذه النجوى الرائعه بما فيها من حراره العاطفه الكريمه قائلا: «فقد الأجبّه غربه»، أو «لا تشمت بالمصائب» أو «ليكن دنوّك من الناس لينا و رحمه» أو «و اعف عمّن ظلمك و أعط من حرمك وصل من قطعك و لا تبغض من أبغضك».

هل عرفت من الخلق عظيما يلتقى مع المفكرين بسمو فكرهم، و مع الخيّرين بحبهم العميق للخير، و مع العلماء بعلمهم، و مع الباحثين بتنقيهم، و مع ذوى الموده بموداتهم، و مع الزهاد بزهدهم، و مع المصلحين بإصلاحهم، و مع المتألمين بآلامهم، و مع المظلومين بمشاعرهم و تمردهم، و مع الأدباء بأدبهم، و مع الأبطال ببطولاتهم، و مع الشهداء بشهادتهم، و مع كل إنسانيه بما يشرفها و يرفع من شأنها، ثم إنّ له فى كل ذلك فضل القول الناتج عن العمل، و التضحيه المتّصله بالتضحيه، و السابقه فى الزمان!

عظيما يهون لديك أمر غالبيه و نصر المنتصرين عليه لأن أيامهم إنما هى من الأيام التى عجت بالمتناقضات و اصطبغت بالغرائب حتى أصبح فيها شمال و الحقيقه يمينها و تحتها فوقها و أرضها سماءها!.

و سواء لدى الحقيقه و التاريخ أعرفت هذا العظيم أم لم تعرفه، فالتاريخ و الحقيقه يشهدان أنه الضمير العملاق الشهيد أبو الشهداء على بن أبى طالب صوت العدالة الإنسانيه و شخصيه الشرق الخالده»!(١).

ص: ٥٩

١ - الأهداف الأربعة لتعيين الولاة:

هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين، مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه، حين ولّاه مصر: جباية خراجها، و جهاد عدوّها، و استصلاح أهلها، و عماره بلادها.

٢ - التقوى يجب أن يكون محور عمل الوالى:

أمره بتقوى الله، و إثارة طاعته، و اتباع(١) ما أمر به فى

ص:٦٣

١- هذا العهد، بمثابة دستور كامل للحكم، كتبه الإمام على عليه السّلام إلى مالك الأشتر النّخعي لما ولّاه على مصر، بعد أن اضطرب أمر و اليها محمد بن أبى بكر رحمه الله، و هو العهد الذى وجده صاحب خراج القلزم، فى متاع الأشتر بعد مقتله غيله على أيدي أصحاب معاوية، فأرسله إلى الشّام، كما كان قد أرسل إلى معاوية من قبل عمرو بن العاص كل ما وجده عند محمد بن أبى بكر، من رسائل الإمام على عليه السّلام. فلما نظر معاوية فى هذه الكتب جميعا وجد فيها علما غزيرا، فأبدى -

ڪتابه: من فرائضه و سننه، الّتي لا يسعد أحد إلا باتّباعها، و لا

ص: ٦٤

يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها، و أن ينصر الله سبحانه بقلبه و يده و لسانه؛ فإنه، جلّ اسمه، قد تكفل بنصر من نصره، و إعزاز من أعزه.

٣ – الاهتمام بترويض النفس و كسر الشهوات:

و أمره أن يكسر نفسه من الشهوات، و يزعها عند الجمحات، فإنّ النفس أمّارة بالسوء، إلا ما رحم الله.

٤ – النظرة التاريخيه: واجب الوالى:

ثم اعلم يا مالك، أنّى قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك، من عدل و جور، و أنّ الناس ينظرون من أمورك فى مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، و يقولون فيك ما كنت تقول فيهم.

٥ – العمل الصالح ذخيره أعمال الحكام:

و إنّما يستدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على السن عباده، فليكن أحبّ الذخائر إليك ذخيره العمل الصالح.

٦ – ضرورة السيطرة على الهوى و الشح:

فاملِك هواك، و شحّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك، فإنّ الشحّ بالنفس الإنصاف منها فيما أحبّبت أو كرهت.

٧ - الرَّحْمَةُ لِلرَّعِيَّةِ هِيَ الْأَصْلُ فِي التَّعَامُلِ مَعَهُمْ:

وَأَشْعَرُ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللِّطْفَ بِهِمْ، وَلا- تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ.

٨ - الْخَطَأُ وَالزَّلَلُ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ فِي الْبَشَرِ:

يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلَلُ، وَتَعْرُضُ لَهُمُ الْعُلَلُ، وَيُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطِئِ.

٩ - الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ عِطَاءُ الْوَالِيِّ لِلنَّاسِ:

فَأَعْطَهُمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تَحَبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِيٌّ الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ! وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ.

١٠ - الْإِمْتِنَاعُ عَنِ الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ يَعْنِي الْحَرْبَ مَعَ اللَّهِ:

وَلا- تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لا- يَدُ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلا- غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلا تَبْجِحَنَّ بِعَقُوبِهِ.

١١ - الامتناع عن الانتقام و استخدام العنف:

و لا تسرعنّ إلى بادره وجدت منها مندوحه، و لا تقولنّ:

إني مؤمّر أمر فأطاع، فإنّ ذلك إدغال في القلب، و منهكه للدين، و تقرّب من الغير.

١٢ - تجنب الزهو و الكبر:

و إذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهه أو مخيله، فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، و قدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإنّ ذلك يطامن إليك من طماحك، و يكفّ عنك من غربك، و يفىء إليك بما عزب عنك من عقلك!

١٣ - تحريم التشبه بالله في عظمته:

إياك و مساماه الله في عظمته، و التّشبه به في جبروته، فإنّ الله يذلّ كلّ جبار، و يهين كلّ مختال.

١٤ - واجب الإنصاف من النفس و الأقارب:

أنصف الله و أنصف الناس من نفسك، و من خاصّه أهلك، و من لك فيه هوى من رعيتك، فإنّك إلا تفعل تظلم!

ص: ٦٧

١٥ – الظلم يجعل الوالى فى مواجهه مع ربه:

و من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، و من خاصمه الله أدحض حجته، و كان لله حربا حتى ينزع أو يتوب.

١٦ – الاستمرار فى الظلم يؤدى إلى تغيير نعم الله:

و ليس شىء أدعى إلى تغيير نعمه الله و تعجيل نعمته من إقامه على ظلم، فإن الله سميع دعوه المضطهدين، و هو للظالمين بالمرصاد.

١٧ – الحق، و العدل، و المصلحه العامه ميزان العمل الصالح للولاه:

و ليكن أحب الأمور إليك أوسطها فى الحق، و أعمها فى العدل، و أجمعها لرضى الرعيه، فإن سخط العامه يجحف برضى الخاصه، و إن سخط الخاصه يغتفر مع رضى العامه.

١٨ – المقربون من الولاه آفات الحكام:

و ليس أحد من الرعيه أثقل على الوالى مؤونه فى الرخاء، و أقل معونه له فى البلاء، و أكره للإنصاف، و أسأل بالإلحاف،

و أقلّ شكراً عند الإِطاء، و أبطأ عذراً عند المنع، و أضعف صبِراً عند ملّامات الدّهر من أهل الخاصّه.

١٩ – التّوصيه بالجماهير و أكثرية النّاس:

و إنّما عماد الدّين، و جماع المسلمين، و العده للأعداء، العامّه من الأمّه؛ فليكن صغوك لهم، و ميلك معهم.

٢٠ – إبعاد من يكشف عن عيوب النّاس:

و ليكن أبعد رعيتك منك، و أشنأهم عندك، أطلبهم لمعايب النّاس؛ فإنّ في النّاس عيوباً، الوالى أحقّ من سترها، فلا تكشفنّ عمّا غاب عنك منها، فإنّما عليك تطهير ما ظهر لك، و الله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العوره ما استطعت يستر الله منك ما تحبّ ستره من رعيتك.

٢١ – فك حلقات الحقد و العنف:

أطلق عن النّاس عقده كلّ حقد، و اقطع عنك سبب كلّ وتر، و تغاب عن كلّ ما لا يضح لك.

٢٢ – عدم قبول كلام السعاه:

و لا تعجلنّ إلى تصديق ساع، فإنّ الساعى غاشّ، و إن تشبهه بالنّاصحين.

٢٣ – الامتناع عن مشوره البخلاء و الجبناء و أهل الحرص:

و لا تدخلنّ في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل، و يعدك الفقر، و لا جبانا يضعفك عن الأمور، و لا حريصا يزين لك الشره بالجور، فإنّ البخل و الجبن و الحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظنّ بالله.

٢٤ – إبعاد وزراء حكّام الجور السابقين:

إنّ شرّ وزراءك من كان للأشرار قبلك وزيرا، و من شركهم في الآثام فلا- يكوننّ لك بطانه، فإنّهم أعوان الأثمه، و إخوان الظلمه.

٢٥ – ضروره اتخاذ أهل الفكر و الوعي للاستشاره و الوزاره:

و أنت واجد منهم خير الخلف ممّن له مثل آرائهم و نفاذهم، و ليس عليه مثل آصارهم و أوزارهم و آثامهم، ممّن لم يعاون ظالما على ظلمه، و لا- آثما على إثمه: أولئك أخفّ عليك مؤونه، و أحسن لك معونه، و أحنى عليك عطفاه، و أقلّ لغيرك إلفا.

ص: ٧٠

٢٦ - تقريب من يذكر بالله و يقول الحق:

فاتخذ أولئك خاصه لخلواتك و حفلاتك، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحق لك، و أقلهم مساعده فيما يكون منك ممّا كره الله لأوليائه، واقعا ذلك من هواك حيث وقع.

٢٧ - أهل الورع و الصدق هم أهل المشاوره:

و الصق بأهل الورع و الصّديق؛ ثم رضهم على الأّ- يطروك و لا- يبجحوك بباطل لم تفعله، فإنّ كثره الإطراء تحدث الزّهو، و تدنى من العزّه.

٢٨ - لا يكون المحسن و المسيء عندك سواء:

و لا- يكوننّ المحسن و المسيء عندك بمنزله سواء، فإنّ في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان، و تدريبا لأهل الإساءه على الإساءه! و ألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه.

٢٩ - الإحسان إلى الرعيه، و التخفيف عنهم و ترك إكراههم:

و اعلم أنّه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظنّ راع برعيته من إحسانه إليهم، و تخفيفه المؤونات عليهم، و ترك استكراهه

إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قَبْلَهُمْ. فَلَئِنْ مَنَّكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حَسَنُ الظَّنِّ بِرِعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حَسَنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصِيبًا طَوِيلًا.

٣٠ – أَحَقُّ النَّاسِ بِحَسَنِ الظَّنِّ مِنْ حَسَنِ بِلَائِكَ عِنْدَهُ:

وَإِنَّ أَحَقَّ مِنْ حَسَنِ ظَنِّكَ بِهِ لِمَنْ حَسَنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مِنْ سَاءِ ظَنِّكَ بِهِ لِمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ.

٣١ – إِبْقَاءُ الْعَادَاتِ الْحَسَنَةِ عَلَى حَالِهَا:

وَلَا تَنْقُضْ سَنَّهُ صَالِحَةً عَمَلًا بِهَا صَدُورَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأَلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرِّعِيَّةُ. وَلَا تَحْدِثَنَّ سَنَّهُ تَضَرَّرَ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السَّنَنِ، فَيَكُونُ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا.

٣٢ – الْإِكْتَارُ مِنْ مَنَاقِشَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ وَالتَّحَدُّثِ مَعَهُمْ حَوْلَ أُمُورِ الْحُكْمِ:

وَ أَكْثَرَ مَدَارِسِهِ الْعُلَمَاءِ، وَ مَنَاقِشَةِ الْحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيْتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ، وَ إِقَامِهِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

ص: ٧٢

٣٣ - الرعيه طبقات و لا بد من وضع كل واحده موضعها:

و اعلم أنّ الرعيه طبقات لا يصلح إلا ببعض، و لا غنى ببعضها عن بعض.

٣٤ - الطبقات العامه:

فمنها جنود الله، و منها كتاب العامه و الخاصه، و منها قضاء العدل، و منها عمال الإنصاف و الرفق، و منها أهل الجزية و الخراج من أهل الذمه و مسلمه الناس.

٣٥ - التجار، و الطبقة الفقيره:

و منها التجار و أهل الصناعات و منها الطبقة السفلى من ذوى الحاجه و المسكنه.

٣٦ - مواقع طبقات الرعيه محدده فى الكتاب و السنه:

و كلّ قد سمى الله له سهمه، و وضع على حدّه فريضه فى كتابه أو سنّه نبينه صلى الله عليه و آله و سلّم عهدا منه عندنا محفوظا.

ص: ٧٣

٣٧ - موقع الجنود، و تأمين حاجاتهم:

فالجند، بإذن الله، حصون الرعيه، وزين الولاه، و عزّ الدين، و سبل الأمن، و ليس تقوم الرعيه إلا بهم. ثم لا قوام لجند إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم، و يعتمدون عليه فيما يصلحهم، و يكون من وراء حاجتهم.

٣٨ - موقع القضاء و الكتاب و العمال:

ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاء و العمال و الكتاب، لما يحكمون من المعاهد، و يجمعون من المنافع، و يؤتمنون عليه من خواص الأمور و عوامها.

٣٩ - موقع التجار و الصناعين:

و لا قوام لهم جميعا إلا بالتجار و ذوى الصناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، و يقيمونه من أسواقهم، و يكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم.

٤٠ - موقع الفقراء و المساكين:

ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجه و المسكنه الذين يحقّ رفقهم و معونتهم.

٤١ - مسؤوليه الحاكم تجاه طبقات المجتمع:

و فى الله لكلّ سعه، و لكلّ على الوالى حقّ بقدر ما يصلحه، و ليس يخرج الوالى من حقيقه ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام و الاستعانه بالله، و توطين نفسه على لزوم الحقّ، و الصّبر عليه فيما خفّ عليه أو ثقل.

٤٢ - الجنديه اختياريه، و لا بد من توفر شروط معينه فى الجندى:

قول من جنودك أنصحهم فى نفسك لله و لرسوله و لإمامك، و أتقاهم جييا، و أفضلهم حلما، ممّن يبطن عن الغضب، و يستريح إلى العذر، و يرأف بالضعفاء، و ينبو على الأقوياء، و ممّن لا يثيره العنف، و لا يقعد به الضعف.

٤٣ - الاهتمام بأصول الأفراد، و إحسابهم فى التعيين:

ثمّ الصق بذوى المروءات و الأحساب، و أهل البيوتات الصالحه، و السوابق الحسنه؛ ثمّ أهل النجده و الشجاعه، و السخاء و السّماحه؛ فإنّهم جماع من الكرم، و شعب من العرف.

٤٤ - ضرورة تفقد حال الجنود في الأمور الصغيره و الكبيره:

ثمّ تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، و لا يتفاقمَن في نفسك شيء قويتهم به، و لا تحقرن لطفًا تعاهدتهم به و إن قل؛ فإنه داعيه لهم إلى بذل النصيحة لك، و حسن الظن بك. و لا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها، فإنّ لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به، و للجسيم موقعا لا يستغنون عنه.

٤٥ - شروط تعيين الضباط و رؤساء الجند:

و ليكن آثر رؤوس جنديك عندك من واساهم في معونته، و أفضل عليهم من جدته، بما يسعهم و يسع من وراءهم من خلوف أهليهم، حتى يكون همهم همًا واحدًا في جهاد العدو.

٤٦ - ضرورة العطف على الجنود لتأمين العدل و مودّه الرعيّه:

فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك، و إنّ أفضل قرّه عين الولاه استقامه العدل في البلاد، و ظهور مودّه الرعيّه.

٤٧ - الاهتمام بسلامه صدور الجنود، و كيفية ذلك:

و إنه لا- تظهر مودّتهم إلا بسلامه صدورهم، و لا تصحّ نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاء الأمور، و قلّه استئقال دولهم، و ترك استبطاء انقطاع مدّتهم.

٤٨ - تعديد بطولات الجنود، و حسن الذكر لمن يستحق:

فافسح في آمالهم، و واصل في حسن الثناء عليهم، و تعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم؛ فإنّ كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهزّ الشجاع، و تحرّض الناكل، إن شاء الله.

٤٩ - التقدير العادل لمواقف كل جندي بقطع النظر عن أصله:

ثمّ اعرف لكلّ امرىء منهم ما أبلى، و لا- تضمّن بلاء امرىء إلى غيره، و لا تقصّيرنّ به دون غايه بلائه، و لا يدعونك شرف امرىء إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا، و لا ضعه امرىء إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما.

ص: ٧٧

٥٠ - الرجوع إلى كتاب الله و سنه رسوله في المشتبهات:

و اردد إلى الله و رسوله ما يضلحك من الخطوب، و يشتبه عليك من الأمور؛ فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ (١) فالرّد إلى الله: الأخذ بمحكم كتابه، و الرّد إلى الرسول: الأخذ بسنّته الجامعه غير المفترقه.

٥١ - شروط تعيين القضاة:

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك، ممن لا تضيق به الأمور، و لا تمحكه الخصوم، و لا يتمادى في الزلّه، و لا يحصر من الفياء إلى الحقّ إذا عرفه، و لا تشرف نفسه على طمع، و لا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه.

٥٢ - الشّروط التي يجب توفّرها في شخصيه القاضي:

و أوقفهم في الشّبّهات، و آخذهم بالحجج، و أقلّهم تبرّما بمراجعة الخصم، و أصبرهم على تكشّف الأمور، و أصرمهم

ص: ٧٨

عند اتّضاح الحكم، ممّن لا يزدهيه إطراء، و لا يستميله إغراء، و أولئك قليل.

٥٣ - مراقبه أمور القضاة و احترامهم:

ثم أكثر تعاهد قضاة، و افسح له فى البذل ما يزيل علته، و تقل معه حاجته إلى الناس و اعطه من المنزله لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصيتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك، فانظر فى ذلك نظرا بليغا، فإن هذا الدّين قد كان أسيرا فى أيدي الأشرار، يعمل فيه بالهوى، و تطلب به الدّنيا.

٥٤ - شروط تعيين الولاة:

ثم انظر فى أمور عمالك فاستعملهم اختبارة، و لا تولّهم محاباه و أثره فإنهما جماع من شعب الجور و الخيانه.

٥٥ - شروط اختيار الولاة و المسؤولين:

و توّخ فيه أهل التجربه و الخيار من أهل البيوتات الصالحه، و القدم فى الإسلام المتقدّمه، فإنهم أكرم أخلاقا و أصحّ أعراضا، و أقلّ فى المطاعم إشراقا و أبلغ فى عواقب الأمور نظرا.

٥٦ - العطاء للولاه و المسؤولين:

ثمّ أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوه لهم على استصلاح أنفسهم، و غنى لهم عن تناول ما تمت أيديهم و حجه عليهم إن خالفوا أمرك، أو ثلموا أمانتك.

٥٧ - ضروره تفقد أمورهم، و مراقبه أعمالهم:

ثمّ تفقد أعمالهم، و ابعث العيون من أهل الصّيدق و الوفاء عليهم، فإنّ تعاهدك في السّير لأموهم حدوه لهم على استعمال الأمانه، و الرّفق بالرّعيه.

٥٨ - التشدّد مع المسؤولين:

و تحفّظ من الأعوان؛ فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانه اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهدا، فبسطت عليه العقوبه في بدنه، و أخذته بما أصاب من عمله، ثمّ نصبتة بمقام المذلّه، و وسمته بالخيانة، و قلّدتة عار التّهمه.

٥٩ - تفقد أمور الخراج و الضّرائب:

و تفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإنّ في صلاحه و صلاحهم صلاحا لمن سواهم، و لا صلاح لمن سواهم إلّا بهم، لأنّ الناس كلّهم عيال على الخراج و أهله.

٦٠ - عمار الأرض و صلاح أهله أهم من الخراج و الضريبه:

و ليكن نظرك في عماره الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأنّ ذلك لا يدرك إلا بالعماره؛ و من طلب الخراج بغير عماره أخرج البلاد، و أهلكت العباد، و لم يستقم أمره إلا قليلا.

٦١ - ظروف التخفيف في الخراج:

فإن شكوا ثقلا أو عله، أو انقطاع شرب أو باله، أو إحاله أرض اغتمرها غرق، أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم.

٦٢ - التخفيف في الضرائب مطلوب على كل حال:

و لا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونه عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عماره بلادك، و تزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، و تبجحك باستفاضه العدل فيهم، معتمدا فضل قوتهم، بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم و الثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم و رفحك بهم.

٦٣ - النتائج الحسنه لتبادل الثقة مع أهل الضرائب:

فربما حدث من الأمور ما إذا عوّلت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبه أنفسهم به.

٦٤ - الخراب نتيجة شح الحكام و ثقل الضرائب:

فإنّ العمران محتمل ما حمّلته، و إنّما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، و إنّما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، و سوء ظنهم بالبقاء، و قلّه انتفاعهم بالعبير.

٦٥ - شروط استخدام الكتاب و الموظفين عند الحاكم:

ثمّ انظر في حال كتابك، فولّ على أمورك خيرهم، و اخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائذك و أسرارك بأجمعهم لوجه صالح الأخلاق ممّن لا تبطره الكرامه، فيجترىء بها عليك في خلاف لك بحضره ملا، و لا تقصر به الغفله عن إيراد مكاتبات عمالك عليك، و إصدار جواباتها على الصواب عنك، فيما يأخذ لك و يعطى منك، و لا يضعف عقدا اعتقده لك، و لا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، و لا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور.

٦٦ - ضرورة الامتحان و الاختبار للموظفين:

فإنّ الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل. ثمّ لا يكن اختيارك إياهم على فراستك و استنامتك و حسن الظنّ منك، فإنّ الرّجال يتعرّضون لفراسات الولاة بتصنعهم و حسن خدمتهم، و ليس وراء ذلك من النّصيحه و الأمانه شيء. و لكن اختبرهم بما وُلوا للصّالحين قبلك.

٦٧ - ثقه العامه بالأفراد ميزان صلاحيتهم للتوظيف عند الحاكم:

فاعمد لأحسنهم كان فى العامه أثرا، و أعرفهم بالأمانه وجها، فإنّ ذلك دليل على نصيحتك لله و لمن وليت أمره.

٦٨ - تعيين كبار المسؤولين:

و اجعل لرأس كلّ أمر من أمورك رأسا منهم، لا يقهره كبيرها، و لا يتشّت عليه كثيرها.

٦٩ - مسؤوليه الحاكم فى موارد تغافله:

و مهما كان فى كتابك من عيب فتغاييت عنه ألزمته.

٧٠ - الاهتمام بالتجار و ذوى الصناعات و الطبقة الوسطى:

ثم استوص بالتجار و ذوى الصناعات، و أوص بهم خيرا، المقيم منهم و المضطرب بماله، و المترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع، و أسباب المرافق، و جلابها من المبعاد و المطارح، فى برك و بحرك، و سهلک و جبلک، و حيث لا يلتئم الناس لمواضعها، و لا يجترئون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائقته، و صلح لا تخشى غائلته. و تفقد أمورهم بحضرتك و فى حواشى بلادك.

٧١ - الشح و الاحتكار و التسلط على الأسعار: مضره للعامة و عيب على الولاة:

و اعلم - مع ذلك - أن فى كثير منهم ضيقا فاحشا، و شحا قبيحا، و احتكارا للمنافع، و تحكما فى البياعات، و ذلك باب مضره للعامة، و عيب على الولاة.

٧٢ - ضروره المنع من الاحتكار و أخذ منافع الطرفين بعين الاعتبار:

فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم منع منه. و ليكن

البيع يباع سمحا. بموازين عدل، و أسعار لا تجحف بالفريقين من البائع و المبتاع. فمن قارف حكره بعد نهيك إياه فنكل به، و عاقبه فى غير إسراف.

٧٣ - الاهتمام الكبير بالطبقات السفلى و أهل الحاجه:

ثم الله الله فى الطبقة السفلى من الذين لا- حيله لهم، من المساكين و المحتاجين و أهل البؤسى و الزمنى، فإن فى هذه الطبقة قانعا و معترا.

٧٤ - تعيين حصه أساسيه للمساكين و أهل البؤسى من بيت المال و المحاصيل:

و احفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، و اجعل لهم قسما من بيت مالك، و قسما من غلات صوافى الإسلام فى كل بلد.

٧٥ - لا عذر للحاكم فى الانشغال عن ذوى الحاجات:

فإن للأقصى منهم مثل الذى للأدنى، و كل قد استرعت حقه؛ فلا- يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا- تعذر بتضييعك التيافه لإحكامك الكثير المهم.

٧٦ - ضرورة البحث المستمر عن ذوى الحاجه ممن لا تقتحمه العيون:

فلا تشخص همّك عنهم، ولا تصعّر خدّك لهم، و تفقّد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون، و تحقره الرّجال؛ ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشيه و التّواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثمّ اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه.

٧٧ - أهل الحاجه و الأيتام و المسنين هم الأحوج إلى الإنصاف و الرّعايه:

فإنّ هؤلاء من بين الرّعيّه أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، و كلّ فأعذر إلى الله فى تأديه حقّه إليه. و تعهّد أهل اليتيم و ذوى الرّقه فى السنّ ممن لا حيله له، و لا ينصب للمساله نفسه.

٧٨ - لتحمل الحق، لا بد من الصّبر:

و ذلك على الولاة ثقيل، و الحقّ كلّه ثقيل؛ و قد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبه فصبروا أنفسهم، و وثقوا بصدق موعود الله لهم.

ص: ٨٦

٧٩ – تعيين أوقات معينه لذوى الحاجه:

و اجعل لذوى الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك، و تجلس لهم مجلسا عامًا فتتواضع فيه لله الذى خلقك، و تقعد عنهم جندك و أعوانك من أحراسك و شرطك، حتى يكلمك متكلمهم غير متتعت.

٨٠ – لا بد من الأخذ لحق الضعيف:

فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول فى غير موطن: «لن تقدس أمه لا يؤخذ للضعيف فيها حق من القوى غير متتعت».

٨١ – تحمّل ذوى الحاجه، و طلباتهم و كلامهم:

ثم احتمل الخرق منهم و العي، و نَح عنهم الضيق و الأنف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، و يوجب لك ثواب طاعته. و أعط ما أعطيت هنيئًا، و امنع فى إجمال و إعدار!

٨٢ – إجابته الولاه واجب شخصى على الحاكم:

ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها: منها إجابته عمالك بما يعيا عنه كتابك.

٨٣ - رفع حاجات الناس أولاً بأول:

و منها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تخرج به صدور أعوانك.

٨٤ - عدم تأخير أعمال كل يوم:

و امض لكل يوم عمله، فإن لكل يوم ما فيه.

٨٥ - أفضل الأوقات للعبادة و الانقطاع إلى الله:

و اجعل لنفسك فيما بينك و بين الله أفضل تلك المواقيت، و أجزل تلك الأقسام، و إن كانت كلها لله إذا صلحت فيها التّيه، و سلمت منها الرّعيه.

٨٦ - العطاء لله بإقامه الفرائض:

و ليكن في خاصّه ما تخلص به لله دينك: إقامه فرائضه التي هي له خاصّه، فأعط الله من بدنك في ليلك و نهارك، و وفّ ما تقرّبت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم و لا منقوص، بالغا من بدنك ما بلغ.

ص: ٨٨

٨٧ - إقامة صلاة الجماعة بلا تضييع و لا تغيير:

و إذا قمت في صلاتك للناس، فلا تكوننّ منفراً و لا مضيقاً، فإنّ في الناس من به العله و له الحاجه.

٨٨ - صلاة أضعفهم: تلك هي القاعده:

و قد سألت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حين و جهنى إلى اليمن كيف أصلى بهم؟ فقال: «صلّ بهم كصلاه أضعفهم، و كن بالمؤمنين رحيماً».

٨٩ - حرمة الاحتجاب عن الناس:

و أمّا بعد، فلا تطولنّ احتجابك عن رعيتك، فإنّ احتجاب الولاه عن الرعيه شعبه من الضيق، و قلّه علم بالأمر؛ و الاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير، و يعظم الصغير، و يقبح الحسن، و يحسن القبيح، و يشاب الحقّ بالباطل.

٩٠ - الوالى بشر و لن يعرف ما يغيب عنه:

و إنّما الوالى بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، و ليست على الحقّ سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب.

٩١ - أكثر حاجات الناس لا تكلفك شيئاً:

وإنّما أنت أحد رجلين: أمّا امرؤ سخطت نفسك بالبذل في الحقّ، ففيم احتجابك من واجب حقّ تعطيه، أو فعل كريم تسديه! أو مبتلى بالمنع. فما أسرع كفّ الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك! مع أنّ أكثر حاجات الناس إليك ممّا لا مؤونه فيه عليك، من شكاه مظلّمه، أو طلب إنصاف في معاملته.

٩٢ - الحذر من خاصه الوالى، و المقربين منه:

ثمّ إنّ للوالى خاصّه و بطانه، فيهم استئثار و تطاول، و قلّه إنصاف في معاملته، فاحسم مادّه أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال. و لا تقطعن لأحد من حاشيتك و حاميك قطيعه، و لا يطمعنّ منك في اعتقاد عقده، تضرّ بمن يليها من الناس، في شرب أو عمل مشترك، يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهناً ذلك لهم دونك، و عيبه عليك في الدّنيا و الآخرة.

٩٣ - الالتزام بالعدل مع الجميع:

و ألزم الحقّ من لزمه من القريب و البعيد، و كن في ذلك صابراً محتسباً، واقعا ذلك من قرابتك و خاصّيتك حيث وقع، و ابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإنّ مغبّه ذلك محموده.

٩٤ - ضرورة رفع سوء الظن من قبل الناس:

وإن ظنت الرعية بك حيفا فأصحر لهم بعدرك، واعدل عنك ظنونهم بإصهارك، فإن في ذلك رياضه منك لنفسك، ورفقا برعيتك، وإعذارا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق.

٩٥ - قبول الصلح مع العدو إذا جنح إليه:

ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى، فإن في الصلح دعه لجنودك، وراحه من همومك، وأمنا لبلادك.

٩٦ - الحذر الدائم من العدو حتى بعد الصلح:

ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم، واتهم في ذلك حسن الظن.

٩٧ - الالتزام بالمعاهدات حتى مع الأعداء:

وإن عقدت بينك وبين عدوك عقده، أو ألبسته منك ذمه، فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانه، واجعل نفسك جنه دون ما أعطيت.

٩٨ – الوفاء بالعهد يستوى فيه المسلمون وغيرهم:

فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً، مع تفرق أهوائهم، و تشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهد.

وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولوا من عواقب الغدر؛ فلا تغدرن بدمتك، ولا تخيسن بعهدك، ولا تختلن عدوك.

٩٩ – العهود في ذمه الله فلا يجوز فيه الخداع والإدغال:

فإنه لا يجترىء على الله إلا جاهل شقي. وقد جعل الله عهده و ذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته، و حرماً يسكنون إلى منعه، و يستفيضون إلى جواره؛ فلا إدغال و لا مدالسه و لا خداع فيه.

١٠٠ – لا مطالبه بتغيير العهود بلا سبب:

و لا تعقد عقدا تجوز فيه العلل، و لا تعولن على لحن قول بعد التأكيد و التوثقه. و لا يدعونك ضيق أمر، لزمك فيه عهد الله، إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه و فضل عاقبته، خير من غدر تخاف

تبعته، و أن تحيط بك من الله فيه طلبه لا تستقبل فيها دنياك و لا آخرتك.

١٠١ - الاحتياط المطلق في قضيه الدماء:

إِيَّاكَ و الدِّمَاءَ و سفكها بغير حلِّها، فإنَّه ليس شيء أدنى لنقمه، و لا- أعظم لتبعه، و لا أخرى بزوال نعمه، و انقطاع مدّه، من سفك الدِّمَاءَ بغير حثِّها.

١٠٢ - لا يجوز تثبيت الحكم بإراقه الدِّمَاءَ:

و الله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد، فيما تسافكوا من الدِّمَاءِ يوم القيامة؛ فلا تقوِّن سلطانك بسفك دم حرام، فإنَّ ذلك ممَّا يضعفه و يوهنه، بل يزيله و ينقله.

١٠٣ - لا عذر للحاكم في قتل العمد، و في الخطأ لا بد من تحمّل النتائج:

و لا- عذر لك عند الله و لا عندى في قتل العمد، لأنَّ فيه قود البدن. و إن ابتليت بخطأ و أفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبه؛ فإنَّ في الوكزه فما فوقها مقتلها، فلا تطمحنَّ بك نخوه سلطانك عن أن تؤدّي إلى أولياء المقتول حقّهم.

١٠٤ - الإعجاب و الزهو حائل الشيطان للحكام:

و إِيَّاكَ و الإعجاب بنفسك، و الثقة بما يعجبك منها، و حبّ الإطراء، فإنّ ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين.

١٠٥ - ليس من حق الحاكم المنّ على الرعية و الابتعاد عن الأخلاق:

و إِيَّاكَ و المنّ على رعيتك بإحسانك، أو التّزيّد فيما كان من فعلك، أو أن تعدّهم فتتبع موعدك بخلفك، فإنّ المنّ يبطل الإحسان، و التّزيّد يذهب بنور الحقّ، و الخلف يوجب المقت عند الله و النّاس. قال الله تعالى: كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)(١).

١٠٦ - الحذر من الانسياق وراء الغضب:

املِك حميّه أنفك، و سوره حدّك، و سطوه يدك و غرب لسانك، و احترس من كلّ ذلك بكفّ البادره، و تأخير السيّطوه، حتّى يسكن غضبك فتملك الاختيار: و لن تحكم ذلك من نفسك حتّى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربّك.

ص: ٩٤

١٠٧ - ضرورة وضع كل أمر موضعه بلا استبطاء أو عجلة:

و إِيَّاكَ و العجله بالأمر قبل أوانها، أو التسقَطَ فيها عند إمكانها، أو اللجاجة فيها إذا تنكَّرت، أو الوهن عنها إذا استوضحت. فضع كلَّ أمر موضعه، و أوقع كلَّ أمر موقعه.

١٠٨ - الاستئثار بأمر الناس ظلم فاضح:

و إِيَّاكَ و الاستئثار بما للناس فيه أسوه، و التغابي عمياً تعنى به ممياً قد وضح للعيون، فإنَّه مأخوذ منك لغيرك. و عمَّا قليل تنكشف عنك أغطيه الأمور، و ينتصف منك للمظلوم.

١٠٩ - الأخذ بعادات الحكومات العادله و سنَّه رسول الله و التقيد بالشرع و الالتزام بالأخلاق و الأصول واجب الحاكم:

و الواجب عليك أن تتذكَّر ما مضى لمن تقدَّمك من حكومه عادله، أو سنَّه فاضله، أو أثر عن نبينا صلى الله عليه و آله و سلَّم أو فريضه فى كتاب الله، فتقتدى بما شاهدت ممَّا عملنا به فيها، و تجتهد لنفسك فى اتباع ما عهدت إليك فى عهدى هذا، و استوثقت به

من الحجّج لنفسي عليك، لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها.

١١٠ - الدعاء للاستمرار فيما فيه حسن الثناء وجميل الأثر:

و أنا أسأل الله بسعه رحمته، و عظيم قدرته على إعطاءه كلّ رغبة، أن يوفّقني و إيّاك لما فيه رضاه من الإقامه على العذر الواضح إليه و إلى خلقه، مع حسن الثناء في العباد، و جميل الأثر في البلاد، و تمام التعمه، و تضعيف الكرامه، و أن يختم لي و لك بالسّجاده و الشّهاده، «إنا إليه راجعون». و السّلام على رسول الله صلّى الله عليه و آله (الطّيبين الطّاهرين)، و سلّم تسليما كثيرا، و السّلام.

ص: ٩٦

دعاء و مناجاه

اشاره

ص: ۹۷

للإمام أمير المؤمنين أكثر من مناجاه، و أكثر من دعاء كان يدعو بها ربّه، و يناجيه فى الخلوات، و قد جمعت فى كتاب بعنوان الصحيفه العلويه نختار منها اثنين، دعاء الصباح، الذى كان يدعو به بعد صلاه الصبح، و مناجاته المنظومه.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يا من دلح لسان الصّباح بنطق تبلجه، و سرح قطع اللّيل المظلم بغياب تلجلجه، و أتقن صنع الفلك الدوّار فى مقادير تبرّجه، و شعشع ضياء الشّمس بنور تأجّجه، يا من دلّ على ذاته بذاته، و تنزّه عن مجانسه مخلوقاته، و جلّ عن ملائمه كيفياته، يا من قرب من خطرات الطّنون، و بعد عن لحظات العيون، و علم بما كان قبل أن يكون، يا من أرقدنى فى مهاد أمنه و أمانه، و أيقظنى إلى ما منحنى به من مننه و إحسانه، و كفّ أكفّ السّوء عنى بيده و سلطانه، صلّ اللهم على الدّليل إليك فى اللّيل الأليل، و الماسك من أسبابك بحبل الشّرف الأطول،

ص: ٩٩

و النَّاصِعِ الحسبِ فى ذروه الكاهل الأعبل، و الثَّابِتِ القدمِ على زحاليفها فى الزَّمنِ الأوَّلِ، و على آله الطَّيِّبينِ الأخيارِ المصطفيين الأبرارِ، و افتحِ اللّهُمَّ لنا مصاريحِ الصُّباحِ بمفاتيحِ الرِّحمه و الفلاحِ، و ألبسنا اللّهُمَّ من أفضلِ خلعِ الهدايه و الصَّلاحِ، و اغرسِ اللّهُمَّ بعظمتك فى شربِ جنانى يناييعِ الخشوعِ و اجرِ اللّهُمَّ لهيبتك من أماقِ زفراتِ الدَّموعِ، و أدبِ اللّهُمَّ نزعِ الخرقِ مِنِّى بأزمته القنوعِ.

إلهى: إن لم تبتدئنى الرِّحمه منك بحسنِ التَّوفيقِ، فمن السَّالكِ بى إليك فى واضحِ الطَّريقِ، و إن أسلمتني أناتك لقائدِ الأملِ و المنى، فمن المقييلِ عثراتى من كبواتِ الهوى، و إن خذلنى نصرَكَ عندِ محاربهِ النَّفسِ و الشَّيطانِ، فقد و كلنى خذلانَكَ إلى حيثِ النَّصبِ و الحرمانِ.

إلهى أترانى ما أتيتك إلاّ من حيثِ الآمالِ، أم علقْتِ بأطرافِ جبالِكِ إلاّ حينِ باعدتني ذنوبى عن دارِ الوصالِ، فبئسَ المطيئه التّى امتطتِ نفسى من هواها، فواها لها لما سوَّلت لها ظنونها و مناها، و تبا لها لجرأتها على سيِّدها و مولاها.

إلهى قرعت باب رحمتك بيد رجائى، و هربت إليك لا جئا

من فرط أهوائى، وعلقت بأطراف جبالك أنامل ولائى، فاصفح اللهم عما كنت أجرمته من زللى وخطئى، و أقلنى اللهم من صرعه ردائى و عسره بلائى، فإنك سيدى و مولائى، و معتمدى و رجائى، و أنت غايه مطلوبى و منائى، فى منقلبى و مثنائى.

إلهى كيف تطرد مسكيننا التجأ إليك من الذنوب هاربا، أم كيف تخيب مسترشدا قصد إلى جنابك ساعيا، أم كيف تردّ ظمأنا ورد إلى حياضك شاربا، كلا! و حياضك مترعه فى ضنك المحول، و بابك مفتوح للطلب و الوغول، و أنت غايه المسؤول و نهايه المأمول.

إلهى هذه أزمه نفسى قد عقلتها بعقال مشيئتك، و هذه أعباء ذنوبى درأتها بعفوك و رحمتك، و هذه أهوائى المضله و كلتها إلى جناب لطفك و رأفتك، فاجعل اللهم صباحى هذا نازلا على بضياء الهدى، و بالسلامه، فى الدين و الدنيا، و مسائى جنه من كيد العدى، و وقايه من مرديات الهوى، إنك قادر على ما تشاء، تؤتى الملك من تشاء، و تنزع الملك ممن تشاء، و تعز من تشاء، و تدل من تشاء، بيدك الخير، إنك على كل شىء قدير، تولج الليل فى النهار، و تولج النهار فى الليل،

ص: ١٠١

و تخرج الحي من الميت، و تخرج الميت من الحي، و ترزق من تشاء بغير حساب، لا إله إلا أنت.

سبحانك اللهم و بحمدك، جل ثناؤك، من ذا يعرف قدرتك فلا يخافك، و من ذا يعلم ما أنت فلا يهابك، ألفت بقدرتك الفرق، و فلقت بلطفك الفلق، و أنرت بكرمك دياجي الغسق، و أنهرت المياه من الصمّ الصي ياخيد عذبا و أجاجا، و أنزلت من المعصرات ماء ثجاجا، و جعلت الشمس و القمر للبريه، سراجا وهاجا، من غير أن تمارس فيما ابتدأت به لغوبا و لا علاجا، فيا من توخيد بالعزّ و البقاء، و قهر عباده بالموت و الفناء، صلّ على محمّد و آله الأتقياء، و استمع ندائي، و أهلك أعدائي، و استجب دعائي، و حقّق بفضلك أملّي و رجائي.

يا خير من دعى لكشف الضرّ و المأمول، لكلّ عسر و يسر بك أنزلت حاجتي، فلا تردّني يا سيّدي من سنّي مواهبك خائبا، يا كريم يا كريم يا كريم برحمتك يا أرحم الراحمين، و صلّى الله على سيّدنا و نبينا خير خلقه محمّد و آله الطاهرين أجمعين..

إلهي قلبي محجوب، و نفسي معيوب، و عقلي مغلوب،

ص: ١٠٢

و هوائى غالب، و طاعتى قليل، و معصيتى كثير، و لسانى مقر بالذنوب، فكيف حيلتى يا علام الغيوب، يا غفار الذنوب، يا ستار العيوب، اغفر لى ذنوبى كلها، يا غفار يا غفار يا غفار، يا شديد العقاب، يا غفور يا رحيم، يا حلیم يا كريم، اقض حاجاتى بحق القرآن العظيم، و النبى الكريم، و صلى الله على محمد و آله اجمعين، الطيبين الطاهرين (1).

ص: ١٠٣

١- الصحيفه العلويه: ص ٢٣-٦٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

لك الحمد يا ذا الجود و المجد و العلى تباركت تعطى من تشاء و تمنع

إلهى و خلاقى و حرزى و موئلى إليك لدى الإعسار و اليسر أفرغ

إلهى لئن جلّت و جمّت خطيئتي فعفوك عن ذنبي أجلّ و أوسع

إلهى لئن أعطيت نفسى سؤلها فما أنا فى روض الندامة أرتع

إلهى فلا تقطع رجائى و لا تزغ فؤادى فلى فى سيب جودك مطمع

إلهى أجرنى من عذابك إننى أسير ذليل خائف لك أخضع

إلهى فانسنى بتلقين حجّتى إذا كان لى فى القبر مئوى و مضجع
إلهى لئن عدّبتنى ألف حجّه فحبل رجائى منك لا يتقطّع
إلهى أذقتى طعم عفوك يوم لا بنون و لا مال هنالك ينفع
إلهى لئن لم ترعنى كنت ضائعا و إن كنت ترعانى فلست أضيع
إلهى إذا لم تعف عن غير محسن فمن لمسىء بالهوى يتمتّع
إلهى لئن فرّطت فى طلب التّقى فيها أنا إثر العفو أوفى و أتبع
إلهى لئن أخطأت جهلا فطالما رجوتك حتّى قيل ما هو يجرع
إلهى ذنوبى بدّت الطّود و اعتلت و صفحك عن ذنبى أجلّ و أرفع
إلهى ينجى ذكر طولك لوعتى و ذكر الخطايا العين منى يدمع

إلهى أقلنى عشرتى و امح حوبتى فىأنى مقرّ خائف متضرّع

إلهى أنلنى منك روحا و راحه فلست سوى أبواب فضلك أقرع

إلهى لئن أقصيتنى أو أهنتنى فما حيلتى يا ربّ أم كيف أصنع

إلهى حليف الحبّ فى اللّيل ساهر يناجى و يدعو و المغفّل يهجع

إلهى و هذا الخلق ما بين نائم و منتبه فى ليله يتضرّع

و كلّهم يرجو نوالك راجيا لرحمتك العظمى و فى الخلد يطمع

إلهى يمينى رجائى سلامه و قبح خطيئتى علىّ يشنّع

إلهى فإنّ تعفو فعفوك متقدى و إلاّ فبالذنب المدمّر أصرع

إلهى بحق الهاشمىّ محمّد و حرمة أطهارهم لك خضع

إلهى بحقّ المصطفى و ابن عمّه و حرّمه أبرارهم لكّ خشع
إلهى فأنشرنى على دين أحمد منيباً تقياً قانتاً لكّ أخضع
و لا تحرمنى يا إلهى و سيّدى شفاعته الكبرى فذاك المشفّع
و صلّ عليهم ما دعاك موحد و ناجاك أخيار ببابك ركع (1)

ص: ١٠٧

١- مفاتيح الجنان: ص ١٢٩-١٣١.

وصايا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِلْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَام

ص: ١٠٩

وَجَّهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ أَوْصِيكَ بِوَصَايَا، مَا حَفِظْتَهَا تَبَقِيَ فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ:

ثُمَّ أَوْصَاهُ بِمَا يَلِي: يَا عَلِيُّ! لَا تَدْعَنَّ حَقًّا لَعْدَ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، وَابْرِزْ لِلنَّاسِ وَقَدِّمِ الْوَضِيعَ عَلَى الشَّرِيفِ وَالضَّعِيفَ عَلَى الْقَوِيِّ وَالنِّسَاءَ قَبْلَ الرِّجَالِ، وَلَا تَدْخُلَنَّ أَحَدًا يَغْلِبُكَ عَلَى أَمْرِكَ، وَشَاوِرِ الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ إِمَامُكَ.

يَا عَلِيُّ! مَنْ كَظَمَ غِيظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى إِمْضَائِهِ، أَعْقَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْنًا وَإِيمَانًا يَجِدُ طَعْمَهُ.

يَا عَلِيُّ! مَنْ لَمْ يَحْسَنْ وَصِيَّهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، كَانَ نَقْصًا فِي مَرُوءَتِهِ يَمْلِكُ الشِّفَاعَةَ.

يَا عَلِيُّ! أَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ أَصْبَحَ وَ لَمْ يَهَمَّ بِظَلْمِ أَحَدٍ.

يَا عَلِيُّ! مَنْ خَافَ النَّاسَ لِسَانَهُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

يَا عَلِيُّ! شَرُّ النَّاسِ مَنْ أَكْرَمَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ.

يا عليّ! شارب الخمر كعابد الوثن.

يا عليّ! شرّ الناس من باع آخرته بدنياه، و شرّ من ذلك من باع آخرته بدنيا غيره.

يا عليّ! إنّ من اليقين ألاّ ترضى أحدا بسخط الله، و لا تحمد أحدا على ما آتاك الله، و لا تذرّ أحدا على ما لم يؤتكَ الله، فإنّ الرزق لا يجزّه حرص حريص، و لا يصرفه كراهه كاره، إنّ الله بحكمته و فضله جعل الرّوح و الفرح فى اليقين و الرضى، و جعل الهمّ و الحزن فى الشكّ و السخط.

يا عليّ! إذا ولد لك غلام أو جاريه فأذن فى أذنه اليمنى، و أقم فى اليسرى، فإنّه لا يضرّه الشيطان أبدا.

يا عليّ! لا- تحلف بالله كاذبا و لا صادقا من غير ضروره، و لا تجعل الله عرضه ليمينك، فإنّ الله لا يرحم و لا يرعى من حلف باسمه كاذبا.

يا عليّ! من لم يقبل المعذره من متنصّل، صادقا كان أو كاذبا، لم ينل شفاعتى.

يا عليّ! إنّ الله، عزّ و جلّ، أحبّ الكذب فى الصلاح، و أبغض الصّدق فى الفساد.

يا عليّ! من ترك الخمر لغير الله، سقاه الله تعالى من

الرحيق المختوم، فقال عليّ: لغير الله؟ قال: نعم و الله صيانته لنفسه، يشكره الله على ذلك.

يا عليّ! شارب الخمر لا يقبل الله، عزّ وجلّ، صلاته أربعين يوماً.

يا عليّ! كل مسكر حرام و ما أسكر كثيره فالجرعه منه حرام.

يا عليّ! جعلت الذنوب كلّها في بيت جعل مفتاحها شرب الخمر.

يا عليّ! تأتي على شارب الخمر ساعه لا يعرف فيها ربّه عزّ وجلّ.

يا عليّ! من لم تنتفع بدينه و لا دنياه، فلا خير في مجالسته، و من لم يوجب لك فلا توجب له، و لا كرامه.

يا عليّ! حرّم الله الجنّه على كل فاحش بذيء، لا يبالي ما قال و لا ما قيل له.

يا عليّ! طوبى لمن طال عمره، و حسن عمله

يا عليّ! لا تمزح فيذهب بهاؤك، و لا تكذب فيذهب نورك، و إيّاك و خصلتين: الضجر و الكسل، فإنّك إن ضجرت لم تصبر

على حق، و إن كسلت لم تؤدّ حقاً.

يا عليّ! لكلّ ذنب توبه، إلاّ سوء الخلق، فإن صاحبه كلّما خرج من ذنب دخل في ذنب آخر.

يا عليّ! من استولى عليه الضجر رحلت عنه الراحه.

يا عليّ! خلق الله، عزّ وجلّ الجنّه من لبنتين: لبنه من ذهب و لبنه من فضّه، و جعل حيطانها الياقوت، و سقفها الزّبرجد، و حصاها اللؤلؤ، و ترابها الزعفران و المسك الأذفر، ثم قال لها: تكلمي! فقالت: لا إله إلاّ الله الحيّ القيوم، قد سعد من يدخلني؛ فقال الله جلّ جلاله: «و عزّتي و جلالتي لا يدخلها مدمن خمر، و لا نمام، و لا ديوث، و لا شرطي، و لا مخنث، و لا نباش، و لا عشّار، و لا قاطع رحم، و لا قدرى».

يا عليّ! آفه الحسب الافتخار.

يا عليّ! من خاف الله، عزّ وجلّ، أخاف منه كل شيء، و من لم يخف الله أخافه الله من كل شيء.

يا عليّ! كره الله لأمتي العبث في الصلاه، و المنّ في الصدقه، و إتيان المساجد جنبا، و الضحك بين القبور، و التطلّع في الدّور و النّظر إلى فروج النّساء، و كره الكلام عند الجماع و كره النّوم بين العشاءين لأنّه يحرم الرزق، و كره الغسل تحت السّماء إلاّ بمطر، و كره دخول الأنهار إلاّ بمطر، فإنّ فيها

سكانا من الملائكة، وكره دخول الحمام إلا بمئزر، وكره الكلام بين الأذان والإقامة في صلاة الغداة، وكره ركوب البحر في وقت هيجانه، وكره النوم فوق سطح ليس بمحجر، وقال: من نام على سطح غير محجر، فقد برئت منه الذمّة، وكره أن ينام الرجل في بيت وحده، وكره أن يغشى الرجل امرأته وهي حائض، وكره أن يكلم الرجل مجذوبا، إلا أن يكون بينه وبينه قدر ذراع. وكره أن يأتي الرجل أهله وقد احتلم، حتى يغتسل من الاحتلام، فإن فعل ذلك وخرج الولد مجنونا فلا يلومن إلا نفسه، وكره البول على شط نهر جار، وكره أن يحدث الرجل تحت شجره أو نخله قد أثمرت، وكره أن يحدث الرجل وهو قائم، وكره أن ينتعل الرجل وهو قائم، وكره أن يدخل الرجل بيتا مظلما إلا بالسراج.

يا عليّ! لا رضاع بعد فطام، ولا يتم بعد احتلام.

يا عليّ! أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله، والبغض في الله.

يا عليّ! سر سنتين بر والدتك، سر سنه صل رحمك، سر ميلا عد مريضا، سر ميلين شيع جنازه، سر ثلاثة أميال أجب دعوه، سر أربعة أميال زر أخا في الله، سر خمسه

ص: ١١٥

أميال أجب الملهوف، سرسته أميال انصر المظلوم، و عليك بالاستغفار.

يا عليّ! من انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله، و من منع أجيرا أجره فعليه لعنة الله، و من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله؛ فليل: يا رسول الله! و ما ذلك الحدث؟ قال:

القتل.

يا عليّ! المؤمن من أمنه المسلمون على أموالهم و دمائهم، و المسلم من سلم المسلمون من يده و لسانه، و المهاجر من هجر السيئات.

يا عليّ! إنّ الله، تبارك و تعالی، قد أذهب بالإسلام نخوه الجاهليته و تفاخرها بآبائها، ألا إنّ الناس من آدم و آدم من تراب، و أكرمهم عند الله أتقاهم.

يا عليّ! من السحت ثمن الميتة، و ثمن الكلب، و ثمن الخمر، و مهر الزانية، و الرشوة في الحكم، و أجر الكاهن.

يا عليّ! من تعلم علما ليمارى به السفهاء، أو يجادل به العلماء، أو ليدعو الناس إلى نفسه، فهو من أهل النار.

يا عليّ! ما أحد من الأولين و الآخرين، إلا و هو يتمنى يوم القيامة أنه لم يعط من الدنيا إلا قوتا.

ص: ١١٤

يا عليّ! من كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار.

يا عليّ! إذا مات العبد قال الناس: ما خلف؟ وقالت الملائكة: ما قدم؟

يا عليّ! الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر.

يا عليّ! موت الفجأة راحة للمؤمن، و حسره للكافر.

يا عليّ! أوحى الله، تبارك و تعالى، إلى الدنيا: اخدمي من خدمني، و أتعبني من خدمك.

يا عليّ! إن الدنيا لو عدلت عند الله، تبارك و تعالى، جناح بعوضه لما سقى الكافر منها شربه من ماء.

يا عليّ! شرّ الناس من اتّهم الله في قضائه.

يا عليّ! أنين المؤمن تسييح، و صياحه تهليل، و نومه على الفراش عباده، و تقلّبه من جنب إلى جنب جهاد في سبيل الله، يمشى في الناس و ما عليه من ذنب.

يا عليّ! لو أهدى لى كراع لقبلت، و لو دعيت إلى كراع لقبلت.

يا عليّ! الإسلام عريان، و لباسه الحياء، و زينته الوفاء، و مروءته العمل الصالح، و عماده الورع، و لكل شيء أساس، و أساس الإسلام محبّتنا أهل البيت.

يا عليّ! نجا المخفون.

يا عليّ! السّواك من السّنة، ومطهره للفم، ويجلو البصر، ويرضى الرحمن، وبييض الأسنان، ويذهب بالحفرة، ويشيد الله، ويشهى الطّعام، ويذهب بالبلغم، ويزيد فى الحفظ، ويضاعف الحسنات، وتفرح به الملائكة.

يا عليّ! ثلاثة من حلال الله: رجل زار أخاه المؤمن فى الله، فهو زور الله، وحقّ على الله أن يكرم زوره، ويعطيه ما سأل، ورجل صلّى، ثم عبّ إلى الصلاه، فهو ضيف الله، وحقّ على الله أن يكرم ضيفه، والحاجّ والمعتمر، فهما وفد الله، وحقّ على الله أن يكرم وفده.

يا عليّ! ثلاث منجيات: تكفّ لسانك، وتبكي على خطيئتك، ويسعك بيتك.

يا عليّ! ينبغى أن يكون فى المؤمن ثمانى خصال: وقار عند الهزاهز، وصبر عند البلاء، وشكر عند الرّخاء، وقنوع بما رزقه الله، عزّ وجلّ، ولا يظلم الأعداء، ولا يتحامل على الأصدقاء، بدنه منه فى تعب، والنّاس منه فى راحه.

يا عليّ! أربع لا تردّ بدعوه: دعوه إمام عادل، ووالد لولده، والرّجل يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب، والمظلوم،

ص: ١١٨

يقول الله عزّ وجلّ: «و عزّتي و جلالتي لأنتصرنّ لك و لو بعد حين».

يا عليّ! ثمانيه إن أهينوا فلا- يلوموا إلا أنفسهم: الذّاهب إلى مائده لم يدع إليها، و المتأمر على ربّ البيت، و طالب الخير من أعدائه، و طالب الفضل من اللثام، و الدّاخل بين اثنين في سرّ لم يدخلاه فيه، و المستخفّ بالسلطان، و الجالس في مجلس ليس له بأهل، و المقبل بالحديث على من لم يسمع منه.

يا عليّ! ثلاث ثوابهن في الدّنيا و الآخرة: الحج ينفي الفقر، و الصّدقه تدفع البليه. و صله الرّحم تزيد في العمر.

يا عليّ! أربعة أسرع شيء عقوبه: رجل أحسنت إليه فكافأك بالإحسان إليه إساءه، و رجل لا تبغى عليه و هو يبغى عليك، و رجل عاهدته على أمر فوفيت له و غدر بك، و رجل وصلت قرابته فقطعها.

يا عليّ! اثنتا عشره خصله ينبغي للمسلم أن يتعلّمها على المائده: أربع منها فريضه، و أربع منها سنّه، و أربع منها أدب.

فأما الفريضه: فالمعرفه بما يأكل، و التّسميه، و الشّكر، و الرّضا، و أمّا السنّه: فالجلوس على الرّجل اليسرى، و الأكل

بثلاث أصابع، و أن يأكل ممّا يليه، و مصّ الأصابع. و أمّا الأدب: فتصغير اللقمه، و المضغ الشّديد، و قلّه النظر في وجوه النّاس، و غسل اليدين.

يا عليّ! كفر بالله العظيم من هذه الأمّه عشره: القتات، و السّاحر، و الدّيوث، و ناكح المرأه حراما في دبرها، و ناكح البهيمة، و من نكح ذات محرم، و السّاعى في الفتنه، و بائع السّلاح من أهل الحرب، و مانع الزّكاه، و من وجد سعه فمات و لم يحجّ.

يا عليّ! لا ينبغي للعاقل أن يكون ظاعنا إلّا في ثلاث:

مرّمه لمعاش، أو تزوّد لمعاد، أو لذّه في غير محرم.

يا عليّ! ثلاث من مكارم الأخلاق في الدّنيا و الآخره: أن تعفو عمّن ظلمك، و تصل من قطعك، و تحلم عمّن جهل عليك.

يا عليّ! بادر بأربع قبل أربع: شبابك قبل هرمك، و صحّتك قبل سقمك، و غناك قبل فقرك، و حياتك قبل موتك.

يا عليّ! ثمانية لا يقبل منهم الصلاه: العبد الآبق حتّى يرجع إلى مولاه، و النّاشز زوجها و هو عليها ساخط، و مانع الزّكاه، و تارك الوضوء، و الجاربه المدركه تصلّى بغير خمار،

و إمام قوم يصلّى بهم و هم له كارهون، و السّكران، و الزّنين، و هو الّذى يدافع البول و الغائط.

يا علىّ! أربع من كنّ فيه بنى الله له بيتا فى الجنّه: من آوى اليتيم، و رحم الضّعيف، و أشفق على والديه، و رفق بمملوكه.

يا علىّ! ثلاثه لا تطيقها هذه الأئمّه: المواساه للأخ فى ماله، و إنصاف النّاس من نفسه، و ذكر الله، عزّ و جلّ على كل حال، و هو «سبحان الله و الحمد لله، و لا إله إلاّ الله و الله أكبر» و لكن إذا ورد على ما يحرم عليه خاف الله عزّ و جلّ عنده و تركه.

يا علىّ! ثلاث من لقى الله عزّ و جلّ، بهنّ فهو من أفضل النّاس: من أتى الله بما افترض عليه فهو من أعبد النّاس، و من ورع من محارم الله فهو من أروع النّاس، و من قنع بما رزقه الله فهو أغنى النّاس.

يا علىّ! ثلاث من حقائق الإيمان: الإنفاق من الإقتار، و إنصافك النّاس من نفسك، و بذل العلم للمتعلّم.

يا علىّ! سبع من كنّ فيه فقد استكمل حقيقه الإيمان، و أبواب الجنّه مفتّحه له: من أسبغ وضوءه، و أحسن صلاته،

و أذى زكاه ماله، و كَفَّ غضبه، و سجن لسانه، و استغفر لذنبه، و أذى النَّصِيحَه لأهل بيت نبيّه.

يا عليّ! لعن الله ثلاثه: آكل زاده وحده، و راکب الفلاه وحده، و نائم في بيت وحده.

يا عليّ! ثلاث من لم يكن فيه لم يتم عمله: ورع يحجزه عن معاصي الله، و خلق يدارى به الناس، و حلم يردّ به جهل الجهّال.

يا عليّ! ثلاث يحسن فيهنّ الكذب: المكيده في الحرب، وعدتك زوجتك، و الإصلاح بين الناس.

يا عليّ! ثلاث فرحات للمؤمن في الدنيا: لقاء الإخوان، و تفتير الصائم، و التهجّد في آخر الليل.

يا عليّ! أنهاك عن ثلاث خصال: الحسد، و الحرص، و الكبر.

يا عليّ! أربع خصال من الشقاء: جمود العين، و قساوه القلب، و بعد الأمل، و حبّ الشقاء.

يا عليّ! ثلاث درجات، و ثلاث كفّارات، و ثلاث مهلكات، و ثلاث منجيات. فأما الدّرجات: فإسباغ الوضوء في السّبرات و انتظار الصّلاه بعد الصلاه، و المشى بالليل

و النَّهَارِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ. وَ أَمَّا الْكُفَّارَاتُ: فإفشاء السَّلام، و إطعام الطَّعام، و التَّهَجُّدُ بِاللَّيْلِ وَ النَّاسِ نِيَامًا. وَ أَمَّا الْمَهْلِكَاتُ:

فَشَحَّ مَطَاعٍ، وَ هَوَى مَتَّبِعٍ، وَ إعجاب المرء بنفسه، وَ أَمَّا الْمُنْجِيَّاتُ: فخوف الله في السِّرِّ وَ الْعَلَانِيَةِ، وَ الْقَصْدُ فِي الْغِنَاءِ وَ الْفَقْرِ، وَ كَلِمَةُ الْعَدْلِ فِي الرِّضَا وَ السَّخَطِ.

يَا عَلِيُّ! الْعَيْشُ فِي ثَلَاثٍ: دَارِ قُرَاءَةٍ، وَ جَارِيَةٍ حَسَنَاءٍ، وَ فَرَسٍ قَبَّاءٍ.

يَا عَلِيُّ! ثَلَاثٌ يَزِدُّنَ فِي الْحِفْظِ، وَ يَذْهَبُنَ الْبَلْغَمَ: اللَّبَانُ، وَ السَّوَاكُ، وَ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ.

يَا عَلِيُّ! النَّوْمُ أَرْبَعَةٌ: نَوْمُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى أَقْفِيَّتِهِمْ، وَ نَوْمُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَيْمَانِهِمْ، وَ نَوْمُ الْكُفَّارِ وَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى أَيْسَارِهِمْ، وَ نَوْمُ الشَّيَاطِينِ عَلَى وُجُوهِهِمْ.

يَا عَلِيُّ! أَرْبَعَةٌ مِنْ قَوَاصِمِ الظُّهْرِ: إِمَامٌ يَعِصِي اللَّهَ عِزًّا وَ جَلًّا، وَ يَطَاعُ أَمْرَهُ، وَ زَوْجَةٌ يَحْفَظُهَا زَوْجَهَا وَ هِيَ تَخُونُهُ، وَ فَقْرٌ لَا يَجِدُ صَاحِبَهُ مَدَاوِيًا وَ جَارٌ سَوْءٌ فِي دَارِ مَقَامٍ.

يَا عَلِيُّ! ثَلَاثٌ يَقْسِمُنَ الْقَلْبَ: اسْتِمَاعُ اللَّهْوِ، وَ طَلْبُ الْعِيدِ، وَ إِتْيَانُ بَابِ السُّلْطَانِ.

يَا عَلِيُّ! إِنْ عَبْدَ الْمُطَّلَبِ سَنًّا فِي الْجَاهِلِيَةِ خَمْسَ سِنِينَ؛

و أجزاها الله عزّ وجلّ له في الإسلام: حرّم نساء الآباء على الأبناء، فأنزل الله عزّ وجلّ: **وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ** (١)، و وجد كنزا فأخرج منه الخمس و تصدّق به، فأنزل الله عزّ وجلّ: **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ** (٢)، و لما حفر بئر زمزم سمّاها سقايه الحاجّ فأنزل الله، تبارك و تعالى: **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْبِقُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (٣)، و سنّ في القتل مائه من الإبل، فأجرى الله عزّ وجلّ ذلك في الإسلام، و لم يكن للطواف عدد عند قريش، فسنّ لهم عبد المطلب سبعة أشواط فأجرى الله سبحانه، ذلك في الإسلام.

يا عليّ! أعجب الناس إيماننا، و أعظمهم يقينا، قوم يكونون في آخر الزّمان، لم يلحقوا النّبي، و حجب عنهم الحجّه، فأمنوا بسواد على بياض.

يا عليّ! لا يقتل والد بولده.

يا عليّ! لا يقبل الله دعاء قلب ساه.

ص: ١٢٤

١- سورة النساء، الآية: ٢٢.

٢- سورة الأنفال، الآية: ٤١.

٣- سورة التوبه، الآية: ١٩.

يا عليّ! ليس على زان عقر، ولا حدّ في التعريض، ولا شفاعه في حدّ، ولا يمين في قطيعه رحم، ولا يمين لولد مع والده، ولا لامرأه مع زوجها، ولا لعبد مع مولاه، ولا صمت يوم إلى الليل، ولا وصال في صيام، ولا تعرّب بعد هجره.

يا عليّ! ركعتان يصلّيها العالم، أفضل من ألف ركعه يصلّيها العابد.

يا عليّ! لا- تصوم المرأه تطوّعا إلّا- بإذن زوجها، ولا- يصوم العبد تطوّعا إلّا- بإذن مولاه، ولا يصوم الضّيف تطوّعا إلّا بإذن صاحبه.

يا عليّ! صوم يوم الفطر حرام، و صوم يوم الأضحى حرام، و صوم الوصال حرام، و صوم الصّيمت حرام، و صوم نذر المعصيه حرام، و صوم الدّهر حرام.

يا عليّ! في الزّنى ستّ خصال: ثلاث منها في الدّنيا و ثلاث منها في الآخره: فأما التي في الدّنيا: فيذهب بالبهاء، و يعجّل الفناء، و يقطع الرزق. و أما التي في الآخره: فسوء الحساب، و سخط الرحمن، و الخلود في النار.

يا عليّ! من منع قيراطا من زكاه ماله، فليس بمؤمن و لا بمسلم. و لا كرامه.

يا عليّ! الصدقه تردّ القضاء الذي قد أبرم إبراهيم.

يا عليّ! تارك الزكاه يسأل الله الرجعه إلى الدنيا، و ذلك قول الله عزّ و جلّ: حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (١)
الآيه.

يا عليّ! تارك الحج و هو مستطيع كافر، يقول الله تبارك و تعالى: وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ مَنْ كَفَرَ
فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٢).

يا عليّ! من سوّف الحجّ حتى يموت، بعثه الله عزّ و جلّ يوم القيامة يهوديًا أو نصرانيًا.

يا عليّ! افتتح بالملح، و اختتم بالملح، فإنه شفاء من اثنين و سبعين داء.

يا عليّ! العقل ما اكتسبت به الجنه، و طلب به رضی الرحمن.

يا عليّ! إنّ أول خلق خلقه الله عزّ و جلّ، العقل فقال له:

أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال: «و عزّتي و جلالتي،

ص: ١٢٤

١- سورة المؤمنون، الآيه: ٩٩.

٢- سورة آل عمران، الآيه: ٩٧.

ما خلقت خلقا هو أحب إليّ منك، بك أوأخذ، و بك أثيب، و بك أعاقب».

يا عليّ! لا صدقه و ذو رحم محتاج.

يا عليّ! درهم في الخضاب، خير من ألف درهم ينفق في سبيل الله، وفيه أربع عشرة خصله: يطرد الريح من الأذنين، و يجلو البصر، و يلين الخياشيم، و يطيب النكهه، و يشدّ اللثه، و يذهب بالصنان، و يقلّ وسوسه الشيطان، و تفرح به الملائكه، و يستبشر به المؤمن، و يغيظ به الكافر، و هو زينه و طيب، و يستحي منه منكر و نكير، و هو براءه له في قبره.

يا عليّ! لا خير في القول إلاّ مع الفعل، و لا في المنتظر إلاّ مع الخبر، و لا في المال إلاّ مع الجود، و لا في الصّدق إلاّ مع الوفاء، و لا في الفقه إلاّ مع الورع، و لا في الصدقه إلاّ مع التّيه، و لا في الحياء، إلاّ مع الصّمت، و لا في الوطن إلاّ مع الأمن و السرور.

يا عليّ! ألا أخبركم بأشبهكم بي خلقا؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: أحسنكم خلقا، و أعظمكم حلما، و أبرّكم بقربته، و أشدّكم من نفسه إنصافا.

يا عليّ! من خاف ساحرا أو شيطانا فليقرأ: إِنَّ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتِّهِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣) ١.

يا عليّ! من خاف ساحرا أو شيطانا فليقرأ: إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣) (١).

يا عليّ! حقّ الولد على والده: أن يحسن اسمه، و أدبه، و يضعه موضعا صالحا، و حقّ الوالد على ولده: أن لا يسمّيه باسمه، و لا يمشى بين يديه، و لا يجلس أمامه، و لا يدخل معه الحمام.

يا عليّ! لعن الله و الدين حملا ولدهما على عقوقهما.

يا عليّ! يلزم الوالدين من عقوق ولدهما، ما يلزم الولد لهما من عقوقهما.

يا عليّ! رحم الله و الدين حملا ولدهما على برّهما.

يا عليّ! من أحزن والديه فقد عقّهما.

يا عليّ! من اغتیب عنده أخوه المسلم، و استطاع نصره فلم ينصره، خذله الله تعالى في الدنيا و الآخرة.

يا عليّ! من كفى يتيما في نفقته بماله، حتّى يستغنى، و جبت له الجنّة البتة.

ص:

يا عليّ! من مسح يده على رأس يتيم ترخّما، أعطاه الله عزّ وجلّ بكلّ شعره نورا يوم القيامة.

يا عليّ! لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا وحده أوحش من العجب، ولا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكفّ عن محارم الله تعالى، ولا حسب كحسن الخلق، ولا عباده مثل التفكّر.

يا عليّ! آفه الحديث الكذب، وآفه العلم النسيان، وآفه العبادة العزّه، وآفه الجمال الخيلاء، وآفه العلم الحسد.

يا عليّ! أربعه يذهب ضياعا: الأكل على الشّبع، والسّراج في القمر، والزّرع في السّبخه، والصنيعه إلى غير أهلها.

يا عليّ! من نسي الصّلاه عليّ، فقد أخطأ طريق الجنّه.

يا عليّ! إياك ونقره الغراب، وفريسه الأسد.

يا عليّ! لأن أدخل يدي في فم التّنين إلى المرفق، أحبّ من أن أسأل من لم يكن ثم كان.

يا عليّ! إنّ أعتى الناس على الله عزّ وجلّ، القاتل غير قاتله، والضّارب غير ضاربه، ومن تولّى غير مواليه فقد كفر بما أنزل الله عزّ وجلّ.

يا عليّ! إن الله عزّ وجلّ أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين، ثم أطلع الثانية فاختارك على رجال العالمين، ثم أطلع الثالثة فاختار الأئمة من ولدك على رجال العالمين. ثم أطلع الرابعة فاختار فاطمه على نساء العالمين.

يا عليّ! إن الله تبارك أعطاني سبع خصال: أنت أول من ينشقّ القبر عنه معي، و أنت أول من يقف على الصّراط معي، و أنت أول من يكسى إذا كسيت، و يحيا إذا حييت، و أنت أول من يسكن معي في عليين، و أنت أول من يشرب معي من الرّحيق المختوم، الذي ختامه مسك.

يا عليّ! ثلاث من أبواب البر: سخاء النّفس، و طيب الكلام، و الصّبر على الأذى.

يا عليّ! إذا رأيت الهلال فكبر ثلاثا، و قل: «الحمد لله الذي خلقني و خلقك، و قدرك منازل، و جعلك آية للعالمين».

يا عليّ! إذا نظرت في مرآه فكبر ثلاثا و قل: «اللّهم كما حسنت خلقي، فحسن خلقي».

يا عليّ! إذا أثنى عليك في وجهك فقل: «اللّهم اجعلني خيرا ممّا يظنون، و اغفر لي ما لا يعلمون، و لا تؤاخذني بما يقولون».

يا عليّ! لا تهتم لرزق غد، فإنّ كلّ غد يأتي رزقه.

يا عليّ! إياك و اللّجاجة، فإنّ أولها جهل، و آخرها ندامه.

يا عليّ! عليك بالسّواك، فإنّ السّواك مطهره للفم، و مرضاه للرّبّ، و مجلاه للعين، و الخلال يحبّبك إلى الملائكة، و الملائكة تتأذّى بريح فم من لا يتخلّل بعد الطّعام.

يا عليّ! لا تغضب، فإذا غضبت فاقعد و تفكّر في قدره الربّ على العباد، و حلمه عنهم، و إذا قيل لك: اتّق الله فانبد غضبك و راجع حلمك.

يا عليّ! ثلاثه تحت ظلّ العرش يوم القيامة: رجل أحبّ لأخيه ما أحبّ لنفسه. و رجل بلغه أمر فلم يقدم فيه و لم يتأخّر حتّى يعلم أن ذلك الأمر لله رضى أو سخط. و رجل لم يعب أخاه بعب حتّى يصلح ذلك العيب من نفسه، فإنه كلما أصلح من نفسه عيبا بدأ له منها آخر، و كفى بالمرء في نفسه شغلا.

يا عليّ! احتسب بما تنفق على نفسك تجده عند الله مذخورا.

يا عليّ! أحسن خلقك مع أهلّك و جيرانك و من تعاشر و تصاحب من الناس تكتب عند الله في الدّرجات العلى.

يا عليّ! ما كرهته لنفسك فاكرهه لغيرك و ما أحببته لنفسك فأحبهه لأخيك، تكن عادلا في حكمك، مقسطا في عدلك محبًا في أهل السماء، مودودا في صدور أهل الأرض. احفظ وصيتي إن شاء الله تعالى(١).

ص: ١٣٢

١- كلمه الرسول الأعظم: ص ١٥١-١٦٧ نقلا عن ناسخ التواريخ - المجلد الثالث - و من لا يحضره الفقيه، و تحف العقول.

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب:

«أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون».

«إن صلاتي و نسكي، و محياي و مماتي لله رب العالمين لا شريك له، و بذلك أمرت و أنا أول المسلمين».

«أوصيكما بتقوى الله، و أن لا تبغيا الدنيا و إن بغتكما، و لا تأسفا على شيء زوى عنكما: و قولوا بالحق، و اعملا للأجر، و كونا للظالم خصما و للمظلوم عونا».

«أوصيكما و جميع ولدي و أهلي و من بلغه كتابي بتقوى الله و نظم أمركم، و صلاح ذات بينكم، فإني سمعت رسول الله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامه الصلاة و الصيام».

ص: ١٣٥

«انظروا ذوى أرحامكم فصلوهم، يهون الله عليكم الحساب».

«اللّٰه. اللّٰه فى الأيتام فلا تغبوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم فقد سمعت رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله و سلّم يقول: من عال يتيما حتى يستغنى أوجب اللّٰه عزّ و جلّ له بذلك الجنة».

«اللّٰه. اللّٰه فى جيرانكم فإنهم وصيّه نبيّكم، ما زال يوصى بهم حتى ظننا أنّه سيورّثهم».

«اللّٰه. اللّٰه فى القرآن لا يسبقكم إلى العمل به غيركم».

«اللّٰه. اللّٰه فى الصّلاه، فإنها عمود دينكم».

«اللّٰه. اللّٰه فى بيت ربكم، لا تخلّوه ما بقيتم، فإنّه إن ترك لم تناظروا».

«اللّٰه. اللّٰه فى الزّكاه، فإنها تطفىء غضب الرّب».

«اللّٰه. اللّٰه فى شهر رمضان فإن صيامه جنّه من النار».

«اللّٰه. اللّٰه فى الفقراء، و المساكين فشاركوهم فى معاشكم».

«اللّٰه. اللّٰه فى الجهاد بأموالكم و أنفسكم و ألسنتكم فى سبيل اللّٰه، فإنما يجاهد رجلاّن: إمام هدى، أو مطيع له مقتد بهداه».

«اللّٰه. اللّٰه فى النّساء و ما ملكت أيمانكم فإن آخر ما تكلم به نبيكم أن قال: «أوصيك بالضعيفين: النساء و ما ملكت أيمانكم».

«اللّٰه. اللّٰه فى ذريه نبيكم، فلا يظلمنّ بحضرتكم و بين ظهرانيكم و أنتم تقدرون على الدّفع عنهم».

«و عليكم بالتواصل و التبادل، و إياكم و التدابر و التقاطع، و تعاونوا على البر و التّقوى، و لا تعاونوا على الإثم و العدوان، و اتقوا اللّٰه إن اللّٰه شديد العقاب».

«لا- تخافوا فى اللّٰه لومه لائمه، قولوا للناس حسنا، و لا- تركوا الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، فيولّى عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم».

«حفظكم اللّٰه من أهل بيت، و أستودعكم اللّٰه، و اقرأ عليكم السّلام و رحمه اللّٰه»^(١).

«يا بنى عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً، تقولون: «قتل أمير المؤمنين». ألا لا تقتلنّ بى إلا قاتلى».

ص: ١٣٧

١- مروج الذهب: ج ٢، ص ٤٢٥.

«انظروا إذا ماتت من ضربته هذه فاضربوه ضربه بضربه، ولا تمثّلوا بالرجل، فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: إياكم والمثله ولو بالكلب العقور»(١).

ص: ١٣٨

١- المعارف، لابن قتيبه: ج ٢، ص ١٧٨.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِزَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَاقِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤١٢٦

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ١٥٦١٢٩

الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٢٧٤١١٧٨

فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ١٩٤١١٨٣

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ٢٠٧١٢٣٢-٢٥٦

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ٢٥١٢٤٩

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ٢٥٦٢٢١

لَيْسَ عَلَيْكَ هِدَاهِمَ ٢٧٢٢٦٦

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٢٥٨٢١٠٥

أَنَا أَحْيَى وَأَمِيتَ ٢٥٨٢٢٢١

كَمْ مِنْ فَتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَتْنَهُ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ٢٤٩٢١٥١

و إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دَيْرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّنْ دَيْرِهِمْ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدُونِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسْرَى تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفْتَوْنُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ ٨٤-٨٥٢١٩٨

و إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَاللَّهُ بِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا ٨٣٢٢٥٦

وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ ١٧٧٢٢٥٦

مَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ ٢١٥٢٢٥٧

فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ١٧٣٢٢٦٤

ص: ١٤٠

وقالت اليهود ليست النصرى على شيء وقالت النصرى ليست اليهود على شيء ١١٣٢٣٢٠

والولدت يرضعن أولدهنّ حولين كاملين ٢٢٣٢٣٢٨

سوره آل عمران

زَيْنَ لِلنَّاسِ حَبِّ الشَّهْوَتِ مِنَ النَّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَهُ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذَلِكَ
مَتَعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَثَابِ ١٤١١١

لَكَيْلًا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ١٥٣١٩٢

وَ مَا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْغُرُورِ ١٨٥١٢٥٩

وَ لَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يُأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٠٤٢٢٤

وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجَابُ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ٩٧٣١٢٦

سوره النساء

كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ١٠٣١٢١

مَتَعَ الدُّنْيَا قَلِيلًا ٧٧١٢٥٣

ص: ١٤١

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ ٥٩٢-٣٦١-٧٨

فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ٣٥٢٨٩

وَ إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ٥٨٢٩٧

وَ ءَاتُوا الْيَتِيمَ ءَأْمُولَهُمْ وَ لَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَ لَا تَأْكُلُوا ءَأْمُولَهُمْ إِلَى ءَأْمُولِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ٢٢٢٥٦

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ ءَأْمُولَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا ١٠٢٢٥٦

وَ إِن خِفْتُمْ ءَلَّا تَقْسُطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ٣٢٢٥٧

وَ لَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَأَبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ١٢٤٣١٢٤

سوره المائدہ

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ ٥٥١-٢١١٩-١١

أَذَلَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ٥٤١١٣٩

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَ ءَامَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ٩٣١٢٩١

ص: ١٤٢

و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكفرون ٤٤٢٦٢

فأولئك هم الفسقون ٤٧٢٦٢

فأولئك هم الظالمون ٤٥٢٦٣

و لو شاء الله لجعلكم أمه وحده و لكن ليبلوكم في مآء اتاكم ٤٨٢٦٦

من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا و من أحيها
فكأنما أحيأ الناس جميعا ٢٣٢١٩٧

و لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ٨٢٢٠٨

و من أحيها فكأنما أحيأ الناس جميعا ٣٢٢٣١٠

سوره الأنعام

و لو شاء الله لجمعهم على الهدى ٣٥٢٦٦

و لو شاء الله ما أشركوا و ما جعلنك عليهم حفيظا ١٠٧٢٦٧

و تمت كلمت ربك صدقا و عدلا لا مبدل لكلمته ١١٥٢٩٤

و لا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ١٥٢٢٢٥٦

ص: ١٤٣

سوره التوبه

فلو لا نفر من كل فرقه منهم طائفه ليتفقّوها في الدين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ١٢٢٢٢٤

أجعلتم سقايه الحآج و عماره المسجد الحرام كمن ءامن بالله و اليوم الآخر و جهد في سبيل الله لا يستون عند الله و الله لا يهدى القوم الظلمين ١٩٣١٢٤

سوره يونس

إن ربكم الله الذى خلق السموات و الأرض فى سته أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أ فلا تذكرون ٣٣١٢٨

سوره هود

أوفوا المكيال و الميزان بالقسط و لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تعثوا فى الأرض مفسدين ٨٥١٢٢٥

هو أنشأكم من الأرض و استعمركم فيها ٦١١٢٤٧

إنه بما يعملون خبير ١١١٢١٥٠

ص: ١٤٥

سوره يوسف

لا تثریب علیکم الیوم یغفر اللہ لکم و هو أرحم الرّحمین ۹۲۲۷۴

لأقارہ بالسوء إلا ما رحم ربّی ۵۳۲۱۵۵

سوره إبراهیم

و إن تعدّوا نعمت اللّٰه لا تحصوها ۳۴۱۳۲

سوره الحجر

... إتی خلق بشرا من صلصل من حمأ مّسنون (۲۸) فإذا سوّیته و نفخت فیہ من رّوحی فقعوا له سجدين (۲۹) فسجد الملائکة

کلهم أجمعون (۳۰) إلّا إبلیس أبی أن یكون مع السّجدين ۲۸-۳۱۱۱۳۹-۱۴۰

ادخلوها بسلم ءامنین ۴۶۲۹۹

فاصفح الصّفح الجمیل ۸۴۲۲۴۴

سوره النحل

و لو شاء اللّٰه لجعلکم أمه و حده و لكن یضلّ من یشاء ۹۳۲۶۷

و أوفوا بعهد اللّٰه إذا عهدتم ۹۱۲۸۳

یأمر بالعدل و الإحسن ۹۰۲۹۷

کالتی نقضت غزلها من بعد قوّه أنکثا ۹۲۲۲۱۰

ص: ۱۴۶

سوره الإسراء

و لو لآ أن تُبتنك لقد كدتّ تركن إليهم شيئا قليلا (٧٤) إذا لآذقتك ضعف الحيوه و ضعف الممات ٧٤-٧٥٢٦٣

مَن كان يريد العاجله عَجَلنا له فيها ١٨٢٦٧

و من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطنا فلا يسرف في القتل إنّه كان منصورا ٣٣٢٧٩

و إذا أردنا أن نهلك قريه أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمرناها تدميرا ١٦٢١٣٤

سوره الكهف

فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر ٢٩٢٦٦

سوره مريم

و ما كان ربك نسيّا ٦٤١٢٨٧

سوره طه

و أمر أهلك بالصّلوه و اصطر عليها ١٣٢١٢١

فأوجس في نفسه خيفه موسى ٦٧١٧٨

سوره الحج

أذن للذين يقتلون بأنهم ظلموا و إنّ الله على نصرهم لقدير ٣٩١١٩٣

ص: ١٤٧

و من یرد فیہ بالحداد بظلم نذقه من عذاب ألیم ۲۵۲۱۰۶

سوره المؤمنون

ادفع بالتی هی أحسن السیئه ۹۶۲۲۴۰

حتی إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ۹۹۳۱۲۶

سوره النور

رجال لا تلهیهم تجره ولا یبع عن ذکر الله و إقام الصلوه و إیتاء الزکوه ۳۷۱۱۸-۲۱

سوره الشعراء

و أنهم یقولون ما لا یفعلون ۲۲۶۱۲۹۲

سوره القصص

تلك الدار الآخره نجعلها للذین لا یریدون علوا فی الأرض و لا فسادا و العقبه للمتقین ۸۳۱۱۲۴-۲۲۴

قل فأتوا بکتب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن کتم صدقین ۴۹۲۸۷

ص: ۱۴۸

سوره العنكبوت

أحسب النَّاسَ أَن يتركوا أَن يقولوا ءامنا و هم لا- يفتنون (٢) و لقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنَّ الله الذين صدقوا و ليعلمنَّ الكذابين ٣١١٦٦-٢

سوره الروم

فاصبر إن وعد الله حقّ و لا يستخفّنك الذين لا يوقنون ٦٠٢٨٢

سوره لقمان

و أسخ علىكم نعمه ظهره و باطنه ٢٠١٣٠

سوره الأحزاب

قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل و إذا لا تمتعون إلا قليلا ١٦١٢٠٩

و قرن في بيوتكنّ و لا تبرجن تبرج الجهليه الأولى ٣٣٢٢٣٧

و الذين يؤذون المؤمنين و المؤمنت بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتنا و إنما مبينا ٥٨٢٢٧٤

سوره سبأ

و قليل من عبادى الشكور ١٣١١٢

ص: ١٤٩

أم نجعل الذين ءامنوا و عملوا الصّٰلحت كالْمفْسدين في الأرض ٢٨١١٩٤

سوره الزمر

يْحسرتي على ما فرّطت في جنب الله و إن كنت لمن السّٰخرين ٥٦١١٥٢

لو أنّ الله هدني لكنت من المتّقين ٥٧١١٥٢

لو أنّ لي كزّه فأكون من المحسنين ٥٨١١٥٢

قل الله أعبد مخلصاً له ديني (١٤) فاعبدوا ما شئتم منّ دونه ١٤-١٥٢٦٧

و لقد أوحى إليك و إلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك و لتكوننّ من الخسرين ٦٥٢٨١

قل يعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً ٥٣٢٣٠٢

سوره غافر

و خسر هنالك المبطلون ٧٨٢١٨٤

ص: ١٥٠

سوره فصلت

مَنْ عَمِلْ صَاحِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ٤٦٢١٤٩

سوره الشورى

وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ٣٨٢١٠-٦٤

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ٨٢٦٧

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ١١٢١٢١

وَلَمَنْ أَنْتَصِرْ بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ٤١٢٢٣٣

وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٤٠٢٢٣٨

سوره الدخان

كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونَ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأُورَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ ٢٥-

٢٨١٢٨٣

سوره الأحقاف

وَحَمَلَهُ وَفَصَلَّهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ١٥٢٣٢٨

سوره الحجرات

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ١٣٢٣٧

ص: ١٥١

وإن طأفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحدئهما على الأخرى فقتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله فإن فآءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحبّ المقسطين ٩٢٩٢

فقتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله ٩٢٩٣

سوره ق

و ما أنت عليهم بجبار ٤٥٢٢١

و جاءت سكره الموت بالحقّ ذلك ما كنت منه تحيد (١٩) ١٩٢٣١٩

سوره الرحمن

و الأرض وضعها للأنام (١٠) فيها فكهه و النخل ذات الأكمام ١٠-١١١٢٦٠

مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان ١٩-٢٠١٢٦٠

يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان ٢٢١٢٦٠

سوره الحديد

لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم و الله لا يحبّ كلّ مختال فخور ٢٣١٢٦٣

ص: ١٥٢

سوره الحشر

و يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ٩١٢٣٤

كى لا يكون دوله بين الأغنياء ٧٢١١٣

سوره الصف

كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ٣٣٩٤

سوره التغابن

إنمآ أموالكم و أولدكم فتنه ١٥٢٣١٩

سوره الطلاق

و من يتق الله يجعل له مخرجا ٢١٣٧

سوره الحاقه

خذوه فغلوه ٧١٢٨

و تعيها أذن و عيه ١٢٢٢٥

سوره المدثر

ما سلككم فى سقر (٤٢) قالوا لم نك من المصلين ٤٢-٤٣١٢١

ص: ١٥٣

هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ١١٢٣٦

و جزئهم بما صبروا جنة و حريرا ١٢١٢٣٦

يوفون بالنذر و يخافون يوما كان شره مستطيرا (٧) و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما و أسيرا ٧-٨١٢٣٦

إننا هدينه السبيل إما شاكرا و إما كفورا ٣٢٦٦

سوره النازعات

فأميا من طغي (٣٧) و ءاثر الحيوه الدنيا (٣٨) فإن الجحيم هي المأوى (٣٩) و أميا من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى

(٤٠) فإن الجنة هي المأوى ٣٧-٤١١٩٣

و ءاثر الحيوه الدنيا ٣٨١٢٥٦

أنا ربكم الأعلى ٢٤٢١٢١

سوره الغاشيه

فذكر إنما أنت مذكر (٢١) لست عليهم بمسيطر ٢١-٢٢٢٢١

سوره الليل

الَّذِي يُؤْتِي مَا لَهُ يَتَرَكِّي (١٨) و مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) و لسوف يرضى ٢١١٩٨-١٨

سوره الضحى

و أمّا بنعمه ربّك فحدّث ١١١٢٤١

سوره التوحيد

لم يلد و لم يولد (٣) و لم يكن له كفوا أحد ٣-٤٢١٢١

ص: ١٥٥

إشاره

(١) الأنبياء و الرّسل

«حرف الألف»

- آدم عليه السّلام: ج ٩٢/١، ١٤٨، ج ١٤٦/٢، ج ١٣/٣.

- إبراهيم عليه السّلام: ج ٣٨/٢، ج ١٣/٣.

- إسحاق عليه السّلام: ج ٢٨/٢، ١٤٤، ١٤٦.

- إسماعيل عليه السّلام: ج ٣٧/٢، ١٤٦.

«حرف الدال»

- دانيال عليه السّلام: ج ٢٩٣/٢، ٢٩٥.

- داود عليه السّلام: ج ٢٤٨/١، ٢٥٠، ج ٣٠٠/٢، ٣٠١.

«حرف السين»

- سليمان عليه السّلام: ج ١٤٥/١.

ص: ١٥٦

- عيسى ابن مريم عليه السلام: ج ١٢٣/١، ج ١٤/٣.

- النبي محمد بن عبد الله، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ج ٢١/١، ٢٧، ٣٠، ٣٢، ٥٠، ٥٣، ٦٠، ٦٧، ٧٣، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٥، ١٠٧، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١٤٨، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٠، ١٩٢-٢٠٠، ٢٠٢-٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٥، ٢٢١، ٢٣١، ٢٣٢-٢٣٦، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٤٨-٢٥٠، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٦٠، ٢٧٤-٢٧٩، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٧-٣٠٠، ج ١١/٢، ١٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٠-٣٢، ٣٦-٣٨، ٤٦، ٤٦، ٤٦، ٥٦، ٥٧، ٦٣، ٧٢-٧٤، ٧٦، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩٧، ١٠٩، ١١٩، ١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٠-١٤٢، ١٤٦، ١٥١، ١٦٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٩١، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٤٢، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٧، ٢٩٠، ٣٠٦، ٣١٢، ٣١٥-٣١٧، ٣١٩، ٣٣٠، ج ١٢/٣، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٢-٢٩، ٣٦، ٨٤، ٨٧، ٨٩، ٩٦، ١١١، ١٢٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٨.

- موسى بن عمران عليه السلام: ج ٧٨/١، ٨٨ ج ١٩٩/٢، ج ١٣/٣، ٢٣.

«حرف النون»

- نوح عليه السلام: ج ١٣/٣.

«حرف الهاء»

- هارون عليه السلام: ج ١٣/٣، ٢٣.

«حرف الياء»

- يحيى بن زكريا عليه السلام: ج ١٣/٣.

- يوسف عليه السلام: ج ٧٤/٢.

ص: ١٥٨

(٢) الكتب و المصاحف

«حرف التاء»

- تاريخ يعقوبي: ج ٢/٢٣٦.

- تحف العقول: ج ٣/٦٤.

- تفسير ابن جرير: ج ٣/٢٦.

- تفسير ابن كثير: ج ٣/٢٥.

- التوراه: ج ٢/١١.

- دعائم الإسلام: ج ٣/٦٤.

«حرف الصاد»

- الصحيحه العلويه: ج ٣/٩٩.

«حرف القاف»

- القرآن الكريم: ج ١/٣٠، ٢٤٨، ج ٢/٣٧، ٣٩، ٤٣، ٤٤،

ص: ١٥٩

٤٥، ج ٤٢/٢، ٧٩، ٨١، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٢٠١، ٢١٢، ٢١٣، ٢٥١، ٣١٨، ج ١٢/٣، ٢٠، ١١١، ١٣٦.

«حرف الكاف»

- الكامل فى التاريخ: ج ١٢٤/٢.

- الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل فى وجوه التأويل:

ج ٢٥/٢.

«حرف الميم»

- المزامير: ج ٢٥٠/١.

- مسند أحمد بن حنبل: ج ٢١/٣، ٢٣، ٢٤.

- المصاحف: ج ٣٩/٢، ٤٠، ٤١.

«حرف النون»

- نهايه الأرب: ج ٦٤/٣.

- نهج البلاغه: ج ٧٧/٢، ج ٥٦/٣.

ص: ١٦٠

«حرف الألف»

- إيليس: ج ١٤٠/١، ج ٦٨/٢، ٩٨، ٣٠٩.
- ابن أبي طالب: ج ١٧/١، ١٥٦، ١٨٠، ١٩٠، ٢٠٠، ٢١٠، ج ٣٤/٢، ٧٣، ١٠٢، ١٣٨، ج ٣٧/٣، ٤٢.
- ابن أبي قحافة: ج ٢٧٨/١.
- ابن الأثير: ج ١٢٤/٢.
- ابن سميّه: ج ٦٠/١.
- ابن الصباح: ج ٢١٠/١، ٢١١.
- ابن عباس: ج ١٢٧/١، ١٢٩، ١٧٨، ٣٠١، ج ٤٥/٢، ٥٢، ١٠٠، ١٠١، ١٧٢، ١٧٣، ١٩٤، ٢٤٠.
- ابن الكوّاء: ج ٨١/٢، ٨٢، ٨٤-٨٩.
- ابن النابغه: ج ٤٠/٢.
- ابن هند: ج ٣٦/٢، ١٩٣.

- أحمد بن حنبل: ج ٢١/٣، ٢٣، ٢٤.

- الأحنف بن قيس: ج ٤٦/٢، ٢٢٣.

- الأشعث بن قيس: ج ٤٣/٢، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥٠.

- الأعمش: ج ١٩٣/٢.

- أمية: ج ٨٣/١.

- أنس بن مالك الأنصاري: ج ٢٨/٣.

«حرف الباء»

- بسر بن أرطأه: ج ٤٩/١، ج ٢٨١/٢.

- بولس سلامه: ج ٣٥/٣.

«حرف التاء»

- تبع: ج ١٨٤/٢.

- تولستوى: ج ٤٧/٣.

«حرف الجيم»

- جابر بن نمير الأنصاري: ج ٢٠٧/١.

- جبرائيل عليه السلام: ج ١٦٩/١، ١٧٠، ١٩٦، ٢٣٢، ج ٢٧/٣.

- جعفر بن أبى طالب عليه السلام: ج ١٦٢/٢، ٢١٨.

- جعفر بن محمد عليه السلام: ج ١٥٨/٢.

- جفينه: ج ٢٩٦/١.

- جورج جرداق: ج ٤٤/٣.

«حرف الحاء»

- حبه العربي: ج ٢٥/١، ٢٦.

- الحجاج بن الضمّه: ج ٢٣/٢.

- حجر بن عدى: ج ٥٥/١.

- حرب: ج ٨٣/١.

- الحرث بن راشد السامى: ج ٧٦/٢.

- حرقوص بن زهير: ج ٨٣/٢، ٨٩.

- حريث: ج ٢٨٣/٢.

- حسان بن ثابت: ج ٦٨/٢.

- حسان بن حسان البكرى: ج ١٥٥/١.

- الحسن البصرى: ج ١١١/١، ج ٢٠/٣.

- الحسن بن على عليه السّلام: ج ٧٢/١، ١٠١، ١٥٨، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٤، ١٩٠، ٢٠٦، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٨٥، ج ٤٧/٢، ٤٠، ١١٨، ١٣٦، ١٦٣-١٦٥، ١٨١، ١٩٢، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٣٠، ٢٩٠، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٠، ج ٢٦/٣.

- الحسين بن على عليه السّلام: ج ١٠١/١، ١٦٩، ٢٠٦، ٢٣٤، ٢٣٦، ج ٦٠/٢، ١١٨، ١٦٥، ١٨١، ٢٩٠، ٣٠٥، ج ٢٦/٣، ٣٨.

- حمزه: ج ١٩٤/١، ٢٠٤، ج ٢١٧/٢، ج ٢٠/٣.

- حنظله: ج ٢١٧/٢.

«حرف الخاء»

- خالد بن المعمر: ج ١٤٧/٢.

ص: ١٦٣

- خالد بن الوليد: ج ١٤٧/٢، ٣١٨.

«حرف الدال»

- دريد بن الصّمّه: ج ٥١/٢.

«حرف الراء»

- رافاييل: ج ٤٧/٣.

- الربيع بن زياد: ج ٢٦٠/١.

«حرف الزاي»

- الزبير بن العوام: ج ٥٩/١، ٦٠، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ١٩٢، ٢٠٤، ٢٤٢، ج ٢٨/٢، ٥٦، ٧٠، ٧١-٧٣، ٧٩، ١٣٩، ١٧٢ - ١٧٤، ١٩٢، ١٩٦، ٢٠٠، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٦.

- زرعه بن برج: ج ٨٣/٢.

- الزمخشري: ج ٢٢/٣، ٢٥.

- زياد: ج ٥٦/١.

- زياد ابن أبيه: ج ١١٤/٢.

- زيد بن ثابت: ج ٦٨/٢.

- زيد بن علي عليه السلام: ج ١٢٢/١.

- زيد بن هانيء: ج ٣٩/٢.

«حرف السين»

- سالم الجحدري: ج ١٧٣/١.

ص: ١٦٤

- سعد: ج ٧٥/١.

- سعد بن أبي وقاص: ج ٢٨٣/١، ٢٨٤، ٢٩١، ج ٦٨/٢، ٩٢، ٩٣.

- سعد بن قيس بن عباد: ج ٣٠/٢.

- سعد بن العاص: ج ١٧٤/٢.

- سعيد بن القيس الهمداني: ج ٢١٩/١.

- سفيان الثوري: ج ٢٢٦/٢.

- سفيان بن عوف الغامدي: ج ١٥٤/١.

- سلمان الفارسي: ج ٢٨٣/١.

- سلمان كتاني: ج ٣١/٣.

- سهل بن حنيف الأنصاري: ج ٣١/٢، ١٤٣، ١٩٥.

- سهل بن عمرو: ج ٢٢٨/٢.

- سويد بن غفلة: ١٢١.

«حرف الشين»

- شبلي الشميل: ج ٣١/٣.

- شريح: ج ٥٦/١.

- شريح بن الحارث القاضي: ج ٥٢/٢، ١٢٤، ١٨٢، ١٨٣، ٢٩٦.

- الشعبي: ج ١٧٦/١، ج ١٢٣/٢.

- شمعون: ج ٢٣٥/١.

- شبيه: ج ١٩٤/١.

- شيبه بن مالك العامري: ج ١٩٦/١.

«حرف الصاد»

- صعصعه بن صوحان: ج ١٩/٣.

«حرف الضاد»

- الضحّاك: ج ٧٨/١، ٧٩.

- ضرار بن ضمّره: ج ٢٢/١، ٢٣.

«حرف الطاء»

- الطبري: ج ٢٠٢/١، ج ٢٧٦/٢.

- طلحه: ج ٥٩/١-٥٩، ٦١، ٧٥-٧٧، ٢٤٢، ج ٢٨/٢، ٥٦، ٧٠-٧٢، ٧٩، ١٣٩، ١٧٢-١٧٤، ١٩٢، ١٩٦، ١٩٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٦، ٢٢٦.

- طلحه بن أبي طلحه: ج ١٩٧/١.

«حرف العين»

- عاصم بن زياد: ج ٢٦٠/١، ٢٦١.

- عاصم بن ضمّره السلولي: ج ٢٦٥/٢.

- عاصم بن ميثم: ج ١١٤/٢.

- عامر بن قتاده: ج ١٦٨/١، ١٦٩.

- عباس محمود العقاد: ج ٤١/٣.

- عبد الله بن أبي بكر: ج ٢٩٤/١، ٢٩٥.

ص: ١٦٦

- عبد الله بن جعفر: ج ١٦٤/٢.
- عبد الله بن خلف الخزاعي: ج ٢٤٣/١، ج ٢٣٧/٢.
- عبد الله بن الزبير: ج ١٧٩/١.
- عبد الله بن زمعه: ج ١١٣/٢.
- عبد الله بن عامر: ج ١٩٥/٢.
- عبد الله بن عباس: ج ١٢٦/١، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ٢٠٦، ٣٠١، ج ٤٥/٢، ٤٦، ٥٢، ٧٣، ١٧٣، ١٩٣-١٩٥.
- عبد الله بن عمر: ج ٧٥/١، ٢٨٥، ج ٢٨/٢، ٦٨، ٩٢.
- عبد الله بن مسعود: ج ٧٧/٢.
- عبد الله بن وهب: ج ٨٥/٢، ٨٩.
- عبد الرحمن بن ملجم: ج ١٦٢/١، ١٩١، ٢٩٦، ٢٩٧، ج ٢٠٥/٢، ٢٢٩، ٢٣٤.
- عبد الرحمن بن عوف: ج ٢٨٤/١، ٢٩٦.
- عبد المطلب: ج ٨٣/١، ج ١٢٣/٣، ١٢٤.
- عبد الله بن أبي رافع: ج ٩٩/١، ج ٢٩٧/٢، ٢٩٨.
- عبد الله بن العباس: ج ١٩٥/٢.
- عبيد الله بن عمر: ج ٢٩٦/١-٢٩٨.
- عبيده بن الحارث: ج ١٩٤/١، ج ١٦٢/٢، ٢١٧.
- عتبة: ج ١٩٤/١، ج ٢١٧/٢.
- عثمان بن حنيف: ج ٧٦/١، ٢٦٩، ٢٧٠، ج ٦١/٢، ٧٠، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٥.
- عثمان بن عفان: ج ١٢٤/١، ١٩١، ٢٨١، ٢٨٨، ٢٩٥ -

٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٢، ج ٢٧/٢، ٥٨، ٧٢، ٧٤، ٩٣، ٩٩-١٠١، ١٧٢-١٧٤، ١٩٤، ١٩٥، ٢١٠-٢١٢، ٢٦٠.

- عدى بن حاتم: ج ١٠٩/١.

- عروه بن الزبير: ج ٢٧/١.

- العقاد: ج ٢٦٠/٢.

- عقبه بن علقمه: ج ٩٩/١.

- عقيل بن أبي طالب: ج ٧٩/١، ج ١١٤/٢-١١٧، ١٤٤، ١٦٩.

- عقيل بن عبد الرحمن الخولاني: ج ١٦٠/٢.

- العلاء بن الحضرمي: ج ٥٧/٢.

- علي بن أبي رافع: ج ١٦٦/٢.

- أمير المؤمنين، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ج ٧/١، ١٦-٢٧، ٢٩-٣٢، ٣٤-٣٩، ٤١-٤٨، ٥٠-٥٤، ٥٨-٦٨، ٧١-٨٥، ٨٨-٩٢، ٩٥، ٩٧-١٠٢، ١٠٦، ١١٠-١١٧، ١٢٠، ١٢٢-١٢٥، ١٢٨-١٣١، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٩-١٤٨، ١٥٣-١٦٤، ١٦٦-١٧٧، ١٨٠، ١٨٢-١٩١، ١٩٥-١٩٨، ٢٠٠-٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٩-٢١٣، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٢-٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠-٢٤١، ٢٤٦-٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥-٢٦٦، ٢٦٨-٢٧٠، ٢٧٤-٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٩-٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٥-٣٠٠، ٣٠٢، ج ١٠/٢-١٤، ١٩، ٢٠، ٢٢-٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٤، ٦٨-٩٣، ٩٥، ٩٨، ١٠٠-١١٩، ١٢١-١٢٧، ١٢٩-١٣١، ١٣٣-١٣٦،

ص: ١٦٨

١٣٩، ١٤٠، ١٥٠-١٤٢، ١٥٢-١٥٤، ١٥٧-١٦٠، ١٦٢ - ١٦٩، ١٧٢-١٧٧، ١٧٩، ١٨١-١٨٤، ١٨٧-١٨٩، ١٩١ - ١٩٦، ٢٠٤-١٩٩،
٢٠٩-٢٠٧، ٢١٢، ٢١٦-٢١٤، ٢١٩ - ٢٢٤، ٢٣٠-٢٢٦، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٤٢، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٧،
٢٦٨، ٢٧٠-٢٧٢، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٨، ٣١١، ٣١٢، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢١، ٣٣٠، ج ١١/٣-١٦، ٢٠،
٢٢، ٢٤-٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٥، ٣٦، ٤٤، ٥٩، ٦٣، ٩٩، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٦-١١٩، ١٢٢، ١٢٦، ١٣٠، ١٣١، ١٣٥.

- علي بن الحسين عليه السّلام: ج ٢٠/١، ٩٧.

- عمّار بن ياسر: ج ٨٤/١، ج ٣٠/٢، ٤٧، ١٣٩، ٢٢٥.

- عمر بن الخطّاب: ج ٩١/١، ٢٨٠-٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٨، ج ٥٨/٢، ٧٤، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٨-١٤٠، ١٧٢، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٣،
٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣١٩، ٣٢١، ٣٣٠.

- عمرو بن حريث المخزومي: ج ١٠٩/١، ١١٠، ج ٢٨٨/٢، ٢٨٩.

- عمرو بن عبد الله الجمحي: ج ١٩٦/١.

- عمرو بن العاص: ج ٤٧/١-٥٠، ٥٣، ٥٤، ٨١، ٨٣، ١٢٧، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ٢٠٠، ٢٠٩-٢١٢، ٢٨٩، ٢٩٧، ج ٤٠/٢، ٤٦، ٥٢، ٨٦،
٨٨، ١٠٨، ١٦٨، ٢١٠، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩.

ص: ١٦٩

- عمرو بن مسلمه: ج ١٦٨/٢.

- عمرو بن وُدّ العامري: ج ٥٠/١، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ج ٢١٠/٢.

- عويمر: ج ٢٧/١.

«حرف الغين»

- غاندي: ج ٣٥/٣.

- غيتي: ج ٤٧/٣.

«حرف الفاء»

- فرعون: ج ٤٨/٢، ٩٨، ١٩٠.

- فضيل بن الجعد: ج ١٤٩/٢.

- فولتير: ج ٤٧/٣.

«حرف القاف»

- قثم بن العباس: ج ١٢٧/٢.

- قرظه: ج ٢٥/٢.

- قنبر: ج ٥١/١، ٦٦، ١١٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٩١، ج ١٥٨/٢، ١٦٤، ٢٤٣، ٢٦٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٦، ٣٠٤، ٣١٢.

- قيس بن سعد بن عباده: ج ١٩٥/٢، ج ٩١/٣.

- قيصر الروم: ج ١٨٤/٢.

ص: ١٧٠

«حرف الكاف»

- كريز بن الصباح الحميري: ج ١/٦٢.

- كسرى الفرس: ج ١/٢٨٣، ج ٢/١٨٤.

- كميل بن زياد: ج ١/٢١٨.

- كنانة بن بشر: ج ١/١٢٧، ١٢٨.

«حرف اللام»

- لبيد بن عطارد التميمي: ج ٢/٢٣٩.

«حرف الميم»

- مالك الأشر: ج ١/٢٥، ٥٥، ٥٦، ١٢٨، ١٨٢، ج ٢/٣٩ - ٤٢، ٤٥-٤٩، ٥٥، ٥٦، ١٢٠، ١٢١، ١٢٨، ١٢٩-١٣١، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٧٦، ١٧٧، ٢٠٣، ٢١٥، ٢٢١، ٢٤٣، ٢٤٨. ج ٣/٦٣.

- مالك بن كعب: ج ١/١٢٨.

- المتنبي: ج ٣/٣٨.

- محفن بن أبي محفن الضبي: ج ١/١٧٦.

- محمد بن أبي بكر: ج ١/١٨، ١٢٧-١٣٠، ٢٨٥، ج ٢/١٣٣، ٢٠١، ٢٢٤، ٢٣٨.

- محمد بن علي الباقر عليه السلام: ج ١/٢٠٦، ٢٢٨.

- محمد ابن الحنفية: ج ١/١٤٦، ١٤٧، ٢٠٦، ٢٥٩، ج ٢/٢٠١.

- محمد بن طلحه: ج ٢٢٧/٢.

- محمد بن مسلمة: ج ٦٨/٢.

- مرحب: ج ٢٠٣/١، ٢٠٤.

- مروان بن الحكم: ج ١/١، ٢٩٥، ٣٠٠، ج ٢/٧٣، ٧٥، ١٠١، ١٧٤، ٢٤١.

- مصعب بن الزبير: ج ٣٩/٢.

- مصعب بن يزيد الأنصاري: ج ٢/٢٥٢.

- مصقلة بن هبيرة الشيباني: ج ٢/١١٣.

- معاوية بن أبي سفيان: ج ١/٢٢، ٢٣، ٤٦-٤٩، ٥١-٥٥، ٥٨، ٥٢، ٥٣، ٥٨، ٦٨، ٧٨، ٨١-٨٣، ٨٥، ١٢٠، ١٢٧، ١٥٤، ١٦١-١٦٤، ١٧٦، ١٨١-١٨٤، ١٩٦، ٢٠٨-٢١٣، ٢٨٩، ج ٢/٢٣، ٣٢، ٣٤-٣٦، ٣٩، ٤٣-٤٨، ٥٢، ٥٣، ٥١، ٥٢، ٥٦، ٧٧، ٧٦، ٨٦، ٨٩، ١٠٨، ١١٦، ١١٧، ١٤١، ١٤٣، ١٤٦ - ١٥٠، ١٧٣، ١٩٢-١٩٤، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٤٢، ٢٨١، ج ٣/١٩.

- معطل بن قيس الرياحي: ج ١/٥٧.

- المغيرة بن شعبه: ج ١/١٦٣، ١٦٤، ج ٢/١٩٢، ١٩٣، ٢٠٢.

- منيه بن عثمان العبدي: ج ١/٢٠٢.

- موسى بن طلحه بن عبيد الله: ج ٢/٢٣٥.

- ميخائيل نعيمه: ج ٣/٣٠.

- ميكائيل: ج ١/٢٣٢.

ص: ١٧٢

«حرف النون»

- نافع بن أبي مطر: ج ٢٢٠/١.

- النجاشي: ج ٦٥/١.

- النضر بن منصور: ج ٩٩/١.

- نعيم بن دجاجه الأسدي: ج ٢٣٩/٢.

- نوف: ج ١٢٣/١.

- نوفل: ج ٢٠٢/١.

«حرف الهاء»

- هاشم: ج ٨٣/١.

- هاشم بن أمية المخزومي: ج ١٩٦/١.

- هرقل: ج ٢٨٢/١.

- الهرمزان: ج ٢٩٦/١.

«حرف الواو»

- الوليد: ج ١٩٤/١، ج ٢١٧/٢.

- الوليد بن عتبة: ج ١٩٤/١.

- الوليد بن عقبه: ج ٢١٣/١، ج ١٧٤/٢.

- الواقدي: ج ١٠٠/٢.

«حرف الياء»

- يزيد بن بلال: ج ٢٠٤/٢.

- يزيد بن هانيء: ج ٣٩/٢، ٤٠.

- اليقوبي: ج ٢/٢٣٦.

ص: ١٧٣

(٤) النساء

«حرف الألف»

ابنه على بن أبي طالب عليه السلام: ج ١٦٥/٢.

- أم حبيبه بنت أبي سفيان: ج ٥٣/١.

- أم سلمه: ج ٢٠٤/١.

- أم عثمان: ج ١٦٥/٢.

- أم كلثوم بنت على بن أبي طالب عليه السلام: ج ١٢٣/٢.

- أم المسيح: ج ٤٧/٣.

- أم هانئ بنت أبي طالب: ج ١٤٣/٢، ١٤٤.

«حرف الحاء»

- حفصه بنت عمر: ج ٢٩٧/١.

- حواء: ج ٣٨/٣، ٥٨.

ص: ١٧٤

«حرف الخاء»

- خديجه بنت خويلد: ج ٢٤٥/١، ج ١٧/٣.

«حرف الزاى»

- زينب الكبرى بنت على بن أبى طالب عليه السّلام: ج ١٦٤/٢.

«حرف السين»

- سوده بنت عماره الهمدانيه: ج ٢٨١/٢.

«حرف الصاد»

- صفيه بنت الحارث: ج ٢٤٣/١.

«حرف العين»

- عائشه بنت أبى بكر: ج ٧٥/١، ٧٦، ٨٤، ٢٤٢، ٢٤٣، ج ٢ / ٧٢، ٧٩، ١٩٩-٢٠٢، ٢١٠، ٢١١، ٢٢٣-٢٢٥، ٢٣٦-٢٣٨، ٢٨٠. ج ٢٨، ٢٠/٣.

- عاتكه بنت زيد: ج ٢٩٤/١، ٢٩٥.

«حرف الفاء»

- فاطمه الزّهراء عليها السّلام بنت محمّد صلّى الله عليه وآله و سلّم: ج ٩٨/١، ١٠٤، ١٤٣، ١٦٩، ١٧٥، ١٩٧، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٧٤، ج ٢٥/٢، ١٦٢، ج ٢٠/٣، ٢٣.

ص: ١٧٥

«حرف القاف»

- قطام: ج ٢/٢٣٠، ٢٨٠.

«حرف اللام»

- ليلي: ١٢١.

ص: ١٧٤

(٥) القبائل والأقوام والأحزاب

«حرف الألف»

- آل إسحاق: ج ١٤٤/٢.

- آل إسماعيل: ج ١٤٤/٢.

- آل علي عليه السلام: ج ١٢١/١.

- الأزد: ج ٥٣/١، ج ٧٩/٢.

- أصحاب الجمل: ج ٧١/٣، ٧٣، ٢٣٧.

- الأعاجم: ج ٢٨٢/١.

- الإقطاعيون: ج ٤٨/٣.

- الأنصار: ج ٢٧/١، ١٢٤، ١٩٤، ٢٧٥، ٢٩٦، ج ٢٤/٢، ٢٥، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٥٨، ١١٧، ١٣٦-١٣٨، ١٩٥، ٢١٨، ٣٢٠، ج ٢٣/٣.

- أهل البحرين: ج ٥٧/٢.

- أهل بدر: ج ٢٧/١، ج ١١٧/٢، ١٣٦.

ص: ١٧٧

- أهل البصرة: ج ١١٢/١، ج ١٥٠/٢، ١٨٤، ٢٣٧، ٢٣٩.

- أهل تدمر: ج ١١٢/١.

- أهل الهمه: ج ٣٨/٢، ١٣٦، ج ٧٣/٢.

- أهل الشام: ج ١، ٤٩، ٥٩، ١٢٧، ١٦٤، ١٨٢، ١٨٣، ٢٠٦، ٢١٠-٢١٢، ٢٦٩، ٢٩٣، ج ٣٦/٢، ٤٠، ٤١، ٧٧، ٨٦، ١٠٩، ١١٦، ١٤٨، ١٥٠، ١٩٣، ٢١٢، ج ١٩/٣.

- أهل العراق: ج ٣٥/٢، ٤٠، ١٠٩.

- أهل الكوفه: ج ٢٦٢/١، ج ٣١/٢، ٣٢، ١٥٠، ١٩٥.

- أهل المدينه: ج ٧٢/٢، ٢١١.

- أهل مصر: ج ١٢٧/١، ج ٢٢٩/٢.

- أهل مكّه: ج ١٩٥/٢.

- أهل اليمن: ج ٤٦/٢.

«حرف الباء»

- بنو أسد: ج ٢٧٧/١، ج ٢٣٩/٢.

- بنو إسرائيل: ج ١٢٣/١، ج ١٩٨/٢، ١٩٩، ٢٩٣.

- بنو أميه: ج ١، ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ج ١٠٠/٢، ١٧٣-١٧٥، ١٩٤، ١٩٥، ٢١٩، ج ٢١/٣.

- بنو جمح: ج ١٩٥/١.

- بنو عامر بن لؤى: ج ١٩٥/١.

- بنو عبد المطلب: ج ١٩٤/١، ج ٢٠٥/٢، ٢١٨، ٢٣١.

- بنو عبد مناف: ج ٨١/١-٨٣، ٢٠٠، ج ١٧٤/٢.

- بنو عبس: ج ٥١/١.

- بنو عمرو: ج ٢٨/٢.

- بنو قريظه: ج ٢٠٤/١.

- بنو هاشم: ج ١٦٤/٢.

«حرف التاء»

- التابعون: ج ١٧٢/١.

- الترك: ج ٢٨٣/١، ج ٣٠/٢.

«حرف التاء»

- ثقيف: ج ٢٤٩/٢.

«حرف الحاء»

- حمير: ج ١٨٤/٢، ٢٤٣.

«حرف الخاء»

- خثعم: ج ١٦٥/٢.

- الخوارج: ج ٥٥/١، ٥٧، ٢٤٢، ج ٢٥/٢، ٤٥، ٥٣، ٧٩ - ٨٥، ٩١، ٩٢، ٢١٣

«حرف الراء»

- ربيعه: ج ٢١٢/١، ج ٧٩/٢، ج ١٧/٣.

- الروم: ج ٢٨١/١، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٩٣، ج ٣٠/٢.

ص: ١٧٩

«حرف الصاد»

- الصادقون: ج ١/٤٤.

- الصحابه: ج ١/١٧٢، ١٩٥.

«حرف الظاء»

- الظالمون: ج ٢/٤٢، ٥٥، ٩٨.

«حرف العين»

- العجم: ج ٢/١٤٨.

- العرب: ج ١/٤٦، ٥٠، ٦٧، ٨٢، ٢٠١، ٢٨٢، ج ٢/١٤٨.

«حرف الغين»

- غامد: ج ١/١٥٥.

«حرف الفاء»

- الفراعنه: ج ١/١٣٤، ج ٢/١٨٤.

- الفرس: ج ١/٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩١، ٢٩٣.

«حرف القاف»

- القاسطون: ج ٢/٧٠.

- قحطان: ج ٢/٤٥.

- القرشيون: ج ١/٧٣.

- قریش: ج ١/٧٩، ١٥٦، ١٩٣-١٩٥، ٢٠٠، ٢١٣، ٢٧٥.

ص: ١٨٠

ج ٣٤/٢، ٤٥، ٧٣، ١١٦، ١٤٨، ١٧٤، ٢١٦، ٢٢٨، ٢٥٦، ٢٦٦. ج ٢٢/٣، ٢٧، ١٢٤.

«حرف الكاف»

- الكاذبون: ج ٩٥/١.

«حرف الميم»

- المارقون: ج ٧٠/٢.

- المتقون: ج ٦٨/١.

- المحتكرون: ج ٢٢٤/١، ج ٤٨/٣، ٥٢.

- المرتدون: ج ٣١٨/٢.

- مزينه: ج ٣٠٣/٢.

- المساكين: ج ١١٣/١، ١١٤، ١١٧.

- المستضعفون: ج ١١٠/٢، ج ٥٢/٢.

- المسلمون: ج ٧٩/١، ١٠٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٤٣، ١٧٢، ١٧٧، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٦،

٢٣٥، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٦-٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٨، ج ٢٥/٢، ٢٧، ٥٤، ٥٧، ٦٤، ٦٤، ٧٤، ٨٩، ٩٩، ١٣٢، ١٣٧، ١٣٨، ١٨٠.

- المشركون: ج ٧٧/١، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٢.

- مضر: ج ٤٥/٢، ج ١٧/٣.

- المماليك: ج ٦٧/١.

- المنافقون: ج ٢٤/٣.

ص: ١٨١

- المهاجرون: ج ٨٣/١، ١٢٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٩٦، ٣٠٢، ج ٢٤/٢، ٢٥، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٥٨، ٧٢، ١١٧، ١٣٦، ١٣٧، ٢١١، ٢١٨، ج ٢٣/٣.

- المؤمنون: ج ١١/١، ١٨، ٤٨، ١٠١، ١١٨، ١٣٨، ٢٥٥، ج ١١/٢، ٤٢، ٥٨، ٥٩.

- الموالي: ج ٣٨/٢، ١٠٨، ١٤٢، ١٤٦، ١٤٨، ١٨٦، ١٨٩.

«حرف النون»

- الناكثون: ج ٧٠/٢.

- النصارى: ج ٨٩/٢، ٣١٩، ٣٢٠، ج ١٤/٣، ٣٦.

«حرف الهاء»

- همدان: ج ٢١٢/١، ج ٢٨٦/٢.

- هوازن: ج ٥١/٢.

«حرف الياء»

- اليهود: ج ٨٩/٢، ٣١٩.

ص: ١٨٢

(٦) الألقاب

- أبو الأسود: ج ٢٧٠/١.
- أبو الأسود الدؤلى: ج ١٨٨/٢. ج ٣٧/٣.
- أبو الأعور: ج ١٧٩/١.
- أبو بكر بن أبى قحافه: ج ٢٨٠/١، ٢٨١، ٢٩٨، ج ٥٨/٢، ٧٤، ١٧٢، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٢، ٣١٨.
- أبو تراب: ج ١٦١/١، ج ١٤٧/٢.
- أبو الجنوب: ج ٩٩/١.
- أبو الحسن عليه السّلام: ج ٣٢/١، ٧٧، ٨٠، ٨٤، ٢٣٥، ٢٤٦، ٢٨٥، ٢٩٣، ٢٩٤، ج ٢٨/٢، ١٠٠، ١٢٥، ١٣٣، ٢١٧، ٢٥٩، ٢٦٢، ٣١٣، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٢٩، ج ١٩/٣، ٣٦، ٣٧.
- أبو الدرداء: ج ٢٧/١-٣٠.
- أبو ذر: ج ٢٥/٢.
- أبو رافع: ج ٢٠٣/١.

- أبو سفیان: ج ۸۳/۱.
- أبو طالب: ج ۸۳/۱، ج ۲۵۵/۲.
- أبو عبد الله: ج ۲۱۰/۱.
- أبو عبيده: ج ۲۸۱/۱.
- أبو العلاء البحتري: ج ۴۲/۳.
- أبو عمره: ج ۲۸/۲.
- أبو لؤلؤه: ج ۲۹۶/۱.
- أبو محجن: ج ۲۹۱/۱، ۲۹۲.
- أبو موسى الأشعري: ج ۴۵-۴۸، ۵۲، ۸۶-۸۸، ۱۹۵.
- أبو هريره: ج ۲۳۳/۱.
- أبو يزيد: ج ۱۶۷/۲.
- أبو يعلى بن أمية: ج ۱۹۵/۲.

(٧) المدن و البقاع و الأماكن

«حرف الألف»

- أذربيجان: ج ٢٩١/١.

- أصبهان: ج ١٦٨/٢.

- الأنبار: ج ١٤٣/١، ١٥٤، ١٥٥.

- الأهواز: ج ١١٩/٢.

«حرف الباء»

- بانقيا: ج ٢٤٩/٢.

- البصرة: ج ١/٦٤، ٧٦، ٧٧، ١١١، ١١٢، ١٢٩، ٢٢٠، ٢٦٩، ج ٢/٢٨، ٧١، ٩٢، ١١٤، ١٦٦، ١٧٢، ١٧٣، ١٩٢، ١٩٤، ٢١٦، ٢٢٣.

- بيت المقدس: ج ١/٢٨٧، ٢٨٨.

ص: ١٨٥

«حرف التاء»

- تبوك: ج ١٩٦/٢، ج ٢٧/٣.

«حرف الحاء»

- الحبشه: ج ٦٥/١.

- الحجاز: ج ١٠٠/١، ١٠١، ١١٣، ج ٤٧/٢، ١١٥، ١٥٩، ١٨٠.

- حراء: ج ١٨/٣.

- الحيره: ج ٧٩/١، ٢٩٦، ج ١١٦/٢.

«حرف الخاء»

- خراسان: ج ١٤٧/٢.

«حرف الدال»

- دمشق: ج ١٢٧/١، ج ٥٢/٢.

- دوله الجندل: ج ٥٢/٢.

- الديلم: ج ٣٣/٢.

«حرف الذال»

- ذوقار: ج ١٢٤/١.

«حرف السين»

- سوريه: ج ٢٨٢/١.

ص: ١٨٦

«حرف الشين»

- الشام: ج ٤٩/١، ٥٣، ٥٧، ٦٧، ٦٨، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٥، ١٠٠، ١٢٧، ١٢٨، ١٥٤، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٦، ١٨٣، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٢، ٢٦٨، ٢٨١، ج ٣١/٢-٣٤، ٥٢، ١٤٧، ١٤٨، ١٧٣، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ٢١٦، ٢٤٣.

«حرف الصاد»

- صَفِّين: ج ٤٧/١، ١٤٢، ١٨١.

«حرف الطاء»

- الطائف: ج ٣٧/٣.

«حرف العين»

- العراق: ج ٨٠/١، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ١٠٠، ٢٨١، ٢٩١، ج ٢ / ٣٥، ٥٢.

- عرفه: ج ٢٩٨/١.

«حرف الغين»

- غدِير خَم: ج ٢٤/٣.

«حرف الفاء»

- فارس: ج ٢٨٣/١، ٢٩١، ج ١١٤/٢.

- فدك: ج ٩٧/١.

ص: ١٨٧.

«حرف القاف»

- القسطنطينيه: ج ٢٨٢/١.

«حرف الكاف»

- الكعبه: ج ٢٨٦/١، ٢٨٧، ج ٢٦/٣، ٢٧، ٣٧.

- الكوفه: ج ٣٨/١، ٤٤، ٤٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٠، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٤٢، ٣٠٢، ج ٢٨/٢، ٤٧، ٨٥، ١٠٩، ١٢٣، ١٣٦، ١٥٨، ١٧٢، ١٧٣، ١٩٢، ١٩٤، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٣، ج ٣٧/٣.

«حرف الميم»

- المدائن: ج ٢٨٣/١.

- المدينه المنوره: ج ٩٨/١، ١٧٤، ٢٣٣، ٢٩٦، ٣٠١، ج ٢ / ٢، ٤٢، ٧٠، ١٥٨، ١٩٥، ١٩٦، ٢٢٣، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٦٥، ج ٢٧ / ٣.

- مصر: ج ١٨/١، ١٢٧-١٣٠، ٢٨٢، ج ٢٨/٢، ١٣٣، ١٥٣، ١٩٥، ٢٠٣، ج ٦٣/٣.

- مكّه المكرّمه: ج ٦٥/١، ج ٤٥/٢، ٤٨، ١٢٧، ١٧٤، ١٩٥، ج ٢٢/٣.

- منى: ج ٢٩٨/١.

ص: ١٨٨

«حرف الهاء»

- همدان: ج ٨٥/١ ج ١٣٦/٢.

- الهند: ج ٢٨٣/١.

«حرف الواو»

- وادى القرى: ج ١٩٦/٢.

«حرف الياء»

- اليمامة: ج ١١٣، ٧٩/١، ج ١٥٩/٢.

- اليمن: ج ١٢/٢، ج ١٦٤/٢، ١٩٥، ج ٣٧/٣.

- ينبع: ج ١١٧/١، ٣٠١، ج ١٩٤/٢.

ص: ١٨٩

(٨) المعاهدات و الاتفاقيات

- اجتماع السقيفة: ج ٢٧٥/١.

- مسأله التحكيم: ج ١٢/٢، ٢٦، ٣٩، ٤٣، ٤٩، ٥١-٥٣، ٤٩، ٨١، ٨٣، ٨٧، ٩٠، ٢١٣، ٢٢٧، ٢٢٨.

- الحديبيه: ج ٢٢٨/٢.

ص: ١٩٠

(٩) المعارك و الحروب

- أحد: ج ١٩٥/١، ١٩٦، ج ١٦٢/٢، ٢١٨، ج ٣٧/٣.

- بدر: ج ٢٧/١، ١٩٣، ١٩٥، ج ١٦٢/٢، ١٧٤، ٢١٧.

- تبوك: ج ٢٢/٣، ٢٥.

- الجمل: ج ٥٨/١، ٦١، ٧٦، ٨٤، ١٩٢، ٢٤٢، ٢٦٩، ج ٢ / ٤٧، ٧٨، ٩٢، ١٩٩، ٢٠١، ٢١٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٩، ج ٣٧/٣.

- حنين: ج ٢٠٤/١، ج ٣٧/٣.

- الخندق: ج ٥٠/١، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٢، ج ٣٧/٣.

- خيبر: ج ٢٠٣/١، ٢٠٤، ج ٣٧/٣.

- صفين: ج ٣١/١، ٣٨، ٤٧، ٥٨، ٦٢، ٦٣، ٨٠، ١٤٣، ١٨١، ١٩٠، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٧٠، ج ٢٥/٢، ٣٠، ٣٤، ٣٩، ٩٢، ١٠٨، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٨١، ج ٣٧/٣.

- ليلة الهيرير «من صفين»: ج ١٩/١، ٢٠٧، ج ١٠٨/٢.

- مؤتة: ج ١٦٢/٢، ٢١٨.

- النهروان: ج ٥٣/٢، ٨٤، ٢٣٥، ج ٣٧/٣.

ص: ١٩١

(١٠) أسماء الآله

- أبنزار: (إبره): ج ١٥٩/٢.
- الترس: ج ٣٦/٣، ٣٧.
- الحربه: ج ٢٧/٣.
- الخوذه: ج ٦٣/١، ٢١٢.
- الدرع: ج ١٦٨/١، ج ١٢٤/٢، ١٢٥.
- الدرقة: ج ٢٠١/١.
- السكين: ج ١٧٤/١، ١٧٥، ج ٣٠٨/٢، ٣٢٦.
- السوط: ج ٣٧/٣.
- سيف ذو الفقار: ج ٤٩/١، ٥٨، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٨، ١٨٠، ١٩١، ١٩٦، ٢٠٤، ٢٠٨، ج ٢٠٣/٢.
- الصفحه: ج ١٢١/١.
- فاثور (طشت): ج ١٢١/١.
- المر (المسحاه): ج ٢٤٦/١.
- ملبنه (ملعقه): ج ١٢١/١.
- منشار: ج ٣١٣/٢.

(١٢) المصادر و المراجع

- ١ - أئمتنا.
- ٢ - الاحتجاج.
- ٣ - إحياء علوم الدين، للغزالي.
- ٤ - الأخبار الطوال.
- ٥ - الاختصاص.
- ٦ - الأدب الكبير، لابن المقفع.
- ٧ - إرشاد القلوب.
- ٨ - الإرشاد، للمفيد.
- ٩ - الاستيعاب: ج ٤.
- ١٠ - الأسس النفسيه للنمو.
- ١١ - الإسلام في مواجهه الجاهليه.
- ١٢ - أصول الكافي: ج ١.
- ١٣ - أعلام النبوه للماوردي.

ص: ١٩٣

- ١٤ - أعيان الشيعة.
- ١٥ - الأغاني: ج ٥، ١٥.
- ١٦ - الأمالي: ج ١، ٢.
- ١٧ - أمالي الصدوق.
- ١٨ - أمالي الطوسي.
- ١٩ - أمالي المفيد.
- ٢٠ - الإمام على عليه السلام نبراس و متراس.
- ٢١ - الإمام القائد.
- ٢٢ - الإمامه و السياسة: ج ١.
- ٢٣ - أنساب الأشراف: ج ٢.
- ٢٤ - بحار الأنوار: ج ٤، ١٠، ١٣، ١٤، ١٦، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨١، ١٠٠، ١٠٣.
- ٢٥ - البدايه و النهايه: ج ٣، ١٢.
- ٢٦ - البديع، لابن المعتز.
- ٢٧ - البرهان في تفسير القرآن: ج ١، ٤.
- ٢٨ - بشاره المصطفى.
- ٢٩ - البصائر و الذخائر.
- ٣٠ - البيان و التبيين: ج ١.
- ٣١ - تاريخ ابن عساكر: ج ٢، ٣.
- ٣٢ - تاريخ ابن واضح: ج ٢.
- ٣٣ - تاريخ بغداد، للخطيب: ج ٥.

٣٤ - تاريخ الطبرى: ج ٥، ٦.

٣٥ - تاريخ يعقوبى: ج ٢.

٣٦ - تحف العقول، للحزائى.

٣٧ - تذكره الخواص.

٣٨ - الترغيب و الترهيب: ج ٣.

٣٩ - تفسير الرازى: ج ٢.

٤٠ - تفسير على بن إبراهيم: ج ١.

٤١ - تفسير العياشى: ج ٢.

٤٢ - التفسير المعين.

٤٣ - تفسير نور الثقلين: ج ٥.

٤٤ - تليس إبليس.

٤٥ - تنبيه الخاطر.

٤٦ - التهذيب: ج ٢.

٤٧ - التوحيد.

٤٨ - جامع الأخبار.

٤٩ - جامع السعادات: ج ١، ٢.

٥٠ - حليه الأولياء: ج ١.

٥١ - الحياه: ج ٤.

٥٢ - حياه الإمام الحسين عليه السلام، للقرشى.

٥٣ - الخصال، للصدوق: ج ١، ٢.

٥٤ - الدرّ المنثور.

٥٥ - دراسات في ولاية الفقيه: ج ٢.

ص: ١٩٥

- ٥٦ - دستور معالم الحكم، للقصاصي.
- ٥٧ - دعائم الإسلام، للنعمان: ج ١.
- ٥٨ - دعوات الراوندي.
- ٥٩ - ديوان المعاني، للعسكري: ج ١.
- ٦٠ - ذخائر العقبي.
- ٦١ - الذريعة: ج ٧.
- ٦٢ - ربيع الأبرار، للزمخشري.
- ٦٣ - رجال الكشي.
- ٦٤ - روض الأخبار.
- ٦٥ - روضه الكافي.
- ٦٦ - روضه الواعظين.
- ٦٧ - السبيل إلى إنهاض المسلمين.
- ٦٨ - سراج الملوك، للطرطوشي.
- ٦٩ - سفينه البحار: ج ١.
- ٧٠ - سنن ابن ماجه: ج ١.
- ٧١ - السياسه من واقع الإسلام.
- ٧٢ - شرح نهج البلاغه، لابن أبي الحديد: ج ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨.
- ٧٣ - صبح الأعشى: ج ١.
- ٧٤ - الصحيفه العلويه.
- ٧٥ - الصياغه الجديده.

٧٦ - الطبقات الكبرى.

ص: ١٩٦

- ٧٧ - الطراز، لليمانى.
- ٧٨ - عبقرية الإمام على عليه السلام، للعقاد.
- ٧٩ - العقد الفريد: ج ٢، ٣، ٤.
- ٨٠ - علل الشرائع.
- ٨١ - على و حقوق الإنسان، لجورج جرداق.
- ٨٢ - على و حقوق الإنسان، لجورج جرداق.
- ٨٣ - على و عصره: ج ٤.
- ٨٤ - على من المهد إلى اللحد، للقزوينى.
- ٨٥ - عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ٢.
- ٨٦ - العيون و المحاسن: ج ٢.
- ٨٧ - الغدير، للأمينى.
- ٨٨ - غرر الحكم و درر الكلم، للآمدى.
- ٨٩ - غرزوات أمير المؤمنين.
- ٩٠ - الفتوح: ج ٣.
- ٩١ - الفرغ بعد الشده: ج ٢.
- ٩٢ - فروع الكافى: ج ٣، ٥، ٧.
- ٩٣ - فضائل العشره، لأبى السعادات.
- ٩٤ - الفقه.
- ٩٥ - فقه القرآن، للراوندى.
- ٩٦ - الفهرست، لابن النديم.

٩٧ - قاموس الحكم و الأمثال.

٩٨ - القرآن الكريم.

ص: ١٩٧

- ٩٩ - قرب الأسناد.
- ١٠٠ - قضاء أمير المؤمنين.
- ١٠١ - قوتا لقلوب: ج ١، ٢.
- ١٠٢ - الكافي: ج ٢، ٣.
- ١٠٣ - الكامل فى التاريخ، لابن الأثير: ج ١، ٣.
- ١٠٤ - الكامل، للمبرد: ج ١.
- ١٠٥ - كتاب الأموال.
- ١٠٦ - كتاب صفين، لنصر بن مزاحم.
- ١٠٧ - كتاب سليم بن قيس.
- ١٠٨ - كشف الغمّه.
- ١٠٩ - كشف المحجّه.
- ١١٠ - كلمه الله.
- ١١١ - كلمه الرسول الأعظم.
- ١١٢ - كنز العمال: ج ٣، ٦.
- ١١٣ - كنز الفوائد.
- ١١٤ - لآلىء الأخبار.
- ١١٥ - لباب الأدب.
- ١١٦ - ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين.
- ١١٧ - المجالس.
- ١١٨ - مجمع الأمثال: ج ٢.

١١٩ - مجمع البيان: ج ٩.

١٢٠ - مجموعه الشيخ ورام: ج ١٢.

ص: ١٩٨

- ١٢١ - المحاسن و المساوىء: ج ١.
- ١٢٢ - محاضرات الأءباء: ج ١.
- ١٢٣ - مروج الذهب: ج ٢.
- ١٢٤ - مستدرء الصءىء: ج ٣.
- ١٢٥ - مستدرء نهء البلاءه.
- ١٢٦ - مستدرء الوسائل: ج ٢.
- ١٢٧ - المسترءء، للطبرى.
- ١٢٨ - المستطرف: ج ١.
- ١٢٩ - مسند أءمء.
- ١٣٠ - مسند الموصلى.
- ١٣١ - مشكاه الأنوار.
- ١٣٢ - مصباح المتهءء.
- ١٣٣ - مطالب السؤل: ج ١.
- ١٣٤ - المعارف، لابن قءببه.
- ١٣٥ - المءءبر، للحلى.
- ١٣٦ - معدن الجواهر، للكراءكى.
- ١٣٧ - المعمرن و الوصايا.
- ١٣٨ - مفاءىء الجنان.
- ١٣٩ - مقاتل الطالببب.
- ١٤٠ - المقاماء فى مناقب أمبر المؤمنبب للأسكافى.

١٤١ - ملحمه عيد الغدير

١٤٢ - مناقب آل أبي طالب: ج ١.

ص: ١٩٩

١٤٣ - المناقب، للخوارزمي.

١٤٤ - من لا يحضره الفقيه: ج ١، ٣.

١٤٥ - موعظه الواعظين.

١٤٦ - الموفقيات للزبير بن بكار.

١٤٧ - ميزان الحكمة: ج ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ١٠.

١٤٨ - ناسخ التواريخ: ج ٣.

١٤٩ - نهايه الأرب: ج ٣، ٦.

١٥٠ - النهايه في غريب الحديث: ج ٢، ٣.

١٥١ - نهج البلاغه.

١٥٢ - نهج السعاده، للمحمودي: ج ١.

١٥٣ - نور الثقلين: ج ٢، ٣، ٤.

١٥٤ - الوسائل: ج ٦، ٨، ١١، ١٣، ١٤، ١٩.

١٥٥ - Boujat.P.Commente Se Pepar a La Retraite .

ص: ٢٠٠

وئاق هامه ٧

قالوا فى الإمام ٩

قال الله تعالى عنه ١١

قال فى رسول الله ١٢

قال على عليه السلام عن نفسه ١٦

قال فى معاصروه ١٩

قال فى العلماء و المفكرّون ٢٢

قال فى المتأخرون ٣٠

دستور الإمام عليه السلام لحكام العدل ٦١

١ - الأهداف الأربعة لتعيين الولاة ٦٣

٢ - التقوى يجب أن يكون محور عمل الوالى ٦٣

٣ - الاهتمام بترويض النفس و كسر الشهوات ٦٥

٤ - النظرة التاريخية: واجب الوالى ٦٥

٥ - العمل الصالح ذخيره أعمال الحكام ٦٥

ص: ٢٠١

- ٦ - ضروره السيطره على الهوى و الشح ٦٥
- ٧ - الزحمه للرعيه هى الأصل فى التعامل معهم ٦٦
- ٨ - الخطأ و الزلل أمر طبيعى فى البشر ٦٦
- ٩ - العفو و الصفح عطاء الوالى للناس ٦٦
- ١٠ - الامتناع عن العفو و الصفح يعنى الحرب مع الله ٦٦
- ١١ - الامتناع عن الانتقام و استخدام العنف ٦٧
- ١٢ - تجنب الزهو و الكبر ٦٧
- ١٣ - تحريم التشبه بالله فى عظمته ٦٧
- ١٤ - واجب الإنصاف من النفس و الأقارب ٦٧
- ١٥ - الظلم يجعل الوالى فى مواجهه مع ربه ٦٨
- ١٦ - الاستمرار فى الظلم يؤدى إلى تغيير نعم الله ٦٨
- ١٧ - الحق، و العدل، و المصلحه العامه ميزان العمل الصالح للولاه؛ ٦٨
- ١٨ - المقربون من الولاه آفات الحكام ٦٨
- ١٩ - التوصيه بالجماهير و أكثرية الناس ٦٩
- ٢٠ - إبعاد من يكشف عن عيوب الناس ٦٩
- ٢١ - فك حلقات الحقد و العنف ٦٩
- ٢٢ - عدم قبول كلام السعاه ٦٩
- ٢٣ - الامتناع عن مشوره البخلاء و الجبناء و أهل الحرص ٧٠
- ٢٤ - إبعاد وزراء حكام الجور السابقين ٧٠
- ٢٥ - ضروره اتخاذ أهل الفكر و الوعى للاستشاره و الوزاره ٧٠

- ٢٦ - تقريب من يذكر بالله و يقول الحق ٧١
- ٢٧ - أهل الورع و الصدق هم أهل المشاوره ٧١
- ٢٨ - لا يكونن المحسن و المسيء عندك سواء ٧١
- ٢٩ - الإحسان إلى الرعيه، و التخفيف عنهم و ترك إكراههم ٧١
- ٣٠ - أحق الناس بحسن الظن من حسن بلائك عنده ٧٢
- ٣١ - إبقاء العادات الحسنه على حالها ٧٢
- ٣٢ - الإكثار من مناقشه العلماء و الحكماء و التحدث معهم حول أمور الحكم ٧٢
- ٣٣ - الرعيه طبقات و لا بد من وضع كل واحده موضعها ٧٣
- ٣٤ - الطبقات العامه ٧٣
- ٣٥ - التجار، و طبقه الفقيره ٧٣
- ٣٦ - مواقع طبقات الرعيه محدده فى الكتاب و السنه ٧٣
- ٣٧ - موقع الجنود، و تأمين حاجاتهم ٧٤
- ٣٨ - موقع القضاء و الكتاب و العمال ٧٤
- ٣٩ - موقع التجار و الصناعيين ٧٤
- ٤٠ - موقع الفقراء و المساكين ٧٤
- ٤١ - مسؤوليه الحاكم تجاه طبقات المجتمع ٧٥
- ٤٢ - الجنديه اختياريه، و لا بد من توفر شروط معينه فى الجندى ٧٥
- ٤٣ - الاهتمام بأصول الأفراد، و إحسابهم فى التعيين ٧٥
- ٤٤ - ضروره تفقّد حال الجنود فى الأمور الصغيره و الكبيره ٧٦

- ٤٥ - شروط تعيين الضباط و رؤساء الجند ٧٦
- ٤٦ - ضروره العطف على الجنود لتأمين العدل و مودّه الرعيّه ٧٦
- ٤٧ - الاهتمام بسلامه صدور الجنود، و كيفيه ذلك ٧٧
- ٤٨ - تعديد بطولات الجنود، و حسن الذكر لمن يستحق ٧٧
- ٤٩ - التقدير العادل لمواقف كل جندي بقطع النظر عن أصله ٧٧
- ٥٠ - الرجوع إلى كتاب الله و سنّه رسوله في المشتبهات ٧٨
- ٥١ - شروط تعيين القضاة ٧٨
- ٥٢ - الشّروط التي يجب توفّرها في شخصيه القاضي ٧٨
- ٥٣ - مراقبه أمور القضاة و احترامهم ٧٩
- ٥٤ - شروط تعيين الولاة ٧٩
- ٥٥ - شروط اختيار الولاة و المسؤولين ٧٩
- ٥٦ - العطاء للولاة و المسؤولين ٨٠
- ٥٧ - ضروره تفقّد أمورهم، و مراقبه أعمالهم ٨٠
- ٥٨ - التشدّد مع المسؤولين ٨٠
- ٥٩ - تفقّد أمور الخراج و الصّرائب ٨٠
- ٦٠ - عمار الأرض و صلاح أهله أهم من الخراج و الضريبه ٨١
- ٦١ - ظروف التخفيف في الخراج؛ ٨١
- ٦٢ - التخفيف في الصّرائب مطلوب على كل حال ٨١
- ٦٣ - النتائج الحسنه لتبادل الثّقه مع أهل الصّرائب ٨٢
- ٦٤ - الخراب نتيجته شحّ الحكّام و ثقل الضرائب ٨٢

- ٦٥ - شروط استخدام الكتاب و الموظفين عند الحاكم ٨٢
- ٦٦ - ضروره الامتحان و الاختبار للموظفين ٨٣
- ٦٧ - ثقه العامه بالأفراد ميزان صلاحيتهم للتوظيف عند الحاكم ٨٣
- ٦٨ - تعيين كبار المسؤولين ٨٣
- ٦٩ - مسؤوليه الحاكم فى موارد تغافله ٨٣
- ٧٠ - الاهتمام بالتجار و ذوى الصناعات و الطبقة الوسطى ٨٤
- ٧١ - الشح و الاحتكار و التسلط على الأسعار: مضره للعامه و عيب على الولاه ٨٤
- ٧٢ - ضروره المنع من الاحتكار و أخذ منافع الطرفین بعين الاعتبار ٨٤
- ٧٣ - الاهتمام الكبير بالطبقات السفلى و أهل الحاجه ٨٥
- ٧٤ - تعيين حصه أساسيه للمساكين و أهل البؤسى من بيت المال و المحاصيل ٨٥
- ٧٥ - لا عذر للحاكم فى الانشغال عن ذوى الحاجات ٨٥
- ٧٦ - ضروره البحث المستمر عن ذوى الحاجه ممن لا تقتحمه العيون ٨٦
- ٧٧ - أهل الحاجه و الأيتام و المسنين هم الأوج إلى الإنصاف و الرعايه ٨٦
- ٧٨ - لتحمل الحق، لا بد من الصبر ٨٦
- ٧٩ - تعيين أوقات معينه لذوى الحاجه ٨٧
- ٨٠ - لا بد من الأخذ لحق الضعيف ٨٧
- ٨١ - تحمل ذوى الحاجه، و طلباتهم و كلامهم ٨٧
- ٨٢ - إجابته الولاه واجب شخصى على الحاكم ٨٧

- ٨٣ - رفع حاجات الناس أولاً بأول ٨٨
- ٨٤ - عدم تأخير أعمال كل يوم ٨٨
- ٨٥ - أفضل الأوقات للعبادة و الانقطاع إلى الله ٨٨
- ٨٦ - العطاء لله بإقامه الفرائض ٨٨
- ٨٧ - إقامه صلاه الجماعه بلا تضييع و لا تغيير ٨٩
- ٨٨ - صلاه أضعفهم: تلك هي القاعده ٨٩
- ٨٩ - حرمه الاحتجاب عن الناس ٨٩
- ٩٠ - الوالى بشر و لن يعرف ما يغيب عنه ٨٩
- ٩١ - أكثر حاجات الناس لا تكلفك شيئاً ٩٠
- ٩٢ - الحذر من خاصه الوالى، و المقرّبين منه ٩٠
- ٩٣ - الالتزام بالعدل مع الجميع ٩٠
- ٩٤ - ضروره رفع سوء الظنّ من قبل الناس ٩١
- ٩٥ - قبول الصلح مع العدو إذا جنح إليه ٩١
- ٩٦ - الحذر الدائم من العدو حتّى بعد الصلح ٩١
- ٩٧ - الالتزام بالمعاهدات حتى مع الأعداء ٩١
- ٩٨ - الوفاء بالعهود يستوى فيه المسلمون و غيرهم ٩٢
- ٩٩ - العهود فى ذمّه الله فلا يجوز فيه الخداع و الإدغال ٩٢
- ١٠٠ - لا مطالبه بتغيير العهود بلا سبب ٩٢
- ١٠١ - الاحتياط المطلق فى قضيه الدماء ٩٣
- ١٠٢ - لا يجوز تثبيت الحكم بإراقه الدماء ٩٣

١٠٣ - لا عذر للحاكم في قتل العمد، و في الخطأ لا بد من تحمّل النتائج ٩٣

١٠٤ - الإعجاب و الزهو حائل الشيطان للحكام ٩٤

١٠٥ - ليس من حق الحاكم المنّ على الرعيه و الابتعاد عن الأخلاق ٩٤

١٠٦ - الحذر من الانسياق وراء الغضب ٩٤

١٠٧ - ضروره وضع كل أمر موضعه بلا استبطاء أو عجله ٩٥

١٠٨ - الاستثثار بأمور الناس ظلم فاضح ٩٥

١٠٩ - الأخذ بعادات الحكومات العادله و سنّه رسول الله و التقيد بالشرع و الالتزام بالأخلاق و الأصول واجب الحاكم ٩٥

١١٠ - الدّعاء للاستمرار فيما فيه حسن الثّناء و جميل الأثر ٩٦

دعاء و مناجاه ٩٧

مناجاه ١٠٤

وصايا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم للإمام عليه السّلام ١٠٩

وصيه الإمام الأخيره ١٣٣

فهرس الآيات القرآنيه ١٣٩

فهارس كتاب أخلاقيات أمير المؤمنين ١٥٦

(١) الأنبياء و الرّسل ١٥٦

(٢) الكتب و المصاحف ١٥٩

(٣) الأعلام ١٦١

(٤) النساء ١٧٤

ص: ٢٠٧

(٥) القبائل و الأقبام و الأحزاب ١٧٧

(٦) الألقاب ١٨٣

(٧) المدن و البقاع و الأماكن ١٨٥

(٨) المعاهدات و الاتفاقيات ١٩٠

(٩) المعارك و الحروب ١٩١

(١٠) أسماء الآله ١٩٢

(١٢) المصادر و المراجع ١٩٣

ص: ٢٠٨

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان

الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

